

الكتاب : الرسالة القشيرية

المؤلف : القشيري

الجزء الأول

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تفرد بجلال ملكوته، وتوحد بجمال جبروته وتعزز بعلو أحديته، وتقدس بسمو صمديته، وتكبر في ذاته عن مضارعة كل نظير، وتنزه في صفائه عن كل تناه وقصور، له الصفات المختصة بحقه، واليات الناطقة بأنه غير مشبه بخلقه.

فسبحانه من عزيز، لا حد يناله، ولا عد يحتاله، ولا أمد يحصره، ولا أحد ينصره، ولا ولد يشفعه، ولا عدد يجمع، ولا مكان يمسكه، ولا زمان يدركه، ولا فهم يقدره، ولا وهم يصوره.

تعالى عن أن يقال: كيف هو؟ أو أين هو؟ أو اكتسب بصنعه الزين، أو دفع بفعله النقص والشين؛ إذ ليس كمثل شيء وهو السميع البصير، ولا يغلبه حي، وهو الخبير القدير.

أحمده على ما يولى ويصنع، وأشكره على ما يزوى ويدفع، وأتوكل عليه وأقنع، وأرضى بما يعطي ويمنع.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة موقن بتوحيده، مستجير بحسن تأييده.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده المصطفى، وأمينه الختبي ورسوله المبعوث إلى كافة الورى صلى الله عليه وعلى آله مصايح الدجي، وعلى أصحابه مفاتيح الهدى، وسمل تسليمياً كثيراً.

هذه رسالة كتبها الفقير إلى الله تعالى عبد الكريم بن هوازن القشيري، إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام، في سنة سبع وثلاثين وأربعمائة.

أما بعد: رضي الله عنكم فقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه، وفضلهم على الكافة من عباده، بعد رسله

وأنبياؤه، صلوات الله وسلامه عليهم، وجعل قلوبهم معادن أسرارهم، واختصهم من بين الأمة بطوالع أنوارهم.

فهم الغياث للخلق، والدائرون في عموم أحوالهم مع الحق بالحق.

صفاهم من كلورات البشرية، ورفاهم إلى محال المشاهدات بما تجلّى لهم من حقائق الأحذية. ووقفهم للقيام بآداب العودية، وأشهد مجارى أحكام الربوبية.

فقاموا بأداء ما عليهم من واجبات تكليف، وتحققوا بما منه سبحانه لهم من التقلب والتصرف.

ثم رجعوا إلى الله، سبحانه وتعالى، بصدق الافتقار، ونعت الانكسار، ولم يتكلموا على ما حصل منهم من الأعمال، أو

صفا لهم من الأحوال. علماً منهم بأنه جل وعلا يفعل ما يريد، ويختار من يشاء من العبيد. لا يحكم عليه خلق. ولا

يتوجه عليه مخلوق حق، ثوابه: إبتداء فضل. وعذابه: حكم بعدل. وأمره قضاء فصل. ثم اعلّموا، رحمكم الله، أن

الحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم ولم يبق في زماننا من هذه الطائفة إلا أثرهم، كما قيل:

أما الخيام فإنها كخيامهم... وأرى نساء الحي غير نساتها

حصلت الفترة في هذه الطريقة..، لا، بل إندرست الطريقة بالحقيقة: مضى الشيوخ الذين كان بهم اهتداء، وقل

الشباب الذين كان لهم بسيرتهم وستهم اقتداء، وزال الورع وطوى بساطه، واشتد الطمع وقوى رباطه. وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوتق ذريعة ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام. ودانوا بترك الإحترام.

وطرح الاحتشام، واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، وركضوا في ميدان الغفلات وركنوا إلى انباع الشهوات، وقلة المبالاة بتعاطي المحظورات، والارتفاق بما يأخذونه من السوق، والنسوان، وأصحاب السلطان.

ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال، حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال، وادعوا أنهم تحروا من رق الأغلال وتحققوا بحقائق الوصال وأنهم قائمون بالحق، تجري عليهم أحكامه، وهم محو، وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه عتب ولا لوم، وأنهم كوشفوا بأسرار الأحذية، واختطفوا عنهم بالكلية، وزالت عنهم أحكامه للبشرية. وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدية، والقائل عنهم غيرهم إذا نطقوا، والنائب عنهم سواهم فيما تصرفوا، بل صرفوا.

ولما طال الابتلاء فيما نحن فيه من الزمان بما لوحث ببعضه من هذه القصة وكنت لا أبسط إلى هذه الغاية لسان الإنكار، غبرة على هذه الطريقة أن يذكر أهلها بسوء، أو يجد مخالف لثلبهم مساعاً، إذ البلوى في هذه الديار بالمخالفين لهذه الطريقة والمكرين لعيها شديدة. ولما كنت أؤمل من مادة هذه الفترة أن تنحسم، ولعل الله سبحانه يجود بلطفه في التنبه لمن حاد عن السنة المثلى في تضييع آداب هذه الطريقة.

ولما أبي الوقت إلا استصعباً. وأكثر أهل العصر بهذه الديار إلا تمادياً فيما اعتادوه واغتراراً بما ارتادوه. أشفقت على القلوب أن تحسب أن هذا الأمر على هذه الجملة بنى قواعده. وعلى هذا النحو سار سلفه. فعلقت هذه الرسالة إليكم، أكرمكم الله. وذكرت فيها بعض سير شيوخ هذه الطريقة في آدابهم، وأخلاقهم، ومعاملاتهم، وعقائدهم بقلوبهم، وما أشاروا إليه من مواجيلهم، وكيفية ترفيهم من بدايتهم إلى نهايتهم؛ لتكون لمريدي هذه الطريقة قوة، ومنكم لي بتصحيح شهادة، ولي في نشر هذه الشكوى سلوة، ومن الكرم فضلاً ومثوبة وأستعين بالله سبحانه فيما أذكره؛ وأستكفيه؛ وأستعصمه من الخط فيه، وأستغفره وأستعينه. وهو بالفضل جدير، وعلى ما يشاء قدير.

الفصل الأول

بيان اعتقاد هذه الطائفة في مسائل الأصول

إعلموا، رحمكم الله، أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعدهم على أصول صحيحة في التوحيد، صانوا بها عقائدهم عن البدع ودانوا بما وجلوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل، وعرفوا ما هو حق القدم. وتحققوا بما هو نعت الموجود عن العدم.

ولذلك قال سيد هذه الطريقة الجنيد، رحمه الله: " التوحيد أفراد للقدم من الحدث " .
وأحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل، ولائح الشواهد.
كما قال أبو محمد الجريري، رحمه الله: " أن لم يقف على علم التوحيد بشاهد من شواهد زلت به قدم الغرور في مهواة من التلف " يريد بذلك: أن من ركن إلى التقليد، ولم يتأمل دلائل الوحد؛ سقط عن سنن النجاة؛ ووقع في أسر الهلاك.
ومن تأمل ألقاظهم، وتصفح كلامهم، وجد في مجموع أقربلهم ومتفرقاتها ما يتق - بتأمله - بأن القوم لم يقصروا في التحقيق عن شأو، ولم يعرجوا في الطلب على تقصير.
ونحن نذكر في هذا الفصل جملاً من متفرقات كلامهم فيما يتعلق بمسائل الأصول.
ثم نحرر على الترتيب بعدها ما يشتمل على ما يحتاج إليه في الاعتقاد، على وجه الإيجاز والاختصار، إن شاء الله تعالى.

معرفة الله

سمعت: الشيخ أبا عبد الرحمن محمد بن الحسين السمي، رحمه الله، يقول: سمعت عبد الله بن موسى السلمي يقول:
سمعت أبا بكر الشبلي يقول: " الواحد: المعروف قبل الخلود وقبل الحروف " وهذا صريح من الشبلي أن القديم - سبحانه - لا حدٌ لذاته، ولا حروف لكلامه.
سمعت أبا حاتم الصوفي، يقول: سمعت أبا نصر الطوسي يقول: سئل رُؤيم عن أول فرض افترضه الله عزَّ وجلَّ على خلقه ما هو؟ فقال: المعرفة؛ لقوله جلَّ ذكره: " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " . قال ابن عباس: إلا ليعرفون.
وقال الجنيد: إن أول ما يحتاج إليه العبد من الحكمة: معرفة المصنوع صانعه، وحدث كيف كان إحداثه، فيعرف صفة الخالق من المخلوق، وصفة القديم من الحدث، ويدل لدعوته، ويعترف بوجوب طاعته؛ فإن من لم يعرف مالكه لم يعترف بالملك لمن استوجبه.
أخبرني محمد بن الحسين، قال: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت أبا الطيب المراغي يقول: للعقل دلالة، وللحكمة إشارة، وللمعرفة شهادة؛ فالعقل يدل. والحكمة تشير. والمعرفة تشهد: أن صفاء العبادات لا ينال بصفاء التوحيد.
وسئل الجنيد عن الوحد، فقال: أفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته: أنه الواحد، الذي لم يلد، ولم يولد. بنفي الأضداد، والأنداد، والأشباه، بلا تشبيه. ولا تكييف، ولا تصوير ولا تمثيل " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " .
أخبرنا محمد بن يحيى الصوفي، قال: أخبرنا عبد الله بن علي التميمي الوصفي، يحكى عن الحسين بن علي الدامغاني، قال: سئل أبو بكر الزاهر اباذي عن المعرفة، فقال: المعرفة: اسم، ومعناه وجود تعظيم في القلب يمنعك عن التعطيل والتشبيه.

صفاته

وقال أبو الحسن البوشنجي، رحمه الله، التوحيد: أن تعلم أنه غير مشبه للذوات، ولا منفي الصفات.

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي، رحمه الله تعالى، قال: سمعت محمد بن محمد بن غالب. قال: سمعت أبا نصر أحمد بن سعيد الأسفنجاني يقول، قال: الحسين بن منصور: ألزم الكلّ الحدث، لأنّ القدم له. فالذي بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه، والذي بالأداة اجتماعه فقواها تمسكه والذي يؤلّفه وقت يفرقه وقت، والذي يقيمه غيره فالضرورة تمسه. والذي الوهم يظفر به فالتصوير يرتقي إليه؛ ومن آواه محل أدركه أين، ومن كان له جنس طالبه مكيف. إنه سبحانه لا يظله فوق، ولا يقله تحت، ولا يقابله حد ولا يزاوجه عند، ولا يأخذه خلف، ولا يحده أمام، ولم يظهره قبل ولم يفنه بعد. ولم يجمعه كلٌ ولم يوجد له كان، ولم يفقده ليس. وصفه: لا صفة له. وفعله: لا علة له؛ وكونه: لا أمد له تنزّه عن أوال خلقه. ليس له من خلقه مزاج، ولا في فعله علاج بانهم بقدمه، كما باينوه بجلوثهم.

إن قلت: متى، فقد سبق الوقت كونه. وإن قلت: هو، فالهاء والواو خلقه. وإن قلت: أي، فقد تقدّم المكان وجوده. فالحروف آياته. ووجوده إثباته ومعرفة توحيده. وتوحيده تمييزه من خلقه. ما تُصوّر في الأوهام فهو بخلافه، كيف يحلُّ به ما منه بدأه؟ أو يعود إليه ما هو أنشأه؟ لا غماقة العيون، ولا تقابله الظنون. قربه كرامته، وبُعدِه إهانته، علوّه من غير توقُّل ومحيته من غير تنقُّل.

هو: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، القريب البعيد، الذي ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير. سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر الطوسي السراجي يحكي عن يوسف بن الحسين، قال: قام رجل بين يدي ذي النون المصري، فقال: أخبرني عن التوحيد: ما هو؟ فقال هو: أن تعلم قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج، وصنعه للأشياء بلا علاج، وعلة كل شيء صنعه، ولا علة لصنعه. وليس في السموات العلا، ولا في الأرضين السفلى مدبّر غير الله، وكل ما تصوّر في وهمك فالله بخلاف ذلك. وقال الجنيد: التوحيد: علمك وإقرارك بأن الله فرد في أزليته الثاني معه ولا شيء يفعل فعله.

الإيمان

وقال أبو عبد الله بن خفيف: الإيمان: تصديق القلوب بما أعلمه الحق من الغيوب. وقال أبو العباس السيارى: عطاؤه على نوعين: كرامة، واستدراج من الغيوب. وقال أبو العباس السيارى: عطاؤه على نوعين: كرامة، واستدراج. فما أبقاه عليه فهو كرامة، وما أزاله عنك فهو استدراج، فقل: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى. وأبو العباس السيارى كان شيخ وقته. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: غمَزَ رجلٌ رجلَ أبي العباس السيارى: فقال: تغمز رجلًا ما نقلتها قط في معصية الله عزَّ وجلَّ!! وقال أبو بكر الواسطي: من قال "أنا مؤمن بالله حقاً" قيل له: الحقيقة تشير إلى إشراف، وإطلاع، وإحاطة، فمن فقده بطل دعواه فيها. يريد بذلك ما قاله أهل السنّة: إن المؤمن الحقيقي: من كان محكوما له بالجنة فمن لم يعلم ذلك من سرِّ حكمة الله تعالى، فدعواه: بأنه مؤمن حقاً غير صحيحة.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا الحسن العنبري يقول: سمعت سهل بن عبد الله التستري يقول: ينظر إليه، تعالى، المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك لهاية. وقال أبو الحسين النوري: شاهد الحق القلوب، فلم ير قلباً أشوق إليه من قلب محمد صلى الله عليه وسلم، فأكرمه بالمعراج، تعجيلاً للرؤية والمكاملة.

سمعت الإمام أبا بكر محمد بن الحسن بن فورك، رحمه الله تعالى، يقول: سمعت محمد بن الحبوب - خادم أبي عثمان المغربي - قول: قال لي أبو عثمان المغربي يوماً: يا محمد، لو قال لك أحد: أين معبودك؟ إيش تقول؟ قال: قلت: أقول حيث لم يزل.

قال: فإن قال: أين كان في الأزل؟ إيش تقول؟ قال: قلت: أقول حيث هو الآن، يعني: أنه كما كان ولا مكان فهو الآن كما كان. قال: فارتضى مني ذلك، ونزع قميصه وأعطانيه.

سمعت الإمام أبا بكر بن فورك، رحمه الله تعالى، يقول: سمعت أبا عثمان المغربي، يقول: كنت أعتقد شيئاً من حديث الجهة، فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبي، فكتبت إلي أصحابنا بمكة: أني أسلمت الآن إسلاماً جديداً.

سمعت محمد بن الحسين السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت أبا عثمان المغربي يقول، وقد سئل عن الخلق، فقال: قوالب وأشباح تجري عليهم أحكام القدرة.

الأرزاق

وقال الواسطي: لما كان الأرواح والأجساد قامت بالله، وظهرتا به لا بدواتها، كذلك قامت الخطرات والحركات بالله لا بدواتها، إذ الحركات والخطرات فروع الأجساد والأرواح. صرح بهذا الكلام أن أكساب العباد مخلوقة لله تعالى، وكما أنه لا خالف للجواهر إلا الله تعالى، فكذلك لا خالق للأعراض إلا الله تعالى.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت محمد ابن عبد الله يقول: سمعت أبا جعفر الصيدلاني يقول: سمعت أبا سعيد الخزاز يقول: من ظنَّ أنه يبذل الجهد يصل إلى مطلوبه فمتن، ومن ظن أنه بغير الجهد يصل فمتن.

وقال الواسطي: المقامات أقسام فُسمت، ونعوت أجريت، كيف تُستجلب بحركات، أو تنال بسعائيات؟.

الكفر

وسئل الواسطي عن الكفر بالله أو الله، فقال: الكفر والإيمان، والدنيا الآخرة: من الله، وإلى الله، وباللله، والله: من الله إبداء وإنشاء، وإلى الله مرجعاً وانتهاء، وباللله بقاء وفناء، ولله ملكا وخلقاً.

وقال الجنيد: سئل بعض العلماء عن التوحيد، فقال: هو اليقين.

فقال السائل: بين لي ما هو؟ فقال: هو: معرفتك، أن حركات الخلق وسكونهم، فعل الله عزَّ وجلَّ، وحده، لا شريك له فإذا فعلت ذلك فقد وحدته.

سمعت محمد بن الحسين رحمه الله، يقول: سمعت عبد الواحد بن علي، يقول: سمعت القاسم بن القاسم يقول:

سمعت محمد بن موسى الواسطي يقول: سمعت محمد بن الحسين الجوهري يقول: سمعت ذا النون المصري يقول، وقد جاءه رجل فقال: ادع الله لي فقال.

إن كنت قد أيدت في علم الغيب بصدق التوحيد، فكم من دعوة مجابة قد سبقت لك، وإلا فإن النداء لا يُنقذ الغرقى.

وقال الواسطي: ادعى فرعون الربوبية على الكشف، وادّعت المعتزلة على الستر، نقول: ما شئت فعلت.

وقال أبو الحسين النوري: التوحيد: كلُّ خاطر يشير إلى الله تعالى، بعد أن لا نزاحمه خواطر التشبيه.

وأخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي، رحمه الله تعالى، قال: سمعت عبد الواحد بن بكر، يقول: سمعت هلال بن

أحمد يقول: سئل أبو علي الروذباري عن التوحيد، فقال: التوحيد: إستقامة القلب بإثبات مفارقة التعطيل، وإنكار

التشبيه، والتوحيد في كلمة واحدة: كل ما صورّه الأوهام والأفكار فالله سبحانه بخلافه، لقوله تعالى: " ليس كمثله

شيء، وهو السميع البصير " .

وقال أبو القاسم النصرابادي: اللجنة باقية بإبقائه. وذكره لك، ورحمته، ومحبتة لك باق ببقائه. فشتان بين ما هو باق

ببقائه، وبين ما هو باق بإبقائه.

رحم الذي قاله الشيخ أبو القاسم النصرابادي، هو غاية في التحقيق؛ فإن أهل الحق قالوا صفات ذات القديم

سبحانه باقيات ببقائه تعالى. فنبه على هذه المسألة وبين أن الباقي باق ببقائه. بخلاف ما قاله مخالفو أهل الحق

فخالفوا الحق.

أخبرنا محمد بن الحسين؛ قال: سمعت النصرابادي يقول: أنت متردد بين صفات الفعل وصفات الذات، وكلاهما

صفته تعالى، على الحقيقة، فإذا هيّمك في مقام التفرقة قرّنتك بصفات فعله، وإذا بلّغك إلى مقام الجمع قرّنتك بصفات

ذاته. وأبو القاسم النصرابادي كان شيخ وقته.

سمعت الإمام أبا اسحق الاسفرايني، رحمه الله، يقول: لما قدمت من بغداد كنت أدرس في جامع نيسابور مسألة

الروح، وأشرح القول في أنّها مخلوقة، وكان أبو القاسم النصرابادي قاعداً متباعداً عنا؛ يصغي إلى كلامي، فاجتاز بنا

بعد ذلك يوماً - بأيام قلائل، فقال لحمد الفراء: أشهد أنّي أسلمت جديداً على يد هذا الرجل، وأشار إليّ.

سمعت محمد بن الحسين السلمي، يقول: سمعت أبا حسين الفارسي يقول: سمعت إبراهيم بن فاتك يقول: سمعت

الجنيدي يقول: متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير؟! هيهات، هذا ظن عجيب إلا بما لطف

اللطيف من حيث لا درك، ولا وهم، ولا إحاطة إلا إشارة اليقين وتحقيق الإيمان.

أخبرنا محمد بن الحسين، رحمه الله تعالى، قال: سمعت عبد الواحد بن بكر يقول: حدثني أحمد بن محمد بن علي

البرعي، قال: حدثنا طاهر بن إسماعيل الرازي، قال: قيل ليحيى بن معاذ: أخبرني عن الله عزّ وجلّ.

فقال: اله واحد.

ف قيل له: كيف هو؟ فقال: ملك قادر.

ف قيل: أين هو؟ فقال: هو بالمرصاد.

فقال السائل: لم أسألك عن هذا!! فقال السائل: لم أسألك عن هذا!! فقال: ما كان غير هذا كان صفة المخلوق.

فأما صفته فما أخبرتك عنه وأخبرنا محمد بن الحسين، قال: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا علي الروذباري

يقول: كل ما توهمه متوهم بالجهل أنه كذلك، فالعقل يدل على أنه بخلافه.

وسأل ابن شاهين الجنيدي عن معنى: مع.

فقال مع، على معنيين: مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة، قال الله تعالى: " إني معكما أسمع وأرى " .
ومع العامة بالعلم والإحاطة، قال تعالى: " ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم " .
فقال ابن شاهين: مثلك يصلح أن يكون دالاً للأمة على الله.

العرش

وسئل ذو النون المصري عن قوله تعالى: " الرحمن على العرش استوى " .
فقال: أثبت ذاته ونفى مكانه، فهو موجود بذاته، والأشياء موجودة بحكمه، كما شاء سبحانه.
وسئل الشبلي عن قوله تعالى: " الرحمن على العرش استوى " . فقال: الرحمن لم يزل، والعرش محدث والعرش
بالرحمن استوي. وسئل جعفر بن نصير عن قوله تعالى: " الرحمن على العرش استوي " فقال: استوى علمه بكل
شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء وقال جعفر الصادق: من زعم أن الله في شيء، أو من شيء، أو على شيء،
فقد أشرك؛ إذ لو كان على شيء لكان محمولاً، ولو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان من شيء لكان محدثاً.
وقال جعفر الصادق أيضاً في قوله: ثم دنا فتدلى: من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثم مسافة، إنما التدني أنه كلما قرب
منه بَعُدَّ عن أنواع المعارف إذ لا دنو ولا بُعد.
ورأيت بخط الأستاذ أبي علي أنه قيل لصوفي: أين الله؟ فقال: أسحقتك الله!! تطلب مع العين أين؟! أخبرنا الشيخ أبو
عبد الرحمن السلمي، قال: سمعت أبا العباس ابن الخشاب البغدادي يقول: سمعت أبا القاسم بن موسى يقول: سمعت
محمد بن أحمد يقول: سمعت الأنصاري يقول: سمعت الخراز يقول: حقيقة القرب: فقد حسَّ الأشياء من القلب
وهدوء الضمير إلى الله تعالى.
سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن علي الحافظ يقول: سمعت أبا معاذ القزويني يقول: سمعت أبا علي
الدلال يقول: سمعت أبا عبد الله بن قهرمان يقول: سمعت إبراهيم الخواص يقول: إنتهيت إلى رجل، وقد صرعه
الشیطان، فجعلت أؤذن في أذنه، فناداني الشيطان من جوفه: عني أقتله؛ فإنه يقول القرآن مخلوق.
وقال ابن عطاء: إن الله تعالى لما خلق الأحرف جعلها سراً له، فلما خلق آدم عليه السلام بث فيه ذلك السر، ولم
يبث ذلك السر في أحد من ملائكته، فجرت الأحرف على لسان آدم عليه السلام بفنون الجريان وفنون اللغات،
فجعلها الله صوراً لها صرح ابن عطاء القول بأن الحروف مخلوقة.
وقال سهل بن عبد الله: إن الحروف لسان فعل، لا لسان ذاته؛ لأنها فعل في مفعول.
قال: وهذا أيضاً تصريح بأن الحروف مخلوقة.
وقال الجنيد في جوابات مسائل الشاميين: التوكل عمل القلب، والوحيد قول القلب، قال: هذا قول أهل الأصول،
إن الكلام: هو المعنى الذي قام بالقلب من معنى الأمر والنهي، والخبر، والاستخبار.
قوال الجنيد في جوابات مسائل الشاميين أيضاً: تفرد الحق بعلم الغيوب، فعلم ما كان، وما يكون، وما لا يكون: أن
لو كان كيف كان يكون.

وقال الحسين بن منصور: من عرف الحقيقة في التوحيد سقط عنه: لم وكيف.
أخبرنا محمد بن الحسين، قال: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت جعفر بن محمد يقول: قال الجنيد: أشرف
الجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان الوحيد.

وقال الواسطي: ما احدث الله شيئاً أكرم من الروح. صرَّح بأن الروح مخلوقة.
قال الأستاذ الإمام زين الإسلام أبو القاسم، رحمه الله: دلَّت هذه الحكايات على أن عقائد مشايخ الصوفية توافق
أقاويل أهل الحق في مسائل الأصول.
وقد اقتصرنا على هذا المقدار خشية خروجنا عما أثرناه من الإيجاز والاختصار.

الحق سبحانه

فصل قال الأستاذ زين الإسلام أبو القاسم، أدام الله عزَّه: وهذه فصول تشتمل على بيان عقائدهم في مسائل
التوحيد ذكرناها على وجه الترتيب.

قال شيوخ هذه الطريقة، على ما يدلُّ عليه متفرقات كلامهم، ومجموعاتهم، ومصنفاتهم في التوحيد:

إن الحق، سبحانه وتعالى: موجود، قديم، واحد، حكيم، قادر، عليم، قاهر، رحيم، مرید، سميع، مجيد، رفيع، متكلم،
بصير متكبر، قدير، حيُّ أحد، باق، صمد.

وأنه عالم بعلم، قادر بقدره؛ مرید بيارادة؛ سميع بسمع؛ بصير ببصر؛ متكلم بكلام؛ حيُّ بحياة؛ باق ببقاء.
وله يدان هما صفتان؛ يخلق بهما ما يشاء، سبحانه، على التخصيص.

وله الوجه. وصفاته ذاته مختصة بذاته، لا يقال هي هو، ولا هي غير له، بل هي صفات أزلية، ونعوت سرمدية،
وأنه إحدى الذات، ليس يشبه شيئاً من المصنوعات، ولا يشبهه شيء من المخلوقات، ليس بجسم، ولا جوهر ولا
عرّض، ولا صفاته أعراض، ولا يتصور في الأوهام، ولا يقدر في العقول، ولا له جهة ولا مكان، ولا يجري عليه
وقت وزمان، ولا يجوز في وصفه زيادة ولا نقصان، ولا يخصه هيئة وقد، ولا يقطعها نهاية وحد، ولا يحله حادث، ولا
يحملة على الفعل باعث، ولا يجوز عليه لون ولا كون، ولا ينصره مدد ولا عون؛ ولا يخرج عن قدرته مقدور؛ ولا
ينفك عن حكمه مفطور؛ ولا يعزب عن علمه معلوم؛ ولا هو على فعله كيف يصنع وما يصنع ملوم؛ لا يقال له:

أي؛ ولا حيث؛ ولا كيف؛ ولا يُستفتح له وجود؛ فيقال: متى كان: ولا ينتهي له بقاء؛ فيقال: استوفى الأجل
والزمان، ولا يقال: لمَ فعل ما فعل؛ إذ لا علة لأفعاله؛ ولا يقال ما هو؛ إذ لا جنس له فيتميز بأماره عن أشكاله.
يُرى لا عن ماقلة، ويصنع لا عن مباشرة ومزاولة. له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، يفعل ما يريد، ويذل لحكمه
العبيد، لا يجري في سلطانه إلا ما يشاء، ولا يحصل في ملكه غير ما سبق به القضاء، ما علم أنه يكون من الحادثات
أراد أن يكون. وما علم أنه لا يكون. مما جاز أن يكون: أراد أن لا يكون. خالق إكساب العباد: خيرها وشرها.
ومبدع ما في العالم من الأعيان والآثار: قلُّها وكثُرها. ومرسل الرسل إلى الأمم من غير وجوب عليه.

ومتعبد الأنام على لسان الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام؛ بما لا سبيل لأحد باللوم والاعتراض عليه، ومؤيد نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم، بالمعجزات الظاهرة، والآيات الباهرة، بما أزاح به العذر، وأوضح به اليقين والنكر،
وحافظ بيضة الإسلام بعد وفاته، صلى الله عليه وسلم، بخلفائه الراشدين، ثم حارس الحق وناصره بما يوضحه من
حجج الدين على ألسنة أوليائه، عصم الأمة الحنفية عن الاجتماع على الضلالة، وحسم مادة الباطل بما نصب من
الدلالة، وأنجز ما وعد من نصره الدين بقوله: " ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ".

أصول المشايخ

فهذه: فصول تشير إلى أصول المشايخ على وجه الإيجاز، وبالله التوفيق.
في ذكر مشايخ هذه الطريقة وما يدلّ من سيرهم وأقوالهم على تعظيم الشريعة إعلموا، رحمكم الله تعالى، أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم يتسمّ أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم، سوى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ لا فضيلة فوقها، فقليل لهم: الصحابة.
ولمّا أدركهم أهل العصر الثاني سمى من صحب الصحابة: التابعين ورأوا في ذلك أشرف سمة. ثم قيل لمن بعدهم: أتباع التابعين.
ثم اختلف الناس، وتباينت المراتب، فقليل لخواص الناس ممّن لهم شدة عناية بأمر الدين: الزّهاد والعُباد.
ثم ظهرت البدع، وحصل النداعي بين الفرق، فكل فريق ادّعى أن فيهم زهاداً.
فانفرد خواصُّ أهل السُّنة المراعون أنفسهم مع الله تعالى، الحافظون قلوبهم عن طوارق الفعلة باسم التصوف. واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة.
ونحن نذكر في هذا الباب أسامي جماعة من شيوخ هذه الطريقة، من الطبقة الأولى إلى وقت المتأخرين منهم، ونذكر جُملاً من سيرهم، وأقوالهم، بما يكون فيه تنبيه على أصولهم، وآدابهم إن شاء الله تعالى.
فمنهم:

إبراهيم بن أدهم

أبو إسحق إبراهيم بن أدهم بن منصور من كُورة بلخ، رضي الله تعالى عنه.
كان من أبناء الملوك، فخرج يوماً متصيّداً، فأثار ثعلباً أو أرنباً وهو في طلبه، فهتف به هاتف: يا إبراهيم، ألهذا خلقت، أم بهذا أمرت؟
ثم هتف به أيضاً من قربوس سرجه: والله ما لهذا خلقت، ولا بهذا أمرت.
فنزل عن دابته.

وصادف راعياً لأبيه، فأخذ جُبّةً للراعي من صوف، ولبسها وأعطاه فرسه وما معه، ثم إنه دخل البادية، ثم دخل مكة، وصحب بها سفيان الثوري.
والتفصيل بن عياض، ودخل الشام ومات بها.
وكان يأكل من عمل يده، مثل: الحصاد، وحفظ البساتين، وغير ذلك.
وأنه رأى في البادية رجلاً علّمه اسم الله الأعظم فدعا به بعده، فرأى الخضر عليه السلام، وقال له: إنما علّمك أخي داود اسم الله الأعظم.

أخبرنا بذلك الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، قال: حدثنا محمد بن الحسين بن الخشاب قال: حدثنا أبو الحسن علي بن محمد المصري، قال: حدثنا أبو سعيد الخراز قال: حدثنا إبراهيم بن بشّار قال: صحبت إبراهيم ابن أدهم، فقلت: خبّرني عن بدء أمرك فذكر هذا.

وكان إبراهيم بن أدهم كبير الشأن في باب الورع، ويحكى عنه أنه قال: أظب مطعمك، ولا حرج عليك أن لا تقوم الليل ولا نصوم النهار.
وقيل: كان عامة دعائه: " اللهم انقلني من ذلِّ معصيتك إلى عزِّ طاعتك " وقيل لإبراهيم بن أدهم: إن اللحم قد غلا!!.

فقال: أرخصه أي: لا تشتره وأنشد في ذلك:
وإذا غلا شيء عليّ تركته ... فيكون أرخص ما يكون إذا غلا "
أخبرنا محمد بن الحسين، رحمه الله تعالى، قال: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت محمد بن حامد يقول: سمعت أحمد بن خصرويه يقول: قال إبراهيم بن أدهم لرجل في الطواف: أعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات: أو لاها: تغلق باب النعمة، وتفتح باب الشدة.
والثانية: تغلق باب العزِّ، وتفتح باب الذلِّ.
والثالثة: تغلق باب الراحة، وتفتح باب الجهد.
والرابعة: تغلق باب النوم؛ وتفتح باب السهر.
والخامسة: تغلق باب الغنى، وتفتح باب الفقر.
والسادسة: تغلق باب الأمل، وتفتح باب الاستعداد للموت.
وكان إبراهيم بن أدهم يحفظ كرمًا، فمرَّ به جندي، فقال: أعطنا من هذا العنب فقال: ما أمرني به صاحبه.
فأخذ يضربه بسوطه، فطأ رأسه وقال: إضرب رأساً طالما عصى الله. فأعجز الرجل ومضى.
قال سهل بن إبراهيم: صحبت إبراهيم بن أدهم، فمرضت، فأنفق عليّ نفقته فاشتبهت شهوة، فباع حماره وأنفق عليّ ثمنه. فلما تماثلت، قلت: يا إبراهيم، أين الحمار؟ فقال: بعناه، فقلت: فعلى ماذا أركب؟ فقال: يا أخي على عنقي. فحملني ثلاث منازل.
ومنهم:

ذو النون المصري

أبو الفيض ذو النون المصري وإسمه: ثوبان بن إبراهيم، وقيل الفيض بن إبراهيم، وأبوه كان نوبياً.
توفي سنة: خمس وأربعين ومائتين. فائق في هذا الشأن، وأوحد وقته علماً، وورعاً، وحالاً، وأدباً.
سَعُوا به إلى المتوكِّل، فاستحضره من مصر، فلما دخل عليه وعظَّمه فبكى المتوكِّل وردَّه إلى مصر مكرماً، وكان المتوكِّل إذا ذكر بين يديه أهل الورع يبكي ويقول: إذا ذكر أهل الورع فجهاً بذي النون.
وكان رجلاً نحيفاً، تعلقه حمرة، ليس بأبيض اللحية.
سمعت أحمد بن محمد يقول: سمعت سعيد بن عثمان يقول: سمعت ذا النون يقول: مدار الكلام على أربع: حبُّ الجليل، وبغض القليل، وأتباع التنزيل، وخوف التحويل.
سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله؛ يقول: سمعت سعيد بن أحمد ابن جعفر يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول: سمعت سعيد ابن عثمان يقول: سمعت ذا النون المصري يقول: من علامات الحبِّ لله عزَّ وجلَّ: متابعة حبيب الله، صلى الله عليه وسلم، في أخلاقه، وأفعاله، وأوامره، وسننه.

وسئل ذو النون عن السَّفلة فقال: من لا يعرف الطريق إلى الله، ولا يتعرّفه.
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: حضرت مجلس ذي النون يوماً؛ وجاء، سالم المغربي، فقال له: يا أبا الفيض، ما كان سبب توبتك؟ قال: عجب لا تطيقه. قال: بمعبودك إلا أخبرتني.
فقال ذو النون: أردت الخروج من مصر إلى بعض القرى، فتمت في الطريق في بعض الصحارى، ففتحت عيني، فإذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من وكرها على الأرض، فانشقت الأرض، فخرج منها سكر جتان: إحداهما ذهب، والأخرى فضة وفي إحداهما سمسم، وفي الأخرى ماء، فجعلت تأكل من هذا، وتشرب من هذا.
فقلت: حسبي، قد تبت، ولزمت الباب إلى أن قبلي الله عز وجل.
سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت علي بن عمر الحافظ يقول: سمعت ابن رشيف: يقول سمعت أبا دجاجة يقول: سمعت ذا النون يقول: لا تسكن الحكمة معدة مُلئت طعاماً.
وسئل ذو النون عن التوبة فقال: توبة العوام تكون من الذنوب، وتوبة الخواص تكون من الغفلة.
ومنهم:

أبو علي الفضيل بن عياض

خرساني، من ناحية مرو.
وقيل إنه وُلد بسمرقند، ونشأ بأبيورد مات بمكة في الحرم سنة: سبع وثمانين ومائة.
سمعت محمد بن الحسين يقول: أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر قال: حدثنا الحسن بن عبد الله العسكري، قال: حدثنا ابن أخي أبي زرعة، قال: حدثنا محمد بن إسحق بن راهويه قال: حدثنا أبو عمار، عن الفضل بن موسى، قال: كان الفضيل شاطراً: يقطع الطريق بين ابورد و سرخس وكان سبب توبته: أنه عشق جارية، فبينما هو يرتقي الجدران إليها سمع تالياً يتلو: " ألي أن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله " فقال: يارب قد آن فرجع.. فأراه الليل إلى خربة، فإذا فيها رُفقة، فقال بعضهم: ترتحل، وقال قوم: حتى نصح، فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا.
فتاب الفضيل وأمنهم. وجاور الحرم حتى مات.
وقال الفضيل بن عياض: إذا أحبَّ الله عبداً أكثر غمّه، وإذا أبغض عبداً وسّع عليه دنياه.
وقال ابن المبارك: إذا مات الفضيل ارتفع الحزن.
وقال الفضيل: لو أن الدنيا بمخذافيرها عُرِضت عليّ ولا أحاسب بما لكنت أتقذرها، كما يتقذّر أحدكم الجيفة إذا مرَّ بما أن تصيب ثوبه.
وقال الفضيل: لو حلفت أنّي مُراء أحبُّ إليّ من أن أحلف أنّي لست بمراء.
وقال الفضيل: ترك العمل لأجل الناس هو الرياء، والعمل لأجل الناس هو الشرك.
وقال أبو علي الرازي: صحبت الفضيل ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكاً، ولا متبسماً، إلا يوم مات ابنه علي، فقلت له في ذلك، فقال: إن الله أحبُّ أمراً فأحببت ذلك.

وقال الفضيل: إني لأعصى الله، فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي.
ومنهم:

معروف بن فيروز الكرخي

أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي كان من المشايخ الكبار، مجاب الدعوة، يستشفى بقبره.
وهو من موالى علي بن موسى الرضا، رضي الله عنه، مات سنة مائتين: وقيل: سنة إحدى ومائتين. وكان أستاذاً السري السقطي، وقد قال له يوماً: إذا كانت لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بي.
سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله تعالى، يقول: كان معروف الكرخي أبواه نصرانيان، فسلموا معروفاً إلى مؤدبهم، وهو صبي، فكان المؤدب يقول له: قل ثالث ثلاث. فيقول: بل هو واحد. فضربه المعلم يوماً ضرباً مبرحاً، فهرب معروف، فكان أبواه يقولان: ليتته يرجع إلينا على أي دين يشاء، فوافقه عليه.
ثم أنه أسلم على يدي علي بن موسى الرضا. ورجع إلى منزله. ودق الباب. فقيل: من الباب؟ فقال: معروف.
فقالوا: على أي دين جئت؟ فقال: على الدين الحنفي. فأسلم أبواه.
سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا بكر الحنفي يقول: سمعت سرياً السقطي يقول: رأيت معروفاً الكرخي في النوم كأنه تحت العرش، فيقول الله عز وجل لملائكته: من هذا؟ فيقولون: أنت أعلم يا رب.

فيقول: هذا معروف الكرخي، سكر من حبي، فلا يفيق إلا بقلاني.

وقال معروف: قال لي بعض أصحاب داود الطائي: إياك أن تترك العمل، فإن ذلك الذي يقربك إلى رضا مولاك. فقلت: وما ذلك العمل؟ فقال: دوام طاعة ربك، وخدمة المسلمين، والنصيحة لهم.
سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت علي بن محمد الدلال يقول: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبي يقول: رأيت معروفاً الكرخي في النوم، بعد موته، فقلت له: ماذا فعل الله بك؟ فقال: غفر لي.

فقلت بزهدك وورعك؟ فقال: لا، بقبولي موعظة ابن السماك، ولزوم الفقر، ومحبي للفقراء.
وموعظة ابن السماك: ما قاله معروف: كنت ماراً بالكوفة فوقفت على رجل يقال له: ابن السماك وهو يعظ الناس.
فقال في خلال كلامه: من أعرض عنا لله بكليته أعرض الله عنه جملة. ومن أقبل على الله بقلبه أقبل الله برحمته إليه، وأقبل بجميع وجوه الخلق إليه، ومن كان مرة ومرة فالله يرجمه وقتاً ما. فوقع كلامه في قلبي، فأقبلت على الله تعالى، وتركت جميع ما كنت عليه، إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضا.

وذكرت هذا الكلام لمولاي، فقال: يكفيك بهذا موعظة إن اتعظت؟ أخبرني بهذه الحكاية محمد بن الحسين، قال:

سمعت علي بن عيسى يقول: سمعت سرياً السقطي يقول: سمعت معروفاً يقول ذلك.

وقيل لمعروف في مرض موته: أوص.

فقال: إذا مت فتصدّقوا بقميصي؛ فإني أريد أن أخرج من الدنيا عرياناً كما دخلتها عرياناً.

ومرّ معروف بسقاء يقول: رحم الله من يشرب، وكان صائماً، فتقدم فشرب، فقيل له ألم تكون صائماً؟ فقال: بلى،

ولكني رجوت دعاءه.

ومنهم:

سري بن المغلس السقطي

أبو الحسن سري بن المغلس السقطي خال الجنيد، وأستاذه.

وكان تلميذ معروف الكرخي؛ كان أوحد زمانه في الورع، وأحوال السنة وعلوم التوحيد: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول: سمعت أبا عمرو بن علوان يقول: سمعت أبا العباس بن مسروق يقول: بلغني أن السري السقطي كان يتجر في السوق، وهو من أصحاب معروف الكرخي، فجاءه معروف يوماً، ومعه صبي يتيم، فقال: اكس هذا اليتيم. قال سري: فكسوته، ففرح به معروف، وقال: بغض الله إليك الدنيا، وأراحك مما أنت فيه.

فقمتم من الحانوت وليس شيء أبغض إليّ من الدنيا.

وكل ما أنا فيه من بركات معروف.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا عمر الأنماطي يقول: سمعت الجنيد يقول: ما رأيت أعبداً من السري: أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رأى مضطجعاً إلا في علة الموت. ويحكى عن السري أنه قال: التصوّف: أسم ثلاث معان: وهو الذي لا يطفىء نور معرفته نور ورعه. ولا يتكلّم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب أو السنة. ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله. مات السري سنة: سبع وحمسين ومائتين.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق يحكى عن الجنيد، رحمه الله، أنه قال: سألتني السري يوماً عن الحبة، فقلت: قال قوم: هي الموافقة، وقال قوم: الإيتار، وقال قوم: كذا.. وكذا.. فأخذ السري جلد ذراع، ومدّها، فلم تمتد، ثم قال: وعزّته تعالى، لو قلت: إن هذه الجلد ييسر على هذا العظم من محبته لصدقت.

ثم غشى عليه، فدار وجهه كأنه قمر مشرق، وكان السري به أدمه.

ويحكى عن السري أنه قال: منذ ثلاثين سنة أنا في الاستغفار من قولي: الحمد لله مرّة.

قيل: وكيف ذلك؟ فقال: وقع ببغداد حريق، فاستقبلني رجل، فقال لي: نجح حانوتك.

فقلت: الحمد لله. فمنذ ثلاثين سنة أنا نادم على ما قلت، حيث أردت لنفسى خيراً مما حصل للمسلمين!!

أخبرني به عبد الله بن يوسف قال: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا بكر الحري يقول: سمعت السري يقول ذلك.

ويحكى عن السري أنه قال: أنا أنظر في أفه في اليوم كذا.. وكذا مرّة، مخافة أن يكون قد اسودّ، خوفاً من الله أن يسودّ صورتي لما أعطاه.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت محمد بن الحسن ابن الحشاب يقول: سمعت جعفر بن نصير يقول:

سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول: أعرف طريقاً مختصراً قصداً إلى الجنة: فقلت له: ما هو؟

فقال: لا تسأل من أحد شيئاً، ولا تأخذ من أحد شيئاً، ولا يكن معك شيء تعطى منه أحداً.

سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول: سمعت أبا نصر السراج الطوسي يقول: سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول: سمعت الجنيد ابن محمد يقول: سمعت السري يقول: أشتهي أن أموت ببلد غير بغداد، فقيل له: ولم ذلك؟ فقال: أحاف ألا يقبلني قبري فافضح.

سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول: سمعت أبا الحسن بن عبد الله المغوطي الطرسوسي يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول: اللهم مهما عذبتني بشيء فلا تعذبني بذلّ الحجاب.

سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الجريري يقول: سمعت الجنيد يقول: دخلت يوماً على السري السقطي وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: جئتني البارحة الصبية، فقالت: يا أبتى، هذه ليلة حارّة، وهذا الكوز أُعلّقه ها هنا.

ثم إني حملتني عيناى فتمت، فرأيت جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء، فقلت: لمن أنت؟ فقالت: لمن لا يشرب الماء المبرّج في الكيزان.

فتناولت الكوز فضربت به الأرض فكسرتة.

قال الجنيد: فرأيت الخرف لم يرفعه ولم يمسه، حتى عفا عليه التراب.

ومنهم:

بشر بن الحارث الحافي

أبو نصر بشر بن الحارث الحافي أصله من مرو وسكن بغداد، ومات به، وهو ابن أخت علي بن خشرم. مات سنة سبع وعشرين ومائتين. وكان كبير الشأن.

وكان سبب توبته: أنه أصاب في الطريق كاغدة مكتوباً فيها أسم الله رجل قد وطنتها الأقدام، فأخذها واشترى بلورهم كان معه غالبية، فطيب بها الكاغدة، وجعلها في شق حائط فرأى فيها النأ كأن قاتلاً يقول له: يا بشر، طيبت اسمي، لأطيبن في الدنيا والآخرة. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: مرّ بشر ببعض الناس، فقالوا: هذا الرجل لا ينام الليل كلّه، ولا يفطر إلا في كل ثلاثة أيام مرة؛ فبكى بشر، فقيل له في ذلك فقال: إني لا أذكر أني سهرت ليلة كاملة، ولا أني صمت يوماً لم أفطر من ليلته، ولكن الله سبحانه وتعالى يلقي في القلوب أكثر مما يفعله العبد لطفاً منه، سبحانه، وكرماً.. ثم ذكر ابتداء أمره: كيف كان علي ما ذكرناه.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، يقول: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت عبد الرحمن بن أبي حاتم يقول: بلغني أن بشر بن الحارث الحافي قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال لي: يا بشر، أتدري لم رفعتك الله من بين أقرانك؟ قلت: لا، يا رسول الله.

قال: بالتباعك لستى، وخدمتك للصالحين، ونصيحتك لا خوانك، ومحبتك لأصحابي، وأهل بيتي: وهو الذي بلغك منازل الأبرار.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت بلالا الخواص يقول: مننت في تيه بني إسرائيل، فإذا رجل يماشيني، فتعجبت منه، ثم أظلمت أنه الخضر عليه السلام، فقلت له: بحق الحق من أنت؟ فقال: أخوك الخضر؛ فقلت له: أريد أن أسألك، فقال: سل. فقلت: ما تقول في الشافعي رحمه الله؟ فقال: هو

من الأوتاد.

فقلت: ما تقول في أحمد بن حنبل رضي الله عنه؟ قال رجل صدّيق.

قال: فما تقول في بشر بن الحارث الحافي؟ قال: لم يخلق بعده مثله.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله تعالى، يقول: أتى بشر الحافي باب المعافي بن عمران، فدقّ الحافي عليه

الباب، فقبل: من؟ فقال: بشر الحافي.

فقلت له بنية من داخل الدار: لو اشتريت لك نعلا بدانقين لنهب عنك اسم الحافي.

أخبرني بهذه الحكاية محمد بن عبد الله الشيرازي، قال: حدثنا عبد العزيز بن الفضل قال: حدثني محمد بن سعيد،

قال: حدثني محمد بن عبد الله قال: سمعت عبد الله المغازلي يقول: سمعت بشراً الحافي يذكر هذه الحكاية.

وسمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا الحسين الحجاجي يقول: سمعت الحاملي يقول: سمعت الحسن المسوحي

يقول: سمعت بشر بن الحارث يحكي هذه الحكاية.

وسمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا الفضل العطار يقول: سمعت أحمد بن علي الدمشقي يقول: قال لي أبو عبد

الله بن الجلاء: رأيت ذا النون، وكانت له العبارة، ورأيت سهلاً، وكانت له الإشارة، ورأيت بشر بن الحارث،

وكان له الورع.

فقبل له: فيلى من كنت تميل؟ فقال: لبشر بن الحارث أستاذنا.

وقيل: إنه اشتهى البقلاء سنين، فلم يأكله، فرؤى في المنام بعد وفاته فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: عفر لي،

وقال: كل يا من لم يأكل، واشرب يا من لم يشرب.

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، قال: أخبرنا عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال: حدثنا أبو عمرو بن

السماك قال: حدثنا محمد بن العباس قال: حدثنا أبو بكر بن بنت معاوية قال: سمعت أبا بكر بن عفان يقول:

سمعت بشر بن الحارث يقول: إني لأشتهى الشواء منذ أربعين سنة ما صفا لي ثمنه؟؟ وقيل لبشر: بأي شيء تأكل

الخيز؟ فقال أذكر العافية وأجعلها إداماً.

أخبرنا به محمد بن الحسين، رحمه الله، قال: أخبرنا عبيد الله بن عثمان قال: أخبرنا أبو عمرو بن السماك قال: حدثنا

عمر بن سعيد قال: حدثنا ابن أبي الدنيا قال: قال رجل لبشر الحكاية المذكورة.

وقال بشر: لا يحتل الحلال السرف.

ورؤى بشر في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، وأباح لي نصف الجنة، وقال لي: يا بشر، لو سجدت

لي على الجمر ما أدبت شكر ما جعلت لك في قلوب عبادي.

وقال بشر: لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس.

ومنهم:

أبو عبد الله الحاسبي

الحارث بن أسد الحاسبي عديم النظر في زمانه علماً، وورعاً، ومعاملة، وحالاً.

بصري الأصل، مات ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين.

قيل: إنه ورث من أبيه سبعين ألف درهم فلم يأخذ منها شيئاً. قيل، لأن أباه كان يقول بالقدر، فرأى من الورع أن لا يأخذ من ميراثه شيئاً، وقال: صحّت الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " لا يتوارث أهل ملّتين شيئاً "

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت الحسين بن يحيى يقول: سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول: سمعت محمد بن مسروق يقول: مات الحارث ابن أسد الحاسبي وهو محتاج إلى جرهم، وخلف أبوه ضياعاً وعقاراً، فلم يأخذ منه شيئاً.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق، رحمه الله تعالى، يقول: كان الحارث الحاسبي إذا مدّ يده إلى طعام فيه شبهة تحرك على أصبحه عرق، فكان يمتنع منه.

وقال أبو عبد الله بن خفيف: اقتدوا بخمسة من شيوخوا، والباقون سلّموا لهم حالهم: الحارث بن أسد الحاسبي، والجنيد بن محمد، وأبو محمد رُويم، وأبو العباس ابن عطاء، وعمرو بن عثمان المكي؛ لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت عبد الله عليّ الطوسي يقول: سمعت جعفر الخلدّي يقول: سمعت أبا عثمان البلدي يقول: قال الحارث الحاسبي: من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة وأتباع السنّة.

ويحكى عن الجنيد أنه قال: مرّ بي يوماً الحارث الحاسبي، فرأيت فيه أثر الجوع، فقلت: يا عم، تدخل الدار وتتناول شيئاً؟ فقال: نعم.

فدخلت الدار وطلبت شيئاً أقدمه إليه، فكان في البيت شيء من طعام حمل إليّ من عرس قوم، فقدمته إليه، فأخذ لقمة وأدارها في فمه مرات، ثم إنه قام وألقاها في الدهليز، ومرّ. فلما رأيته بعد ذلك بأيام قلت له في ذلك، فقال: إني كنت جائعاً، وأردت أن أسرّك بأكلي وأحفظ قلبك، ولكن بيني وبين الله، سبحانه، علامة: أن لا يسوغني طعاماً فيه شبهة، فلم يمكّني ابتلاعه، فمن أين كان لك ذلك الطعام؟ فقلت: إنه حُمّل إليّ من دار قريب لي من العرس، ثم قلت: تدخل اليوم؟ فقال: نعم. فقدمت إليه كِسراً يابسة كانت لنا، فأكل وقال: إذا قدمت إليّ فقير شيئاً فقدم إليه مثل هذا. ومنهم:

داود بن نصير الطائي

أبو سليمان داود بن نصير الطائي وكان كبير الشأن. أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلميّ، رحمه الله، قال: أخبرنا أبو عمرو بن مطر قال: حدثنا محمد بن المسيّب قال: حدثنا ابن خُبَيْق قال، قال يوسف بن سباط: ورث داود الطائي عشرين ديناراً فأكلها في عشرين سنة.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق، رحمه الله، يقول: كان سبب زهد داود الطائي: أنه كان يمرُّ ببغداد، فمرّ يوماً، فنحاه المطرقون بين يدي حميد الطوسي، فالفت داود فرأى حميداً، فقال داود: أفُ لدنيا سبقك بما حميد. ولزم البيت وأخذ في الجهد والعبادة.

وسمعت ببغداد بعض الفقهاء يقول: إن سبب زهده أنه سمع نائحة توح وتقول:

بأيّ خديك تبدي البلى ... وأيّ عينيك إذا سالا

وقيل: كان سبب زهده: أنه كان يجالس أبا حنيفة، رضي الله عنه، فقال له أبو حنيفة يوماً: يا أبا سليمان: أمّا الأداة فقد أحكمناها فقال له داود: فأى شيء بقي؟ فقال: العمل به.

قال داود: فإزعتني نفسي إلى العزلة، فقلت لنفسي: حتى تجالسهم ولا تتكلم في مسألة. قال: فجالستهم سنة لا أتكلم في مسألة، وكانت المسألة تمرُّ بي، وأنا إلى الكلام فيها أشد نزعاً من العطشان إلى الماء البارد ولا أتكلّم به.

ثم صار أمره إلى ما صار.

وقيل: حجج جنيّد الحجام داود الطائي، فأعطاه ديناراً، فقيل له: هذا إسراف.

فقال: لا عبادة لمن لا مروءة له.

وكان يقول بالليل: الهي هُمك عطّل عليّ الهموم الدنيوية، وحلّل بين وبين الرقاد.

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول: حدثنا محمد بن يوسف قال: حدثنا سعيد بن عمرو قال: حدثنا عليّ بن

حرب الموصلي قال: حدثنا إسماعيل ابن زيا الطائي قال: قالت داية داود الطائي له.

أما تشتهي الخبز؟ فقال: بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية.

ولما توفي داود رآه بعض الصالحين في المنام وهو يعدو فقيل له: مالك؟ فقال: الساعة تخلصت من السجن.

فاستيقظ الرجل من منامه، فارتفع الصياح بقول الناس: مات داود الطائي.

وقال له رجل: وسني. فقال له: عسكر الموت ينظرونك.

ودخل بعضهم عليه، فرأى جرّة ماء انبسطت عليها الشمس، فقال له: ألا تحوّلها إلى الظل؟ فقال: حين وضعتها لم يكن شمس، وأنا أستحي أن يراني الله أمشي لما فيه حظّ نفسي.

ودخل عليه بعضهم، فجعل ينظر إليه، فقال: أما علمت أنهم كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول

الكلام؟ أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصفهاني قال: أخبرنا أبو اسحق إبراهيم ابن محمد بن يحيى المزكي: قال: حدثنا

قاسم بن أحمد، قال: سمعت ميموناً الغزالي قال: قال أبو الربيع الواسطي: قلت لداود الطائي: أوصني.

فقال: صم عن الدنيا، واجعل فطرك الموت، وفرّ من الناس كفرارك من السبع.

ومنهم:

شقيق بن إبراهيم البلخي

أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي من مشايخ خراسان. له لسان في التوكّل، وكان أستاذ حاتم الأصم.

قيل: كان سبب توبته: أنه كان من أبناء الأغنياء، خرج للتجارة إلى أرض الترك، وهو حدث. فدخل بيتاً للأصنام، فرأى خادماً للأصنام فيه؛ قد حلق رأسه ولحيته، ولبس ثياباً أرجوانية. فقال شقيق للخادم: إنّ لك صناعاً حياً، عالماً، قادراً، فاعبده.. ولا تعبد هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع!!

فقال: إن كان كما تقول، فهو قادر على أن يرزقك ببلدك، فلم تعيّت إلى هاهنا للتجارة؟ فانتبه شقيق.. وأخذ في طريق الزهد.

وقيل: كان سبب زهده: أنه رأى مملوكاً يلعب ويمرح في زمان قحط، وكان الناس مهتمين به، فقال شقيق: ما هذا

النشاط الذي فيك؟ أما ترى ما فيه الناس من الجذب والقحط؟.

فقال ذلك المملوك: وما عليّ من ذلك، ولمولاي قرية خالصة يدخل له منها ما يحتاج نحن إليه، فانتبه شقيق، وقال: إن كان لمولاه قرية، ومولاه مخلوق فقير، ثم إنه ليس يهتم لرزقه، فكيف ينبغي أن يهتم المسلم لرزقه ومولاه غني؟! سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت أبا الحسين بن أحمد العطار البلخي يقول: سمعت أحمد بن محمد البخاري يقول: قال حاتم الأصم: كان شقيق بن إبراهيم موسراً، وكان يفتي ويعاشر الفتيان، وكان عليّ بن عيسى بن ماهان أمير بلخ، وكان يحب كلاب الصيد، ففقد كلباً من كلابه، فسعى برجل أنه عنده، وكان الرجل في جوار شقيق، فطلب الرجل، فهرب... فدخل دار شقيق مستجيراً، فمضى شقيق إلى الأمير، وقال: خلوا سبيله، فإن الكلب عنيد أردّه إليكم إلى ثلاثة أيام.

فخلوا سبيله، وانصرف شقيق مهتما لما صنع. فلما كان اليوم الثالث كان رجل من أصدقاء شقيق غائباً من بلخ فرجع إليها، فوجد في الطريق كلباً عليه قلادة، فأخذه، وقال: أهديه إلى شقيق، فإنه يشتغل بالتنقّي. فحمله إليه، فنظر شقيق فإذا هو كل الأمر، فسرّ به وحمله إلى الأمير وتخلّص من الضمان فرزقه الله الانتباه، وتاب مما كان فيه. وسلك طريق الزهد.

وحكى أنا حاتم الأصمّ قال: كنا مع شقيق في مصاف نحارب الترك في يوم لا نري فيه إلا رعوساً تندر، ورماحاً تنقص، وسيوفاً تنقطع، فقال لي شقيق: كي ترى نفسك يا حاتم في هذا اليوم؟ تراه مثل ما كنت في الليلة التي زفّت إليك امرأتك؟ فقال: لا والله.

قال: لكّني والله أرى نفسي في هذا اليوم مثل ما كنت تلك الليلة.

ثم نام بين الصفّين ودرقته تحت رأسه حتى سمعت غطيّطه.

وقال شقيق: إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر لي ما وعده الله ووعدته الناس، فبأيهما يكون قلبه أوثق؟ وقال شقيق: تُعرف تقوى الرجل في ثلاثة أشياء: في أخذه، ومنعه، وكلامه. ومنهم:

أبو يزيد البسطامي

أبو يزيد بن طيفور بن عيسى البسطامي وكان جدّه مجوسياً أسلم.

وكانوا ثلاثة إخوة: آدم، وطيفور، وعليّ. وكلهم كانوا زهاداً عبّاداً وأبو يزيد كان أجلّهم حالاً.

قيل مات سنة: إحدى وستين ومئتين، وقيل: أربع وثلاثين ومائتين؟ سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت أبا الحسين الفارسي، يقول: سمعت الحسن بن عليّ يقول: سئل أبو يزيد: بأي شيء وجدت هذه المعرفة؟ فقال: ببطن جانع، وبدن عار.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت عمي البسطامي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا يزيد يقول: عملت في الجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئاً أشدّ عليّ من العمل ومتابعته، ولولا اختلاف العلماء لبقيت، واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد.

وقيل: لم يخرج أبو يزيد من الدنيا حتى استظهر القرآن كلّه.

حدثنا أبو حاتم السجستاني قال: أخبرنا أبو نصر السراج، قال: سمعت طيفور البسطامي يقول: سمعت المعروف بعَمِّي البسطامي يقول: سمعت أبي يقول: قال لي أبو يزيد: قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية، وكان رجلاً مقصوداً مشهوراً بالزهر، فمضينا إليه؛ فلما خرج من بيته، ودخل المسجد رمى بصاقه تجاه القبلة، فانصرف أبو يزيد ولم سلم عليه، وقال: هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه؟ وبهذا الإسناد قال أبو يزيد: لقد هممت أن أسأل الله تعالى أن يكفيني مؤنة الأكل ومؤنة النساء، ثم قلت: كيف يجوز لي أن أسأل هذا ولم يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه؟ فلم أسأله. ثم إن الله سبحانه وتعالى كفاني مؤنة النساء؛ حتى لا أبالي استقبلي امرأة أو حائط.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: سمعت الحسن ابن علي يقول: سمعت عمي البسطامي يقول: سمعت أبي يقول: سألت أبا يزيد عن ابتدائه وزهده، فقال: ليس للزهد منزلة. فقلت: لماذا؟ فقال: لأني كنت ثلاثة أيام في الزهد.

فلما كان اليوم الرابع خرجت منه: اليوم الأول: زهدت في الدنيا وما فيه، واليوم الثاني: زهدت في الآخرة وما فيها، واليوم الثالث: زهدت فيما سوى الله، فلما كان اليوم الرابع لم يبق سوى الله.. فهتمت، فسمعت، هاتفاً يقول: يا أبا يزيد لا تقوى معنا. فقلت. هذا الذي أريده.

فسمعت قائلاً يقول: وجدت، وجدت.

وقيل لأبي يزيد: ما أشد ما لقيت في سبيل الله؟ فقال: لا يمكن وصفه.

ف قيل له: ما أهون ما لقيت نفسك منك؟ فقال: أم هذا فنع، دعوتها إلى شيء من الطاعات فلم تجبني، فمتعتها الماء سنة.

وقال أبو يزيد: منذ ثلاثين سنة أصلي، واعتقادي في نفسي عند كل صلاة أصلها: كأني مجوسي أريد أن أقطع زُنَّاري.

سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت موسى بن عيسى يقول، قال لي أبي: قال أبو يزيد: لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء، فلا تعتروا به، حتى تنظروا كيف تجلونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وأداء الشريعة.

وحكى عمي البسطامي عن أبيه أنه قال: ذهب أبو يزيد ليلة إلى الرباط، ليذكر الله، سبحانه، على سور الرباط، فبقي إلى الصباح لم يذكر، فقلت له في ذلك، فقال: تذكَّرتُ كلمة جرت على لساني في حال صباي، فاحتشمت أن أذكره سبحانه وتعالى.

ومنهم:

أبو محمد التستري

سهل بن عبد الله التستري أحد أئمة القوم، لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع.

وكان صاحب كرامات، لقي ذا النون المصري بمكة سنى خروجه إلى الحج.

ثوفاً، كما قيل، سنة: ثلاث وثمانين ومائتين، وقيل: ثلاث وسبعين ومائتين.

وقال سهل: كنت ابن ثلاث سنين، وكنت أقوم بالليل أنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار، وكان يقول بالليل، فربما

كان يقول لي: يا سهل، إذهب فمَ فقد شغلت قلبي.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله يقول: سمعت أبا الفتح يوسف ابن عمر الزاهر يقول: سمعت عبد الله بن عبد الحميد يقول: سمعت عبيد الله ابن لؤلؤ يقول: سمعت عمر بن واصل البصري يحكي عن سهل بن عبد الله قال: قال لي خالي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ فقال لي: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات. من غير أن تحرك به لسانك: الله معي، الله ناظرٌ إليّ، الله شاهد عليّ. فقلت ذلك ثلاث ليال، ثم أعلمته، فقال لي: قل في كل ليلة سبع مرات. فقلت ذلك ثم أعلمت، فقال: قل في كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلت ذلك، فوقع في قلبي له حلاوة. فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتكَ، ودُم عليه إلى أن ندخل القبر، فإنه ينفَعك في الدنيا والآخرة. فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لها حلاوة في سرّي.

ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل، من كان الله معه، وهو ناظر إليه، وشاهدُه، أيعصيه؟ إياك والمعصية. فكنت أدخلو، فبعثوني إلى الكتاب، فقلت: إني لأخشى أن يفرق عليّ همّي، ولكن شارطوا المعلم: أي أذهب إليه ساعة، فأتعلّم، ثم أرجع. فمضيت إلى الكتاب، وحفظت القرآن، وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين، وكنت أصوم الدهر، وقوتي خبز الشعير، إلى أن بلغت إثني عشرة سنة، فوقع لي مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة، فسألت أهلي أن يبعثوني إلى البصرة أسأل عنها، فجئت البصرة وسألت علماءها فلم يشف أحد منهم عني شيئاً!! فخرجت إلى عبادان، إلى رجل يُعرف بأبي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني، فسألته عنها فأجابني. وأقمت عنده مدّة أنتفع بكلامه وأتأدب بأدابه، ثم رجعت لي تستر فجعلت قوتي اقتصاراً على أن يشتري لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخيز لي، فأفطر عند السحر كلّ ليلة على أوقية واحدة مجتاً، بغير ملح ولا إدام فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة. ثم عزمتم على أن أطوي ثلاث ليل، ثم أفطر ليلة، ثم خمساً، ثم سبعاً، ثم خمساً وعشرين ليلة. وكنت عليه عشرين سنة. ثم خرجتُ أسبح في الأرض سنين، ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله. سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت إبراهيم بن فراس يقول: سمعت نصر بن أحمد يقول: قال سهل ابن عبد الله: كل فعل يفعله العبد بغير اقتداء، طاعة كان أو معصية، فهو عيش النفس، وكلُّ فعل يفعله بالاقتداء فهو عذابٌ على النفس. ومنهم:

أبو سليمان الداراني

عبد الرحمن بن عطية الداراني وداران قرية من قرى دمشق. مات: سنة خمس عشرة ومائتين. سمعت محمد الحسين يقول: سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول: أخبرنا إسحق بن إبراهيم بن أبي حسان يقول: سمعت أحمد ابن أبي الخواريزمي يقول: سمعت أبا سليمان يقول: من أحسن في نهاره كوفء في ليله، ومن أحسن في ليله كوفء في نهاره. ومن صدق في ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه، والله تعالى كرم من أن يعدّب قلباً بشهوة تُركت له.

وبهذا الإسناد قال: إذا سكنت الدنيا القلب ترحلت منه الآخرة.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت الحسين ابن يحيى يقول: سمعت جعفر بن محمد بن نصير، يقول: سمعت الجنيد يقول: قال أبو سليمان الداراني: ربما يقع في قلبي النكته من نكت القوم أياماً، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب، والسنة.

وقال أبو سليمان: أفضل الأعمال: خلاف هوى النفس.

وقال: لكل شيء علم، وعلم الخذلان ترك البكاء.

وقال: لكل شيء صدى، وصدأ نور القلب شبع البطن.

وقال: كل ما شغلك عن الله تعالى من أهل، أو مال، أو ولد فهو عليك مشنوم.

وقال أبو سليمان: كنت ليلة باردة في الخراب، فألقني البرد: فخبأت إحدى يدي من البرد، وبقيت الأخرى ممدودة، فغلبتني عيناى فهتفت بي هتف: يا أبا سليمان، وقد وضعنا في هذه ما أصابها، ولو كانت الأخرى لوضعنا فيها.

فأليت على نفسي أن لا أدعو إلا ويدي خارجتان، حرّاً كان الزمن أو برداً.

وقال أبو سليمان: نمت عن وردي، فذا أنا بجوراء تقول لي: تنام وأنا أربي لك في الخدور منذ خمسمائة عام!! أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني، قال: أخبرنا أبو عمرو الجولستى، قال: أخبرنا محمد بن إسماعيل قال: حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال: دخلت على أبي سليمان يوماً وهو يبكي. فقلت له ما يبكيك؟ فقال: يا أحمد، ولم لا أبكي، وإذا جنّ الليل، ونامت العيون، وخلا كل حبيب بحبيبه، وافترض أهل الحبة أقدمهم، وجرت دموعهم على خدودهم، وتقطرت في محاريبهم، وأشرف الجليل؛ سبحانه وتعالى؛ فنادي: من تلذذ بكلامي واستراح إلى ذكرى، وإني المطلع عليهم في خلواتهم.. أسمع أنيهم.. وأرى بكاءهم، فلم لا تنادي فيهم يا جبريل: ما هذا البكاء؟! هل رأيتم حبيباً يعذب أحباءه؟ أم كيف يجمل بي أن آخذ قوماً إذا جنّهم الليل تملّقوا لي فأني حلفت: أنهم إذا وردوا عليّ يوم القيامة لا تكشف، لهم عن وجهي الكريم، حتى ينظروا إليّ وأنظر إليهم.

ومنهم:

أبو عبد الرحمن حاتم بن علوان

ويقال حاتم بن يوسف الأصم، من أكابر مشايخ خراسان.

وكان تلميذ شقيق، وأستاذ أحمد بن خضرويه.

قيل: لم يكن أصم، وإنما تصامم مرة فسمي به.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق، رحمه الله، يقول: جاءت امرأة فسألت حاتماً عن مسألة، فاتفق أنه خرج منها في تلك الحالة صوت، فحجّلت، فقال حاتم: ارفعي صوتك. فأرى من نفسه: أنه أصم، فسرت المرأة بذلك، وقالت: إنه لم يسمع الصوت، فغلب عليه اسم الصمم.

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، قال: سمعت أبا عليّ سعيد بن أحمد يقول: سمعت أبي يقول: سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت خالي محمد بن الليث يقول: سمعت حامداً اللقاف يقول: سمعت حاتماً الأصم يقول:

ما من صباح إلا والشيطان يقول لي: ماذا تأكل؟ وماذا تلبس؟ وأين تسكن؟ فأقول له، أكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر.

ويأسناده قيل له: ألا تشتهي؟ فقال: أشتهي عافية يوم إلى الليل.

فقيل له: أليست الأيام كلها عافية؟ فقال: إن عافية يومي، أن لا أعصي الله فيه.

وحكي عن حاتم الأصم، أنه قال: كنت في بعض الغزوات، فأخذني شخص فأضجني للذبح فلم يشتغل به قلبي، بل كنت أنظر ماذا يحكم الله تعالى في.

فبينما هو يطلب السكين من حقه أصابه سهم غرب. فقتله، وطرحه عني فقامت.

سمعت بعد الله بن يوسف الأصبهاني يقول: سمعت أبا نصر منصور ابن محمد بن إبراهيم الفقي يقول: سمعت أبا

محمد جعفر بن محمد بن نصير يقول: روي عن حاتم أنه قال: من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت: موتاً أبيض، وهو الجوع.

وموتاً أسود، وهو: احتمال الأذى من الخلق.

وموتاً أحمر، وهو: العمل الخالص من الشوب في مخالفة الهوى.

وموتاً أخضر، وهو: طرح الرقاق بعضها على بعض.

ومنهم:

أبو زكريا الرازي الواعظ

أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي الواعظ نسيح وحدّه في وقته، له لسان في الرجاء خصوصاً، وكلام في المعرفة. خرج إلى بلخ، وأقام بها مدّة.

ورجع إلى نيسابور ومات بها سنة: ثمان وخمسين ومائتين.

سمعت محمد بن الحسين رحمه الله، يقول: سمعت عبد الله بن محمد ابن أحمد بن حمدان الكعبري يقول: سمعت أحمد بن

محمد بن السريّ يقول: سمعت أحمد بن عيسى يقول: سمعت يحيى بن معاذ يقول: كيف يكون زاهداً من لا ورع له؟! تورّع عما ليس لك، ثم ازهد فيما لك.

وهذا الإسناد قال: جوع التوايين تجربة، وجوع الزاهدين سياسة، وجوع الصديقين تكريمة.

وقال يحيى: الفوت أشد من الموت؛ لأن الفوت انقطاع عن الحق، والموت انقطاع عن الخلق.

وقال يحيى: الزهد ثلاثة أشياء، القلّة، والحلوة، والجوع.

وقال يحيى: لا تريح على نفسك بشيء أجل من أن تشغلها في كل وقت بما هو أولى بها.

وقيل: إن يحيى بن معاذ تكلم ببلخ في تفضيل الغنى على الفقر، فأعطي ثلاثين ألف درهم، فقال بعض المشايخ: لا

بارك الله له في هذا المال فخرج إلى نيسابور، فوقع عليه اللص وأخذ ذلك المال منه.

أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني قال: أبنا أبو القاسم عبد الله ابن الحسين بن بالويه الصوفي قال: سمعت محمد

بن عبد الله الرازي يقول: سمعت الحسين بن علويه يقول: سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول: من خان الله في السرّ

هتك الله ستره في العلانية.

سمعت عبد الله بن يوسف يقول: سمعت أبا الحسين محمد بن عبد العزيز المؤذن يقول: سمعت محمد بن محمد الجرجاني

يقول: سمعت عليّ بن محمد يقول: سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول: تركية الأشرار لك هُجْنَةٌ بك، وحبُّهم لك عيب عليك، وهان عليك من إحتياج إليك.
ومنهم:

أبو حامد بن خضرويه البلخي

أبو حامد أحمد بن خضرويه البلخي من كبار مشايخ خراسان، صحب أبا تراب التخشبي.
قدم نيسابور، وزار أبا حفص، وخرج إلى بسطام في زيارة أبي يزيد البسطامي وكان كبيراً في الفتوة.
وقال أبو حفص: ما رأيت أحداً أكبر همّة، ولا أصدق حالاً من أحمد بن خضرويه.
وكان أبو يزيد يقول: أستاذنا أحمد.
سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت محمد بن حامد يقول: كنت جالساً عند أحمد بن خضرويه، وهو في النزاع، وكان قد أتى عليه خمس وتسعون سنة.
فسأله بعض أصحابه عن مسألة؛ فدمعت عيناه، وقال: يا بني، بابٌ كنت أدقه منذ خمس وتسعين سنة، وهو ذا يُفتح لي الساعة لا أدري أبا السعادة يُفتح أم بالشقاوت؟ أني لي أو ان الجواب؟

قال: وكان عليه سبعمائة دينار، وغرماؤه عنده، فنظر إليهم. وقال: اللهم إنك جعلت الرهون وثيقة لأرباب الأموال، وأنت تأخذ عنهم وثيقتهم فأدعني.
قال: فدقّ داقّ الباب وقال: أين غرماؤه أحمد؟ ففضي عنه.
ثم خرجت روحه، ومات، رحمه الله، سنة أربعين ومائتين.
وقال أحمد بن خضرويه: لا نوم أثقل من الغفلة ولا رق أملك من الشهوة، ولولا ثقل الغفلة عليك لما ظفرت بك الشهوة.
ومنهم:

أبو الحسين بن أبي الحواري

أبو الحسين أحمد بن أبي الحواري من أهل دمشق، صحب أبا سليمان الداراني وغيره، مات سنة: ثلاثين ومائتين.
وكان الجنيد يقول: أحمد بن أبي الحواري: ربحانة الشام.
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت أبا أحمد الحافظ يقول: سمعت سعيد بن عبد العزيز الحلبي يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: من نظر إلى الدنيا نظرة إرادة وحبّ لها أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه.
وبهذا الإسناد يقول: من عمل عملاً بلا اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فباطل عمله.
وبهذا الإسناد قال أحمد بن أبي الحواري: أفضل البكاء: بكاء العبد على ما فاتته من أوقاته على غير الموافقة.
وقال أحمد: ما ابتلي الله عبداً بشيء أشد من الغفلة والقسوة.
ومنهم:

أبو حفص الحداد

أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد من قرية يقال لها كورداباذ على باب مدينة نيسابور، على طريق بخارى. كان أحد الأئمة والسادة. مات سنة نيف وستين ومائتين. قال أبو حفص: المعاصي يريد الكفر، كما أن الحمى يريد الموت. وقال أبو حفص: إذا رأيت المرید يجب السماع فأعلم أن فيه بقية من البطالة. وقال: حُسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن. وقال: الفتوة: أداء الإنصاف، وترك مطالبة الإنصاف. سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا الحسن محمد بن موسى يقول: سمعت أبا علي الثقفى يقول: كان أبو حفص، يقول: من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره، فلا نُعده في ديوان الرجال. ومنهم:

أبو تراب النخشي

أبو تراب عسكر بن حصين النخشي صاحب حاتم الأصم، وأبا حاتم العار المصري. مات سنة: خمس وأربعين ومائتين. قيل: مات بالبادية هُسته السباع. وقال ابن الجلاء: صحبت ستمائة شيخ، ما لقيت فيهم مثل أربعة: أولهم: أبو تراب النخشي. قال أبو تراب: الفقير قوته: ما وجدته، ولباسه: ماستره، ومسكنه: حيث نزل. وقال أبو تراب: إذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله، فإذا أخلص فيه وجد حلاوته ولدته وقت مباشرة الفعل. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: سمعت جدِّي إسماعيل بن نجيد يقول: كان أبو تراب النخشي إذا رأى من أصحابه ما يكره زاد في اجتهاده وجدّد توبته ويقول: بشؤمي دفعوا إلى ما دفعوا إليه، لأن الله عز وجل يقول: إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم قال: وسمعته يقول أيضاً لأصحابه: من لبس منكم مُرّعة فقد سأل، ومن قعد في خانقاه أو مسجد فقد سأل، ومن قرأ القرآن من مصحف، أو كيما يسمع الناس فقد سأل. قال: وسمعته يقول: كان أبو تراب يقول: بيني وبين الله عهد أن لا أمد يدي إلى حرام إلا قصرت يدي عنه. ونظر أبو تراب يوماً إلى صوفيٍّ من تلامذته قد مدّ يده إلى قشر بطيخ، قد طوى ثلاثة أيام، فقال له أبو تراب: تمد يدك إلى قشر البطيخ؟ أنت لا يصلح لك التصوف، الزم السوق. سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت أبا عبد الله القارسي يقول: سمعت أبا الحسين الرازي يقول: سمعت يوسف ابن الحسين يقول: سمعت أبا تراب النخشي يقول: ما تمت نفسي عليّ شيئاً قط، إلا مرة واحدة: تمت عليّ خبزاً وبيضاً، وأنا في سفري، فعدلت عن الطريق إلى قرية، فوثب رجل وتعلق بي

وقال: كان هذا مع اللصوص، فبطحوني وضربوني سبعين خشبة. قال: فوقف علينا رجل صوفي، فصرخ وقال: ويحكم هذا أبو تراب الخشبي، فخلوني واعتذروا إليّ وأدخلني الرجل منزله، وقدم إليّ خبزاً وبيضاً، فقلت: كلها بعد سبعين جلدة.

وحكى ابن الجلاء قال: دخل أبو تراب مكة طيب النفس، فقلت: أين أكلت أيها الأستاذ؟ فقال: أكلة بالبصرة، وأكلة بالنجاج، وأكلة هاهنا. ومنهم:

أبو محمد عبد الله بن خبيق

من زهاد المتصوفة، صحب يوسف بن أسباط.

كان كوفي الأصل. ولكنه سكن أنطاكية.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا الفرج الورثاني يقول: سمعت أبا الأزهر الميافارقي يقول: سمعت فتح بن شخرف يقول: حدثني عبد الله ابن حبيق أول ما لقيته فقال لي: يا خراساني، إنما هي أربع لا غير: عينك، ولسانك، وقلبك، وهواك.. فانظر عينك، لا تنظر بها إلى ما لايجل، وأنظر لسانك، لا تقل به شيئاً يعلم الله تعالى خالفه من قلبك؛ وانظر قلبك، لا يكن فيه غلٌ ولا حقد على أحد من المسلمين، وانظر هواك لا تهوي به شيئاً من الشر، فإذا لم يكن فيك هذه الأربع من الخصال، فاجعل الرماد على رأسك؛ فقد شقيت.

وقال ابن خبيق: لا نعتّم إلا من شيء يضرك غداً، ولا تفرح إلا بشيء يسرك غداً.

وقال ابن خبيق: وحشة العباد عن الحق، أو حشيت منهم القلوب، ولو أنهم أنسوا برئهم لأنس بهم كل أحد. وقال: أنفع الخوف ما حجزك عن المعاصي، وأطال منك الحزن على ما فاتك، وألزمك الفكرة في بقية عمرك. وأنفع الرجاء: ما سهّل عليك العمل.

وقال: طول الاستماع إلى الباطل يطفىء حلاوة الطاعة من القلب.

ومنهم:

أبو علي الأنطاكي

أبو علي أحمد بن عاصم الأنطاكي من أقران بشر بن الحارث، والسري السقطي، والحارث الخاسبي.

وكان ابو سليمان الداراني يسميه: جاسوس القلب، لحدة فراسته.

وقال أحمد بن عاصم: إذا طلبت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك.

وقال أحمد بن عاصم: قال الله تعالى: "إنما أموالكم وأولادكم فتنة" ونحن نستريد من الفتنة.

ومنهم:

أبو السري منصور بن عمار

من أهل مرو، من قرية يقال لها: يرانقان.
وقيل إنه من بوشنج أقام بالبصرة: وكان من الواعظين الأكابر.
وقال منصور بن عمار: من جزع من مصائب الدنيا تحوّلت مصيبتته في دينه.
وقال منصور بن عمار: أحسن لباس العبد: التواضع، والانكسار، وأحسن لباس العارفين: التقوى، قال الله تعالى: " ولباس التقوى ذلك خير ".
وقيل: إن سبب توبته أنه وجد في الطريق رقعة مكتوباً عليها " بسم الله الرحمن الرحيم " ، فرفعها، فلم يجد لها موضعاً فأكلها، فرأى في المنام كأن قاتلاً قال له: فتح الله عليك باب الحكمة؛ باحترامك لتلك الرقعة.
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا العباس القاصّ يقول: سمعت أبا الحسن الشعرائي يقول: رأيت منصور بن عمار في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال قال لي: أنت منصور بن عمار؟ فقلت: بلى يا رب.
قال: أنت الذي كنت تزهّد الناس في الدنيا وترغب فيها؟ قلت: قد كان ذلك يا رب، ولكني ما اتخذت مجلساً إلا بدأت بالثناء عليك وثنيّت بالصلاة على نبيك؛ صلى الله عليه وسلم، وثلّثت بالنصيحة لعبادك.
فقال: صدق، ضعوا له كرسيّاً، يمجّديني في سمائي بين ملائكتي، كما كان يمجّديني في أرضي بين عبادي.
ومنهم:

أبو صالح القصار

أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار نيسابوري، منه انتشر مذهب الملامتية بنيسابور صحب سلمان الباروسي، وأبا تراب النخشي.
مات: سنة إحدى وسبعين ومائتين.
سئل حمدون: متى يجوز للرجل أن يتكلم على الناس؟ فقال: إن تعين عليه أداء فرض من فرائض الله تعالى في علمه، أو خاف هلاك إنسان في بدعة، وهو يرجو أن ينجيه الله تعالى منها.
وقال: من ظن أن نفسه خير من نفس فرعون، فقد أظهر الكبر.
وقال: مذ علمت أن للسلطان فراسة في الأشرار، ما خرج خوف السلطان من قلبي.
وقال: إذا رأيت سكرناً فتمايل؛ لئلا تبغي عليه، فتبتلي بمثل ذلك.
وقال عبد الله بن منازل: قلت لأبي صالح: أوصني.
فقال: " إن استطعت أن لا تغضب لشيء من الدنيا، فافعل ".
ومات صديق له، وهو عند رأسه، فلما مات أطفأ حمدون السراج. فقالوا له: في مثل هذا الوقت يراد في السراج الدهن.
فقال لهم: إلى هذا الوقت كان الدهن له ومن هذا الوقت صار الجهن للورثة.
وقال حمدون: من نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلّفه عن درك درجات الرجال.

وقال: لا تفش علي أحد ما تحب أن يكون مستوراً منك.
ومنهم:

أبو القاسم الجنيّد بن محمد

سيد هذه الطائفة وإمامهم.

أصله من نهاوند. ومنشؤه بالعراق. وأبوه كان يبيع الزجاج؛ فلذلك يقال له: القواريري.

وكان فقيهاً على مذهب أبي ثور وكان يفتي في حلقاته بمحضرتة وهو ابن عشرين سنة. صحب خاله السري،
والحارث الخاسبي ومحمد بن علي القصاب.

مات سنة: سبع وتسعين ومائتين.

سمعت محمد بن الحسين؛ رحمه الله، يقول: سمعت محمد بن الحسين البغدادي يقول: سمعت الفراغاني يقول: سمعت
الجنيّد؛ وقد سئل: من العارف؟ قال: من نطق عن سرِّك وأنت ساكت.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت محمد ابن عبد الله الرازي يقول: سمعت أبا محمد
الجريري يقول: سمعت الجنيّد يقول: ما أخذنا التصوف عن القليل والقال، لكن عن الجوع؛ وترك الدنيا، وقطع
المألوفات والمستحسنات.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا محمد الجريري يقول: سمعت محمد
بن الحسين يقول: سمعت أبا نصر الأصبهاني يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: سمعت الجنيّد يقول لرجل ذكر
المعرفة وقال: أهل المعرفة بالله: يصلون إلى ترك الحركات من باب البرِّ والتقرب إلى الله عزَّ وجلَّ.
فقال الجنيّد: إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهو عندي عظيمة، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من
الذي يقول هذا، فإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى، وإليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم
أقص من أعمال البرِّ ذرّة إلا أن يحال بي دوها.

وقال الجنيّد: إن أمكنك أن لا تكون آلة بينك إلا خزفاً، فأفعل.

وقال الجنيّد: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من أقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا عمر الأنماطي يقول سمعت
الجنيّد يقول: لو أقبل صادق على الله ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة، كان ما فاتته أكثر مما ناله.

وقال الجنيّد: من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث لا يُهتدى به في هذا الأمر، لأن علمنا هذا مقيّد بالكتاب
والسنة.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا نصر الأصبهاني يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول عن الجنيّد: مذهبنا
هذا: مقيّد بأصول الكتاب والسنة.

وقال الجنيّد: علمنا هذا مشيّد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أنبأنا محمد بن الحسين رحمه الله، قال: سمعت أبا الحسين بن فارس يقول: سمعت أبا الحسين علي بن إبراهيم الحداد
يقول: حضرت مجلس القاضي أبي العباس بن شريح، فتكلّم في القروع والأصول بكلام حسن عجبت منه، فلما

رأى إعجابي قال: أتدري من أين هذا؟ قلت: يقول به القاضي.

فقال: هذا بركة مجالسة أبي القاسم الجنييد.

وقيل للجنييد: من أين استغدت هذا العلم؟ فقال: من جلوسي بين يدي الله ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة. وأوماً إلى درجة في داره.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق، رحمه الله، يحكي ذلك، وسمعتة يقول: روى في يده سبحة، فقيل له: أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة؟! فقال: طريق به وصلت إلى ربي لا أفارقه.

سمعت الأستاذ أبا عليّ، رحمه الله يقول: كان الجني يدخل كل يوم حانوته، ويسبل الستر، ويصلي أربعمئة ركعة، ثم يعود إلى بيته.

وقال أبو بكر العطوي: كت عند الجنييد حين مات، فرأيتة ختم القرآن.. ثم ابتداء من البقرة. وقرأ سبعين آية ثم مات رحمه الله.

ومنهم:

أبو عثمان الجبري

أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الجبري المقيم بنيسابور. وكان من الري صحب شاه الكرمانى، ويحى ابن معاذ الرازي ثم ورد نيسابور، مع شاه الكرمانى؛ على أبي حفص الحداد وأقام عنده، وتخرّج به، وزوجه أبو حفص ابنته. مات سنة ثمان وتسعين ومائتين، وعاش بعد أبي حفص نيّفاً وثلاثين سنة.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت أبا عمر بن حمدان يقول: سمعت أبا عثمان يقول: لا يكمل إيمان الرجل حتى يستوي في قلبه أربعة أشياء: المنع، والإعطاء، والعزّ، والذلّ.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت عبد الرحمن بن عبد الله يقول: سمعت بعض أصحاب أبي عثمان قول: سمعت أبا عثمان، يقول: صحبت أبا حفص مدّة، وأنا شاب، فطردني مرّة، وقال: لا تجلس عندي.

فقمتم، ولم أوله ظهري، وانصرفت إلى ورائي، ووجهي إلى وجهه.. حتى غبت عن عينيه، وجعلت على نفسي: أن أحفر على بابه حفرة لا أخرج منها إلا بأمره. فلما رأى ذلك أدناني، وجعلني من خواص أصحابه.

قال: وكان يقول في الدنيا ثلاثة لا رابع لهم: أبو عثمان بنيسابور، والجنييد ببغداد، وأبو عبد الله بن الجلاء بالشام. وقال أبو عثمان: منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى في حال فكرهته، ولا نقلني إلى غيره فسخته.

سمعت الشيخ أبا الرحمن السلمي، رحمه الله يقول: سمعت عبد الله ابن محمد الشعرائي يقول: سمعت أبا عثمان يقول ذلك.

ولما تغير على أبي عثمان الحال مزّق ابنه أبو بكر قميصاً على نفسه، ففتح أبو عثمان عينيه وقال: خلاف السنّة يا بني في الظاهر، علامة رياء في الباطن.

سمعت محمد بن الحسين، يقول: سمعت محمد بن أحمد الملامتي يقول: سمعت أبا الحسين الوراق يقول: سمعت أبا عثمان يقول: الصحبة مع الله: بحسن الأدب؛ ودوام الهيبة، والمراقبة.

والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم باتباع سنته، ولزوم ظاهر العلم.
والصحبة مع أولياء الله تعالى بالاحترام والخدمة.
والصحبة مع الأهل: بحسن الخلق.
والصحبة مع الأخوان: بلوام البشر ما لم يكن إثمًا.
والصحبة مع الجهال: بالدعاء لهم والرحمة عليهم.
سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني رحمه الله يقول: سمعت أبا عمرو بن نجييد يقول: سمعت أبا عثمان يقول: من أمر السنّة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمر الهوي على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة، قال الله تعالى: ون تطيعوه فمتلوا.
ومنهم:

أبو الحسين النوري

أبو الحسين أحمد بن محمد النوري بغدادى المولد والمنشأ، بغوي الأصل.
صحاب السرى السقطي، وابن أبي الحواري. وكان من أقران الجنيد رحمه الله.
مات سنة: خمس وتسعين ومائتين. وكان كبير الشأن، حسن المعاملة واللسان.
قال النوري، رحمه الله: التصوّف: ترك كل حظ للنفس.
وقال النوري: أعزُّ الأشياء في زماننا شيئان: عالم يعمل بعلمه، وعارف ينطق عن حقيقة.
سمعت أبا عبد الله الصوفي، رحمه الله، يقول: سمعت أحمد بن محمد البرذعي يقول: سمعت المرتعش يقول: سمعت النوري يقول: من رأيت يَدْعِي مع الله حالة تخرجه عن حد العلم الشرعي فلا تقرب منه.
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت القرغاتي يقول: سمعت الجنيد يقول: منذ مات النوري لم يُخْبِر عن حقيقة الصدق أحد.
وقال أبو أحمد المغازلي: ما رأيت أعبد من النوري، قيل: ولا الجنيد. قال: ولا الجنيد.
وقال النوري: كانت المواقع غطاءً على الدرّ، فصارت اليوم مزابل على جيف.
وقيل: كان يخرج كل يوم من داره، ويحمل الخبز معه. ثم يتصدّق به في الطريق، ويدخل مسجداً يصلي فيه إلى قريب من الظهر؛ ثم يخرج منه ويفتح باب حانوته، ويصوم.
فكان أهله يتوهّمون أنه يأكل في السوق، وأهل السوق يتوهّمون أنه يأكل في بيته.
وبقي على هذا في ابتداءه عشرين سنة.
ومنهم:

أبو عبد الله الجلاء

أبو عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء بغدادي الأصل، أقام بالرملة ودمشق. من أكابر مشايخ الشام.
صحاب أبا تراب، وذا النون، وأبا عبيد اليسري؛ وأباه يحيى الجلاء.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت محمد بن عبد العزيز الطبري يقول: سمعت أبا عمر الدمشقي، يقول: سمعت ابن الجلاء يقول: قلت لأبي وأمي: أحبُّ أن تهباني الله عزَّ وجل. فقالا: قد وهبناك الله عز وجل. فغبت عنهما مدَّة، فلما رجعت كانت ليلة مطيرة، فدققت الباب، فقال لي أبي: من ذا؟ قلت: ولدك أحمد. فقال: كان لنا ولد، فوهبناه لله تعالى، ونحن من العرب لا نسترجع ما وهبناه. ولم يفتح لي الباب. وقال ابن الجلاء: من استوى عنده المدح والذم، فهو زاهد. ومن حافظ على الفرائض في أول موافيتها فهو عابد، ومن رأى الأفعال كلها من الله، فهو مؤحَّد لا يرى إلا واحداً. ولما مات ابن الجلاء نظروا إليه، وهو يضحك: فقال الطيب: إنه حي. ثم نظر إلى مجسَّته فقال: إنه ميت. ثم كشف عن وجهه، فقال: لا أدري أهو ميت أم حي!! وكان في داخل جلده عرق على شكل الله. وقال ابن الجلاء، رحمه الله، كنت أمشي مع أستاذي، فرأيت حدثاً جميلاً فقلت: يا أستاذي، تُرى يعدُّب الله هذه الصورة؟ فقال: أو نظرت إليه سترى غبَّه. قال: فنسيت القرآن بعده بعشرين سنة. ومنهم:

أبو محمد رويم بن أحمد

بغداديّ، من أجلة المشايخ. مات: سنة ثلاثة وثمانمائة. وكان مقرئاً، وفتياً على مذهب داود. قال رويم: من حكم الحكيم، أن يوسع على إخوانه في الأحكام، ويضيق على نفسه فيها، فإن للتوسعة عليهم اتباع العلم، والتضييق على نفسه من حكم الورع. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: سمعت عبد الواحد ابن بكر يقول: سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول: سألت رويماً، فقلت: أو صني. فقال: ما هذا الأمر، إلا ببذل الروح، فإن أمكنك الدخول فيه مع هذا، وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية. وقال رويم: قعودك مع كل طيقة من الناس أسلم من قعودك مع الصوفية، فإن كل الخلق قعدوا على الرسوم، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع، وطالب هؤلاء أنفسهم بحقيقة الورع، ومداومة الصدق، فمن قعد معهم وخالفهم في شيء مما يتحققون به نزع الله نور الإيمان من قلبه. وقال رويم: اجترت ببغداد وقت الهاجرة ببعض السكك، وأنا عطشان، فاستقيت من دار، ففتحت صبيبةً بابها، ومعها كوز، فلما رأني قالت: صوفي يشرب بالنهار!! فما أفطرتُ بعد ذلك اليوم قط. وقال رويم: إذا رزقك الله المقال، والفعال، فأخذ منك المقال وأبقى عليك الفعال فإنها نعمة، وإذا أخذ منك الفعال، وأبقى عليك المقال، فإنها مصيبة، وإذا أخذ منك كليهما فهي نقمة وعقوبة. ومنهم:

أبو عبد الله اليلخي

أبو عبد الله محمد بن الفضل البلخي ساكن سمرقند: بلخي الأصل، أخرج منها، فدخل سمرقند، ومات بها. وصحب أحمد بن خضرويه، وغيره، وكان أبو عثمان الحيري يميل إليه جداً. مات سنة: تسع عشرة وثلاثمائة. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت أحمد ابن محمد القراء، يقول: سمعت أبا بكر بن عثمان يقول: كتب أبو عثمان الحيري إلى محمد بن الفضل يسأله: ما علامة الشقاوة؟ فقال: ثلاثة أشياء: يُرزق العلم ويحرم العمل، ويرزق العمل ويحرم الإخلاص، ويرزق صحبة الصالحين ولا يحترم لهم. وكان أبو عثمان الحيري يقول: محمد بن الفضل سمسار الرجال.

سمعت محمد الحسين يقول: سمعت عبد الله الرازي يقول: سمعت محمد ابن الفضل يقول: الراحة في السجن من أماني النفوس.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت محمد بن الفضل يقول: ذهب الإسلام من أربعة: لا يعملون بما يعلمون، ويعملون بما لا يعلمون، ولا يتعلمون ما لا يعلمون، ويمنعون الناس من التعلم. وبهذا الإسناد، قال: العجب ممن يقطع المفاوز ليصل إلى بيته، فيرى آثار النبوة، كيف لا يقطع نفسه وهو، ليصل إلى قلبه فيرى آثار ربه عز وجل؟ وقال: إذا رأيت المرید يستزيد من الدنيا، فذلك من علامات إدباره. وسئل عن الزهد، فقال: النظر إلى الدنيا بعين النقص والإعراض عنها تعزُّزاً، وتظرفاً، وتشرفاً. ومنهم:

أبو بكر الزقاق الكبير

أبو بكر أحمد بن نصر الزقاق الكبير كان من أقران الجنيد. من أكابر مصر. سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت الحسين بن أحمد يقول: سمعت الكتاني يقول: لما مات الزقاق انقطعت حُجَّة الفقراء في دخولهم مصر. وقال الزقاق: من لم يصحبه التقى في فقر أكل الحرام الخض. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت محمد ابن عبد الله بن عبد العزيز يقول: سمعت الزقاق يقول: تمّت في تيه بني إسرائيل مقدار خمسة عشر يوماً، فلما وقعت على الطريق استقبلني إنسان جندي، فسقاني شربة من ماء، فعادت قسوتها على قلبي ثلاثين سنة. ومنهم:

أبو عبد الله المكي

أبو عبد الله عمرو بن عثمان المكي لقي أبا عبد الله النابجي، وصحب أبا سعيد الخراز وغيره. شيخ القوم، وإمام الطائفة في الأصول والطريقة. مات ببغداد سنة: إحدى وتسعين ومائتين.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت محمد بن عبد الله ابن شاذان، يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول: سمعت عمرو ابن عثمان المكي يقول:

كل ما توهمه قلبك، أو رسخ في مجاري فكرتك، أو خطر في معارضات قلبك من حسن، أو بهاء، أو أنس، أو جمال، أو ضياء، أو شبح، أو نور، أو شخص، أو خيال، فالله تعالى بعيد من ذلك، ألا تسمع إلى قوله تعالى: " ليس كمثلته شيء؛ وهو السميع البصير " وقال: " لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد " .
وبهذا الإسناد قال: العلم قائد، والخوف سائق، والنفس حرون بين ذلك، جموح، خداعة، مراوغة، فأحذرهما بسياسة العلم، وسقها بتهديد الخوف يتم لك ما تريد.
وقال: لا تقع على الواجد عبارة، لأنه سر الله عند المؤمنين.
ومنهم:

سمنون بن حمزة

وكنيته: أبو الحسن، ويقال: أبو القاسم.
صحب السري، وأبا أحمد القلانسي، ومحمد بن علي القصّار؛ وغيرهم. قيل إنه أنشد:
وليس لي في سواك حظ ... فكيفما شئت فاخبرني
فأخذته الأسر من ساعته فكان يلور على المكاتب، ويقول: ادعوا لعمّكم الكذاب.
وقيل: إنه أنشد هذه الأبيات، فقال بعض أصحابه لبعض: سمعت البارحة، وكنت في الرُستاق صوت أستاذنا سمنون يدعو الله، ويتضرّع إليه، ويسأله الشفاء.
فقال آخر: وأنا أيضاً، كنت سمعت هذا البارحة، وكنت بالموضع القلاني.
فقال ثالث، ورابع، مثل هذا، فأخبر سمنون، وكان قد امْتَحَن بعلّة الأسر، وكان يصبر ولا يجزع، فلما سمعهم يقولون هذا؛ ولم يكن هو دعاء؛ ولا نطق بشيء من ذلك، علم أن المقصود منه إظهار الجزع تأدّباً بالعبودية، وستراً لحاله، فأخذ يطوف على المكاتب ويقول: ادعوا لعمّكم الكذاب.
سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت أبا العباس محمد ابن الحسن البغدادي يقول: سمعت جعفر الخلددي يقول: قال لي أبو أحمد المغازلي.
كان ببغداد رجل فرق على الفقراء أربعين ألف درهم، فقال لي سمنون: يا أبا أحمد، ألا ترى ما قد أنفق هذا، وما قد عمله؟ ونحن ما نجد شيئاً!! فامض بنا إلى موضع نصل فيه بكل درهم أنفقته ركعة.
فمضينا إلى المدائن، فصلينا أربعين ألف صلاة.
وكان سمنون ظريف الخلق، أكثر كلامه في الحجة. وكان كبير الشأن مات قبل الجنيّد، كما قيل.
ومنهم:

أبو عبيد البصري

من قدماء المشايخ صحب أبا تراب النخشي.
سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت عبد الله بن عليّ يقول: سمعت الدَّقِي يقول: سمعت ابن الجلاء يقول: لقيت ستمائة شيخ فما رأيت مثل أربعة: ذي النون المصري، وأبي، وأبي تراب، وأبي عبيد البُسري.
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت أحمد بن محمد البَغوي يقول: سمعت محمد بن معمر يقول: سمعت أبا زرعة الحسيني يقول: كان أبو عبيد البسري يوماً على جرجر يدرس قمحاً له. وبينه وبين الحج ثلاثة أيام؛ إذ أتاه رجلان، فقالا: يا أبا عبيد، تنشط للحج؟ فقال: لا.
ثم إنفت إليّ وقال: شيخك على هذا أقدر منهما. يعني نفسه.
ومنهم:

أبو الفوارس الكرمانى

أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى كان من أولاد الملوك.
صحب أبا تراب النخشيّ، وأبا عبيد البُسري، وأولئك الطبقة.
وكان أحد الفتيان كبير الشأن، مات قبل الثلاثمائة.
وقال شاه: علامة التقوى الورع، وعلامة الورع الوقوف عند الشبهات.
وكان يقول لأصحابه: اجتنبوا الكذب، والخيانة، والغيبة، ثم اصنعوا ما بدا لكم.
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ يقول: سمعت جدّي ابن نجيد يقول: قال شاه الكرمانى: من غَضَّ بصره عن الحارم، وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بلوام المراقبة، وظاهره باتباع السنة، وعود نفسه أكل الحلال لم تخطيء له فراسة.
ومنهم:

يوسف بن الحسين

شيخ الرّيّ والجبال في وقته.
وكان نسيج وحده في إسقاط التصنع.
وكان عالماً أديباً، صحب ذا النون المصري، وأبا تراب النخشي، ورافق أبا سعيد الخراز مات سنة: أربع وثلاثمائة.
قال يوسف بن الحسين: لأن ألقى الله تعالى بجميع المعاصي أحبُّ إلى من أن ألقاه بذرّاً من التصنع.
وقال يوسف بن الحسين: إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص، فاعلم أنه لا يجيء منه شيء.
وكتب إلى الجنيد: لا أذالك لله طعم نفسك فإنك إن ذقتها لم تذق بعدها خيراً أبداً.
وقال يوسف بن الحسين: رأيت آفات الصوفية في صحبة الأحداث، ومعاشرة الأضداد، ورفق النسوان.
ومنهم:

أبو عبد الله الترمذي

أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي من كبار الشيوخ، وله تصانيف في علوم القوم. صحب أبا تراب النخشي، وأحمد بن خضرويه؛ وابن الجلاء، وغيرهم. سئل محمد بن عليّ: عن صفة الخلق، فقال: ضعف ظاهر، ودعوى عريضة. وقال محمد بن عليّ: ما صنفت حرفاً عن تدبير، ولا لينسب إلى شيء منه ولكن كان إذا اشتد عليّ وقتي أتسلى به. ومنهم:

أبو بكر الوراق الترمذي

أبو بكر محمد بن عمر الوراق الترمذي أقام ببلخ. وصحب أحمد بن خضرويه، وغيره، وله تصانيف في الرياضيات سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول: سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت محمد بن محمد البلخي يقول: سمعت أبا بكر الوراق يقول: من أرضي الجوارح بالشهوات غرس في قلبه شجر الندامات. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ، يقول: سمعت أبا بكر البلخي يقول: سمعت أبا بكر الوراق يقول: لو قيل للطمع من أبوك؟ قال: الشك في المدور. ولو قيل: ما حرفتك؟ قال: اكتساب الذلّ. ولو قيل: ما غايتك؟ قال: الحرمان. وكان أبو بكر الوراق يمنع أصحابه عن الأسفار والسياحات ويقول: مفتاح كل بركة الصبر في موضع إرادتك إلى أن تصحّ لك الإرادة، فإن صحّت لك الإرادة، فقد ظهرت عليك أوائل البركة. ومنهم:

أبو سعيد الخراز

أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز من أهل بغداد. صاحب ذا النون المصري، والنباجي، وأبا عبيد البصريّ، والسري، وبشراً، وغيرهم.. مات سنة: سبع وسبعين ومائتين.

قال أبو سعيد الخراز: كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل. سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا عبد الله الرازي يقول: سمعت أبا العباس الصياد يقول: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: رأيت إبليس في النوم، وهو يمرّ عني ناحية، فقلت له: تعال، مالك؟ فقال: إيش أعمل بكم، وأتمم طرحم عن نفوسكم ما أخادع به الناس!! فقلت: وما هو؟ قال: الدنيا. فلما ولى عني، التفت إليّ، وقال: غير أن لي فيكم لطيفة.

فقلت: وما هي؟ قال: صحبة الأحداث.
وقال أبو سعيد الخراز: صحبت الصوفية ما صحبت، فما وقع بيني وبينهم خلاف.
قالوا: لم؟ قال: لأني كنت معهم على نفسي.
ومنهم:

أبو عبد الله المغربي

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المغربي أستاذ إبراهيم بن شيبان، وتلميذ علي بن رزين.
عاش مائة وعشرين سنة. ومات سنة: تسع وتسعين ومائتين.
كان عجيب الشأن، لم يأكل مما وصلت إليه يد بني آدم سنين كثيرة، وكان يتناول من أصول الحشيش أشياء تعود
أكلها.
وقال أبو عبد الله المغربي: أفضل الأعمال عمارة الأوقات بالموافقات.
وقال: أعظم الناس ذلاً فقير داهن غنياً، أو تواضع له. وأعظم الخلق عزاً غني نذل للفقراء، وحفظ حرمتهم.
ومنهم:

أبو الحسن الأصبهاني

أبو الحسن علي بن سهل الأصبهاني من أقران الجنيد.
قصده عمرو بن عثمان المكي في دين ركه، فقضاه عنه، وهو ثلاثون ألف درهم.
لقي أبا تراب النخشي والطبقة.
سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت أبا بكر محمد ابن عبد الله الطبري يقول: سمعت علي بن سهل
يقول: المبادرة إلى الطاعة من علامة التوفيق..
والتقاعد عن المخالقات من علامات التيقظ..
وإظهار الدعاوي من رعونات البشري. ومن لم تصح مبادئ إرادته لا يسلم في منتهى عواقبه.
ومنهم:

أبو محمد الجريري

أبو محمد بن محمد بن الحسين الجريري من كبار أصحاب الجنيد. وصحب سهل بن عبد الله. أُفعد بعد الجنيد في
مكانه وكان عالماً بعلوم هذه الطائفة. كبير الحال. مات سنة: إحدى عشرة وثلاثمائة.
سمعت أبا عبد الل الشيرازي، يقول: سمعت أحمد بن عطاء الروذباري يقول: مات الجريري سنه الهببر، فجزت به
بعد سنة، فإذا هو مستند جالس وركبته إلى صدره، وهو مشير إلى الله بأصبعه.

من استولت عليه النفس صار أسيراً في حكم الشهوات، محصوراً في سجن الهوى، وحرّم الله على قلبه الفوائد، فلا يستلذ بكلام الحق تعالى؛ ولا يستحيله ون كثر ترداده على لسانه؛ لقوله تعالى: " سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق " .
وقال الحريري:

رؤية الأصول باستعمال القروع، وتصحيح الفروع بمعارضة الأصول، ولا سبيل إلى مقام مشاهدة الأصول إلا بتعظيم ما عظم الله من الوسائط والقروع.
ومنهم:

أبو العباس بن عطاء الآدمي

أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي من كبار مشايخ الصوفية وعلمائهم، كان الخراز يعظم شأنه. وهو من أقران الجنيد، وصحب إبراهيم المارستاني. مات سنة: تسع وثلاثمائة.
سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا سعيد القرشي يقول: سمعت ابن عطاء يقول: من ألزم نفسه آداب الشريعة نور الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب صلى الله عليه وسلم، في أوامره؛ وأفعاله، وأخلاقه.

وقال ابن عطاء: أعظم الغفلة غفلة العبد عن ربه عز وجل، وغفلته عن أوامره ونواهيه، وغفلته عن آداب معاملته. سمعت أبا عبد الله الشيرازي، رحمه الله، يقول: سمعت عبد الرحمن ابن أحمد الصوفي يقول: سمعت أحمد بن عطاء يقول: كل ما سئلت عنه فاطلبه في مفازة العلم، فإن لم تجده، ففي ميدان الحكمة، فإن لم تجده فزنه بالتوحيد، فإن لم تجده في هذه المواضع الثلاثة فاضرب به وجه الشيطان.
ومنهم:

أبو إسحق الخواص

أبو إسحق إبراهيم بن أحمد الخواص من أقران الجنيد والثوري، وله في التوكل والرياضات حظٌ كبير.
مات بالري سنة: إحدى وتسعين ومائتين.
كان مبطوناً؛ فكان كلما قام توضأ، وعاد إلى المسجد، وصلى ركعتين، فدخل مرة الماء فمات. رحمه الله.
سمعت محمد بن الحسين، يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الخواص يقول: ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العالم من أتبع العلم واستعمله؛ واقتدى بالسنن وإن كان قليل العلم.
سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت أحمد بن علي ابن جعفر يقول: سمعت الأزدي يقول: سمعت الخواص يقول: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل؛ والتنصرع عند السحر، ومجالسة الصالحين.
ومنهم:

أبو محمد الخراز

أبو محمد عبد الله بن محمد الخراز من أهل الريّ. جاور بمكة. صحب أبا حفص، وأبا عمران الكبير. وكان من المتورعين. مات قبل العشرة والثلاثمائة. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، يقول: سمعت أبا نصر الطوسي يقول: سمعت الدقي يقول: دخلت على عبد الله الخراز، ولي أربعة أيام لم أكل، فقال: يجوع أحدكم أربعة أيام فيصبح ينادي عليه الجوع. ثم قال: إيش يكون لو أن كل نفس منفوسة تلفت فيم تؤمّله عند الله ترى يكون ذلك كثيراً. وقال أبو محمد عبد الله الخراز: الجوع طعام الزاهين، والذكر طعام العارفين. ومنهم:

أبو الحسن الجمال

أبو الحسن بنان بن محمد الجمال واسطي الأصل. أقام بمصر، ومات بها سنة: ست عشرة وثلاثمائة. كبير الشأن، صاحب الكرامات. سئل بنان عن أجلّ أحوال الصوفية، فقال: الثقة بالمضمون؛ والقيام بالأوامر، ومراعاة السر، والتخلي من الكوفيين. سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت الحسن بن أحمد الرازي، يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: ألقى بنان الجمال بين يدي السبع، فجعل السبع يشمه ولا يضره. فلما أخرج، قيل: ما الذي كان في قلبك حيث شمك السبع؟ قالوا: كنت أفكر في اختلاف العلماء في سؤر السبع. ومنهم:

أبو حمزة البغدادي البزاز

مات قبل الجنيد، وكان من أقرانه. صحب السريّ، والحسن السوحي. وكان عالماً بالقراءات، فقيهاً. وكان من أولاد عيسى بن أبان، وكان أحمد بن حنبل يقول له في المسائل. ما تقول فيها يا صوفي؟ قيل: كان يتكلم في مجلسه يوم جمعة فتغير عليه الحل، فسقط عن كرسيه: ومات في الجمعة التالية. وقيل: مات سنة تسع وثمانين مائتين. قال أبو حمزة: من علم طريق الحق تعالى سهل عليه سلوكه، ولا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أحواله، وأفعاله وأقواله.

وقال أبو حمزة: من رُزق ثلاثة أشياء، فقد نجا من الآفات: بطن خال من قلب قانع، وفقر دائم معه زهد حاضر، وصبر كامل معه ذكر دائم. ومنهم:

أبو بكر الواسطي

أبو بكر محمد بن موسى الواسطي خراسني الأصل. من فرغانة. صحب الجنيد والنوري.

عالم كبير الشأن. أقام بمرو، ومات بها بعد العشرين والثلاثمائة.

قال الواسطي: الخوف والرجاء زلمان يمنعان العبد من سوء الأدب.

وقال: الواسطي: إذا أراد الله هوان عبد القاه لى الأتقان والجيف، يريد به صحة الأحداث.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت أبا بكر محمد ابن عبد العزيز المروزي، يقول: سمعت الواسطي يقول: جعلوا سوء أدبكم إخلاصاً، وشره نفوسهم انبساطاً؛ ودناءة المهمل جلادة، فعموا عن الطريق، وسلخوا فيه المضيق، فلا حياة تنموا في شواهدهم، ولا عبادة تزكوا في محاضرتهم، إن نطقوا فبالغصب وإن خاطبوا فبالكبر، وثب أنفسهم ببنىء عن خبث ضمائرهم، وشرهم في المأكول يظهر ما في سويداء أسرارهم. قاتلهم الله أنى يؤفكون. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: سمع بعض المرازقة إنساناً صيدلانياً، يقول: اجتاز الواسطي يوم جمعة بباب حانوتي، قاصداً إلى الجامع. فانقطع شسع نعله، فقلت: أيها الشيخ، أتأذن لي أن أصلح نعلك؟ فقال: أصلح.

فأصلحت شسعته، فقال: أتدري لم أنقطع شسع نعلي؟ فقلت: حتى تقول.

قال: لأني ما اغتسلت للجمعة!! فقلت له: ياسيدي، هاهنا حمام تدخله؟ فقال: نعم. فأدخلته الحمام فاغتسل. ومنهم:

أبو الحسن بن الصائغ

واسمه: علي بن محمد بن سهل الدينوري.

أقام بمصر، ومات به، وكان من كبار المشايخ.

قال أبو عثمان المغربي: ما رأيت من المشايخ أنور من أبي يعقوب النهرجوري، ولا أكثر هيبته من أبي الحسن بن الصائغ.

مات سنة: ثلاثين وثلاثمائة سئل ابن الصائغ عن الاستدلال بالشاهد على الغائب، فقال: كيف يستدل بصفات من له مثل ونظير على من لا مثل له ولا نظير؟! وسئل عن صفة المريد، فقال: ما قال الله عز وجل: " وضائق عليهم الأرض بما رحبت، وضائق عليهم أنفسهم " الآية.

وقال: الأحوال كالبروق، فإذا ثبت فهو حديث النفس وملازمة الطبع.

ومنهم:

أبو إسحق الرقي

أبو إسحق إبراهيم بن داود الرقي من كبار مشايخ الشّام.
من أقران الجعيد، وابن الجلاء.
وقد عمر، وعاش إلى سنة: ست وعشرين وثلاثمائة.
وقال إبراهيم الرقي: المعرفة: إثبت الحق على ما هو، خارجاً عن كل ما هو موهوم.
وقال: القدرة ظاهرة، والأعين مفتوحة. ولكن أنوار البصائر قد ضعفت.
وقال: أضعف الخلق: من ضعف عن ردّ شهواته، وأقوى الخلق: من قوي على ردّها.
وقال: علامة محبة الله: إثثار طاعته، ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم.
ومنهم:

ممشاد الديبوري

من كبار مشايخهم. مات سنة: تسع وتسعين ومائتين.
قال ممشاد.
أدب المرید في التزام حُرّمات المشايخ، وخدمة الإخوان، والخروج عن الأسباب، وحفظ آداب الشرع على نفسه.
وقال ممشاد: ما دخلت قط على أحد من شيوخي، إلا وأنا خال من جميع مالي أنتظر بركات ما يرد عليّ من رؤيته
وكلامه، فإن من دخل على شيخ بحظه انقطع عن بركات رؤيته ومجالسته، وكلامه.
ومنهم: خير النساج صحب أبا حمزة البغداديّ، ولقي السري، وكان من أقران أبي الحسن التوري إلا أنه عمر عمراً
طويلاً. وعاش، كما قيل، مائة وعشرين سنة.
وتاب في مجلسه: الشبلي، والخوّاص. وكان أستاذ الجماعة.
وقيل: كان اسمه محمد بن إسماعيل، من سامرة، وإنما سُمي خير النساج، لأنه خرج إلى الحج، فأخذ رجل على باب
الكوفة وقال: أنت عبدي، واسمك خير.
وكان أسود - فلم يخالفه. واستعمله الرجل في نسج الخز، فكان يقول له: يا خير فيقول: لبيك.
ثم قال له الرجل بعد سنين: غلطت، لا أنت عبدي ولا اسمك خير فمضى وتركه، وقال: لا أغير اسماً صماني به
رجل مسلم.
وقال: الخوف سوط الله يقوم به أنفساً قد تعودت سوء الأدب.
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت أبا الحسن القزويني يقول: سمعت أبا الحسين المالكي،
يقول: سألت من حضر موت خير النساج عن أمره؟ فقال: لما حضرت صلاة المغرب غشى عليه، ثم فتح عينيه،
وأوماً في ناحية البيت وقال: قف، عافاك الله، فإنما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور.
وما أمرت به لا يفوتك وما أمرت به يفوتني.
ودعا بماء فتوضأ للصلاة، ثم تمدّد. وغمض عينيه، وتشهّد، ومات فرؤى في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟

فقال لسانه: لا تسألني عن هذا، ولكن استرحت من دنياكم الوضرة!! ومنهم:

أبو حمزة الخراساني

بنيسابور، أصله من محلة ملقباذ. من أقران الجنيد، والخراز وأبي تراب النخشي. وكان ورعاً، ديناً. قال أبو حمزة: من استشعر ذكر الموت حيب الله إليه كل باق، وبغض إليه كل فان: وقال: العارف بالله يدافع عيشه يوماً بيوم، ويأخذ عيشه يوماً ليوم.

وقال له رجل: أوصني.

فقال: هبىء زادك للسفر الذي بين يديك.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت أبا الطيب العكي يقول: سمعت أبا الحسن المصري يقول: سمعت أبا حمزة الخراساني، يقول: كنت قد بقيت محرماً في عباء، أسافر كل سنة ألف فرسخ تطلع الشمس علي وتغرب، كلما حللت أحرمت.

توفي سنة: تسعين ومائتين.

ومنهم:

أبو بكر بن جحدر الشبلي

بغدادى المولد والمنشأ. واصله من أسرٍ وشنة.

صحب الجنيد ومن في عصره، وكان شيخ وقته: حالاً، وظرفاً، وعلماً.

مالكي المذهب. عاش سبعمائة وثمانين سنة، ومات سنة: أربع وثلاثين وثلاثمائة. وقبره ببغداد.

ولما تاب الشبلي في مجلس خير النساج أتى دماوند، وقال: كنت إلى بلدكم، فاجعلوني في حل.

وكانت مجاهداته في بدايته فوق الحد.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق؛ رحمه الله، يقول: بلغني أنه اكتحل بكذا. وكذا.. ومن الملح؛ ليعتاد السهر، ولا

يأخذه النوم ولو لم يكن من تعظيمه للشرع إلا ما حكاه بكران الديوري في آخر عمره لكان كثيراً.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: كان الشبلي، رحمه الله،

يقول في آخر أيامه:

وكم من موضع لو مت فيه ... لكنك به نكالا في العشيرة

وكان الشبلي إذا دخل شهر رمضان جد فوق جد من عصره، ويقول: هذا شهر عظمه ربي، فأنا أول من يعظمه.

سمعت الأستاذ أبا عليّ يحكي ذلك عنه.

ومنهم:

أبو محمد المرتعش

أبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش نيسابوري، من محلة الحيرة. وقيل: من ملقباذ.
صحب أبا حفص، وأبا عثمان، ولقي الجنيد، وكان كبير الشأن.
وكان يقيم في مسجد الشُّنُوزِيَّة. مات ببغداد سنة: سمان وعشرين وثلاثمائة.
قال المرتعش: الإرادة: حبس النفس عن مرادها، والإقبال على أوامر الله تعالى، والرضا بموارد القضاء عليه.
وقيل له: إن فلاناً يمشي على الماء.
فقال: عندي أن من مكَّنه الله تعالى من مخالفة هواه فهو أعظم من المشي في الهواء.
ومنهم:

أبو علي الروذباري

أبو علي أحمد بن محمد الروذباري بغداديّ، أقام بمصر. ومات بها سنة: اثنتين وعشرين وثلاثمائة.
صحب الجنيد، والثوري، وابن الجلاء، والطبقة.
أطرف المشايخ وأعلمهم بالطريقة.
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله يقول: سمعت أبا القاسم المشقي يقول: سئل أبو علي الروذباري
عمن يسمع الملاهي ويقول: هي لي حلال، لأني وصلت إلى درجة لا تؤثر في اختلاف الأحوال.
فقال: نعم، قد وصل، ولكن إلى سقر!! وسئل عن التصوف، فقال: هذا مذهب كله جدُّ، فلا تخلطوه بشيء من
الهنزل.
سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: من
علامة الاغترار أن تسيء فيحسن الله إليك، فتترك الأنابة والتوبة، وهما أنك تسامح في الهفوات، وترى أن ذلك من
بسط الحق لك..
وقال: كان أستاذي في التصوف: الجنيد. وفي الفقه: أبو العباس ابن شريح، وفي الأدب: ثعلب، وفي الحديث:
إبراهيم الحربي.
ومنهم:

أبو محمد عبد الله بن منازل

شيخ الملامتية، وأوحد وقته. صحب حمدون القصار.
وكان عالماً وكتب الحديث الكثير.
مات بنيسابور سنة: تسع وعشرين، أو ثلاثين وثلاثمائة.
سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت عبد الله المعلم يقول: سمعت عبد الله بن منازل يقول: لم يضيّع أحد
فريضة من الفرائض إلا ابتلاه الله تعالى بتضييع السنن، لم يُبلَّ أحد بتضييع السنن إلا وشك أن يبتلي بالبدع.
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، يقول: سمعت أبا أحمد بن عيسى يقول: سمعت عبد الله بن منازل يقول:

أفضل أوقاتك: وقت تسلم فيه من هواجس نفسك، ووقت تسلم فيه من سوء ظنك.
ومنهم:

أبو علي الثقفي

أبو علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي إمام الوقت. صحب أبا حفص، وحمدون القصار.
وبه ظهر التصوف بنيسابور: مات سنة: ثمان وعشرين وثلاثمائة.
سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا علي الثقفي يقول: لو أني رجلاً جمع العلوم كلها، وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة: من شيخ، أو إمام، أو مؤدب ناصح. ومن لم يأخذ أديه من أستاذ يريه عيوب أعماله، ورعونات نفسه، لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات.
وقال أبو علي رحمه الله: يأتي على هذه الأمة زمان لا تطيب المعيشة فيه المؤمن إلا بعد إستناده إلى منافق.
وقال: أف من أشال الدنيا إذا أقبلت، وأف من حسرتها إذا أدبرت، والعامل من لا يركن إلى شيء إذا أقبل كان شغلاً، وإذا أدبر كان حسرة.
ومنهم:

أبو الخير الأقطع

مغربي الأصل، سكن تينات.
وله كرامات، وفراسة حادة.
كان كبير الشأن، مات سنة: نيف وأربعين وثلاثمائة.
قال أبو الخير: ما بلغ أحد إلى حالة شريفة إلا بملازمة الموافقة، ومعانقة الأدب، وأداء القرائض، وصحبة الصالحين.
ومنهم:

أبو بكر الكتاني

أبو بكر محمد بن علي الكتاني بغدادى الأصل.
صحب الجنيد، والحراز، والنوري.
وجاور بمكة إلى أن مات سنة: اثنتين وعشرين وثلاثمائة.
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: نظر الكتاني إلى شيخ أبيض الرأس واللحية يسأل الناس، فقال: هذا رجل أضاع حق الله في صغره، فضيعه الله في كبره.
وقال الكتاني الشهوة زمام الشيطان، فمن أخذ بزمامه كان عبده.
ومنهم:؟ أبو يعقوب اسحق بن محمد النهرجوري صحب أبا عمرو المكي، وأبا يعقوب السوسي، والجنيد، وغيرهم.
مات بمكة مجاوراً بها، سنة: ثلاثمائة.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا الحسين أحمد بن علي يقول: سمعت النهرجوري، يقول: الدنيا بحر، والآخرة ساحل، والمركب التقوي، والناس سفن.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت النهرجوري يقول رأيت رجلاً في الطواف بفردين، يقول أعوذ بك منك.

فقلت: ما هذا الدعاء؟ فقال: نظرت يوماً إلى شخص فاستحسنته، وإذا لطمه وقعت على بصري، فألست عيني، فسمعت هاتفاً يقول: لكمة بنظرة.. ولو زدت لزدناك.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أحمد بن علي يقول: سمعت النهرجوري يقول: أفضل الأحوال ما قارن العلم. ومنهم:؟ أبو الحسن علي بن محمد المزين من أهل بغداد، من أصحاب سهل بن عبد الله، والجديد، والطبقة. مات بمكة مجاوراً سنة: ثمان وعشرين وثلاثمائة. وكان ورعاً كبيراً.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت المزين يقول: الذنب بعد الذنب عقوبة الذنب الأول، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة الأولى.

وسئل المزين عن التوحيد، فقال: أن تعلم أن أوصافه تعالى بائنة لأوصاف خلق، بأيّنهم بصفاته قدماً كما بينوه بصفاتهم حدثاً.

وقال: من لم يستغن بالله أحوجه الله إلى الخلق، ومن استغنى بالله أحوج الله الخلق إليه. ومنهم:

أبو علي بن الكاتب

واسمه الحسن بن أحمد. صحب أبا علي الروذباري، وأبا بكر المصري، وغيرهما. كان كبيراً في حاله.

مات سنة: نيف وأربعين وثلاثمائة.

قال ابن الكاتب: إذا سكن الخوف في القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه.

وقال ابن الكاتب: العزلة تزهوا الله تعالى من حيث العقل فأخطأوا، والصوفية نزّهوه من حيث العلم فأصابوا. ومنهم:

مظفر القرمسيني

من أشياخ الجبل. صحب عبد الله الحرّاز، وغيره.

قال مظفر القرمسيني: الصوم على ثلاثة أوجه: صوم الروح بقصر الأمل، وصوم العقل بخلاف الهوى، وصوم النفس بالإمساك عن الطعام والمحارم.

وقال مظفر: أحسن الإرفاق: أرفاق النسوان، على أيّ وجه كان.

وقال: الجوع إذا ساعدته القشاعة فهو مزرعة الفكرة، وينبوع الحكمة، وحياة الفطنة، ومصباح القلب.

وقال: أفضل أعمال العييد: حفظ أوقاتهم الحاضرة، وهو أن لا يقصروا في أمر، ولا يتجاوزوا عن حدّ.
وقال: من لم يأخذ الأدب عن حكيم لم يتأدّب به مرید.
ومنهم:

أبو بكر الأبهري

أبو بكر عبد الله بن طاهر الأبهري

من أقران الشبليّ. من مشايخ الجبل.
عالم ورع، صحب يوسف بن الحسين، وغيره.
مات بقرب من الثلاثين والثلاثمائة.
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ يقول: سمعت منصور بن عبد الله، يقول: سمعت أبا بكر بن طاهر يقول: من
حُكّم الفقير أن لا يكون له رغبة، فإن كان ولا بد، فلا تجاوز رغبته كفايته يعني المحتاج إليه.
وبهذا الإسناد قال: إذا أحببت أحاً في الله، فاقبل محالطته في الدنيا.
ومنهم:

أبو الحسين بن بنان

ينتمي إلى أبي سعيد الخراز. من كبار مشايخ مصر.
قال ابن بُنان: كل صوفيّ كان همُّ الرزق قائماً في قلبه فلزومُ العمل أقرب إليه.
وعلامة سكون القلب إلى الله: أن يكون بما في يد الله أوثقُ منه بما في يده.
وقال: اجتنبوا دناءة الأخلاق كما تجتنبون الحرام.
ومنهم:

أبو إسحق القرمسيني

أبو إسحق إبراهيم بن شيبان القرمسيني شيخ وقته. وصحب أبا عبد الله المغربيّ، والحوّاص، وغيرهما.
سمعت محمد بن الحسين، يقول: سمعت أبا يزيد المروزيّ الفقيه يقول سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: من أراد أن
يتعطلّ أو يتبطل فليلزم الرُخص.
وبهذا الإسناد قال: علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوجدانية، وصحة العبودية وما كان غير هذا، فهو
المغاليط والزندقة.

وقال إبراهيم: السَّفلة من يعي الله عزَّ وجلَّ.
ومنهم:

أبو بكر بن يزدانيار

أبو بكر الحسين بن علي بن يزدانيار من أرمينية. له طريقة يختص بها في التصوف.
وكان عالماً ورعاً، وكان ينكر على بعض العارفين في إطلاقات وألفاظ لهم.
قال ابن يزدانيار: إِيَّاكَ أن تطمع في الانس بالله وأنت تحب الأُنس بالناس.
وإِيَّاكَ أن تطمع في حبِّ الله وأنت تحب الفضول.
وإِيَّاكَ أن تطمع في المنزلة عند الله وأنت تحب المنزلة عند الناس.
ومنهم:

أبو سعيد بن الأعرابي

واسمه: أحمد بن محمد بن زياد البصريّ.
جاور الحرم، ومات به سنة: إحدى وأربعين وثلاثمائة.
صحب الجنيد، وعمرو بن عثمان المكيّ، والنوري، وغيرهم.
قال ابن الأعرابي: أخسَر الأَخسرين من أبدي للناس صالح أعماله، وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من جبل الوريد.
ومنهم:

أبو عمرو الزجاجي النيسابوري

أبو عمرو محمد بن إبراهيم الزجاجي النيسابوري جاور بمكة سنين كثيرة ومات بها.
صحب الجنيد، وأبا عثمان، والنوريّ، والخوَّاص، ورويماً.
مات سنة: ثمان وأربعين وثلاثمائة.
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت جدِّي أبا عمرو بن نجيد يقول: سئل أبو عمرو
الزجاجي: ما بالك تتغير عند التكبير الأولى في القرائن؟ فقال: لأني أخشى أن أفتيح فريضتي بخلاف الصدق، فمن
يقول: الله أكبر، وفي قلبه شيء أكبر منه، أو قد كبر شيئاً سواه على مرور الأوقات، وفقد كذب نفسه على
لسانه.
وقال: من تكلم عن حالٍ لم يصل إليها كان كلامه فتنة لمن يسمعه، ودعوى تولد في قلبه، وحرمة الله الوصول إلى
تلك الحال.

وقد جاور بمكة سنين كثيرة لم يتطهر في الحرم، بل كان يخرج إلى الحلّ ويتطهر فيه.
ومنهم:

أبو محمد بن نصير

أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير بغدادى المنشأ والمولد.
صحاب الجنيد، وانتمى إليه، وصحب النوري، وروى، وسمون، والطبقة. مات ببغداد سنة: ثمان وأربعين وثلاثمائة.
قال جعفر: لا يجد العبد لذّة المعاملة مع الله مع لذّة النفس، لأن أهل الحقائق قطعوا العلائق التي تقطعهم عن الحق،
قبلاًن تقطعهم العلائق.
سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت جعفرأ يقول: إن ما بين العبد وبين
الوجود أن تسكن التقوى قلبه، فإذا سكنت التقوى قلبه نزلت عليه بركات العلم، وزالت عنه رغبة الدنيا.
ومنهم:

أبو العباس السيارى

واسمه: القاسم بن القاسم.
من مرو صحب الواسطى، وانتمى إليه في علوم هذه الطائفة.
وكان عالماً.
مات سنة: اثنتين وأربعين وثلاثمائة.
سئل أبو العباس السيارى: بماذا يروض المرید نفسه؟ فقال: بالصبر على فعل الأوامر، واجتتاب النواهي، وصحبة
الصالحين، وخدمة الفقراء.
وقال: ما التذّ عاقل بمشاهدة الحق قد، لأن مشاهدة الحق فناء، ليس فيها لذّة.
ومنهم:

أبو بكر الدينورى

أبو بكر محمد بن داود الدينورى المعروف بالدقيّ.
أقام بالشام وعاش أكثر من مائة سنة.
مات بلمشق بعد الخمسين والثلاثمائة.
صحاب ابن الجلاء، والزقاق.
قال أبو بكر الدقيّ.
المعدة موضع يجمع الأطمعة، فإذا طرحت فيها الحلال صدرت الأعضاء بالأعمال الصالحة، وإذا طرحت فيها

الشبهة اشتب عليك الطريق إلى الله تعالى - وإذا طرحت فيها التبعات كان بينك وبين أمر الله حجاب.
ومنهم:

أبو محمد الرازي

أبو محمد عبد الله بن محمد الرازي مولده ومنشؤه بنيسابور.
صحاب أبو عثمان الحيري، والجنيد، ويوسف بن الحسين، ورويماً، وسموناً، وغيرهم.
مات سنة: ثلاث وخمسين وثلاثمائة.
سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت عبد الله الرازي يقول وقد سئل: ما بال الناس يعرفون عيوبهم ولا يرجعون إلى الصواب؟ فقال: لأنهم اشتغلوا بالمباهاة بالعلم، ولم يشتغلوا باستعماله، واشتغلوا بالظواهر ولم يشتغلوا بأداب البواطن، فأعمى الله قلوبهم، وقيد جوارحهم عن العبادات.
ومنهم:

أبو عمرو إسماعيل بن نجيد

صحاب أبا عثمان، ولي الجنيد.
وكان كبير الشأن.
آخر من مات من أصحاب أبي عثمان. توفي بمكة سنة: ست وستين وثلاثمائة.
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت جدي أبا عمرو بن نجيد يقول: كل حال لا يكون عن نتيجة علم؛ فإن ضرره على صاحبه أكثر من نفعه.
قال: وسمعته يقول: من ضيع في وقت من أوقاته فريضة افترضها الله عليه حرم لذة تلك الفريضة، ولو بعد حين.
قال: وسئل عن التصوف، فقال: الصبر تحت الأمر والنهي.
قال، وقال: آفة العبد رضاه من نفسه بما هو فيه.
ومنهم:

أبو الحسن البوشنجي

أبو الحسن علي بن أحمد بن سهل البوشنجي أحد فتيان خراسان.
لقي أبا عثمان، وابن عطاء، والجريري، وأبا عمر والنميشي.
مات سنة: ثمان وأربعين وثلاثمائة.
وسئل البوشنجي عن المروءة فقال: هي ترك استعمال ما هو محرّم مع الكرام الكاتبين.
وقال له إنسان: ادع الله لي.

فقال: أعاذك الله من فنتك.

وقال: أوّل الإيمان منوط بآخره.

ومنهم:

أبو عبد الله الشيرازي

أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي صحب رويماً، والجريري، وابن عطاء، وغيرهم.

مات سنة: إحدى وسبعين وثلاثمائة.

وهو شيخ الشيوخ وواحد وقته.

قال ابن خفيف: الإدارة استدامة الكدِّ؛ وترك الراحة.

وقال: ليس شيء أضر على المرید من مسامحة النفس في ركوب الرحل وقبول التأويلات.

وسئل عن القرب، فقال: قُربك منه بملازمة الموافقات، وقُربه منك بلوام التوفيق.

سمعت أبا عبد الله الصوفي، يقول: سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول: ربّما كنت أقرأ في ابتداء أمری في ركعة واحدة عشرة آلاف مرة قل هو الله أحد وربما كنت أقرأ في ركعة واحدة القرآن كله، وربما كنت أصلي من الغداة إلى العصر ألف ركعة.

سمعت أبا عبد الله بن باكويه الشيرازي، رحمه الله، يقول: سمعت أبا أحمد الصغير يقول: دخل يوماً من الأيام فقير، فقال الشيخ أبي عبد الله ابن خفيف.

بي وسوس!! فقال الشيخ: عهدي بالصوفيّة يسخرون من الشيطان، والآن الشيطان يسخر منهم.

وسمعتة يقول: سمعت أبا العباس الكرخي يقول: سمعت أبا عبد الله ابن خفيف يقول: ضعفت عن القيام في النوافل، فجعلت بدل كل ركعة من أورادي ركعتين قاعداً، للخبر: صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم.

ومنهم:

أبو الحسين الشيرازي

أبو الحسين بندار بن الحسين الشيرازي كان عالماً بالأصول، كبيراً في الحال.

صحاب الشبلي.

مات بأرجان سنة: ثلاث وخمسين وثلاثمائة.

قال بُندار بن الحسين: لا تخاصم لنفسك، فإنها ليست لك، دعها لما لكها يفعل بها ما يريد.

وقال بُندار: صحبة أهل البدع تورث الإعراض عن الحق.

وقال بُندار: اترك ما تموى لما تأمل.

ومنهم:

أبو بكر الطمستاني

صحب إبراهيم الدِّبَاغ، وغيره.
وكان أُوحد وقتَه علماً، وحالاً ماتَ بنيسابور بعد سنة: أربعين وثلاثمائة قال أبو بكر الطَّمَّستاني: النعمة العظمة
الخروج من النفس، والنفس أعظم حجاب بينك وبين الله سمعتَ أبا عبد الله الشيرازي، رحمه الله، يقول: سمعت
منصور ابن عبد الله الأصبهاني، يقول: سمعتَ أبا بكر الطَّمَّستاني يقول:

إذا همَّ القلب عوقب في الوقت.
وقال: " الطريق واضح، والكتاب والسنة قائم بين أظهرنا وفضل الصحابة معلوم؛ لسبقهم إلى الهجرة، ولصحتهم؛
فمن صحب منا الكتاب والسنة وتغرَّب عن نفسه والخلق، وهاجر بقلبه إلى الله، فهو الصادق المصيب ".
ومنهم:

أبو العباس الدينوري

أبو العباس أحمد بن محمد الدينوري صحب يوسف بن الحسين، وابن عطاء، والجريري.
وكان عالماً فاضلاً؛ ورد نيسابور وأقام بها مدّة، وكان يعظ الناس، ويتكلم على لسان المعرفة، ثم ذهب إلى
سمرقند، ومات بها بعد الأربعين وثلاثمائة.
قال أبو العباس الدينوري: أدنى الذكر أن تنسى مادونه، ونهاية الذكر أن يغيب الذاكر في الذكر عن الذكر.
وقال أبو العباس: لسان الظاهر لا يغيّر حكم الباطن.
وقال أبو العباس الدينوري: أدنى الذكر أن تنسى ما دونه، ونهاية الذكر أن يغيب الذاكر في الذكر عن الذكر.
وقال أبو العباس: لسان الظاهر لا يغيّر حكم الباطن.
وقال أبو العباس الدينوري: تقصوا أركان التصوف، وهدموا سبيلها، وغيروا معانيها بأسمي أحدثوها: سئو الطمع
زيادة، وسوء الأدب إخلاصاً والخروج عن الحق شطحاً والتلذذ بالمذموم طيبة، واتباع الهوي ابتلاء والرجوع إلى
الدنيا وصلاً، وسوء الخلق صولة، والبخل جلادة والسؤال عملاً وبذاءة اللسان ملامة. وما هذا كان طريق القوم.
ومنهم:

أبو عثمان المغربي

أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي واحد عصره، لم يوصف مثله قبله.
صحب ابن الكاتب، وحبياً المغربي، وأبا عمرو الزجاجي، ولقي النهرجوري وابن الصائغ وغيرهم.
مات بنيسابور سنة: ثلاث وسبعين وثلاثمائة.
وأوصى بأن يُصلى عليه الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله تعالى.
سمعت الأستاذ أبو بكر بن فورك يقول: كنت عند أبي عثمان المغربي حين قرب أجله، وعلّي القوال الصغير يقول
شيئاً، فلما تغير عليه الحال أشرنا على عليّ بالسكوت، ففتح الشيخ أبو عثمان عينيه، وقال: لم لا يقول عليّ شيئاً؟

فقلت لبعض الحاضرين: سلوه، علام يسمع المستمع، فإني أحششه في تلك الحالة فسألوه، فقال: إنما يسمع من حيث يسمع.

وكان في الرياضة كبير الشأن.

وقال أبو عثمان: التقوى، هي: الوقوف مع الحدود، لا يقصر فيها ولا يتعدّها.

وقال: من آثر صحبة الأغنياء على مجالسة الفقراء ابتلاه الله بموت القلب.

ومنهم:

أبو القاسم النصراباذي

أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصراباذي شيخ خراسان في وقته.

صحاب الشبليّ، وأبا علي الروذباري، والمرتعش.

جاور بمكة سنة: ست وستين وثلاثمائة. ومات بها سنة تسع وستين وثلاثمائة.

وكان عالماً بالحديث، كثير الرواية.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت النصراباذي يقول: إذا بدا لك شيء من بوادي الحق،

فلا نلتفت معها إلى جنّة، ولا إلى نار، فإذا رجعت عن تلك الحال فعظّم ما عظمه الله.

وسمعت محمد بن الحسين يقول: قيل للنصراباذي: إن بعض الناس يجالس النسوان، ويقول: أنا معصوم في رؤيتهن.

فقال: ما دامت الأشباح باقية فإن الأمر والهي باق، والتحليل والتحريم محاطب به؛ ولن يجترىء على الشبهات إلا

من تعرض للمحرمات.

وسمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: قال النصراباذي: أصل التصوف: ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء

والبدع وتعظيم حرمت المشايخ، ورؤية أعذار الخلق، والمداومة على الأوراد، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات.

ومنهم:

أبو الحسن الحصري البقري

أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصري البقري سكن بغداد.

عجيب الحال واللسان، شيخ وقته.

ينتمي إلى الشبليّ.

مات ببغداد سنة: إحدى وسبعين وثلاثمائة.

قال الحصري: الناس يقولون: الحصري لا يقول بالنوافل، وعلى أوراد من حال الشباب لو تركت ركعة لعوقبت.

وقال: من ادّعى في شيء من الحقيقة كذبته شواهد كشف البراهين.

ومنهم:

أبو عبد الله الروذباري

أبو عبد الله بن أحمد بن عطاء الروذباري ابن أخت الشيخ أبي علي الروذباري.

شيخ الشم في وقته مات بصور سنة: تسع وستين وثلاثمائة.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت علي بن سعيد المصيبي، يقول: سمعت أحمد بن عطاء الروذباري يقول:

كنت راكباً جهلاً، فغاصت رجلاً الجمل في الرمل، فقلت: جل الله، فقال الجمل: جل الله. وكان أبو عبد الله الروذباري إذا دعا أصحابه معه إلى دعوة في دور السوق، ومن ليس من أهل التصوف لا يُخبر الفقراء بذلك، وكان يطعمهم شيئاً، فإذا فرغوا أخبرهم، ومضى بهم فكانوا قد أكلوا في الوقت فلا يمكنهم أن يمدوا أيديهم إلى طعام الدعوة إلا بالتعزز.

وإنما كان يفعل ذلك، لئلا تسوء ظنون الناس بهذه الطائفة فيأثروا بسببهم.

وقيل: كان أبو عبد الله الروذباري يمشي على أثر الفقراء يوماً، وكذا كانت عادته أن يمشي على أثرهم، وكانوا يمضون إلى دعوة فقال إنسان بقال: هؤلاء المستحلون وبسط لسانه فيهم، وقال في اثناء كلامه: إن واحداً منهم قد استقرض مني مائة درهم. ولم يردها عليّ ولست أدري أين أطلبه؟ فلما دخلوا دار الدعوة، قال أبو عبد الله الروذباري لصاحب الدار وكان من محبي هذه الطائفة.

إثنتي مائة درهم إن أردت سكون قلبي.

فأتاه بها في الوقت فقال لبعض أصحابه: أحمل هذه المائة إلى البقال القلاني، وقل له: هذه المائة التي استقرضها منك بعض أصحابنا، وقد وقع له في التأخير بما عذر، وقد بعثنا الآن.. فأقبل عنده!! فمضى الرجل، وفعل، فلما رجعوا من الدعوة اجتازوا بجانوت البقال، فأخذ البقال في مدحهم يقول: هؤلاء هم القفاة الأمناء الصلحاء، وما أشبه ذلك.

وقال أبو عبد الله الروذباري: أقبح من كل قبيح صوت في شحيح.

قال أبو القاسم الأستاذ الإمام جمال الإسلام، رضي الله عنه هذا هو ذكر جماعة من شيوخ هذه الطائفة.

وكان الغرض من ذكرهم في هذا الموضوع التنبيه على أنهم مجمعون على تعظيم الشريعة؛ متصفون بسلوك طرق الرياضة، مقيمون على متابعة السنة، غير مخلين بشيء من آداب الديانة، متفقون على أن من خلا من المعاملات والمجاهدات ولم يبن أمره على أساس الورع والتقوى كان مفترياً على الله سبحانه وتعالى، فيما يدعيه، متفوناً، هلك في نفسه، وأهلك من أغتر به ممن ركن إلى أباطيله.

ولو تقصينا، وتتبعنا ما ورد عنهم: من ألفاظهم، وحكاياتهم، ووصف سيرهم مما يدل على أحوالهم، لطلال به التاب، وحصل منه الملال: وفي هذا القدر الذي لو حنا به في تحصيل المقصود غنية، وباللّهُ التوفيق.

فأما المشايخ الذين أدر كناهم، وعاصرناهم، وإن لم يتفق لنا لقياهم، مثل: الاستاذ الشهيد، لسان وقته، وأوحد عصره، أبي عليّ الحسن بن علي الدقاق، والشيخ، نسيح وحده في وقته، أبي عبد الرحمن السلمي، وابي الحسن علي بن جهضم مجاور الحرم والشيخ أبي العباس القصار بطبرستان. وأحمد الأسود بالديور؛ وابي القاسم الصيرفي بنيسابور، وابي سهل الخشاب الكبير بما. ومنصور بن خلف المغربي، وأبي سعيد الماليني، وأبي طاهر الخوزندي، قدس الله أرواحهم، وغيرهم، فلو اشتغلنا بذكرهم، وتفصيل أحوالهم، لخرجنا عن المقصود في الإيجاز وغير ملتبس من أحوالهم حسن سيرتهم في معاملاتهم.

وسنورد من حكاياتهم طرفاً في مواضع من هذه الرسالة إن شاء الله تعالى.

تفسير ألفاظ تلور بين هذه الطائفة

وبيان ما يشكل منها أعلم أنّ من المعلوم: أن كلّ طائفة من العلماء لهم ألفاظ يستعملونها - فيما بينهم - انفراداً بما عمن سواهم، تواطوا عليها؛ لأغراض لهم فيها: من تقريب الفهم على المخاطبين بها، أو تسهيل على أهل تلك الصنعة في الوقوف على معانيهم، بإطلاقها. وهذا الطائفة يستعملون ألفاظاً فيما بينهم، قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم، والإجمال والستر على من باينهم في طريقهم؛ لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب، غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها، إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلف، واستخلص لحقائقها اسرار قوم.

ونحن نريد بشرح هذه الألفاظ: تسهيل الفهم على من يريد الوقوف على معانيهم من سالكي طرقهم، ومتبعي سننهم.

فمن ذلك:

الوقت

حقيقة الوقت عند أهل التحقيق: حادث متوهّم علق حصوله على حادث متحقق فالحدث المحقق، وقت للحدث المتوهم، تقول: آتيتك رأس الشهر، فالإتيان متوهم، ورأس الشهر حادث متحقق. فرأس الشهر وقت الإتيان. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول:

الوقت: ما أنت فيه، إن كنت بالدنيا فوقتك الدنيا، وإن كنت بالعقبى فوقتك العقبى وإن كنت بالسُرور فوقتك السرور وإن كنت بالحزن فوقتك الحزن.

يريد بهذا: أن الوقت ما كان هو الغالب على الإنسان.

وقد يعنون بالوقت: ما هو فيه من الزمان، فإن قوماً قالوا: الوقت ما بين الزمانين، يعني الماضي والمستقبل. ويقولون: الصوفي ابن وقته، يريدون بذلك: أنه مشغول بما هو أولى به من العبادات في الحال، قائم بما هو مطلوب به في الحين.

وقيل: الفقير لا يهمله ماضي وقته وآتية، بل يهمله وقته الذي هو فيه.

ولهذا قيل: الاشتغال بفوات وقت ماض. تصحيح وقت ثان.

وقد يريدون بالوقت: ما يصادفهم من تصريف الحقّ لهم، دون ما يختارونه لأنفسهم.

ويقولون: فلان بحكم الوقت. أي: أنه مستسلم لما يبدو له من الغيب من غير اختيار له.

وهذا فيما ليس لله تعالى عليهم فيه أمر أو اقتضاء بحق شرع، إذ التصحيح لما أمرت به: وإحالة الأمر فيه على التقدير

وتركُ المبالاة بما يحصل منك من التقصير: خروج عن الدين.
ومن كلامهم: الوقت سيف. أي: كما أن السيف قاطع فالوقت بما يمضيه الحق ويجريه غالب.
وقيل: السيف لين مسه، قاطع حده، فمن لا يئنه سلم، ومن خاشنه اصطلم. كذلك الوقت: من استسلم لحكمه نجأ،
ومن عارضه انتكس وتردي.
وأنشئوا في ذلك:
وكالسيف إن لا يئنه لان مسه ... وحدّاه إن خاشنته خشنان
ومن ساعده الوقت: فالوقت له وقت.
ومن ناكده الوقت: فالوقت عليه مقت.
وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: الوقت مبرد يستحقك ولا يحقك.
يعني: لو محاك وأفناك لتخلصت حين فنييت. لكنه يأخذ منك ولا يمحوك بالكلية – وكان ينشد في هذا المعنى: كل
يوم يمر يأخذ بعصي يورث القلب حسرة ثم يمضي وكان ينشد أيضاً:
كأهل النار إن نضجت جلود ... يورث القلب حسرة ثم يمض
وكان ينشد أيضاً:
كأهل النار إن نضجت جلود ... أعيدت للشقاء لهم جلود
وفي معناه:
ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميّت ميت الأحياء
والكيّس: من كان بحكم وقته؛ إن كان وقته الصحو فقيامه بالشريعة، ون كان وقته الخو، فالغالب عليه أحكام
الحقيقة.
ومن ذلك:

المقام

والمقام: ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب؛ ممام يتوصّل إليه بنوع تصرّف، ويتحقق به بضرب تطلب، ومقاساة
تكلف.
فمقام كل أحد: موضع إقامته عند ذلك، وما هو مشغول بالرياضة له.
وشرطه: أن لا يرتقي من مقام إلى مقام آخر، ما لم يستوف أحكام ذلك المقام، فإن من لا قناعة له لا تصح له
التوكل ومن لا توكل له لا يصح له التسليم، وكذلك من لا توبة له لا تصح له الإنابة، ومن لا ورع له لا يصح له
الزهد.

والمقام: هو الإقامة، كالدخل بمعنى الإدخال، والمخرج بمعنى الإخراج.
ولا يصح لأحد منزلة مقام إلا بشهود إقامة الله تعالى إياه بذلك المقام، ليصحّ بناء أمره على قاعدة صحيحة.
سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق، رحمه الله تعالى، يقول: لما دخل الواسطي نيسابور، سأل أصحاب أبي عثمان: بماذا
كان يأمركم شيخكم؟ فقالوا: كان يأمرنا بالتزام الطاعات، ورؤية التقصير فيها.
فقال: أمركم بالجو سيئة الخضة، هلا أمركم بالعبيبة عنها، برؤية منشئها ومجريها؟ وإنما أراد الواسطي بهذا: صيانتهم

عن محل الإعجاب.

لا تعريجاً في أوطان القصير، أو تجويزاً للإخلال بأدب من الآداب.
ومن ذلك:

الحال

والحال عند القوم: معنى يرد على القلب، من غير تعمد منهم، ولا اجتلاب، ولا اكتساب لهم، من: طرب، أو حزن، أو بسط، أو قبض، أو شوق، أو انزعاج أو هبة، أو احتياج.
فالأحوال: مواهب، والمقامات. مكاسب.

والأحوال تأتي من عين الجواد، والمقامات تحصل ببذل الجهود.
وصاحب المقام ممكن في مقامه، وصاحب الحال مُترق عن حاله.
وسئل ذو النون المصري، عن العارف، فقال: كان ها هنا، فذهب.
وقال بعض المشايخ: الأحوال كالبروق: فإن بقي فحديث نفس.
وقالوا: الأحوال كأسمها، يعني أنها: كما تحلُّ بالقلب نزول في الوقت.
وأنشوا:

لو لم تحلُّ ما سميت حالاً ... وكل ما حال فقد زال
انظر إلى القيء إذا ما انتهى ... يأخذ في النقص إذا طالا

وأشار قوم إلى بقاء الأحوال، ودوامها. وقالوا: إنها إذا لم تدم ولم تتوال فهي لوائح وبواده، ولم يصل صاحبها بعد إلى الأحوال فإذا دامت تلك الصفة فعند ذلك تسمى: حالاً.
وهذا أبو عثمان الحيري يقول: منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته.
أشار إلى دوام الرضا، والرضا من جملة الأحوال.

فالواجب في هذا: أن يقال: إن من أشار إلى بقاء الأحوال فصحيح ما قال، فقد يصير المعنى شرباً لأحد فيرَّبِّي فيه.
ولك لصاحب هذه الحال أحوال: هي طوارق لا تدوم فوق أحواله التي صارت شرباً له؛ فإذا دامت هذه الطوارق له، كما دامت الأحوال المتقدمة، ارتقى إلى أحوال آخر، فوق هذه وألطف من هذه، فأبداً يكون في الترقى.
سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق، رحمه الله، يقول في معنى قول صلى الله عليه وسلم: إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله تعالى في اليوم سبعين مرة: أنه كان صلى الله عليه وسلم أبداً في الترقى من أحواله فإذا ارتقى من حالة إلى حالة أعلى مما كان فيها، فرمما حصل له ملاحظة إلى ما ارتقى عنها، فكان يعلُّها غيناً بالإضافة إلى ما حصل فيها، فأبداً كانت أحواله في التزايد.

ومقدورات الحق سبحانه، من الآلطف: لا نهاية لها؛ فإذا كان حق الحق تعالى، العز، وكان الوصول إليه بالتحقيق محالاً، فالعبد أبداً في ارتقاء أحواله.

فلا معنى يوصل إليه، إلا وفي مقلوره سبحانه ما هو فوقه، يقدر أن يوصله إليه. وعلى هذا يحمل قولهم: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

وستل الجيد عن هذا، فأنشده:
طوارق أنوار تلوح إذا بدت ... فتظهر كتماناً وتخبر عن جمع
ومن ذلك:

القبض والبسط

وهما: حالتان، بعد ترقّي العبد عز حالة الخوف والرجاء.
فالقبض للعارف: بمنزلة الخوف للمستأنف.
والبسط للعارف: بمنزلة الرجاء للمستأنف.
ومن الفصل بين القبض والخوف، والبسط والرجاء: أن الخوف ما يكون من شيء في المستقبل، إما أن يخاف فوقت
محبوب أو هجوم محذور.

وكذلك الرجاء: إنما يكون بتأميل محبوب في المستقبل، أو بتطلع زوال محذور وكفاية مكروه في المستأنف.
وأما القبض: فلمعنى حاصل في الوقت، وكذلك البسط، فصاحب الخوف والرجاء: تعلق قلبه في حالتيه بآجله.
وصاحب القبض والبسط أخذ وقته بوارد غلب عليه في عاجله.
ثم تتفاوت نوعهم في القبض والبسط على حسب تفاوتهم في أحوالهم: فمن وارد يوجب قبضاً، ولكن يبقى مساع
للأشياء الأخر، لأنه غير مستوف ومن مقبوض لا مساع لغير وارده فيه، لأنه مأخوذ عنه بالكلية بوارده.
كما قال بعضهم: أنا ردم، أي: لا مساع في.
وكذلك المبسوط: قد يكون فيه بسط يسع الخلق، فلا يستوحش من أكثر الأشياء، ويكون مبسوطاً لا يؤثر فيه
شيء بحال من الأحوال.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق، رحمه الله، يقول: دخل بعضهم على أبي بكر القحطي؛ وكان له ابن يتعاطى ما
يتعاطاه الشباب، وكان ممر هذا الداخل على هذا الابن، فإذا هو مع أقرانه في اشتغاله ببطالته.
ففرق قلبه، وتأم للقحطي، وقال: مسكين هذ الشيخ، كيف ابتلي بمقاساة هذا الابن؟ فلما دخل على القحطي،
وجده كأنه لا خبر له بما يجري عليه من الملاهي، فعجّب منه، وقال فديت، من لا تؤثر فيه الجبال الرواسي.
فقال القحطي: إنا قد حررنا عن رق الأشياء في الأزل.
ومن أدنى موجبات القبض: أن يرد على قلبه وارد موجب إشارى إلى عتاب ورمز باستحقاق تأديب، فيحصل في
القلب لا محالة، قبض.

وقد يكون موجب بعض الواردات إشارة إلى تقريب، أو إقبال بنوع لطف وترحيب، فيحصل للقلب بسط.
وفي الجملة: قبض كل أهد حسب بسطه، وبسطه على حسب قبضه.
وقد يكون قبض يشكل على صاحبه سببه: يجد في قلبه قبضاً لا يدري موجب ولا سببه، فسييل صاحب هذا القبض
التسليم، حتى يمضي ذلك الوقت، لأنه لو تكلف نفيه، أو استقبال الوقت قبل هجومه عليه باختياره زاد في قبضه.
ولعله يعد ذلك منه: سوء أدب.

وإذا استسلم لحكم الوقت، فمن قريب يزول القبض، فإن الحق سبحانه قال: والله يقبض ويبسط.
وقد يكون بسط يرد بغتة، ويصادف صاحبه فلتة لا يعرف له سبباً، يهز صاحبه ويستفزه، فسييل صاحبه السكون،

ومراعاة الأدب، فإن في هذا الوقت له خطراً عظيماً فليحذر صاحبه مكرّاً خفياً.
كذا قال بعضهم: فتح عليّ باب من البسط، فزلت زلة فحجبت عن مقامي.

ولهذا قالوا: قف على البساط، وإياك والانبساط.

وقد عدّ أهل التحقيق حالي القبض والبسط: من جملة ما استعاذوا منه، لأنهما بالإضافة إلى ما فوقهما من استهلاك العبد واندرجه في الحقيقة: فقر وضر.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت الحسين بن يحيى يقول: سمعت جعفر بن محمد يقول: سمعت الجنيد يقول: الخوف من الله يقبضني، والرجاء منه: يبسطني. والحقيقة: تجمعني، والحق: يفرقني، إذا قبضني بالخوف أفناني عني، وإذا بسطني بالرجاء رديني علي وإذا جمعتي بالحقيقة أحضرتني وإذا فرقتني بالحق أشهدني غيري، فغطاني عنه، فهو تعالى في ذلك كله محركي غير ممسكي، وموحشي غير مؤنسي، فأنا بحضوري أذوق طعم وجودي، فليته أفناني عني فمتعني، أو غيبني عني فروحني.
ومن ذلك:

الهيبة والأنس

وهما: فوق القبض والبسط.

فكما أن القبض: فوق رتبة الخوف.

والبسط: فوق منزلة الرجاء.

فالهيبة: أعلى من القبض والأنس أتم من البسط، وحق الهيبة الغيبة، فكل هائب غائب.

ثم الهائون: يتفاوتون في الهيبة على حسب تباينهم في الغيبة فمنهم.. ومنهم وحق الأنس: صحو بحق، فكل مستأنس: صاح ثم يتباينون حسب تباينهم في الشرب.

ولهذا قالوا: أدنى محل الأنس: أنه لو طرح في لظى لم يتكدر عليه أنسه قال الجنيد، رحمه الله: كنت أسمع السريّ يقول: يبلغ العبد إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر.

وكان في قلبي منه شيء، حتى بان لي أن الأمر كذلك.

وحكي أبي عن مقاتل العكي أنه قال: دخلت على الشيلي؛ وهو ينتف الشعر من حاجبه بمنقاش، فقلت: يا سيدي، أنت تفعل هذا بنفسك! ويعود ألمه إلى قلبي!!! فقال: وبلك، الحقيقة ظاهرة لي ولست أطيعها: فهوذا، فأنا أدخل الألم على نفسي؛ لعلي أحس به، فيستتر عني، فلست أجد الألم، وليس يستتر عني، وليس لي به طاقة: وحال الهيبة والأنس، وإن جلتا، فأهل الحقيقة يعدونهما: قصاً لتضمنهما تغير العبد فإن أهل التمكين سمّت أحوالهم عن التغير. وهم محوفي وجود العين، فلاهيبة لهم ولا أنس، ولا علم ولا حس.

والحكاية معروفة عن أبي سعيد الخزاز، أنه قال: همت في البداية مرة، فكنت أقول:

أتيه فلا أدري من التيه من أنا... سوى ما يقول الناس في وفي جنسي

أتيه على جن البلاد وإنسها... فن لم أجد شخصاً أتيه على نفسي

قال فسمعت هاتفاً يهتف بي، ويقول:

فلو كنت من أهل الوجود حقيقة ... لغبت عن الأكران والعرش والكرسي
وإنما يرتقي العبد عن هذه الحالة بالوجود.
ومن ذلك:

التواجد والوجد والوجود

فالتواجد: استدعاء الوجد بضرب اختيار، وليس لصاحبه كمال الوجد؛ إذ لو كان لكان واجداً، وباب الفاعل
أكثره على إظهار الصفة، وليست كذلك.
قال الشاعر:

إذا تخازرت، وما بين من خزر ... ثم كسرت العين من غير ما عور
فقوم قالوا: التواجد غير مسلم لصاحبه، لما يتضمن من التكلف ويعد عن التحقيق.
وقوم قالوا: إنه مسلم للفقراء المجردين، الذين ترصدوا لوجدان هذه المعاني، وأصلهم. خبر الرسول صلى الله عليه
وسلم: أبكوا، فإن لم تبكوا، فتبكوا، والحكاية المعروفة لأبي محمد الجريري، رحمه الله، أنه قال: كنت عند الجنيد،
وهناك ابن مسروق وغيره، وثم قوال، فقام ابن مسروق وغيره.. والجنيد ساكن، فقلت: يا سيدي، مالك في
السماع شيء؟! قال الجنيد: وترى الجبال تحسبها جامدة، وهي تمر مر السحاب ثم قال: وأنت يا أبا محمد، مالك في
السماع شيء؟ فقلت: يا سيدي، أنا إذا حضرت موضعاً فيه سماع وهناك مُحشَّم أمسكت على نفسي وجدي،
فإذا خلوت أرسلت وجدي، فتواجدت.

فأطلق في هذه الحكاية التواجد، ولم ينكر عليه الجنيد.
سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: لما راعي أبو محمد، أدب الأكراب في حال السماع، حفظ الله عليه
وقته، ببركات الأدب، حتى يقول: أمسكت على نفسي وجدي فإذا خلوت أرسلت وجدي فتواجد؛ لأنه لا يمكن
إرسال الوجد، إذا شئت، بعد ذهاب الوقت وغلباته.

ولكنه لما كان صادقاً في مراعاة حرمة الشيوخ، حفظ الله تعالى عليه وقته، حتى أرسل وجده عند الخلوة.

فالتواجد: ابتداء الوجد على الوصف الذي جرى ذكره، وبعد هذا.
والوجد: ما يصادف قلبك، ويرد عليك بلا تعمد وتكلف.

ولهذا قال المشايخ: الوجد: المصادفة والمواجيد: ثمرات الأورد.

فكل من ازدادت وظائفه ازدادت من الله لطائفه.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: الواردات: من حيث الأوراد: فمن لا ورد له بظاهره لا ورد له في
سرائره، وكل وجد فيه من صاحبه شيء، فليس يوجد.

وكما أن ما يتكلفه العبد من معاملات ظاهرة يوجب له حلاوة الطاعات، فما ينال له العبد من أحكام باطنه يوجب
له المواجيد.

فالحلاوات ثمرات المعاملات والمواجيد: نتائج المنازلات.

أما الوجود: فهو بعد الارتقاء عن الوجد.

ولا يكون وجود الحق، إلا بعد خور البشرية، لأنه لا يكون للبشرية بقاء عند ظهور سلطان الحقيقة. وهذا معنى قول أبي الحسين النوري: أنا منذ عشرين سنة بين الوجد والفقْد: أي: إذا وجدت ربي فقدت قلبي، وإذا وجدت قلبي فقدت ربي.

وهذا معنى قول الجنيد: علم التوحيد: مابين لوجوده، ووجوده مابين لعلمه. وفي هذا المعنى أنشئوا:

وجودي أن أغيب عن الوجود ... بما يبدو عليّ من الشهود
فالتواجد: بداية. والوجود: نهاية والوجد واسطة بين البداية والنهاية.
سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: التواجد يوجب استغراق العبد.
والوجود يوجب استهلاك العبد.

فهو كمن شهد البحر، ثم ركب البحر، ثم غرق في البحر.
وترتيب هذا الأمر: قصود، ثم ورود، ثم شهود، ثم جمود، ثم خمود.
وبمقدار الوجود يحصل الخمود، وصاحب الوجود له: صحو، ومحو.
فحال صحو: بقاؤه بالحق، وحال محوه، فناؤه بالحق.
وهاتان الحالتان أبداً متعاقبتان عليه: فإذا غلب عليه الصّحو بالحق، فيه وصول، وبه يقول.
قال عليه السلام، فيما أخبر عن الحق: في يسمع، وي يصر.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: وقف رجل على حلقة الشبلي، فسأله: هل تظهر آثار صحة الوجود على الواجدين؟؟ فقال: نعم: نور يزهر مقارناً لنيران الاشتياق، فتلوح على الهياكل آثارها كما قال ابن المعتز:

وأطر الكأس ماء من أبارقها ... فأنتب الدر في أرض من الذهب
وسبح القوم لما أن رأوا عجباً ... نوراً من الماء في نار من العنب
سلاقة ورثتها عاد عن إرم ... كانت ذخيرة كسرى عن أب فأب
وقيل لأبي بكر الدقيّ: إن جهماً اللقيّ أخذ شجرة بيده في حال السماع في ثورانه، فقلعها من أصلها: فاجتمعاً في دعوة، وكان الدقي كفاً بصره، فقام الدقي يدور في حال هيجانه فقال اللقي: إذا قرب مني أرونيه.
وكان اللقي ضعيفاً، فمر به، فلما قرب منه، قالوا له: هذا هو.
فأخذ الدقي ساق جهم فوقفه، فلم يمكنه أن يتحرك.

فقال جهم: أيها، الشيخ، التوبة.. التوبة!! فخلاه: قال الأستاذ الإمام، أدام الله جماله: فكان ثوران جهم في حق، وإمساك الدقي بساقه بحق، ولما علم جهم أن حال الدقي فوق حاله رجع إلى الإنصاف واستسلم وكذا من كان بحق لا يستعطي عليه شيء. فأما إذا كان الغالب عليه الخو فلا علم، ولا عقل، ولا فهم؛ ولا حس.
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ، رحمه الله، يذكر بإسناده أن أبا عقال المغربي: أقام بمكة أربع سنين لم يأكل، ولم يشرب، إلى أن مات.

ودخل بعض الفقهاء على أبي عقال، فقال له: سلام عليكم.
فقال له أبو عقال: وعليكم السلام فقال الرجل: أنا فلان فقال أبو عقال: أنت فلان، كيف أنت؟ وكيف حالك؟: وغاب عن حالته.

وقال هذا الرجل، فقلت له: سلام عليكم.

فقال: عليكم السلام وكأنه لم يرني قط.

ففعلت مثل هذا غير مرة، فعلمت أن الرجل غائب، فتركته، وخرجت من عنده.

سمعت محمد بن الحسين، يقول: سمعت عمر بن محمد بن أحمد يقول: سمعت امرأة أبي عبد الله التروغندي تقول: لما كانت أيام الجماعة، والناس يموتون من الجوع، دخل أبو عبد الله التروغندي بيته، فرأى في بيته مقدار منوين حنطة، فقال: الناس يموتون من الجوع، وفي بيتي حنطة!! فحولط في عقله، فما كان يفيق إلا في أوقات الصلاة يصلي الفريضة ثم يعود إلى حالته، فلم يزل كذلك إلى أن مات.

دلّت هذه الحكاية على أن هذا الرجل كان محفوظاً عليه آداب الشريعة عند غلبات أحكام الحقيقة وهذا هو صفة أهل الحقيقة، ثم كان سبب غيبته عن تمييزه: شفقتة على المسلمين وهذا أقوى سمة لتحقيقه في حاله.

ومن ذلك:

الجمع والفرق

لفظ الجمع والنفرة يجري في كلامهم كثيراً.

وكان الأستاذ أبو علي الدقاق يقول: الفرق: ما نسب إليك.

والجمع: ما سلب عنك.

ومعناه: أن ما يكون كسباً للعبد، من إقامة العبودية، وما يليق بأحوال البشرية، فهو: فرق.

وما يكون من قبل الحق، من إبداء معان، وإسداء لطف وإحسان فهو: جمع هذا أدنى أحوالهم في الجمع والفرق، لأنه

من شهود الأفعال. فمن أشهده الحق - سبحانه - أفعاله عن طاعته ومخالفاته فهو: عبد بوصف النفرة، ومن

أشهده الحق - سبحانه - ما يوليه: من أفعال نفسه سبحانه، فهو: عبد بشاهد الجمع.

فإثبات الخلق من باب النفرة، وإثبات الحق من نعت الجمع.

ولا بد للعبد من الجمع والفرق، فإن من لا تفرته له لا عبودية له، ومن لا جمع له لا معرفة له، فقوله: إياك نعبد

إشارة إلى الفرق. وقوله: وإياك نستعين إشارة إلى الجمع.

وإذا ما خاطب العبد الحق سبحانه، بلسان نجواه: إما سائلاً، أو داعياً، أو مثنياً، أو شاكراً، أو متنبلاً، أو مبتهلاً؛

قام في محل النفرة.

وإذا أصغى بسرّه إلى ما يناجيه به مولاه، واستمع بقلبه ما يخاطبه به، فيما ناداه، أو ناجاه، أو عرفه، أو لوح لقلبه

وأراده، فو بشاهد الجمع.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: أنشد قوال بين يدي الأستاذ أبي سهل الصعلوكي، رحمه الله:

جعلت تنزهي نظري إليك.

وكان أبو القاسم النصرابادي، رحمه الله، حاضراً، فقال الأستاذ أبو سهل: جعلت، بنصب التاء. وقال النصرابادي:

بل جعلت بضم التاء: فقال الأستاذ أبو سهل: أليس عين الجمع أتم؟ فسكت النصرابادي.

وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي أيضاً يحكي هذه الحكاية على هذا الوجه.

ومعنى: هذا أن من قال جعلت بضم التاء يكون إخباراً عن حال نفسه، فكأن العبد يقول هذا من عنده. وإذا قال جعلت بالفتح فكأنه يتبرأ من أن يكون ذلك يتكلفه، بل يخاطب مولاه فيقول: أنت الذي خصصتني بهذا، لا أنا بتكلفي.

فالأول على خطر الدعوى، والثاني بوصف التبري من الحول، والاقرار بالفضل والطول: والفرق بين من يقول بجهدي أعبدك. وبين من يقول: بفضلك ولطفك أشهدك.

ومن ذلك: جمع الجمع وجمع الجمع: فوق هذا.

يختلف الناس في هذه الجملة على حسب تباين أحوالهم، وتفوت درجاتهم: فمن أثبت نفسه، وأثبت الخلق، ولكن شاهد الكل قائماً بالحق، فهذا هو: جمع.

وإذا كان محتطاً عن شهود الخلق، مصطلياً عن نفسه، مأخوذاً بالكلية عن الإحساس بكل غير، بما ظهر، واستولى من سلطان الحقيقة، فذاك جمع الجمع.

فالتفرقة: شهود الأعيان لله عز وجل.

والجمع: شهود الأعيان بالله.

وجمع الجمع: الاستهلاك بالكلية، وفناء الإحساس بما سوي الله عز وجل عند غلبات الحقيقة.

وبعد هذا حالة عزيزة يسميها القوم: الفرق الثاني وهو أن يرد للعبد إلى الصحو عند أوقت أداء الفرائض، ليجري عليه القيام بالفرائض في أوقاتها، فيكون رجوعاً لله بالله تعالى لا للعبد بالعبد: فالعبد يطالع نفسه، في هذه الحالة، في تصريف الحق سبحانه، يشهد مبدئ ذاته وعينه بقدرته، ومجري أفعاله وأحواله عليه، بعلمه ومشيتته.

وأشار بعضهم بلفظ الجمع والفرق إلى تصريف الحق جميع الخلق.

فجمع الكل في التقليل والتصريف: من حيث إنه منشىء ذواتهم ومجري صفاقتهم، ثم فرقهم في التنويع: ففريقاً أسعدهم، وفريقاً أبعدهم وأشقاهم، وفريقاً هداهم، وفريقاً أضلهم وأعماهم، وفريقاً حججهم عنه، وفريقاً جلبهم إليه، وفريقاً أنسهم بوصله، وفريقاً آيسهم من رحمته. وفريقاً أكرمهم بتوفيقه، وفريقاً اصطلمهم عند رومهم لتحقيقه، وفريقاً أصحابهم، وفريقاً محاهم وفريقاً قربهم. وفريقاً غيبهم وفريقاً أدناهم وأحضرهم، ثم أسقاهم فأسكرهم. وفريقاً أشقاهم وأخرهم ثم أقصاهم وهجرهم.

وأواع أفعاله لا يحيط بها حصر، ولا يأتي على تفيلها شرح ولا ذكر وأنشأوا للجديد، رحمه الله؛ في معنى الجمع والتفرقة:

وتحقتك في سري فجاجك لساني

فاجتمعنا لمعاني وافترقنا لمعاني

إن يكن غيبك التعظيم عن لحظ عياني

فقد صيرك الوجد من الأحشاء داني

وأنشأوا:

إذا ما بدا لي تعاضمتي ... فأصدر في حال من لم يرد

جمعت وفرقت عني به ... ففرد التواصل مثني العدد

ومن ذلك:

الفناء والبقاء

أشار القوم بالفناء: إلى سقوط الأوصاف المذمومة.
وأشاروا بالبقاء: إلى قيام الأوصاف المحمودة به.
وإذا كان العبد لا يخلو عن أحد هذين القسمين، فمن المعلوم: أنه إذا لم يكن أحد القسمين كان القسم الآخر لا محالة، فمن فنى عن أوصافه المذمومة ظهرت عليه الصفات المحمودة، ومن غلبت عليه الخصال المذمومة استترت عنه الصفات المحمودة.
وأعلم أن الذي يتصف به العبد: أفعال، وأخلاق، وأحوال.
فالأفعال: تصرفاته باختياره.
والأخلاق: جبلته فيه، ولكن تتغير بمعالجته على مستمر العادة.
والأحوال: ترد على العبد على وجه الابتداء، لكن صفاؤها بعد زكاء الأعمال.
فهى كالأخلاق من هذا الوجه، لأن العبد إذا نازل الأخلاق بقلبه فينفي بجهد سفسافها، من الله عليه بتحسين أخلاقه، فكذلك إذا واطب على تزكية أعماله، يبذل وسعه من الله عليه بتصفية أحواله بل فمن ترك مذموم أفعاله بلسان الشريعة يقال: أنه فنى عن شهواته.
فإذا فنى عن شهواته بقي بيتته وإخلاصه في عبوديته.
ومن زهد في دنياه بقلبه، يقال: فنى عن رغبته: فإذا فنى عن رغبته فيها بقي بصدق إنايته.
ومن عالج أخلاقه فنفى عن قلبه الحسد والحقد، والبخل، والشخ والغضب، والكبر، وأمثال هذا من رعونات النفس، يقال: فنى عن سوء الخلق.
فإذا فنى عن سوء الخلق بقي بالفتوة والصدق.
ومن شاهد جريان القدرة في تصاريف الأكام، يقال: فنى عن حسابان الحدثان من الخلق. فذا فنى عن توهم الآثار من الأغيار بقي بصفات الحق.
ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عيناً ولا أثراً؛ ولا رسماً، ولا طلالاً؛ يقال: إنه فنى عن الخلق وبقي بالحق.
ففناء العبد عن أفعاله اللئيمة، وأحواله الخسيسة: بعدم هذه الأفعال.
وفناؤه عن نفسه، وعن الخلق: بزوال إحساسه بنفسه وبهم.
فإذا فنى عن الأفعال، والأخلاق، والأحوال، فلا يجوز أن يكون ما فنى عنه من ذلك موجوداً.
وإذا قيل: فنى عن نفسه؛ وعن الخلق، فنفسه موجودة، والخلق موجودون. ولكنه لا علم له بهم ولا به، ولا إحساس، ولا خبر، فتكون نفسه موجودة، والخلق موجودين ولكنه غافل عن نفسه وعن الخلق أجمعين، غير محس بنفسه وبالخلق.
وقد ترى الرجل يدخل على ذى سلطان؛ أو محتشم، فيذهل عن نفسه، وعن أهل مجلسه هيبه، وربما يذهل عن ذلك المحتشم، حتى إذا سئل بعد خروجه من عنده، عن أهل مجلسه وهيات ذلك الصدر، وهيات نفسه، لم يمكنه الإخبار عن شيء.
قال الله تعالى: فلما رأينه أكبر نه، وقطعن أيديهن.

لم يجدن عند لقاء يوسف عليه السلام، على الوهلة ألم قطع الأيدي، وهن أضعف الناس، وقلن: ما هذا بشراً - ولقد كان بشراً - .

وقلن: إن هذا إلا ملك كريم - ولم يكن ملكاً - .

فهذا تغافل مخلوق عن أحواله عند لقاء مخلوق، فما ظنك بمن تكاشف بشود الحق سبحانه؟! فلو تغافل عن إحساس بنفسه وأبناء جنسه، فأى أعجوبة فيه؟! فمن فنى عن جهله بقي بعلمه.. ومن فنى عن شهوته بقي يانابته.. ومن فنى عن رغبته بقي بزهادته.. ومن فنى عن منيته بقي يارادته تعالى. وكذلك القول في جميع صفاته: فإذا فنى العبد عن صفته بما جرى ذكره، يرتقي عن ذلك بفنائه عن رؤية فنائه وإلى هذا أشار قائلهم:

فقوم تاه في أرض بفقر ... وقوم تاه في ميدان حبه
فأفنوا ثم أفنوا ثم أفنوا ... وأبقوا بالبقاء من قرب ربه
فالأول أفناه عن نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحق.
ثم فناؤه عن صفات الحق بشهودة الحق.
ثم فناؤه عن شهود فنائه باستهلاكه في وجود الحق.
ومن ذلك:

الغيبية والحضور

فالغيبية: غيبية القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق، لاشتغال الحسَن بما ورد عليه، ثم قد يغيب عن إحساسه بنفسه وغيره، بوارد من تذكُر ثواب، أو تفكر عقاب.
كما روي أن: الربيع بن خيثم كان يذهب إلى ابن مسعود، رضي الله عنه، فمر بحانوت حدّاد، فرأى الحديدية الخِماة في الكبر، فغشى عليه.. ولم يفتق إلى الغد.
فلما أفاق، سئل عن ذلك، فقال: تذكُر تكون أهل النار في النار: فهذه غيبية زادت على حدها، حتى صارت غشبية.
وروي عن علي بن الحسين: أنه كان في سجوده، فوق حريق في داره، فلم ينصرف عن صلاته، فسئل عن حاله، فقال: أهتني النار الكبرى عن هذه النار.

وربما تكون الغيبية عن إحساسه بمعنى يكشف به من الحق سبحانه ثم إنهم مختلفون في ذلك على حسب أحوالهم.
ومن المشهور: أن ابتداء حال أبي حفص النيسابوري الحدّاد في ترك الحرفة، أنه كان على حانوته، فقرأ قارىء آية من القرآن، فورد على قلب أبي حفص وارد تغافل عن إحساسه، فأدخل يده في النار، وأخرج الحديدية الخِماة بيده، فرأى تلميذاً له ذلك، فقال: يا أستاذ، ما هذا؟ فنظر أبو حفص إلى ما ظهر عليه، فترك الحرفة؛ وقام من حانوته.
وكان الجنيد قاعداً؛ وعند امرأته؛ فدخل عليه الشبلي؛ فأرادت امرأته أن تستتر؛ فقال لها الجنيد: لا خبر للشبلي عنك؛ فاقعدي.

فلم يزل يكلمه الجنيد؛ حتى بكى الشبلي؛ فلما أخذ الشبلي في البكاء قال الجنيد لامرأته: استتري، فقد أفاق الشبلي من غيبته.

سمعت أبا نصر المؤذن بنيسابور؛ وكان رجلاً صالحاً، قال: كنت أقرأ القرآن في مجلس الأستاذ أبي عليّ الدقاق بنيسابور؛ وقت كونه هناك وكان يتكلم في الحج كثيراً، فأثر في قلبي كلامه، فخرجت إلى الحج تلك السنة؛ وتركت الحانوت والحرفة؛ وكان الأستاذ أبو علي رحمه الله؛ خرج إلى الحج أيضاً في تلك السنة. وكنت مدّصة كونه بنيسابور أحدهم. وأوظب على القراءة في مجلسه. فرأيت يوماً في البدية: تطهر.. ونسي قممته كانت بيده.. فحملتها. فلما عاد إلى رحله وضعتها عنده فقال: جزاك الله خيراً. حيث حملت هذا. ثم نظر إلي طويلاً كأنه لم يرك قط: وقال: رأيتك مرة. فمن أنت؟ فقلت: المستغاث بالله!! صحبتك مدة.. وخرجت عن مسكني ومالي بسبيك، وتقطعت في المفازة بك. والساعة تقول رأيتك مرة!! وأما الحضور: فقد يكون حاضراً بالحق؛ لأنه إذا غاب عن الخلق حضر بالحق، على معنى أنه يكون كأنه حاضر، وذلك لاستيلاء ذكر الحق على قلبه، فهو حاضر بقلبه بين يدي ربه تعالى؛ فعلى حسب غيبته عن الحق يكون حضوره بالحق، فإن غاب بالكلية كان الحضور على حسب الغيبة.

فإذا قيل: فلان. حاضر، فمعناه أنه حاضر بقلبه لربه، غير غافل عنه، ولا ساه، مستديم لذكره. ثم يكون مكاشفاً في حضوره على حسب رتبته بمعان يخصه الحق سبحانه وتعالى بها. وقد قال لرجوع العبد إلى إحساسه بأحوال نفسه، وأحوال الخلق: إنه حضر أي رجع عن غيبته، فإذا يكون حضوراً بخلق؛ والأول حضوراً بحق.

وقد تختلف أحوالهم في الغيبة. فمنهم من لا تمتد غيبته، ومنهم من تدوم غيبته. وقد حكى أن ذا النون المصري بعث إنساناً من أصحابه إلى أبي يزيد، لينقل إليه صفة أبي يزيد... فلما جاء الرجل إلى بسطام. سأل عن دار أبي يزيد. فدخل عليه فقال له أبو يزيد: ما تريد؟ فقال: أريد أبا يزيد. فقال: من أبو يزيد؟ وأين أبو يزيد؟ أنا في طلب أبي يزيد. فخرج الرجل، وقال: هذا مجنون. ورجع الرجل إلى ذي النون. فأخبره بما شهده. فبكى ذو النون وقال: أخي أبو يزيد ذهب في الذهابين إلى الله. ومن ذلك:

الصحو والسكر

فالصحو: رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة. والسكر: غيبة بوارد قوي. والسكر زيادة على الغيبة من وجه، وذلك أن صاحب السكر قد يكون مبسوطاً إذا لم يكن مستوفى في حال سكره، وقد يسقط إخطار الأشياء عن قلبه في حال سكره، وتلك حال المتساكر، الذي لم يستوفه الوارد، فيكون للأحساس فيه مساع، وقد يقوى سكره حتى يزيد على الغيبة، فرمما يكون صاحب السكر أشد غيبته من صاحب الغيبة ذا قوي سكره، ورمما يكون صاحب الغيبة أتم في الغيبة من صاحب السكر، إذا كان متساكراً غير مستوف. والغيبة قد تكون للعباد، بما يغلب على قلوبهم من موجب الرغبة والرغبة ومقتعنيات الخوف والرجاء. والسكر لا يكون إلا لأصحاب المواجهين.

فإذا كوشف العبد بنعت الجمال حصل السكر، وطاب الروح، وهام القلب، وفي معناه أنشدوا:

خصوك من لفظي هو الوصل كله ... وسكر من لحظي يبيح لك الشربا
فمامل ساقبها وما مل شارب ... عقار لحاظ كأسه يسكر اللبة
وأنشلوا:

فأسكر القوم دور كأس ... وكان سكري من المدير
وأنشلوا:

لي سكرتان، ولندمان واحدة ... شيء خصصت به من بينهم وحدي
وأنشلوا:

سكران: سكر هوى وسكر مدامة ... فمتى يفيق فتى به سكران
وأعلم أن الصحو على حسب السكر، فمن كان سكره بحق، كان صحوه بحق.

ومن كان سكره بجز مشوباً؛ كان صحوه بحظ مصحوباً.
ومن كان محقاً في حاله كان محفوظاً في سكره.
والسكر والصحو يشير إلى طرف من التفرقة.
وإذا ظهر من سلطان الحقيقة علم فصفة العبد الشور، والقهر.
وفي معناه أنشدوا:

إذا طلع الصبح لنجم راح ... تساوى فيه سكران وصاح
وال تعالى: فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً، وخر موسى صعفاً.
هذا مع رسالته وجلالة قدره خر صعفاً، وهذا مع صلابته، وقوته، ردكاً متكسراً.
والعبد في حال سكره بشاهد الحال.
وفي صحوه بشاهد العلم.
إلا أنه في حال سكره محفوظ لا بتكلفه: وفي حال صحوه متحفظ بتصرفه.
والصحو والسكر بعد الذوق والشرب.
ومن ذلك:

الذوق والشرب

ومن جملة ما يجري في كلامهم: الذوق، والشرب.
ويعبرون بذلك عما يجدونهم ثمرات التجلي، ونتائج الكشوفات. وبواده الواردات.
وأول ذلك: الذوق، ثم الشرب، ثم الرى.
فصفاء معاملاتهم يوجب لهم ذوق المعاني؟ ووفاء منازلهم يوجب لهم الشرب.
ودوام مواصاتهم يقتضي لهم الرى.
فصاحب الذوق متساكر، وصاحب الشرب سكران، وصاحب الرى صاح.
ومن قوي حبه تسرمد شربه، فإذا دامت به تلك الصفة لم يورثه الشرب سكرًا، فكان صاحباً بالحق، فانياً عن كل

حظ: لم يتأثر بما يرد عليه، ولا يتغير عما هو به.
ومن صفا سره، لم يتكدر عليه الشرب. ومن صار الشراب له غذاء لم يصبر عنه، ولم يبق بدونه.
وأنشلوا:
وإنما الكأس رضاع بيننا... فإذا لم نذقها لم تعش
وأنشلوا:
عجبت لمن يقول ذكرت ربي... فهل أنسى فأذكر ما نسيت؟
شربت الحب كاساً بعد كأس... فما نغد الشراب ولا رويت
ويقال: كتب يحيى بن معاذ إلى أبي يزيد البسطامي: ها هنا من شرب من كأس الحبة لم يظماً بعده.
فكتب إليه أبو يزيد: عجبت من ضعف حالك!! هاهنا من يحتسي بحار الكون وهو فاغراه يستريد.
وأعلم أن كاسات القرب تبدو من الغيب، ولا تدار إلا على أسرار معتقة، وأرواح عن رقق الأشياء محررة.
ومن ذلك:

الحو والإثبات

الحو: رفع أوصاف العادة: والإثبات: إنامة أحكام العبادات.
فمن نفى عن أحواله الخصال الذميمة، وتى بدلها بالأفعال والأحوال الحميدة، فهو صاحب حو وإثبات.
سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: قال بعض المشايخ لواحد: إيش تمحو؟ وإيش نشبت؟ فسكت
الرجل!! فقال: أما علمت أن الوقت حو وإثبات، وإذ من لامحو له، ولا إثبات، فهو معطل مهممل.
وينقسم إلى حو الزلة عن الظواهر، وحو الغفلة عن الضمائر، وحو العلة عن السرائر، ففي حو الزلة: إثبات
المعاملات؛ وفي حو الغفلة: إثبات المنازلات.
وفي حو العلة إثبات المواصلات.
وفي حو وإثبات بشرط العبودية.
وأما حقيقة الحو والإثبات، فصادران عن القدرة. فالحو: ماستره الحق ونفاده والإثبات ما أظهره الحق وأبداه.
والحو والإثبات مقصوران على المشيئة. قال الله تعالى: بمحو الله ما يشاء ويشب.
قيل: يمحو عن قلوب العارفين ذكر غير الله تعالى، ويشب على السنة المرادين ذكر الله، وحو الحق لكل أحد وإثباته
على ما يليق بحاله.
ومن محاه الحق سبحانه على مشاهدته، وأثبتته بحق حقه.
ومن محاه الحق عن إثباته به ردّه إلى شهود الأغيار؛ وأتيتته في أودية التفرقة.
وقال رجل للشبلي رحمه الله: مال أراك قلقاً، أليس هو معك، وأنت معه؟ فقال الشبلي: لو كنت أنا معه كنت أنا،
ولكني حو فيما هو.
والحق فوق الحو؛ لأن الحو يبقى أثراً، والحق لا يبقى أثراً.
وغاية همة القوم أن يحقّم الحق عن شاهلهم، ثم لا يردّهم إليهم بعدما محقّم عنهم.
ومن ذلك:

الستر والتجلي

العوام في غطاء الستر، والخواص في دوام التجلي.

وفي الخبر: إن الله إذا تجلى لشيء خشع له.

فصاحب الستر، بوصف شهوده، وصاحب التجلي أبداً، ينعت خشوعه.

والستر للعوام عقوبة، وللخواص رحمة، إذ لولا أنه يستر عليهم ما يكاشفهم به، لتلاشوا عند سلطان الحقيقة: ولكنه كما يظهر لهم، يستر عليهم.

سمعت منصور المغربي يقول: وافي بعض الفقراء حياً من أحياء العرب، فأضافه شاب، فبينما الشاب في خدمة هذا الفقير إذ غشى عليه، فسأل الفقير عن حاله، فقالوا:

له بنت عم، وقد علقها، فمشت في خيمتها، فرأى الشاب غبار ذيلها، فغشى عليه.

فمضى الفقير إلى باب الخيمة، وقال: إن للغريب فيكم حرمة وذماماً، وقد جئت مستشفعاً إليك في أمر هذا

الشاب، فتعطي عليه فيما هو به من هواك.

فقالت: سبحان الله، أنت سليم القلب، إنه لا يطيق شهود غبار ذيلي، فكيف يطيق صحبتي؟ وعوام هذه الطائفة عيشهم في التجلي، وبلاؤهم في الستر.

وأما الخواص، فهم بين طيش وعيش، لأنهم إذا تجلى لهم طاشوا، وإذا ستر عليهم ردوا إلى الخز فعاشوا.

وقيل: إنما قال الحق تعالى لموسى عليه السلام: وما تلك بيمينك يا موسى ليستر عليه بعض ما يعلله به بعض ما أثر في من المكاشفة بفضة السماء.

وقال صلى الله عليه وسلم: إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم سبعين مرة.

والاستغفار: طلب الستر، لأن الغفر: هو الستر، ومنه غفر التوب، والمغفر، وغيره: فكأنه أخبر أنه يطلب الستر

على قلبه عند سطوات الحقيقة، إذ للخلق لا بقاء لهم مع وجود الحق. وفي الخبر: لو كشف عن وجهه لأحرق

سبحات وجهه ما أدرك بصره.

ومن ذلك:

الحاضرة والمكاشفة والمشاهدة

الحاضرة ابتداءً، ثم المكاشفة، ثم المشاهدة.

فالحاضرة: حضور القلب. وقد يكون بتواتر البرهان، وهو بعد وراء الستر، وإن كان حاضراً باستيلاء سلطان

الذكر.

ثم بعده. المكاشفة: وهو حضوره بنعت البيان غير مفتقر في هذه الحالة إلى تأمل الدليل، وتطلب السبيل، ولا مستجير

من دواعي الريب. ولا محجوب من نعت الغيب.

ثم المشاهدة: وهي حضور الحق من غير بقائهم.

فإذا أصبحت السماء السرى عن غيوم الستر، فشمس الشود مشرقة عن برج الشرف. وحق المشاهدة ما قاله الجنيد،

رحمه الله: وجود الحق مع فقدانك: فصاحب الحاضرة مربوط بأياته، وصاحب المكاشفة مبسوط بصفاته: وصاحب

المشاهدة ملقى بذاته، وصاحبُ المحاضرة يهديه عقله، وصاحبُ المكاشفة يدنيه علمه، وصاحبُ المشاهدة تمحوه معرفته.

ولم يزد في بيان تحقيق المشاهدة أحد على ما قاله عمرو بن عثمان المكي رحمه الله.
ومعنى ما قاله: أنه تتوالى أنوار التجلي على قلبه من غير أن يتخللها ستر وانقطاع كما لو قُدر اتصال البروق، فكما أن الليلة الظلماء بتوالى البروق فيها، وإتصالها، إذ قدرت تصوير في ضوء النهار، فكذلك القلب إذا دام به دوام التجلي متع نهاره فلا ليل.
وأنشدوا:

ليلي بوجهك مشرق ... وظلامه في الناس ساري

والناس في سدف الظلام ... ونحن في ضوء النهار

وقال النوري: لا يصح للعبد للمشاهدة وقد بقي له عرق قائم.

وقال: إذا طلع الصباح استغنى عن الصباح: وتوهم قوم أن المشاهدة تشير إلى طرف من التفرقة، لأن باب المفاعلة في العربية بين اثنين. وهذا وهم من صاحبه. فإن في ظهور الحق سبحانه، ثور الخلق وباب المفاعلة جملتها لا تقضي مشاركة الأثنين نحو: سافر، وطارق النعل، وأمثاله.
وأنشدوا:

فلما استبان الصبح أدرك ضوءه ... بأنواره أنوار ضوء الكواكب

يجرعه كأساً لو ابتلى به اللظى ... بتجريعة طارت كأسرع ذاهب

كأس، أي كأس؟؟ تصطلمهم عنهم، وتفتيم، وتختطفهم منهم، ولا تقيهم.

كأس.. لا تقي لا تذر، تمحوهم بالكلية، ولا تبقى شظية من آثار البشرية.

كما قال قائلهم:؟ ساروا فلم يبق لارسم ولا أثر ومن ذلك:؟ اللوائح، والطواع، واللوامع قال الأستاذ رضي الله عنه: هذه الألفاظ متقاربة المعنى، لا يكاد يحصل بينها كبير فرق. وهي من صفات أصحاب البدايات الصاعدين في الترقى بالقلب، فلم يدم لهم بعد ضياء شمس المعارف.

لكن الحق سبحانه وتعالى، يؤتى رزق قلوبهم في كل حين، كما قال: ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً، فكلمًا أظلم عليهم سماء القلوب بسحاب الخطوط سنح لهم فيها لوائح الكشف وتلاً لاً لوامع القرب وهم في زمان سترهم يرقبون فجأة اللوائح.

فهم كما قال القائل:

يا أيها البرق الذي يلمع ... من أي أكناف السما تسطع

فتكون أول: لوائح، ثم لوامع، ثم طواع:

افترقنا حولاً فلما التقينا ... كان تسليمه على وداعاً

وأنشدوا:

يا ذا الذي زار ومازارا ... كأنه مقتبس ناراً

مر بباب الدار مستعجلاً ... ماضره لو دخل الدار؟

واللوامع: أظهر من اللوائح: ليس زواها بتلك السرعة، فقد تبقى اللوامع وقتين، وثلاثة.

ولكن كما قالوا:

والعين باكية لم تشب النظرا

وكما قالوا:

لم ترد ماء وجهه العين إلا ... شرقت قبل ربيها برفيب

فإذا لم قطعك عنك، وجمعك به، لكن لم يسفر نور نهاره حتى كر عليه عساكر الليل، فهؤلاء بين روح ونوح؛ لأنهم بين كشف وستر.

كما قالوا:

فالليل يشملنا بفاضل برده ... والصبح يلحفنا رداءً مذهباً

والطوالع: أبقى وقتاً، وأقوي سلطاناً، وأدوم مكثاً، وأذهب للظلمة وأنهى للتهمة. لكنها موقوفة على خطر الأفول، ليست برفيعة الأوج، ولا بدائمة المكث ثم أوقات حصوها وشبكة الارتحال، وأحوال أفولها طويلة الأذيال. وهذه المعاني، التي هي: اللوائح واللوامع والطوالع، تختلف في القضايا، فمنها ما إذا مات لم يبق عنها أثر، كالشوارق إذا أفلت، فكأن الليل كان دائماً.

ومن هنا ما يبقى عنه أثر، فإن زال رقمه بقي ألمه، وإن غربت أنواره بقيت آثاره فصاحبه بعد سكون غلباته يعيش في ضياء بركاته، فيل أن يلوح ثانياً ثير جي وقته على انتظار عوده، ويعيش بما وجد في كونه.

ومن ذلك:

البداهة والهجوم

البداهة: ما يفجأ قلبك من الغيب على سبيل الوهلة، إما موجب فرح، وإما موجب ترح.

والهجوم: ما يرج على القلب بقوة الوقت، من غير تصنع منك.

ويختلف في الأنواع على حسب قوة الوارد وضعفه.

فمنهم من تغيره البداهة، وتصرفه الهجوم.

ومنهم من يكون فوق ما يفجؤه حالاً وقوة. أولئك سادات الوقت كما قيل:

لا تهتدي نوب الزمان إليهم ... ولهم على الخطب الجليل لجام

ومن ذلك:

التلوين والتمكين

التلوين: صفة ارباب الأحوال.

التمكين: صفة أهل الحقائق.

فما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين، لأنه يرتقي من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف ويخرج من

مرحل ويحصل في مَرَبِع، فإذا وصل تمكن.

وأنشدوا:

مازلت أنزل في ودادك منزلاً ... تتحير الأبواب دون نزوله

وصاحب التلوين أبدأً في الزيادة وصاحب، التمكين وصل ثم اتصل.
وأمانة أنه اتصل: أنه بالكلية عن كليته بطل.

وقال بعض المشايخ: انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بنفوسهم، فإذا ظفروا بنفوسهم فقد وصلوا.
وقال الأستاذ رحمه الله: يريد الخناس أحكام البشرية، واستيلاء سلطان الحقيقة، فإذا دام للعبد هذه الحالة فهو صاحب تمكين.

كان الشيخ أبو عليّ الدقاق، رحمه الله، يقول: كان موسى عليه السلام صاحب تلوين، فرجع من سماع الكلام واحتاج إلى ستر وجهه، لأنه أثر فيه الحال. ونبينا صلى الله عليه وسلم، كان صاحب تمكين، فرجع كما ذهب، لأنه لم يؤثر فيه ما شاهده تلك الليلة.

وكان يستشهد على هذا بقصة يوسف عليه السلام: أن النسوة اللاتي رأين يوسف عليه السلام قطعن أيديهن لما ورد عليهن من شهود يوسف عليه السلام على وجه الفجأة وامرأة العزيز كانت أتم في بلاء يوسف منهن، ثم لم تتغير عليهما شعرة ذلك اليوم، لأنهما كانت صاحبة تمكين في حديث يوسف عليه السلام.

قال الأستاذ: واعلم أن التغير بما يرد على العبد يكون لأحد أمرين: إما لقوة الوارد، أو لضعف صاحبه. والسكون من صاحبه لأحد أمرين: إما لقوته، أو لضعف الوارد عليه.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق، رحمه الله، يقول: أصول القوم في جوار دوام التمكين نتخرج على وجهين: أحدهما: ما لا سبيل إليه، لأنه قال صلى الله عليه وسلم: لو بقيتم على ما كنتم عليه عند لصافحتكم الملائكة ولأنه صلى الله عليه وسلم قال: لي وقت لا يسعني فيه غير ربي عز وجل أخبر عن وقت مخصوص.

والوجه الثاني: أنه يصح دوام الأحوال، لأن أهل الحقائق ارتقوا عن وصف التأثير بالطوارق، والذي في الخبر أنه قال: لصافحتكم الملائكة فلم يعلق الأمر فيه على أمر مستحيل، ومصافحة الملائكة دون ما أثبت لأهل البداية من قوله على الله عليه وسلم: إن الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم راضاً بما يصنع.
وما قال: لي وقت.. فإنما قال على حسب فهم السامع. وفي جميع أحواله كان قائماً بالحقيقة.

والأولى أن يقال: إن العبد ما دام في الترقّي فصاحب تلوين يصح في نعمته الزيادة في الأحوال، والنقصان منها، فإذا وصل إلى الحق بالخناس أحكام البشرية مكّنه الحق سبحانه، بأن لا يردّه إلى معلولات النفس، فهو متمكن في حاله، على حسب محله واستحقاقه.

ثم يُتَحَفُّه - الحق سبحانه، في كل نفس، فلا حدّ لمقدوراتها، فهو في الزيادات متلون، بل ملوّن. وفي أصل حاله متمكن؛ فأبدأً يتمكن في حالة أعلى مما كان فيها قبله، ثم يرتقي عنها إلى ما فوق ذلك إذ لا غاية لمقلورات الحق سبحانه في كل جنس.

فأما المصطلم عن شاهده، المسوفى إحساسه بالكلية، فلبشرية لا محالة حد وذا بطل عن جملته ونفسه وحسه، وكذلك عن المكونات بأسرها، ثم دامت به هذه الغيبة، فهو محو، فلا تمكين له إذاً، ولا تلوين، ولا مقام، ولا حال. وما دام بهذا الوصف: فلا تشریف، ولا تكليف. اللهم إلا أن يردّ بما يجري عليه من غير شيء منه، فذلك متصرف في ظنون الخلق، مصرّف في التحقيق.

قال الله تعالى: وتحسيهم أيقاظاً وهم رقود، ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وباللّٰه التوفيق.
ومن ذلك:

القرب والبعد

أول رتبة في القرب: القرب من طاعته، والانصاف في دوام الأوقات بعبادته. وأما البعد، فهو التدنس بمخالفته، والتجافي عن طاعته. فأول البعد بعد عن التوفيق، ثم بعد عن التحقيق، بل البعد عن التوفيق هو البعد عن التحقيق، قال صلى الله عليه وسلم، مخبراً عن الحق سبحانه: ما تقرب إلى المتقربون بمثل أداء ما افترضته عليهم، ولا يزال البعد يتقرب إلى بالتواقل. حتى يحبني وأحبه فإذا أحببته، كنت له سمعاً وبصراً، في يصر، وي يسمع. الخبر... فقرب العبد أولاً قرب بإيمانه وتصديقه. ثم قرب بإحسنه وتحقيقه. وقرب الحق سبحانه، ما يخصه اليوم به من العرفان، وفي الآخرة ما يكرمه به من الشهود والعيان، وفيما بين ذلك من وجوه اللطف والامتنان.

ولا يكون تقرب العبد من الحق إلا ببعده عن الخلق. وهذه من صفات القلوب دون أحكام الظواهر والكون. وقرب الحق سبحانه، بالعلم، والقدرة عام للكافة. وباللطف والنصرة خاص بالمؤمنين، ثم بخصائص التأنيس مخصص بالأولياء. قال الله تعالى: ونحن أقرب إليه من حبل الوريد، وقال تعالى: ونحن أقرب إليه منكم، وقال تعالى: وهو معكم أينما كنتم وقال: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم. ومن تحقق بقرب الحق، سبحانه وتعالى، فأذونه دوام مراقبته إياه، لأن عليه رقيب التقوى، ثم رقيب الحفظ والوفاء ثم رقيب الحياء.

وأنشئوا:

كأن رقيباً منك يرعى خواطري ... وآخر يرعى ناظري ولساني
فما رمقت عيناى بعدك منظراً ... يسوؤك إلا قلت قد رقاني
ولا بدرت من في دونك لفظة ... لغيرك إلا قلت قد سمعاني
ولا خطرت في السر بعدك خطرة ... لغيرك إلا عرجاً بعناني
وإخوان صدق قد سئمت حديثهم ... وأمسكت عنهم ناظري ولساني
وما الزهد أسلى عنهم غير أنبي ... وجدتك مشهوداً بكل مكان
وكان بعض المشايخ يخص واحداً من تلامذت ياقباله عليه، فقال أصحابه له في ذلك، فدفع إلى كل يخص واحداً من تلامذته ياقباله عليه، فقال أصحابه له في ذلك، فدفع إلى كل واحد منهم طيراً، وقال اذبحوه بحيث لا يراه أحد. فمضى كل واحد وذبح الطير بمكان خال.. وجاء هذا الانسان والطير معه غير مذبح؛ فسأله الشيخ، فقال: أمرتني أن أذبحه بحيث لا يراه أحد، ولم يكن موضع إلا والحق سبحانه يراه. فقال الشيخ، لهذا أقدم هذا عليكم؛ إذ الغالب عليكم حديث الخلق، وهذا غير غافل عن الحق.

ورؤية القرب حجاب عن القرب، فمن شاهد لنفسه محلاً، أو نفساً، فهو مذكور به. ولهذا قالوا: أو حشك الله من قربه: أي من شهودك لقربه، فإن الاستئناس بقربه من سمات العزة به، إذ الحق سبحانه وراء كل أنس.

ون مواضع الحقيقة توجب الدهش والمحو.

وفي قريب من هذا قالوا:

محنتي فيك أنبي ... ما أبالي بمحنتي

قربك مثل بعدكم ... فمتى وقت راحتي
وكان الأستاذ أبو علي الدقاق، رحمه الله، كثيراً ما ينشد:
ودادكم هجر، وحبكم قلى ... وقربكم بعد وسلمكم حرب

ورأى أبو الحسين النوري بعض أصحاب أبي حمزة، فقال: أنت من أصحاب أبي حمزة الذي يشير إلى القرب؟ إذا
لقيته، فقل له: إن أبا الحسين النوري يقرئك السلام، ويقول لك: قرب القرب فيما نحن فيه بعد البعد.
فأما القرب بالذات، فتعالى الله الملك الحق عنه، فإنه متقدس عن الحدود؛ والأقطار، والنهاية، والمقدار وما اتصل به
مخلوق، ولا انفصل عنه حادث مسبوق به، جلت صمديته عن قبول الوصل والافصال.
فقرب هو في نعتة محال: وهو تاني الذوات.
وقرب هو واجب في نعتة وهو قرب بالعلم والرؤية.
وقرب هو جائز في وصفه، يخص به من يشاء من عباده، هو قرب الفضل باللطف.
ومن ذلك:

الشريعة والحقيقة

الشريعة: أمر بالتزام العبودية.
والحقيقة: مشاهدة الربوبية.
فكل شريعة غير مؤيدة مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول.
فالشريعة جاءت غير مقيدة بالشريعة فغير مقبول.
فالشريعة جاءت بتكليف الخالق، والحقيقة إنباء عن تصريف الحق.
فالشريعة أن تعبد، والحقيقة أن تشهده.
والشريعة قيام بما أمر، والحقيقة شهود لما قضى وقدر، وأخفى وأظهر.
سمعت الأستاذ أبو علي الدقاق، رحمه الله، يقول: قوله: إياك نعبد حفظ للشريعة وإياك نستعين إقرار بالحقيقة.
واعلم أن الشريعة حقيقة من حيث إنها وجبت بأمره.
والحقيقة - أيضاً - شريعة، من حيث إن المعرف به، سبحانه، أيضاً، وجبت بأمره.
ومن ذلك:

النفس

النفس

: ترويح القلوب بلطائف الغيوب. وصاحب الأنفاس أرق وأصفى من صاحب الأحوال. فكان الوقت مبتدئاً،
وصاحب الأنفاس منتهياً، وصاحب الأحوال بينهما.
فالأحوال وسائط، والأنفاس نهاية الترقى.
فالأوقات لأصحاب القلوب، والأحوال لأرباب الأرواح، والأنفاس لأهل السرائر: وقالوا: أفضل العبادات عد

الأنفاس مع الله سبحانه وتعالى.

وقالول: خلق الله القلب وجعلها معادن المعرفة، وخلق الأسرار وراءها. وجعلها محلا للتوحيد، فكل نفس حصل من غير دلالة المعرفة وإشارة التوحيد على بساط الاضطرار فهو ميت، وصاحبه مسئول عنه. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: العارف لا يسلم له النفس، لأنه لا مساحة تجري معه، واخرب لا بدله من نفس، إذ لو لا أن يكون له نفس لتلاشى، لعدم طاقته. ومن ذلك:

الخواطر

والخواطر خطاب يرد على الضمائر، وهو قد يكون بإلقاء ملك، وقد يكون بإلقاء شيطان، ويكون أحاديث النفس، ويكون من قبل الحق سبحانه. فإذا كان من الملك فهو الإلهام. وإذا كان من قبل النفس، قيل له: الهواجس. وإذا كان من قبل الشيطان فهو: الوسواس. وإذا كان من قبل الله سبحانه، وإلقائه في القلب، فهو: خاطر حق. وجملة ذلك من قبيل الكلام. فإذا كان من قبل الملك، فما يعمل صدقته بموافقة العلم، ولهذا قالوا: كل خاطر لا يشهد له ظاهر فهو باطل. وإذا كان من قبل الشيطان فأكثره يدعو إلى المعاصي. وإذا كان من قبل الشيطان فأكثره يدعو إلى المعاصي. وإذا كان من قبل النفس فأكثره، يدعو إلى اتباع شهوة أو استشعار كبر، أو ما هو من خصائص وصاف النفس. واتفق المشايخ على أن من كان أكله من الحرام لم يفرق بين الإلهام والوسواس. وسمعت الشيخ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: من كان قوته معلوماً لم يفرق بين الإلهام والوسواس، وأن من سكنت عنه هواجس نفسه بصدق مجاهدته نطق بيان قلبه بحكم مكابדתه. وأجمع الشيوخ على أن النفس لا تصدق، وأن القلب لا يكذب. وقال بعض المشايخ: إن نفسك لا تصدق وقلبك لا يكذب، ولو أجهدت كل الجهد أن تخاطبك روحك لم تخاطبك.

وفرق الجليل بين هواجس النفس ووساوس الشيطان بأن النفس إذا طالبتك بشيء أحت.. فلا تزال تعاودك، ولو بعد حين، حتى تصل إلى مرادها، ويحصل مقصودها، اللهم إلا أن يدوم صدق المجاهدة، ثم إنما تعاودك وتعاودك. وأما الشيطان إذا دعاك إلى زلة، فخالفته بترك ذلك، يوسوس بزلة أخرى، لأن جميع المخالفات له سواء، وإنما يريد أن يكون داعياً أبداً إلى زلة ما، ولا غرض له في تخصيص واحد دون واحد. وقد قيل: كل خاطر يكون من المسلك فرمما يوافق صاحبه، وربما يخالفه. فأما خاطر يكون من الحق سبحانه، فلا يحصل خلاف من العبد له.

وتكلم الشيوخ في الخاطر الثاني، إذا كان الخاطران من الحق سبحانه، هل هو أقوى من الأول؟

فقال الجنيد: الخاطر الأول أقوى، لأنه إذا بقي رجع صاحبه إلى التأمل. وهذا بشرط العلم، فترك الأول يضعف الثاني.

وقال ابن عطاء الله: الثاني أقوى، لأنه إزاداد قوة بالأول.

وقال أبو عبيد الله بن خفيف من المتأخرين: هما سواء، لأن كليهما من الحق، فلا مزية لأحدهما على الآخر. والأول لا يبقى في حال وجود الثاني، لأن الآثار لا يجوز عليها البقاء. ومن ذلك:

علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين

هذه عبارات عن علوم جلية.

فاليقين: هو العلم الذي لا يتداخل صاحبه ريب على مطلق العرف.

ولا يطلق في وصف الحق سبحانه؛ لعدم التوقيف.

فعلم اليقين: هو اليقين، وكذلك عين اليقين: نفس اليقين، وحق اليقين: نفس اليقين.

فعلم اليقين، على موجب اصطلاحهم ما كان بشرط البرهان.

وعين اليقين ما كان بحكم البيان.

وحق اليقين ما كان بنعت العيان.

فعلم اليقين لأرباب العقول وعين اليقين لأصحاب العلوم. وحق اليقين لأصحاب المعارف.

والكلام في الإفصاح عن هذا مجال تحقيقه يعود إلى ما ذكرناه.

فاقتصرنا على هذا القدر، على جهى التنبيه.

ومن ذلك:

الوارد

ويجري في كلامهم ذكر الواردات كثيراً.

والوارد: ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة، مما لا يكون بتعمد العبد، وكذلك ما لا يكون من قبيل

الخواطر، فهو أيضاً: وارد.

ثم قد يكون وارد من الحق، ووارد من العلم.

فالواردات أعم من الخواطر؛ لأن الخواطر تختص بنوع الخطاب، أو ما يتضمن معناه.

والواردات تكون: وارد سرور، ووارد حزن، ووارد قبض؛ ووارد بسط، إلى غير ذلك من المعاني.

ومن ذلك لفظ:

الشاهد

كثيراً ما يجري في كلامهم لفظ: الشاهد: فلان بشاهد العلم، وفلان بشاهد الوجد، وفلان بشاهد الحال. ويريدون بلفظ الشاهد: ما يكون حاضر قلب الإنسان، وهو ما كان الغالب عليه ذكره، حتى كأنه يراه ويصره، وإن كان غائباً عنه. فكل ما يستولي على قلب صاحبه ذكره فهو شاهده فإن كان الغالب عليه العلم، فهو بشاهد العلم.

وإن كان الغالب عليه الوجد، فهو بشاهد الوجد.

ومعنى الشاهد: الحاضر، فكل ما هو حاضر قلبك فهو شاهدك. وسئل الشيلي عن المشاهدة، فقال: من ين لنا مشاهدة الحق؟ الحق لنا شاهد.

أشار بشاهد الحق إلى المستولى على قلبه؛ والغالب عليه من ذكر الحق والحاضر في قلبه دائماً من ذكر الحق. ومن حصل له مع مخلوق تعلق بالقلب، يقال: إنه شاهده، يعني: أنه حاضر قلبه، فإن الحبة توجب دوام ذكر الحبوب، واستيلائه عليه.

وبعضهم تكلف في مراعاة هذا الاشتقاق فقال: إنما سمي الشاهد من الشهادة، فكأنه إذا طالع شخصاً بوصف الجمال: فإن كانت بشريته ساقطة عنه، ولم يشغل شهود ذلك الشخص عما هو به من الحال، ولا أثرت فيه صحبته بوجه، فهو شاهد له على فناء نفسه.

ومن أثر فيه ذلك، فهو شاهد عليه في بقاء نفسه.

وقيامه بأحكام بشريته إما شهد له، أو شاهد عليه.

وعلى هذا حمل قوله صلى الله عليه وسلم: رأيت ربي ليلة المعراج في أحسن صورة أي أحسن صورة رأيتها تلك الليلة لم تشغلني عن رؤيته تعالى، بل رأيت المصور في الصورة، والمنشئ في الإنشاء، ويريد بذلك رؤية العلم، لا إدراك البصر.

ومن ذلك:

النفس

نفس الشيء في اللغة: وجوده.

وعند القوم: ليس المراد من إطلاق لفظ النفس الوجود، ولا القلب الموضوع. إنما أرادوا بالنفس: ما كان معلولاً من أوصاف العبد مذموماً من أخلاقه وأفعاله.

ثم إن المعلولات من أوصاف العبد على ضربين: أحدهما: ما يكون كسباً له؛ كمعاصية ومخالفته.

والثاني: أخلاقه الدينية، فهي في أنفسها مذمومة، فإذا عاجلها العبد ونازلها، تنفني عنه بالمجاهدة تلك الأخلاق على مستمر المادة.

والقسم الأول من أحكام النفس: ما فهمي عنه فهمي تحريم، وفهمي تنزيه.

وأما القسم الثاني، من قسمي النفس: فسفساف الأخلاق، والديني منها.

وهذا حُ على الجملة. ثم تفصيلها: فالكبر، والغضب، والحقد، والحسد، وسوء الخلق، وقلة الاحتمال، وغير ذلك من الأخلاق المذمومة.

وأشدّ أحكام النفس وأصعبها: توهيها أن شيئاً منها حسن، أو أن لها استحقاق قدر، ولهذا عُدَّ ذلكم الشريك الخفيّ.

ومعالجة الأخلاق في ترك النفس، وكسرها، أتم من مقاساة الجوع والعطش والسهر، وغير ذلك من المجاهدات التي تتضمن سقوط القوة، وإن كان ذلك أيضاً من جملة ترك النفس، ويحتمل أن تكون النفس: لطيفة مودعة في هذا القلب، هي محل الأخلاق المعلومة.

كما أن الروح: لطيفة، مودعة في هذا القلب هي محل الأخلاق الحمودة.

وتكون الجملة مسخرًا بعضها لبعض: والجميع إنسان واحد.

وكون الروح، والنفس، من الأجسام اللطيفة في الصورة، ككون الملائكة والشياطين بصفة اللطافة. وكما يصح أن يكون البصر محلّ الرؤية، والأذن محلّ السمع، والأنف محلّ الشم، والقم محلّ النوق، والسميع، والبصير والشام، والذائق إنما هي الجملة. التي هي الإنسان فكذلك محل الأوصاف الحميدة: القلب والروح ومحل الأوصاف المذمومة: النفس.

والنفس جزء من هذه الجملة، والقلب جزء من هذه الجملة، والحكم الاسم راجع إلى الجملة. ومن ذلك:

الروح

الأرواح مختلف فيها عند أهل التحقيق من أهل السنة: فمنهم من يقول: إنها الحياة.

ومنهم من يقول: إنها أعيان مودعة في هذه القوالب.

لطيفة: أجرى الله العادة بخلق الحياة في القلب، ما دامت الأرواح في الأبدان، فالإنسان حي بالحياة، ولكن الأرواح مودعة في القوالب؛ ولها ترق في حال النوم، ومفارقة للبدن، ثم رجوع إليه.

وأن الإنسان: هو الروح، والجسد؛ لأن الله سبحانه وتعالى؛ سخر هذه الجملة بعضها لبعض. والحشر يكون للجملة. والمتاب والمعاقب الجملة.

والأرواح مخلوقة. ومن قال بقدمها فهو محطىء خطأ عظيماً.

والأخبار تدل على أنها أعيان لطيفة.

ومن ذلك:

السر

يحتمل أنها لطيفة مودعة في القلب، كالأرواح.

وأصولهم تقتضي أنها محلّ المشاهدة، كما أن الأرواح محلّ للمحبة، والقلوب محلّ للمعارف.

وقالوا: السر: مالك عليه إشراف، وسر السر: مالا اطلاع عليه لغير الحق.

وعند القوم: على موجب مواضعهم ومقتضى اصولهم: السر أطف من الروح، والروح أشرف من القلب.

ويقولون: الأسرارُ معتقه عن رِقِّ الأغيار من الآثار والأطلال.
ويطلق لفظ السرِّ على ما يكون مصوناً مكتوماً بين العبد والحق سبحانه، في الأحوال. وعليه يحمل قول من قال:
أسرارنا بكر لم يفتضحها وهم وهم.
ويقولون: صلور الأحرار قبورُ الأسرار.
وقالوا: لو عرف زرِّي سري لطحته.
فهذا طرف من تفسير إطلاقتهم، وبيان عباراتهم فيما افتردوا به من ألفاظ ذكرناها على شروط الإيجاز.
ونذكر الآن أبواباً في شرح المقامات التي هي مدارج أرباب السلوك.
ثم بعدها أبواباً في تفصيل الأحوال على الجد الذي يسهله الله تعالى، بفضلته إن شاء الله تعالى.

شرح المقامات

باب التوبة

قال الله تعالى: " وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحوه " .
أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك، رحمه الله، قال: أخبرنا أحمد بن محمود بن خراز قال: حدثنا محمد بن فضل
بن جابر، قال حدثنا سعيد بن عبد الله قال: حدثنا أحمد بن زكريا، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول
الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، يقول: " التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وإذا أحبَّ الله عبداً لم يضره ذنب
" ، ثم تلا: " إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين " ، قيل: يا رسول الله، وما علامة التوبة؟ قال " الندامة " .
أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان الأهوازي، قال: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن عبيد الصفار، قال: أخبرنا محمد بن
الفضل بن جابر قال: أخبرنا الحكم بن موسى، قال: حدثنا غسان بن عبيد عن أبي عاتكة طريف بن سليمان، عن
أنس بن مالك. أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال: " ما من شيء أحب إلى الله من شاب تائب " .
فالتوبة أول منزل من منازل السالكين.
وأول مقام من مقامات الطالين.
وحقيقة التوبة في لغة العرب: الرجوع، يقال: تاب أي رجع.
فالتوبة الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود فيه.
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " الندم توبة " .
فأرباب الأصول من أهل السنة قالوا: شرط التوبة، حتى تصح، ثلاثة أشياء: الندم على ما عمل من المخالفات.
وترك الزلة في الحال.
والعزم على أن لا يعود إلى مثل ما عمل من المعاصي.
فهذه الأركان لا بد منها، حتى تصح توبته.

قال هؤلاء: وما في الخبر أن " الندم توبة " إنما نصَّ على معظمه كما قال صلى الله عليه وسلم: " الحج عرفه " ، أي معظم أركانه عرفه، أي الوقوف بها، لا أنه لا ركن في الحج سوى الوقوف بعرفات، ولكن معظم أركانه الوقوف بها.

وكذلك قوله " الندم توبة " أي معظم أركانها الندم.

ومن أهل التحقيق من قال: يكفي الندم في تحقيق ذلك؛ لأن الندم يستتبع الركنين الآخرين فإنه يستحيل تقدير أن يكون نادماً على ما هو مصر على مثله؛ أو عازم على الإتيان بمثله.

وهذا معنى التوبة على جهة التحديد والإجمال.

فأمَّا على جهة الشرح والإبانة، فن للتوبة أسباباً وترتيباً وأقساماً فأول ذلك: انتباه القلب عن رقدة الغفلة، ورؤية العبد ما هو عليه من سوء الحالة.

ويصل إلى هذه الجملة بالتوفيق للاصغاء إلى ما يخطر بباله من زواجر الحق، سبحانه. يسمع قلبه، فإنه جاء في الخبر " واعظُ الله في قلب كل امرئ مسلم " .

وفي الخبر: " إن في البدن لمضغة إذا صلحت صلح جميع البدن وإذا فسدت فسد جميع البدن، ألا وهي: القلب " .

فذا فكر بقلبه في سوء ما يصنعه، وأبصر ما هو عليه من قبيح الأفعال، سرح في قلبه إرادة التوبة، والإقلاع عن قبيح المعاملات فيمده الحق، سبحانه بتصحيح العزيمة، والأخذ في جميل الروجعي، والتأهب لأسباب التوبة: فأول ذلك:

هجران إخوان السوء؛ فإنهم هم الذين يحملونه على ردِّ هذا القصد ويشوشون عليه صحة هذا العزم.

ولا يتم ذلك: إلا بالمواظبة على المشاهدة التي تزيد رغبته في التوبة وتوفّر دواعيه على إتمام ما عزم عليه. مما يقوِّي

خوفه ورجاءه: فعند ذلك تتحل من قلبه عقدة الإصرار على ما هو عليه من قبيح الأفعال، فيقف عن تعاطي

الخطورت، ويكبح لجام نفسه عن متابعة الشهوات فيفارق الزلّة في الحال، ويرم العزيمة على أن لا يعود إلى مثلها في الاستقبال.

فإن مضى على موجب قصده، ونفذ بمقتضى عزمه فهو الموفق صدقاً.

وإن نقص التوبة مرّة أو مرات، وتحمله إرادته على تجديدها فقد يكون مثل هذا أيضاً كثيراً، فلا ينبغي قطع الرجاء عن توبة أمثال هؤلاء، فإن لكل أجل كتاباً.

حكى عن أبي سليمان الداراني، أنه قال: أختلفت إلى مجلس قاض، فأثر كلامه في قلبي، فلما قمت لم يبق في قلبي منه شيء.. فعدت ثانياً؛ فبقي أثر كلامه في قلبي، حتى رجعت إلى منزلي.

فكسرت آلات المخالقات ولزمت الطريق.

فحكى هذه الحكاية لحيي بن معاذ فقال: عصوراً اصطاد كركياً!! أراد بالعصفور. ذلك القصص، وبالكركي، أبا

سليمان الداراني ويحكى عن أبي حفص الحدّاد أنه قال: تركت العمل كذا، وكذا مرة، فعدت إليه، ثم تركني العمل، فلم أعد بعد إليه.

وقيل: إن أبا عمرو بن نجيد، في ابتداء أمره، أختلفت إلى مجلس أبي عثمان، فأثرت في قلبه كلامه، فتاب.

ثم إنه وقعت له فترة، فكان يهرب من أبي عثمان إذا رآه، ويتأخر عن مجلسه فاستقبله أبو عثمان يوماً فحاج أبو

عمرو عن طريقه، وسلك طريقاً أخرى، فتبعه أبو عثمان فما زال به يقفو أثره، حتى لحقه، فقال له: يا بُني، لا

تصحب من لا يجبك إلا معصوماً، إنما ينفعلك أبو عثمان في مثل هذه الحالة. قال: فتاب أبو عمرو بن نجيد، وعاد إلى الإرادة، ونفذ فيها.

سمعت الشيخ أبا عليّ الدَّقَّاق، رحمه الله، يقول: تاب بعض المريدين، ثم وقعت له فترة، فكان يفكر وقتاً: لو عاد إلى توبته كيف حكمه؟ فهتف به هاتف: يا فلان، أطعنا فشكرناك، ثم تركتنا فأمهلناك، وإن عدت إلينا قبلناك. فعاد الفتى إلى الإرادة، ونفذ فيها.

فإذا ترك المعاصي، وحل عن قلبه عقدة الإصرار، وعزم أن لا يعود إلى مثله، فعند ذلك يخلق إلى قلبه صادق الندم. فيتأسف على ما عمله، ويأخذ في التحسر على ما صنعه من أحواله، وارتكبه من قبيح أعماله، فتتم توبته، وتصدق مجاهدته، واستبدل بمخالطته العزلة، وبصحبته مع أخوان السوء الوحش عنهم، والخلووة دونهم ويصل ليله بنهار في التلهف، ويعتق في عموم أهله بصدق التأسف، يحو بصوب عبرته آثار عشرته، ويأسو بحسن توبته كلوم حوبته ويعرف من بين أمثاله بذوبله، ويستدل صحة حاله بنحو له.

ولن يتم له شيء من ذلك إلا بعد فراغه من إرضاء خصومه، والخروج عما لزمه من مظالمه، فإن أول منزلة من التوبة إرضاء الخصوم بما أمكنه، فإن اتسع ذات يده لإبصال حقوقهم إليهم، أو سمحت أنفسهم بإحلاله والبراءة عنه، وإلا فالعزم بقلبه على أن يخرج عن حقوقهم عند الإمكان والرجوع إلى الله سبحانه بصدق الابتهاج والدعاء لهم.

وللتائبين صفات وأحوال: هي من خصائصهم، يعدُّ ذلك من جملة التوبة، لكونها من صفاتهم، لا لأنها من شرط صحتها، وإلى ذلك تشير أقاويل الشيوخ في معنى التوبة: سمعت الأستاذ أبا عليّ الدَّقَّاق، رحمه الله تعالى، يقول:

التوبة على ثلاثة أقسام: أوَّلها التوبة، وأوسطها الإنابة، وآخرها الأوبة.

فجعل التوبة بداية، والأوبة نهاية، والإنابة واسطتهما.

فكلُّ ما تاب لخوف العقوبة فهو صاحب إنابة.

ومن تاب مراعاة للأمر لا للرجبة في الثواب أو رهبة من العقاب فهو صاحب أوبة.

ويقال أيضاً: التوبة صفة المؤمنين، قال الله تعالى: " وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون " .

والإنابة: صفة الأولياء والمقرَّبين، قال الله تعالى: " وجاء بقلب منيب " .

والأوبة: صفة الأنبياء والمرسلين، قال الله تعالى: " نعم العبد إنه أواب " .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت جعفر بن نصير يقول: سمعت الجعيد يقول: التوبة على ثلاثة معان: أوَّلها: الندم، والثاني العزم على ترك المعادة إلى ما نهى الله عنه، والثالث السعي في أداء المظالم.

وقال سهل بن عبد الله: التوبة: ترك التسويف.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت أبا بكر الرازي، يقول: سمعت أبا عبد الله القرشي يقول: سمعت

الجعيد يقول: سمعت الحارث يقول: ما قلت قط، اللهم إني أسألك التوبة، ولكني أقول: أسألك شهوة التوبة.

أخبرنا أبو عبد الله الشيرازي، رحمه الله قال: سمعت أبا عبد الله بن مصلح، بالأهواز يقول. سمعت ابن زيري يقول:

سمعت الجعيد يقول: دخلت على السري يوماً فرأيتُه متغيراً، فقلت له: مالك؟ فقال: دخل علي شاب فسألني عن

التوبة، فقلت له: أن لا تنسى ذنبك!! فعارضني، وقال: بل التوبة أن تنسى ذنبك.

فقلت: إن الأمر عندي ما قاله الشاب.

فقال: لم؟ قلت: لأني إذا كنت في حال الجفاء فنقلني إلى حال الوفاء؛ فذكر الجفاء في حال الصفاء جفاء فسكت.

سمعت أبا حاتم السجستاني، رحمه الله، يقول: سمعت أبا نصر السراج الصوفي يقول: سئل سهل بن عبد الله عن

التوبة، فقال: أن لا تنسى ذنبك وسئل الجنيد عن التوبة فقال: أن لا تنسى ذنبك.

قال أبو نصر السراج: أشار سهل إلى أحوال المريدين والمتعرضين، تارة لهم، وتارة عليهم، فأما الجنيد فإنه أشار إلى توبة الحقيقين فإنهم لا يذكرون ذنوبهم بما غلب على قلوبهم من عظمة الله تعالى، ودوام ذكره.

قال: وهو مثل ما سئل روم عن التوبة، فقال: هي التوبة من الغفلة.

وسئل ذا النون المصري عن التوبة: فقال: توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة.

وقال أبو الحسين النوري: التوبة أن تتوب من كل شيء سوى الله عز وجل.

سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن علي ابن محمد التميمي يقول: شتان ما بين تائب يتوب من الزلات، وتائب يتوب من الغفلات، وتائب يتوب من رؤية الحسنات.

وقال الواسطي: التوبة النصوح لا تبقى على صاحبها أثراً من المعصية سراً ولا جهراً ومن كانت توبته نصوحاً لا يبالي كيف أمسى أو أصبح.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت محمد بن إبراهيم بن الفضل الهاشمي يقول: سمعت محمد بن الرومي يقول: سمعت يحيى بن معاذ يقول: إلهي، لا أقول تبت، ولا أعود لما أعرف من خلقي، ولا أضمن ترك الذنوب لما أعرف من ضعفي، ثم إنني أقول: لا أعود لعلي أن أموت قبل أن أعود.

وقال ذو النون: الاستغفار من غير إقلاع توبة الكاذبين.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت النصراباذي يقول: سمعت ابن يزيدانيار يقول، وقد سئل عن العبد إذا خرج إلى الله على أي أصل يخرج؟ فقال: على أن لا يعود إلى ما منه خرج، ولا يراعي غير من إليه خرج، ويحفظ سره عن ملاحظة ما تبرأ منه.

ف قيل له: هذا حكم من خرج عن وجود، فكيف حكم من خرج عن عدم؟ فقال: وجود الخلاوة في المستأنف عوضاً عن المرارة في السالف.

وسئل البوشنجي عن التوبة فقال: إذا ذكرت الذنب ثم لا تجد حالوته عند ذكره، فهو التوبة.

وقال ذو النون: حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رحبت، حتى لا يكون لك قرار.. ثم تضيق عليك نفسك، كما أخبر الله تعالى في كتابه بقوله: " وضائق عليهم أنفسهم، وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، ثم تاب عليهم ليتوبوا ".

وقال ابن عطاء: التوبة: توبتان: توبة الإقامة، وتوبة الاستجابة.

فتوبة الإنابة: أن يتوب العبد خوفاً من عقوبته.

وتوبة الاستجابة: أن يتوب حياء من كرمه: وقيل لأبي حفص: لم يبغض التائب الدنيا؟ قال: لأنها دار باشر فيها الذنوب.

ف قيل له: فهي أيضاً دار أكرمه الله فيها بالتوبة؟ فقال: إنه الذنب على يقين، ومن قبول توبته على خطر.

وقال الواسطي: طرب داوود عليه السلام، وما هو فيه من حالوة الطاعة أوقعه في أنفاس متصاعدة، وهو في الحالة الثانية أتم منه في وقت ما ستر عليه من أمره.

وقال بعضهم: توبة الكذابين على أطراف ألسنتهم يعني قوله: " أستغفر الله ".

وسئل أبو حفص عن التوبة، فقال: ليس للعبد في التوبة شيء!! لأن التوبة إليه، لا منه.

وقيل: أوحى الله سبحانه، إلى آدم ورثت ذريتك التعب والنصب، وورثتهم التوبة، من دعاني منهم يدعونك لبيته

كتليبتيك، يا آدم أحشر التائبين، من القبور مستبشرين ضاحكين، ودعاؤهم مستجاب.
وقال رجل لرابعة: إني أكثر من الذنوب والمعاصي، فلو تبت هل يوب علي؟ فقالت: لا بل لو تاب عليك لتبت.
وإعلم أن الله تعالى قال: " إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ومن قارف الزلة فهُوَ من خطئته على يقين، فإذا تاب، فإنه من القبول على شكل، لاسيما إذا كان من شرطه وحقه أن يكون مستحقاً لحبة الحق وإلى أن يبلغ العاصي محلاً يجيد في أوصافه أمانة محبة الله إليه مسافة بعيدة، فالواجب إذن على العبد إذا علم أنه ارتكب ما تجب منه التوبة دوام الإنكسار، وملازمة التوصل والاستغفار. كما قالوا: " استشعار الرجل إلى الأجل " ، وقال عز من قائل: " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله " .

وكان من سنته صلى الله عليه وسلم: دوام الاستغفار، وقال صلى الله عليه وسلم: " إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة " .

سمعت أبا عبد الله الصوفي يقول: سمعت الحسين بن علي يقول: سمعت محمد بن أحمد يقول: سمعت عبد الله بن سهل يقول: سمعت يحيى بن معاذ يقول: زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا عبد الله الرازي يقول: سمعت أبا عثمان يقول في قوله عز وجل: " إن إلينا إيابهم " قال: رجوعهم، وإن تمادى بهم الجولان في المخالفات.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا عمرو الأنماطي يقول: ركب علي بن عيسى الوزير في موكب عظيم فجعل الغرباء يقولون: من هذا؟ من هذا؟ فقالت امرأة قائمة على الطريق: إلى متى تقولون من هذا؟ من هذا؟! هذا عبد سقط من عين الله فابتلاه الله بما ترون. فسمع علي بن عيسى ذلك، فرجع إلى منزله واستغنى عن الوزارة، وذهب إلى مكة وجاور بها.

باب الجاهدة

قال الله تعالى: " والذين جاهلوا فينا، لنهدينهم سبلنا، وإن الله لمع الحسنيين " .
أخبرنا أبو الحسين علي بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، قال: أخبرنا العباس بن الفضل الإسقاطي، قال: أخبرنا ابن كاسب قال أخبرنا ابن عيينة، عن علي بن زيد، عن أبي نصر، عن أبي سعيد الخدري، قال: " سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن أفضل الجهاد " ، فقال: " كلمة عدل عند سلطان جائر " فدمعت عينا أبي سعيد.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: من زين ظاهره بالجاهدة حسن الله سرائره بالشهادة، قال الله تعالى: " والذين جاهلوا فينا لنهدينهم سبلنا " .

وأعلم أن من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة.
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا عثمان المغربي يقول: من ظن أن يفتح له شيء من هذه الطريقة، أو يكشف له عن شيء منها إلا بلزوم الجاهدة فهو في غلط.
سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: من لم يكن له في بدايته قومة، لم يكن له في نهايته جلسة.
وسمعت أيضاً يقول: قولهم الحركة بركة: حركات الظواهر توجب بركات السرائر.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول: سمعت الحسين بن علويه يقول: قال أبو يزيد البسطامي: كنت نثني عشرة سنة حدّاد نفسي وخمس سنين كنت مرآة قلبي، وسنة أنظر فيما بينهما، فإذا في وسطي زَنَار ظاهر، فعملت في قطعة نثني عشرة سنة.

ثم نظرت، فإذا في باطني زنار فعملت في قطعة خمس سنين أنظر كيف أقطعه فكشف لي، فنظرت إلى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت جعفرًا يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول: يا معشر الشباب، جدوا قبل أن تبلغوا مبلغى فتضعفوا وتقصروا كما ضعفت وقصرتُ: وكان في ذلك الوقت لا يلحقه الشباب العبادة.

وسمعته يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت عبد العزيز النجراني يقول: سمعت الحسن القزاز يقول: بني هذا الأمر على ثلاثة أشياء: أن لا تأكل إلا عند الفاقة، ولا تنام إلا عند الغلبة، ولا تتكلم إلا عند الضرورة.

وسمعته يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن حامد يقول: سمعت أحمد بن خضروية يقول: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: لن ينال الرجل درجة الصالحين، حتى يجوز ست عقبات: أولها: أن يغلق باب النعمة، ويفتح باب الشدة.

والثاني: أن يغلق باب العز، ويفتح باب الذلّ.

والثالث: أن يغلق باب الراحة؛ ويفتح باب الجهد.

والرابع: أن يغلق باب النوم، ويفتح باب السهر.

والخامس: أن يغلق باب الغنى، ويفتح باب الفقر.

والسادس: أن يغلق باب، الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول سمعت جدي أبا عمرو بن نجيد يقول: من كرمت عليه نفسه هان عليه دينه!! وسمعته يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: إذا قال الصوفي بعد خمسة أيام أنا جائع، فالزموه السوق، وأمروه بالكسب.

وأعلم أن أصل المجاهدة وملاكمها: فطم النفس عن المألوفات، وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات. وللنفس صفتان ما نعتان لها من الخير: أهماك في الشهوات، وامتناع عن الطاعات فإذا جمحت عند ركوب الهوى وحب كبحها بلجام التقوى، وإذا حرنت عند القيام بالموافقات يجب سوقها على خلاف الهوى، وإذا ثارت عند غضبها، فمن الواجب مراعاة حالها، فما من منازلة أحسن عاقبه من غضب يكسب سلطانه بخلق حسن، وتحمد نيرانه برفق، فإذا استحلّت شراب الرعونة فضاقّت، إلا عن إظهار مناقبها والترين لمن ينظر إليها ويلاحظها، فمن الواجب كسر ذلك عليها، وإحلالها بعقوبة الذل بما يذكرها من حقارة قدرها، وخساسة أصلها، وقذارة فعلها. وجهد العوام في توفية الأعمال وقصد الخواص إلى تصفية الأحوال فإن مقاساة الجوع والسهر سهل يسير، ومعالجة الأخلاق والتنقي من سفاسفها صعب شديد.

ومن غوامض آفات النفس: ركوتها إلى استحلاء المدح، فإن من تحسى منه جرعة حمل السموات والأرضين على شفرة من أشفاره.

وأمانة ذلك: أنه إذا انقطع عنه ذلك الشرب آل حاله إلى الكسل والقشل.

وكان بعض المشايخ يصلي في مسجده في الصف الأول سنين كثيرة، فعاقبه يوماً عن الابتكار إلى المسجد عائق،

فصلى في الصف الأخير، فلم ير بعد ذلك مدة، فسئل عن السبب، فقال: كنت أقضي صلاة كذا، وكذا سنة صليتها وعندي أي مخلص فيها لله، فداخلي يوم تأخري عن المسجد من شهود الناس إياي في الصف الأخير نوع خجل، فعلمت أن نشاطي طول عمري إنما كان رويتهم فقصيت صلواتي.

ويحكى عن أبي محمد المرتعش، أنه قال: حججت كذا، وكذا حجة على التجريد، فبان لي أن جميع ذلك كان مشوباً بحظي؛ وذلك: أن والدتي سألتني يوماً أن أسقي لها جرّة ماء فتقل ذلك على نفسي، فعلمت أن مطاوعة نفسي في الحججات كانت لحظ، وشوب لنفسي، إذ لو كانت نفسي فانية لم يصعب عليها ما هو حق في الشرع. وكانت امرأة قد طعت في السن، فسئلت عن حالها، فقالت: كانت في حال الشباب أجد من نفسي نشاطاً وأحوالاً؛ أظنها قوة الحال، فلما كبرت زالت عني، فعلمت أن ذلك كان قوة الشباب، فوهمتها أحوالاً. سمعت الشيخ أبا عليّ الدقاق يقول: ما سمع هذه الحكاية أحد من الشيوخ إلا رقّ لهذه العجوز، وقال: إنما كانت منصفه.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت يوف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون المصري يقول: ما أعز الله عبداً بعز هو أعز له من أن يدلّه على ذلك نفسه، وما أذل الله عبداً بذل هو أذل له من أن يحجبه عن ذلك نفسه.

وسمعت يقول: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت إبراهيم الخواص يقول: ما هالني شيء إلا ركبته. وسمعت يقول: سمعت عبد الله الرازي يقول: سمعت محمد بن الفضل يقول، الراحة: هو الخلاص من أماني النفس. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: دخلت الآفة على الخلق من ثلاثة: سقم الطبيعة، وملازمة العادة، وفساد الصحبة. فسألته: ما سقم الطبيعة؟ فقال: أكل الحرام.

فقلت، ما ملازمة العادة؟ فقال: النظر، والاستمتاع بالحرام، والغيبة. قلت: فما فساد الصحبة؟ قال: كلما هاجت في النفس الشهوة تبعته. وسمعت يقول: سمعت التصراياذي يقول: سجنك نفسك. إذا خرجت منها وقعت في راحة أبدية. وسمعت يقول: سمعت محمد الفراء يقول: سمعت أبا الحسين الورّاق يقول: كان أجل أحكامنا في مبادئ أمرنا في مسجد أبي عثمان الحيري الإيثار بما يفتح علينا، وأن لا نببت على معلوم، ومن استقبلنا بمكروه لا نتقم لأنفسنا، بل نعتذر إليه، ونواضع له، وإذا وقع في قلوبنا حقارة لأحد قمنا بخدمته والإحسان إليه حتى يزول. وقال أبو حفص: النفس ظلمة كلها، وسراجها سرها، ونور سراجها التوفيق، فمن لم يصحبه في سرّه توفيق من ربه كان ظلمة كلّ.

قال الأستاذ الإمام القشيري: معنى قوله "سراجها سرها" يريد: سرّ العبد الذي بينه وبين الله تعالى، وهو محل إخلاصه، وبه يعترف العبد أن الحادثات بالله لا بنفسه ولا من نفسه؛ ليكون متبرئاً من حوّل وقوته على استدامة أوقاته، ثم بالتوفيق يعتصم من شرور نفسه، فإن من لم يدركه التوفيق لم ينفعه علمه بنفسه، ولا بره، ولهذا قال الشيوخ: من لم يكن له سر فهو مُصر.

وقال أبو عثمان: لا يرى أحد عيب نفسه وهو مستحسن من نفسه شيئاً، وإنما يرى عيوب نفسه من يتهمها في جميع الأحوال.

وقال أبو حفص: ما أسرع هلاك من لا يعرف عيبه، فإن المعاصي يريد الكفر.

وقال أبو سليمان: ما استحسنت من نفسي عملاً فاحتسبت به.
وقال السري: إياكم وجيران الأغنياء، وقرءاء الأسواق، وعلماء الأمراء: وقال ذو النون المصري: إنما دخل الفساد على الخلق من ستة أشياء: الأول: ضعف النية بعمل الآخرة.
والثاني: صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم.
والثالث: غلبهم طول الأمل مع قرب الأجل.
والرابع: آثروا رضا المخلوقين على رضا الخالق.
والخامس: اتبعوا أهواءهم ونبدوا سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، وراء ظهورهم.
والسادس: جعلوا قليل زلات السلف حجة لأنفسهم، ودفنوا كثير مناقبهم.

باب الخلوة والعزلة

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان، قال: أخبرنا أحمد بن عبيد البصري، قال: حدثنا عبد العزيز بن معاوية قال: حدثنا القعني قال: حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه، عن بعجة بن عبد الله بن بدر الجهني، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن من خير معاش الناس كلهم رجلاً آخذاً بعنان فرسه في سبيل الله، إن سمع فرعة أو هيعة كان على متن فرسه يبتغي الموت أو القتل في مظانه، أو رجلاً في غنيمة له في رأس شعفة من هذه الشعاف، أو في بطن واد من هذه الأودية، يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين، ليس من الناس إلا في خير ".

قال الأستاذ: الخلوة: صفة أهل الصفة. والعزلة: من أمارات الوصلة.

ولا بد للمريد - في ابتداء حاله - من العزلة عن أبناء جنسه، ثم في نهايته - من الخلوة؛ لتحقيقه بأنسه. ومن حق العبد - إذا آثر العزلة - أن يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامة الناس من شره ولا يقصد سلامته من شر الخلق، فإن الأول من القسمين: نتيجة استصغار نفسه، والثاني شهود مزيته على الخلق. ومن استصغر نفسه فهو متواضع، ومن رأى لنفسه منزلة على أحد، فهو متكبر.

ورؤي بعض الرهبان، فقيل له: إنك راهب.

فقال: لا، بل أن حارس كلب؛ إن نفسي كلب يعقر الخلق آخر جنتها من بينهم، ليسلموا منها.

ومرَّ إنسان ببعض الصالحين؛ فجمع ذلك الشيخ ثيابه منه، فقال له الرجل: لم تجمع عني ثيابك، ليست ثيابي نجسة؟

فقال الشيخ: وهمت في ظنك، ثيابي هي النجسة. جمعتها عنك؛ لئلا تنجس ثيابك، لا لكي لا تنجس ثيابي.

ومن آداب العزلة: العارف؟ قالوا: كائن بائن، يعني: كائن مع الخلق، بائن عنهم بالسر.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: إلبس مع الناس ما يلبسون، وتناول مما يأكلون، وانفرد عنهم بالسر.

وسمعته يقول: جاءني إنسان، وقال: جنتك من مسافة بعيدة فقلت: ليس هذا الحديث من حيث قطع المسافة

ومقاساة الأسفار فارق نفسك ولو بخطوة، فقد حصل مقصودك.

يحكى عن أبي يزيد قال: رأيت ربي عز وجل في المنام، فقلت: كيف أجذك؟ فقال: فارق نفسك وتعال.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول سمعت أبا عثمان المغربي يقول: من أختار الخلوة على الصحبة ينبغي أن يكون خالياً من جميع الأذكار إلا ذكر ربه، وخالياً من جميع الإيرادات إلا رضا ربه، وخالياً من مطالبة النفس من جميع الأسباب، فإن لم يكن بهذه الصفة، فإن خلوته توقعه في فتنة أو بلية.

وقيل: الأفراد في الخلوة أجمع لدواعي السلوة.

وقال يحيى بن معاذ: أنظر: أنسك بالخلوة، أو أنسك معه في الخلوة، فن كان أنسك بالخلوة ذهب أنسك إذا خرجت منها، وإن كان أنسك به في الخلوة استوت لك الأماكن في الصحاري والبراري.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت محمد بن حامد يقول: جاء رجل إلى زيارة أبي بكر الوراق، فلما أراد أن يرجع، قال له: أوصني. فقال وجدت خير الدنيا والآخرة في الكثرة والقلّة، وشراً في الكثرة والاختلاط.

وسمعت يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت الجريري وقد سئل عن العزلة، فقال: هي الدخول بين الزحام وتمتع شرك أن لا يزاحمك، وتعزل نفسك عن الآثام، ويكون شرك مربوطاً بالحق.

وقيل؛ من أثر العزلة حصل العزلة.

وقال سهل: لا تصح الخلوة إلا بأكل الحلال، ولا يصح أكل الحلال إلا بأداء حق الله.

وقال ذو النون المصري: لم أر شيئاً أبعث على الإخلاص من الخلوة: وقال أبو عبد الله الرملي: فيمكن خدتك

الخلوة، وطعامك الجوع، وحديثك المناجاة فيما أن توت؛ وإما أن تصل الله سبحانه.

وقال ذو النون: ليس من احتجب عن الخلق بالخلوة، كمن احتجب عنهم بالله.

سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت جعفر بن نصير يقول: سمعت الجنيد يقول: مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة.

وقال مكحول: إن كان في مخالطة الناس خير فإن في العزلة السلامة.

وقال يحيى بن معاذ: الوحدة جليس الصديقين.

سمعت الشيخ أبا علي الدقاق يقول: سمعت الشبلي يقول: الإفلاس.. الإفلاس يا ناس.

فقيل له: يا أبا بكر، ما علامة الإفلاس؟ قال: من علامة الإفلاس الاستئناس بالناس.

وقال يحيى بن أبي كثير: من خالط الناس داراهم، ومن داراهم رايهم.

وقال شعيب بن حرب. دخلت على مالك بن مسعود بالكوفة، وهو في دار وحده، فقلت له: أما تستوحش

وحذك؟ فقال: ما كنت أرى أن أحداً يستوحش مع الله.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا عمر والأعاطي يقول، سمعت

الجنيد يقول: من أراد أن يسلم له دينه، ويستريح بدنه وقلبه، فليعتزل الناس، فإن هذا زمان وحشة، والعقل من

اختار فيه الوحدة.

وسمعت يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: قال أبو يعقوب السوسي: الأفراد لا يقوى عليه إلا الأقوياء، ولأمثالنا:

الاجتماع أوفر وأنفع، يعمل بعضهم على رؤية بعض.

وسمعت يقول: سمعت أبا عثمان سعيد بن أبي سعيد يقول: سمعت أبا العباس الدماغاني يقول: أوصاني الشبلي، فقال:

الزم الوحدة، وامح اسمك عن القوم، واستقبل الجبار حتى توت.

وجاء رجل إلى شعيب بن حرب، فقال له: ما جاء بك؟ فقال أكون معك.

قال: يا أخي، إن العبادة لا تكون بالشركة، ومن لم يستأنس بالله لم يستأنس بشيء. حكى أن بعضهم قيل له: ما أعجب ما لقيت في سياحتك؟ فقال لهم: لقيت الخضر، فطلب مني الصحبة: فخشيت أن يفسد علي توكلي. وقيل لبعضهم: هاهنا أحد تستأنس به؟ فقال: نعم... ومد يده إلى مصحف ووضعه في صدره، وقال: هذا. وفي معناه أنشدوا:

وكتبك حولي لا تفارق مضجعي... وفيها شفاء للذي أنا كاتم
وقال رجل لذي النون المصري.

متى تصح لي العزلة؟ فقال: إذا قويت على عزلة نفسك.

وقيل لابن المبارك: ما دواء القلب؟ فقال: قلة الملاقاة للناس.

وقيل: إذا أراد الله أن يقل العبد من ذلك المعصية إلى عز الطاعة آتسه بالوحدة وأغناه بالقناعة وبصره بعيوب نفسه، فمن أعطى ذلك فقد أعطى خير الدنيا والآخرة.

باب التقوى قال الله تعالى: " إن أكرمكم عند الله أتقاكم " .

وأخبرنا أبو الحسين علي بن أحمد بن عبدان، قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، قال: أخبرنا محمد بن الفضل بن جابر قال: حدثنا ابن عبد الأعلى القرشي، قال: حدثنا يعقوب العمي، عن ليث، عن مجاهد، عن أبي سعيد الخدري قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا نبي الله، أوصني.

فقال: " عليك بتقوى الله؛ فإنه جماع كل خير، وعلية بالجهاد، فإنه رهبانية المسلم، وعلية بذكر الله، فإنه نور لك " .

وأخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، قال أخبرنا أحمد بن عبيد، قال: أخبرنا عباس بن المفضل الإسقاطي؛ قال: حدثنا أحمد بن يونس قال: حدثنا أبو هرمز نافع بن هرمز، قال: سمعت أنساً رضي الله عنه؛ يقول: " قيل يا نبي الله من آل محمد؟ قال: كل تقوي " .

فالتقوى جماع الخيرات.

وحقيقة الإلتقاء التحرز بطاعة الله عن عقوبته؛ يقال: اتقى فلان بترسه.

وأصل التقوى: انقضاء الشرك؛ ثم بعده: انقضاء المعاصي والسيئات، ثم بعده انقضاء الشبهات؛ ثم يدع بعده الفضلات. كذلك سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله؛ يقول، سمعته يقول: ولكل قسم من ذلك باب. وجاء في تفسير قوله عز وجل: " اتقوا الله حق تقاته " إن معناه: أن يطاع فلا يعصى؛ ويُذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول: سمعت أحمد بن عاصم يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول: لا معين إلا الله، ولا دليل إلا رسول الله، ولا زاد إلا التقوي، ولا عمل إلا الصبر عليه.

وسمعت يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الكتاني يقول: قسمت الدنيا على البلوى وقسمت الآخرة على التقوي؛ وسمعت يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الجريري يقول: من لم يُحكم بينه وبين الله التقوي والمراقبة لم يصل إلى الكشف المشاهدة.

وقال النصرابادي: التقوي: أن يبقى العبد ما سوى الله عز وجل.

وقال سهل: من أراد أن تصح له التقوي فليترك الذنوب كلها.

وقال النصرابادي: من لزم التقوي اشتقاق إلى مفارقة الدنيا، لأن الله سبحانه يقول: " وللدار الآخرة خير للذين

يتقون أفلا تعقلون " .

وقال بعضهم: من تحقق في التقوى هون الله على قلبه الإعراض عن الدنيا.

وقال أبو عبد الله الروذباري: التقوي: مجانية ما يبعدك عن الله.

وقال ذو النون المصري: التقوي: من لا يدنس ظاهره بالمعارضات، ولا باطنه بالعلالات ويكون واقفاً مع الله موقف الاتفاق.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه ال(له، يقول: سمعت أبا الحسن الفارسي يقول: سمعت ابن عطاء يقول: للتقوى ظاهر وباطن، فظاهره: محافظة الحدود. وباطنه: النية والإخلاص.

وقال ذو النون:

ولا عيش إلا مع رجال قلوبهم ... تخن إلى التقوى وترتاح للذكر

سكون إلى روح اليقين وطيبه ... كما سكن الطفل الرضيع إلى الحجر

وقيل: يستدل على تقوى الرجل بثلاث: حسن التوكل فيما لم ينل، وحسن الرضا فيما قد نال، وحسن الصبر على ما قد فات.

وقال طلق بن حبيب: التقوى: عمل بطاعة الله على نور من الله، مخافة عقاب الله.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت محمداً الفراء يحكي عن أبي حفص: أنه قال: التقوى بالحلال الخضر، لا غير.

وسمعه يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا الحسين الزنجاني يقول: من كان رأس ماله التقوى كلت الألسن عن وصف ربحه.

وقال الواسطي: التقوي: أن يقي من تقواه يعني: من رؤية تقواه والنتقي مثل ابن سيرين؛ اشترى أربعين جاً سمناً، فأخرج غلامه فأرة من حب فسأله: من أي حب أخرجتها؟ فقال لا أدري! فصيها كلها على الأرض. ومثل ابن يزيد:

اشترى بمذان حب القرطم، ففضل منه شيء، فلما رجع إلى بسطام رأى فيه ثملتين، فرجع إلى همدان فوضع الثملتين.

ويحكي أن أبا حنيفة كان لا يجلس في ظل شجرة غريمة. ويقول: قد جاء في الخبر: " كل قرض جر نفعاً فهو رباً " .

وقيل: إن أبا يزيد غسل ثوبه في الصحراء مع صاحب له.

فقال له صاحبه: تعلق الثوب في جدار الكرم.

فقال لا، لا تغرز الوتد في جدار الناس.

فقال: نعلقه في الشجر.

فقال: لا، إنه يكسر الأغصان.

فقال: نبسطه على الأذخر.

فقال: لا؛ إنه علق اللواب، لا نستره عنها.

قولي ظهره إلى الشمس والقميص على ظهره، حتى جف جانب، ثم قلبه حتى جف الجانب الآخر.

وقيل: إن أبا يزيد دخل يوماً الجامع، فغرز عصاه في الأرض فسقطت، ووقعت على عصا شيخ بجنبه ركز عصاه في

الأرض، فألقته. فالتحنى الشيخ وأخذ عصاه، فمضى أبو يزيد إلى بيت الشيخ واستحله، وقال: كان السبب في

المخناك تفريطي في غرز عصاي، حيث حنجب إلى أن تنحني.
ورؤى عتبة الغلام بمكان يتصبب عرقاً في الشتاء، فقبل له في ذلك.
فقال: إنه مكان عصيت فيه ربي!! فسئل عنه فقال: كشطت من هذا الجدار قطعت طين، غسل بها ضيف لي يده،
ولم أستحل من صاحبه.

وقال إبراهيم بن أدهم: بت ليلة تحت الصخرة ببيت المقدس؛ فلما كان بعض الليل نزل ملكان، فقال أحدهما
لصاحبه: من هاهنا؟ فقال الآخر: إبراهيم بن أدهم.
فقال: ذاك الذي حط بالله سبحانه درجة من درجاته.

فقال: لم؟ قال: لأنه اشترى بالبصرة تمرًا، فوقعت تمره على تمر من تمر البقال، فلم يردها على صاحبه.
قال إبراهيم: فمضيت إلى البصرة، واشترت التمر من ذلك الرجل، وأوقعت تمره على تمر، ورجعت إلى بيت
المقدس، وبت في الصخرة.

فلما كان بعض الليل، إذ أنا بملكين نزلًا من السماء.

فقال أحدهما لصاحبه: من هاهنا؟ فقال الآخر: إبراهيم بن أدهم: فقال: ذلك الذي رد الله مكانه، ورُفعت درجته.
وقيل: التقوى على وجوه: للعامة: تقوى الشرك، وللخاصة: تقوى المعاصي، وللأولياء: تقوى التوصل بالأفعال،
وللأنبياء تقوى نسبة الأفعال؛ إذ تقواهم منه إليه.

وعن أمير المؤمنين علي، رضي الله عنه، قال: سادة الناس في الدنيا الأستخياء، وسادة الناس في الآخرة الأتقياء.
أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي، قال: أخبرنا أبو الحسين البصري قال: أخبرنا بشر بن موسى، قال: حدثنا محمد بن
عبد الله بن المبارك، عن يحيى ابن أيوب، عن عبيد الله بن رحو، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة؛ عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " من نظر إلى محاسن امرأة فغض بصره في أول مرة، أحدث الله له عبادة يجد
حلاوتها في قلبه " .

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا العباس محمد بن الحسين، يقول: سمعت محمد بن عبد الله الفرغاني يقول:
كان الجنيد جالساً مع رويم، والجريري، وابن عطاء، فقال الجنيد: ما نجا من نجا إلا بصد اللجا، قال الله تعالى: "
وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت.. الآية " .

وقال رويم، رحمه الله: ما نجا من نجا إلا بصدق التقى، قال تعالى: " وينجي الله الذين اتقوا بمغازتهم.. " .

وقال الجريري: ما نجا من نجا إلا بمراعاة الوفاء، قال الله تعالى: " والذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق " .

وقال ابن عطاء: ما نجا من نجا إلا بتحقيق الحياء من الله قال الله تعالى: " ألم يعلم بأن الله يرى " .

وقال الأستاذ الإمام: ما نجا من نجا إلا بالحكم والقضاء، قال الله تعالى: " إن الذين سبقتم منا الحسنى " الآية.

وقال أيضاً: ما نجا من نجا إلا بما سبق له من الاجتباء، قال الله تعالى: " واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم " .

باب الورع

أخبرنا أبو الحسين عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي، قال: حدثنا محمد بن سليمان الزاهد قال أخبرنا
محمد بن الحسين بن قتيبة، قال: حدثنا أحمد بن إبي طاهر الخرساني. قال: حدثنا يحيى بن العيزار قال: حدثنا محمد بن

يوسف الفريائي، عن سفيان، عن الأجلح، عن عبد الله بن بريدة، عن أبي الأسود الدؤلي، عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه " .

قال الأستاذ الإمام رضي الله عنه: أما الورع، فإنه: ترك الشهوات. كذلك قال إبراهيم بن أدهم: الورع ترك كل شبهة، وترك مالا يعينك هو ترك الفضلات.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: " كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن تقع في باب من الحرام " . وقال صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة: " كن ورعاً تكن أعبد الناس " .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، يقول سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت جعفر بن محمد يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول: كان أهل الورع في أوقاتم أربعة: حذيفة المرتعش، ويوسف بن أسباط، وإبراهيم بن أدهم، وسليمان الخواص، فنظروا في الورع فلما ضاقت عليهم الأمور فزعوا إلى التقليل.

وسمعت يقول: سمعت أبا القاسم الدمشقي يقول: سمعت الشبلي يقول: الورع أن تتورع عن كل ما سوى الله تعالى. وسمعت يقول: أخبرنا أبو جعفر الرازي قال: حدثنا العباس بن حمزة قال: حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال: حدثنا اسحق بن خلف؛ قال: الورع، المنطق: أشد منه في الذهب والفضة، والزهد في الرياسة ك أشد منه في الذهب والفضة، لأنك تبدلها في طلب الرئاسة.

وقال أبو سليمان الداراني: الورع: أول الزهد، كما أن القناعة: طرف من الرضا.

وقال أبو عثمان: ثواب الورع خفة الحساب.

وقال يحيى بن معاذ: الورع: الوقوف على حد العلم من غير تأويل.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول: سمعت محمد بن داود الدينوري يقول: سمعت عبد الله بن الجلاء يقول: أعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة لم يشرب من ماء زمزم إلا ما استقاه بركوته، ورشائه، ولم يتناول من طعام جاب من مصر.

وسمعت يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت علي بن موسى التاهرتي يقول: وقع من عبد الله بن مروان فلس في بئر قدرة، فاكترى عليه بثلاثة عشر ديناراً حتى أخرجه، فقيل له في ذلك، فقال: كان عليه اسم الله تعالى.

وسمعت يقول: سمعت أبا الحسن الفارسي يقول: سمعت بن علوية يقول: سمعت يحيى بن معاذ يقول: الورع على وجهين: ورع في الظاهر؛ وهو: أن لا يتحرك إلا الله تعالى.

وورع في الباطن، وهو: أن لا يدخل قلبك سوى الله تعالى: وقال يحيى بن معاذ: من لم ينظر في الدقيق من الورع لم يصل إلى الجليل من العطاء.

وقيل: من دق في الدين نظره جل في القيامة خطره.

وقال ابن الجلاء: من لم يصحبه النقي في فقره أكل الحرام النص.

وقال يونس بن عبيد: الورع: الخروج عن كل شبهة، ومحاسبة النفس في كل طرفة.

وقال سفيان الثوري: ما رأيت أسهل من الورع: ما حاك في نفسك تركته، وقال معروف الكرخي: احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الدم.

وقال بشر بن الحارث: أشد الأعمال ثلاثة: الجود في القلة، والورع في الخلوة، وكلمة الحق عند من يخاف منه ويرجى.

وقيل: جاءت أخت بشر الحافي إلى أحمد بن حنبل وقالت: إنا نغزل على سطوحنا، فتمر بنا مشاعل الظاهرية، ويقع

الشعاع علينا، أفيجوز لنا الغزل في شعاعها؟.

فقال أحمد: من أنت؟ عافاك الله تعالى.

فقالت: أحت بشر الحافي.

فبكي أحمد وقال: من بيتكم يخرج الورع الصادق، لا تغزلي في شعاعها.

وقال علي العطار: مررت بالبصرة في بعض الشوارع، فإذا مشايخ قعود وصبيان يلعبون، فقلت: أما تستحون من

هؤلاء المشايخ؟! فقال صبي من بينهم: هؤلاء المشايخ قل ورعهم فقلت هيبتهم.

وقيل: إن مالك بن دينار مكث بالبصرة أربعين سنة، فلم يصح له أن يأكل شيئاً من تمر البصرة، ولا من رطبها، حتى

مات ولم يذقه. وكان إذا انقضى وقت الرطب قال: يا أهل البصرة، هذا بطني ما نقص منه شيء ولا زاد فيكم.

وقيل لإبراهيم بن أدهم: ألا تشرب من ماء زمزم؟ فقال لو كان لي دلو لشربت منه.

سمعت الأستاذ أبا الدقاق يقول: كان الحارث الحاسبي إذا مدَّ يده إلى طعام فيه شبهة ضرب على رأس إصبعه عرق

فيعلم إنه غير حلال.

وقال: إن بشراً الحافي دعى إلى دعوة، فوضع بين يديه طعام، فجهد أن يمد يده إليه، فلم تمتد. ففعل ذلك ثلاث

مرات. فقال رجل يعرف ذلك منه: إن يده لا تمتد إلى طعام فيه شبهة، ما كان أعنى صاحب هذه الدعوة أن يدعو

هذا الشيخ؟!

أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى الصوفي، قال: سمعت عبد الله بن علي ابن يحيى التميمي قال سمعت أحمد بن محمد بن

سالم بالبصرة يقول: سئل سهل ابن عبد الله عن الحلال الصافي، فقال: هو الذي لا يعصي الله تعالى فيه.

وقال سهل: الحلال الصافي: الذي لا ينسى الله تعالى فيه.

ودخل الحسن البصري مكة، فرأى غلاماً من أولاد علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، قد أسند ظهره إلى الكعبة يعظ

الناس، فوثب عليه الحسن وقال له: ما ملاك الدين؟ فقال: الورع. فقال له: فما آفة الدين؟ فقال: الطمع. فتعجب

الحسن منه.

وقال الحسن: مثقال ذرة من الورع للسالم خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة.

وأوحى الله سبحانه، إلى موسى، عليه الصلاة والسلام: لم يتقرب إلى المتقربون بمثل الورع والزهد.

وقال: أبو هريرة: جلساء الله تعالى غداً: أهل الورع والزهد.

وقال: سهل بن عبد الله: من لم يصحبه الورع أكل رأس الفيل ولم يشبع!! وقيل: حمل إلى عمر بن عبد العزيز مسك

من الغناتم، فنبض علي مشامه.

وقال: إنما ينتفع من هذا بربحه، وأنا أكره أن أجد ربحه دون المسلمين.

وسئل أبو عثمان الخيري عن الورع، فقال: كان أبو صالح حمدون عند صديق له، وهو في النزح، فمات الرجل،

فنفت أبو صالح في السراج، فقيل له في ذلك، فقال: إلى الآن كان الدهن له في المسرجة، ومن الآن صار للورثة.

اطلبوا دهنًا غيره.

وقال كههمس: أذنبت ذنباً أبكي عليه منذ أربعين سنة؛ وذلك: أنه زارني أخ لي؛ فاشتريت لأجله بدانفق سمكة

مشوية، فلما فرغ أخذت قطعة طين من جدار جار لي حتى غسل بها يده ولم أستحله.

وقيل: كان رجل يكتب رقعة، وهو في بيت بكراء، فأراد أن يترب الكتاب من جدار البيت، فخرط بياله أن البيت

بالكراء.. ثم إنه خطر بياله أنه لا خطر لهذا، فترب الكتاب، فسمع هاتفاً يقول: سيعلم المستخف بالتراب ما يلقاه

غداً من طول الحساب!! ورهن أحمد بن حنبل، رحمه الله تعالى، سِطَلاً له عند بقال بمكة، حرسها الله تعالى، فلما أراد فكأكه أخرج البقال إليه سطلين، وقال: خذ أيهما هو لك. فقال أحمد أشكل عليّ سطلي، فهو لك، والدرهم لك. فقال البقال: سطلك هذا، وأنا أردت أن أجربك. فقال: لا آخذه. ومضى. وترك السطل عنده.

وقيل: سيب ابن المبارك دابة قيمتها كثيرة، وصلى صلاة الظهر، فرتعت الدابة في زرع قرية سلطانية، فترك ابن المبارك الدابة ولم يركبها.

وقيل: رجع ابن المبارك من مرو إلى الشام في قلم استعاره فلم يرده على صاحبه. واستأجر النخعي دابة، فسقط سوطه من يده، فنزل، وربط الدابة، رجع فأخذ السوط، فقيل له: لو حولت الدابة إلى الموضع الذي سقط فيه السوط فأخذته كان أسهل لك فقال: إنما استأجرتها لأمضي هكذا.. لا هكذا!! وقال أبو بكر الدقاق: تمت في تبه بني إسرائيل خمسة عشر يوماً.. فلما وافيت الطريق، استقبلني جندي فسقاني شربة من ماء، فعادت قسوتها على قلبي وتأملت ثلاثين سنة.

وقيل: خاطت رابعة العدوية شقاً في قميصها في ضوء مشعلة سلطان، ففقدت قلبها زماناً، حتى تذكرت، فشقت قميصها، فوجدت قلبها.

وروي سفيان الثوري في المنام، وله جناحان يطير بهما في الجنة من شجرة إلى شجرة. فقيل: بم نلت هذا؟! فقال: بالورع.

ووقف حسان بن أبي سنان على أصحاب الحسن، فقال: أي شيء أشد عليكم؟ فقالوا: الورع. فقال: ولا شيء أخف علي منه.

فقالوا: فكيف؟ فقال: لم أرو من همركم منذ أربعين سنة.

وكان حسان بن أبي سنان لا ينام مضطجعاً، ولا يأكل سميناً ولا يشرب ماء بارداً ستين سنة، فرؤي في المنام بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟. فقال: خيراً، إلا أنني محبوس عن الجنة يابرة استعرتها فلم أردّها.

وكان لعبد الواحد بن زيد غلام خدمه ستين، وتعبه أربعين سنة: وكان في ابتداء أمره كيبلاً، فلما مات رؤي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: خيراً، غير أنني محبوس عن الجنة، وقد أخرج علي من غبار القفيز الذي اكتلته أربعين قفيزاً.

ومر عيسى ابن مريم؛ عليهما السلام بمقبرة، فنادى رجلاً منها، فأحياه الله تعالى: فقال: من أنت؟ فقال كنت حملاً أقبل للناس، فنقلت لإنسان يوماً حطباً، فكسرت منه خللاً تخللت به فأنا مطالب به منذ مت. وتكلم أبو سعيد الخراز في الورع.. فمر به عباس بن المهدي، فقال:

يا أبا سعيد، أما تستحي، تجلس تحت سقف أبي اللواتيق، وتشرب من بركة زبيدة، وتعامل بالدرهم المزيفة، وتتكلم في الورع!؟

باب الزهد

أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني، قال: أخبرنا أبو الحسن عبيد الله بن أحمد بن يعقوب المقرئ ببغداد، قال: حدثنا جعفر بن مجاشع قال: حدثنا زيد بن إسماعيل قال: حدثنا كثير بن هشام قال: حدثنا الحكم ابن هشام، عن يحيى بن سعيد، عن افروة، عن أبي خلاد - وكانت له صحبة - قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا رأيتم الرجل قد أوتي زهداً في الدنيا، ومنطقاً، فاقترىوا منه، فإنه يلقي الحكمة " .

قال الأستاذ الإمام أبو القاسم، رحمه الله: اختلف الناس في الزهد، فمنهم من قال: الزهد في الحرام، لأن الحلال مباح من قبل الله تعالى، فإذا أنعم الله على عبده بما من حلال، وتعبده بالشكر عليه، فتركه له باختياره. لا يقدم على إمساكه له بحق إذنه.

ومنهم من قال: الزهد في الحرام واجب، وفي الحلال فضيلة، فإن إقلال المال - والعبد صابر في حاله، راض بما قسم الله تعالى له، قانع بما يعطيه - أم من توسعه وتبسطه في الدنيا فإن الله تعالى زهد الخلق في الدنيا بقوله: " قل متاع الدنيا قليل، والآخرة خير لمن اتقى " : وغير ذلك من الآيات الواردة في ذم الدنيا والتزهيد فيها.

ومنهم من قال: إذا أنفق العبد ماله في الطاعة وعلم من حاله الصبر، وترك التعرض لما نهى الشرع عنه في حال العسر، فحينئذ يكون زهده في المال الحلال أتم.

ومنهم من قال: ينبغي للعبد أن لا يختار الحلال بتكلفه، ولا طلب الفضول مما لا يحتاج إليه ويراعي القسمة. فإن رزقه الله، سبحانه وتعالى مالا من حلال شكره، وإن وفقه الله تعالى، على حد الكفاف لم تكلف في طلب ما هو فضول المال، فالصبر أحسن بصاحب الفقر. والشكر أليق بصاحب المال الحلال.

معنى الزهد وتكلموا في معنى الزهد: فكل نطق عن وقته، وأشار إلى حده.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله يقول: حدثنا أحمد ابن إسماعيل الأزدي قال: حدثنا عمران بن موسى الإسفنجي قال: حدثنا الدورقي قال: حدثنا وكيع قال: قال سفيان الثوري: الزهد في الدنيا: قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ، ولا بلبس العباء.

وسمعت يقول: سمعت سعيد بن أحمد يقول: سمعت عباس بن عصام يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري السقطي يقول: إن الله سبحانه، سلب الدنيا عن أوليائه، وحماها عن أصفياؤه، وأجرها من قلوب أهل وداده؛ لأنه لم يرضها لهم.

وقيل: الزهد من قوله سبحانه وتعالى: " لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم " .

قال الزهد لا يفرح بوجود من الدنيا، ولا يتأسف على مفقود منها.

وقال أبو عثمان: الزهد: أن تترك الدنيا ثم لا تبالي بمن أخذها.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: الزهد: أن تترك الدنيا كما هي، لا تقول أبني بما رباطاً أو أعمر مسجداً.

وقال يحيى بن معاذ: الزهد: يورث السخاء بالملك، والحب يورث السخاء بالروح، وقال ابن الجلاء: الزهد: هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال، لتصغر في عينك فيسهل عليك الإعراض عنها.

وقال ابن خفيف: علامة الزهد: وجود الراحة في الخروج عن الملك.

وقال أيضاً: الزهد: سلو القلب عن الأسباب، وفض الأيدي من الأملاك.

وقيل الزهد: عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: سمعت النصر اباذي يقول: الزاهد: غريب في الدنيا،

والعارف غريب في الأخرة.

وقيل: من صدق في زهده أتته الدنيا راغمة.

ولهذا قيل: لو سقطت قلنسوة من السماء لما وقعت إلا على رأس من لا يريدتها.

وقال الجنيد: الزهد خلو القلب عمًا خلّت منه اليد.

وقال أبو سليمان الداراني: الصوف علم من أعلم الزهد؛ فلا ينبغي للزاهد أن يلبس صوفًا بثلاثة دراهم، وفي قلبه رغبة خمسة دراهم.

وقد اختلف السلف في الزهد.

فقال سفيان الثوري، وأحمد بن حنبل، وعيسى بن يونس، وغيرهم: الزهد في الدنيا: إنما هو قصر الأمل.

وهذا الذي قالوه يحمل على أنه من أمارات الزهد، والأسباب الباعثة عليه والمعاني الموجبة له.

وقال عبد الله بن المبارك: الزهد: هو الثقة بالله تعالى مع حب الفقر.

وبه قال شقيق البلخي، ويوسف بن أسباط وهذا أيضاً من أمارات الزهد، فإنه لا يقوى العبد على الزهد، إلا بالثقة بالله تعالى.

وقال عبد الواحد بن زيد: الزهد: ترك الدينار والدرهم.

وقال أبو سليمان الداراني: الزهد: ترك ما يشغل عن الله سبحانه وتعالى.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت أحمد بن علي يقول: سمعت إبراهيم بن فاثك يقول: سمعت الجنيد يقول، وقد سأله روجم عن الزهد، فقال: هو استصغار الدنيا، ومحو آثارها من القلب.

وقال سري: لا يطيب عيش الزاهد إذا اشتغل عن نفسه، ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه.

وسئل الجنيد عن الزهد، فقال: خلّو اليد من الملك، والقلب من التتبع.

وسئل الشبلي عن الزهد فقال: أن زهد فيما سوى الله تعالى.

وقال يحيى بن معاذ: لا يبلغ أحد حقيقة الزهد حتى يكون فيه ثلاث خصال: عمل بلا علاقة، وقول بلا طمع، وعز بلا رياسة.

وقال أبو حفص: الزهد لا يكون إلا في الحلال، ولا حلال في الدنيا، فلا زهد.

وقال أبو عثمان: إن الله تعالى يعطي الزاهد فوق ما يريد، ويعطي الراغب دون ما يريد، ويعطي المستقيم موافقة ما يريد.

وقال يحيى بن معاذ: الزاهد يسعطك الخل والخردل، والعارف يشمك المسك والعنبر.

وقال الحسن البصري: الزهد في الدنيا أن تبغض أهلها وتبغض ما فيها.

وقيل لبعضهم: ما الزهد في الدنيا؟ قال: ترك ما فيها على ما فيها.

وقال رجل لذي النون المصري: متى أزهد في الدنيا؟ فقال: إذا زهدت في نفسك.

وقال محمد بن الفضل: إيتار الزهاد عند الاستغناء، وإيتار الفتيان عند الحاجة، قال الله تعالى: " ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة " .

وقال الكتاني: الشيء الذي لم يخالف فيه كوفي ولا مدني ولا عراقي، ولا شامي: الزهد في الدنيا، وسخاوة النفس، والنصيحة للخلق، يعني أن هذه الأشياء لا يقول أحد إنها غير محمودة.

وقال رجل ليحيى بن معاذ: متى أدخل حانوت التوكل، وألبس رداء الزاهدين؟ فقال: إذا صرت من رياضتك في

السر إلى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف في نفسك.

فأما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل، ثم لا آمن عليك أن تفتضح بينهم!! وقال بشكر الحافي: الزهد: ملك لا يسكن إلا في قلب محلي.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت بن محمد بن الأشعث البيكندي يقول: من تكلم في الزهد، ووعظ الناس، ثم رغب في ما لهم، رفع الله تعالى حب الآخرة من قلبه.

وقيل: إذا زهد العبد في النيا وكل الله تعالى به ملكاً يغرس الحكمة في قلبه.

وقيل: لبعضهم: لم زهدت في الدنيا؟ فقال: لزهدها في.

وقال أمد بن حنبل: الزهد على ثلاثة أوجه: ترك الحرام، وهو: زهد العوام: والثاني: ترك القصول من حلال، وهو: زهد الخواص.

والثالث: ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى، وهو: زهد العارفين.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، يقول: قيل لبعضهم: لم زهدت في الدنيا؟ قال: لما زهدت في أكثرها أنفت من الرغبة في أقلها.

وقال يحيى بن معاذ: الدنيا كالعروس الجلوة، ومن يطلبها ما شطتها والزاهد فيها يسخم وجهها، وينتف شعرها، ويجرق ثوبها والعارف مشغل بالله تعالى، لا يلتفت إليها.

سمعت أبا عبد الله الصوفي يقول: سمعت: أبا الطيب السامري يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول: مارست كل شيء من أمر الزهد، فنلت منه ما أريد، إلا الزهد في الناس؛ فإني لم أبلغه، ولم أطقه.

وقيل. ما خرج الزاهدون إلا إلى أنفسهم، لأنهم تركوا النعيم الفاني للنعيم الباقي.

وقال النصر اباذي: الزاهد حقن دماء الزاهدين، وسفك دماء العارفين.

وقال حاتم الأصم. الزاهد يذيب كيسه قبل نفسه، والمتزاهد يذيب نفسه قبل كيسه.

سمعت محمد بن عبد الله يقول: حدثنا علي بن الحسين الموصلي قال: حدثنا أحمد بن الحسين قال: حدثنا محمد بن الحسن قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: جعل الله الشر كله في بيت، وجعل مفتاحه حب الدنيا، وجعل الخير كله في بيت، وجعل مفتاحه الزهد.

باب الصمت

أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني قال: حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان قال: حدثنا أحمد بن يوسف السلمي قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت " .

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدا، قال: أخبرنا أحمد بن عبيد قال: حدثنا بشر بن موسى الأسدي قال: حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني، عن بن المبارك، عن يحيى بن أيوب، عن عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن قبة بن عامر قال: قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: " احفظ عليك لسانك، وليسمعك بيتك، وأبك على خطيئتك " .

قال الأستاذ، رحمه الله: الصمت سلامة، وهو الأصل. وعليه ندامة إذا ورد عنه الزجر فالواجب: أن يعتبر فيه

الشرع، والأمر والنهي.

والسكوت في وقته: صفة الرجال، كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس.

والصمت: من آداب الحضرة، قال الله تعالى: " وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ".

وقال تعالى - خبراً عن الجن بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم - : " فلما حضروه قالوا أنصتوا... ".

وقال تعالى: " وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً ".

وكم بن عبد يسكت تصوناً عن الكذب والغيبة. وبين عبد يسكت لاستيلاء سلطان الهيبة عليه. وفي معناه

أنشلوا:

أفكر ما أقول إذا افترقنا ... وأحكم دائماً حجج المقال

فأنساها إذا نحن التقينا ... فانطق، حين أنطق، بالحال

وأنشلوا:

فياليل كم من حاجة له مهمة ... إذا جتكم لم أدر ياليل ماهيا

وأنشلوا:

وكم حديث لك حتى إذا ... مكنت من لقياك أنسيته

وأنشلوا:

رأيتك الكلام يزين الفتى ... والصمت خير لمن قد صمت

فكم من حروف تجر الخوف ... ومن ناطق ود أن لو سكت

والسكوت على قسمين: سكوت بالظاهر، وسكوت بالقلب والضمائر.

فالمتوكل: يسكت قلبه عن تقاضي الأرزاق.

والعارف: يسكت قلبه مقابلة للحكم بنعت الوفاق.

فهذا بجميل صنعه واثق، وهذا بجميع حكمه قانع.

وفي معناه قالوا:

تجري عليك صروفه ... وهموم شرك مطرقة

وربما يكون سبب السكوت حيرة البديهة؛ فإنه إذا ورد كشف عن وصف البغته خرس العبارات عند ذلك، فلا

بيان، ولا نطق. وطمست الشواهد هنالك، فلا علم، ولا حس.

وقال الله تعالى: " يوم يجمع الله الرسل فيقول: ماذا أجبتهم؟ قالوا لا علم لنا ".

فأما إيتار أرباب المجاهدة السكوت: فلما علموا ما في الكلام من الآفات؛ ثم ما فيه من حظ النفس، وإظهار صفات

المدح، والميل إلى أن يتميز بين أشكاله بحسن النطق، وغير هذا من آفات في الخلق، وذلك يتميز بين نعت أرباب

الرياضات، وهو أحد أركانهم في حكم المنازلة وتهذيب الخلق.

وقيل: إن داود الطائي، لما أراد أن يعقد في بيته اعتقد أن يحضر مجالس أبي حنيفة، رحمه الله، إذ كان تلميذاً له،

ويقعد بين أقرانه من العلماء، ولا يتكلم في مسألة، فلما قوّي نفسه على ممارسة هذه الخصلة سنة كاملة، قعد في بيته

عند ذلك وآثر العزلة.

وكان عمر بن عبد العزيز، رحمه الله، إذا كتب كتاباً واستحسن لفظه مزق الكتاب وغيره.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، يقول: أخبرنا عبد الله بن محمد الرازي، قال: حدثنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج قال: سمعت أحمد بن الفتح يقول: سمعت بشر بن الحارث يقول: إذا أعجبك الكلام فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلم.

وقال سهل بن عبد الله: لا يصح لأحد الصمت حتى يلزم نفسه للخلوة، ولا تصح له التوبة حتى يلزم نفسه الصمت.

وقال أبو بكر الفارسي: من لم يكن الصمت وطنه فوفي الفضول ون كان صامتاً.. والصمت ليس بمخصوص على اللسان، لكنه على القلب والجوارح كلها.

وقال بعضهم: من لم يستغنم السكوت فإذا نطق نطق بلغو.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت ممشاد الدينوري يقول: الحكماء ورثوا الحكمة بالصمت والفكر.

وسئل أبو بكر الفارسي عن صمت السر فقال: ترك الاشتغال بالماضي والمستقبل.

وقال أبو بكر الفارسي: إذا كان العبد ناطقاً فيما يعنيه، وفيما لا بد منه، فهو في حد الصمت.

روي عن معاذ بن جبل، رضي الله عنه، أنه قال: كلم الناس قليلاً، وكلم ربك كثيراً؛ لعل قلبك يرى الله تعالى. وقيل لذي النون المصري: من أصون الناس لقلبه؟ قال: أهلکم للسانه.

وقال ابن مسعود: ما من شيء يطول السجن أحق من اللسان.

وقال علي بن بكار: جعل الله تعالى لكل شيء باين، وجعل للسان أربعة أبواب: فالشفتان مصراعان، والأسنان مصراعان.

وقيل: إن أبا بكر الصديق، رضي الله عنه، كان يمسك في فيه حجراً كذا كذا سنة؛ ليقل كلامه.

وقيل: إن أبا حمزة البغدادي، رحمه الله، كان حسن الكلام، فهتف به هاتف، فقال له: تكلمت فأحسنت، بقي أن تسكت فتحسن؟ فما تكلم بعد ذلك حتى مات قريباً من هذه الحالة على رأس اسبوع، أو أقل، أو أكثر.

وربما يكون السكوت يقع على المتكلم تأديباً له، لأنه أساء أدبه في شيء.

كان الشبلي إذا قعد في حلقة، ولا يسألونه، يقول: " ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون " .

وربما يقع السكوت على المتكلم، لأن في القوم من هو أولى منه بالكلام.

سمعت ابن السماك يقول: كان بين شاه الكرمان، ويحيى بن معاذ صداقة، فجمعهما بلد، فكان شاه لا يحضر مجلسه، فقليل له في ذلك: فقال: الصواب هذا. فما زالوا به حتى حضر يوماً مجلسه، وقعد ناحية لا يشعر به يحيى بن معاذ، فلما أخذ يحيى في الكلام سكت، ثم قال: ها هنا من هو أولى بالكلام مني، وارتج عليه فقال شاه: قلت لكم الصواب أن لا أحضر مجلسه.

وربما يقع السكوت على المتكلم لمعنى في الحاضرين، وهو أنه يكون هناك من ليس بأهل لسماع ذلك الكلام فيصون الله تعالى لسان المتكلم غيرة وصيانة لذلك الكلام عن غير أهله.

وربما كان سبب السكوت الذي يقع على المتكلم: أن بعض الحاضرين كان معلوم الله تعالى من حاله أنه يسمع ذلك الكلام، فيكون فتنة له، إما لتوهمه أنه وقته ولا يكون، أو لأنه يحمل نفسه مالا يطيق فيرحمه الله، عز وجل، بأن يحفظ سمعه عن ذلك الكلام، إما صيانة له، أو عصمة عن غلطة.

وقال مشايخ هذه الطريقة.

ربما يكون السبب فيه حضور من ليس بأهل لسماعه من الجن، إذ لا تخلو مجالس القوم من حضور جماعة من الجن. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: اعتلت مرة بمرو فاشتقت أن أرجع إلى نيسابور. فريت في المنام. كأن قائلاً يقول لي: لا يمكنك أن تخرج من هذا البلد، فإن جماعة من الجن قد استحلووا كلامك، ويحضرون مجلسك، فلاجلهم تجلس هاهنا.

وقال بعض الحكماء: إنما خلق للإنسان لسان واحد، وعينان، وأذنان، ليسمع ويصير أكثر مما يقول. ودعي إبراهيم بن أدهم إلى دعوة؛ فلما جلس أخذوا في الغيبة، فقال: فقال: عندنا يؤكل اللحم بعد الخبز، وأنتم ابتدأتم بأكل اللحم؟ أشار إلى قوله تعالى: "أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً، فكرهتموه". وقال بعضهم: الصمت، لسان الخلم.

وقال بعضهم: تعلم الصمت، كما تتعلم الكلام؛ فإن كان الكلام يهديك، فإن الصمت يقيك. وقيل: عفة اللسان صمته.

وقيل: مثل اللسان مثل السبع إن لم توثقه عدا عليك: وسئل أبو حفص: أي الحالين للوي أفضل؟ الصمت، أو النطق؟ فقال: لو علم الناطق ما آفة النطق لصمت إن استطاع عمر نوح، ولو علم الصامت ما آفة الصمت لسأل الله تعالى، ضعفي عمر نوح حتى ينطق.

وقيل: صمت العوام بالسننهم، وصمت العارفين بقلوبهم، وصمت الخيين بالتحفظ من خواطر اسرارهم.

وقيل لبعضهم: تكلم فقال: ليس لي لسان فأتكلم.

فقيل له: اسمع، فقال: ليس في مكان فأسمع.

وقال بعضهم: مكثت ثلاثين سنة لا يسمع قلبي إلا من لساني.

وقال بعضه: لو أسكت لسانك لم تتج من كلام قلبك، ولو صرت رميمًا لم تتخلص من حديث نفسك، ولو جهدت كل الجهد لم تكلمك روحك، لأنها كاتمة للسِر.

وقيل: لسان الجاهل مفتاح حنقه.

وقيل: الحب: إذا سكت هلك، والعارف إذا سكت ملك سمعت محمد بن الحسين، يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول: سمعت محمد بن نصر الصائغ يقول: سمعت مردوية الصائغ يقول: سمعت القضايل بن عياض يقول: من عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه.

باب الخوف

قال الله تعالى: "يدعون ربهم خوفاً وطعماً".

أخبرنا أبو بكر محمد بن دلوية الدقاق قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: حدثنا عامر بن أبي الفرات قال: حدثنا المسعودي، عن محمد بن عبد الرحمن، عن عيسى بن طلحة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى، حتى يلج اللبن في الصرع. ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري عبد أبداً.

حدثنا أبو نعيم أحمد بن محمد بن إبراهيم المهرجاني قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن الحسن بن الشرفي، قال: حدثنا

عبد الله بن هاشم قال: حدثنا يحيى بن سعيد القطان بن الشرفي، قال: حدثنا عبد الله بن هاشم قال: حدثنا يحيى بن

سعيد القطان قال: حدثنا شعبة قال: حدثنا قتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو

تعلمون ما أعلم لضعفكم قليلاً، ولبكيتم كثيراً " .

قلت الخوف: معنى متعلقة في المستقبل، لأنه مما يخاف أن يحلَّ به مكروه، أو يفوته محبوب. ولا يكون إلا لشيء يحصل في المستقبل.

فأما ما يكون في الحال موجوداً، فالخوف لا يتعلق به.

والخوف من الله تعالى، هو: أن يخاف أن يعاقبه الله تعالى إما في الدنيا، وإما في الآخرة.

وقد فرض الله، سبحانه، على العباد أن يخافوه، فقال تعالى: " وخافون إن كنتم مؤمنين " .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: الخوف علي مراتب: الخوف، والخشية، والهيبه.

فالخوف من شرط الإيمان وقضيته. قال الله تعالى: " وخافون إن كنتم مؤمنين " .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: الخوف علي مراتب: الخوف، والخشية، والهيبه.

فالخوف من شرط الإيمان وقضيته: قال الله تعالى: " وخافون إن كنتم مؤمنين " .

والخشية من شرط العلم، قال الله تعالى: " إنما يخشى الله من عباده العلماء " والهيبه من شرط المعرفة، قال الله تعالى:

" ويحذركم الله نفسه " .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله؛ يقول: سمعت محمد ابن علي الخيري يقول: سمعت محفوظاً يقول:

سمعت أبا حفص يقول: الخوف سوط الله يقوم به الشاردين عن بابه.

وقال أبو القاسم الحكيم: الخوف على ضربين: رهبة، وخشية.

فصاحب الرهبة يلتجئ إلى الهرب ذا خاف، وصاحب الخشية يلتجئ إلى الرب.

قال رحمه الله: ورهب، وهرب؛ يصح أن يقال: أنهما واحد معنى، مثل: جذب، وجذب.

فإذا هرب تجذب في مقتضى هواه، كالرهبان الذين اتبعوا أهوائهم فإذا كبههم لجام العلم وقاموا بحق الشرع، فهو

الخشية.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول: سمعت أبا عثمان يقول: سمعت أبا حفص

يقول: الخوف، سراج القلب، به يبصر ما فيه من الخير والشر.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله. يقول: الخوف ألاّ تعلق نفسك بعسى وسوف.

سمعت محمد بن الحسين. يقول: سمعت أبا القاسم الدمشقي يقول: سمعت أبا عمر الدمشقي يقول: الخوف، سراج

القلب، به يبصر ما فيه من الخير والشر.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله. يقول: الخوف ألاّ تعلق نفسك بعسى وسوف.

سمعت محمد بن الحسين. يقول: سمعت أبا القاسم الدمشقي يقول: سمعت أبا عمر الدمشقي يقول: الخائف، من يخاف

من نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان.

وقال ابن الجلاء: الخائف، من تؤمنه المخوفات.

وقيل: ليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينيه، إنما الخائف من يترك ما يخف أن يعذب عليه.

وقيل للفضيل، مالنا لا نرى خائفاً؟ فقال: لو كنتم خائفين لرأيتم الخائفين، إن الخائف لا يراه إلا الخائفون، وإن

الثكلي، هي التي تحب أن ترى الثكلي.

وقال يحيى بن معاذ: مسكين ابن آدم، لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لدخل الجنة.

وقال شاء الكرمانى: علامة الخوف: الحزن الدائم.

وقال أبو القاسم الحكيم: من خاف من شيء هرب منه، ومن خاف من الله عزَّ وجل هرب إليه.
وسئل ذو النون المصرين رحمه الله، متى يتيسر على العبد سبيل الخوف؟ فقال: إذا أنزل نفسه منزلة السقيم، يحتمي
من كل شيء؛ مخافة طول السقام.
وقالبشر الحافي: الخوف من الله ملك لا يسكن إلا في قلب متق.
وقال أبو عثمان الحيري: عيب الخائف في خوفه السكون إلى خوفه لأنه أمر خفي.
وقال الواسطي: الخوف حجاب بين الله تعالى وبين العبد.

وهذا اللفظ فيه إشكال ومعناه: أن الخائف متطلع لوقت ثان. وأبناء الوقت لا تطلع لهم في المستقبل، وحسنات
الابرار سيئات المقربين.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت محمد بن النهاوندي يقول: سمعت ابن فانك يقول: سمعت النوري
يقول: " الخائف يهرب من ربه إلى ربه " .

وقال بعضهم: علامة الخوف، التحير والوقوف على باب الغيب: سمعت ابا عبد الله الصوفي يقول: سمعت علي بن
إبراهيم العكبري يقول: سمعت الجنيد وقد سئل عن الخوف، فقال: هو توقع العقوبة مع مجاري الأنفاس.
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: سمعت الحسين ابن أحمد الصفار يقول: سمعت محمد بن
المسيب يقول: سمعت هاشم بن خالد يقول: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: ما فارق الخوف قلباً إلا خرب.
وسمعت يقول: سمعت عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن يقول: سمعت أبا عثمان يقول: صدق الخوف، هو الورع عن
الآثام ظاهراً وباطناً.

وقال ذو النون: الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف، فإذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق.
وقال حاتم الأصم: لكل شيء زينة، وزينة العبادة الخوف، وعلامة الخوف قصر الأمل.
وقال رجل لبشر الحافي: أراك تخاف الموت!! فقال: القدوم على الله، عز وجل شديد سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق،
يقول: دخلت على الإمام أبي بكر ابن فورك عائداً، فلما رأني دمعت عيناه، فقلت له: إن شاء الله تعالى يعافيك
ويشفيك.

فقال لي: تراني أخاف من الموت؟ إنما أخاف مما وراء الموت!! أخبرنا عن بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن
عبيد قال: حدثنا محمد بن عثمان قال: حدثنا القاسم بن محمد قال: حدثنا يحيى بن يمان، عن مالك بن مغول، عن
عبد الرحمن بن سعيد بن موهب، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قلت: يا رسول الله: الذين يؤتون ما آتوا:
وقلوبهم وجلة، أو الرجل يسرق ويزني ويشرب الخمر؟ قال: لا: ولكن الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويحاف أن لا
يقبل منه.

وقال ابن المبارك: رحمه الله: الذي يهيج الخوف حتى يسكن في القلب دوام المراقبة في السرِّ والعلانية.
سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن الحسن يقول سمعت أبا القاسم بن أبي موسى يقول: سمعت محمد بن
أحمد: قال: حدثنا علي الرازي قال: سمعت ابن المبارك: رحمه الله يقول ذلك.

وسمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: إذا سكن الخوف
القلب أحرقت مواضع الشهوات منه، وطرد رغبة الدنيا عنه.

وقيل، الخوف، قوَّة العلم بمجاري الأحكام.

وقيل: الخوف، حركة القلب من جلال الربِّ.

وقال أبو سليمان الداراني، ينبغي للقلب أن لا يكون الغالب عليه إلا الخوف، فنه إذا غلب الرجاء على القلب فسد القلب.

ثم قال: يا أحمد، بالخوف ارتفعوا، فإن ضيعوه نزلوا.

وقال الواسطي، الخوف؛ والرجاء، زمامان على النفوس، لئلا، تخرج إلى رعوناتها.

وقال الواسطي: إذا ظهر الحق على السرائر، لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا خوف.

قال الأستاذ أبو القاسم: وهذا فيه إشكال. ومعناه: إذا اصطلت شواهد الحق، تعالى، الأسرار ملكتها، فلا يبقى فيها مساع لذكر حدثان، والخوف والرجاء من آثار بقاء الإحساس بأحكام البشرية.

وقال الحسين بن منصور: من خاف من شيء سوى الله عز وجل أو رجاً سواه أغلق عليه ابواب كل شيء وسلط عليه المخافة؛ وحجبه بسبعين حجاً أيسرها الشك، وإن مما أوجب شدة خوفهم، فكرهم في العواقب، وخشية تغير أحوالهم، قال الله تعالى: "وبداهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون" وقال الله تعالى: "قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً؟ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا".

فكم متمغبوط في أواله أنعكست عليه الحال، ومني بمقارنة قبوع الأفعال، فبدل بالأنس وحشة، وبالحضور غيبة.. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، ينشد كثيراً:

أحسن ظنك بالأيام إذ حسنت... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

سمعت منصور بن خلف المغربي يقول:

كان رجلان اصحطبا في الإراجة برهة من الزمان.. ثم إن أدهما سافر، وفارق صاحبه.. وني عليه مدة من الزمان ولم يسمع منه خبراً.. فبينما هذا الآخر كان في غزاة يقاتل عسكر الروم إذ خرج على المسلمين رجل مقنع في السلاح، يطلب المبارزة.. فخرج إليه من أبطال المسلمين واحد، فقتله الرومي.. ثم خرج آخر فقتله.. ثم ثالث فقتله، فخرج إليه هذا الصوفي.. وتطاردا، فحسر الرومي عن وجهه، فإذا هو صاحبه الذي صحبه في الإرادة والعبادة سنين.

فقال هذا له: إيش الخبر؟ فقال: نه ارتد.. وخالط القوم.. وولد له أولاد.. واجتمع له مال.

فقال له: لا أذكر منه حرفاً.

فقال له هذا الصوفي: لا تفعل، وارجع، فقال: لا أفعل، فلي فيهم جاه ومال، فانصرف أنت عني، وإلا لأفعلن بك ما فعلت بأولئك.

فقال له الصوفي: أعلم أنك قتلت ثلاثة من المسلمين، وليس عليك أنفه في الانصراف، فانصرف أنت وأنا أمهلك. فرجع الرجل مولياً: فتبعه هذا الصوفي، وطعنه، فقتله.

فبعد تلك المجاهدات، ومقاساة تلك الرياضات، قتل على النصرانية.

وقيل: لما ظهر على إبليس ما ظهر، طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يكيان زماناً طويلاً، فأوحى الله تعالى،

إليهما: ما لكما تبكيان كل هذا البكاء؟ فقالا: يا ربنا، لا نأمن مكرك.

فقال الله تعالى: هكذا كوننا، لا تأمنا مكري.

ويحكى عن السري السقطي أنه قال: بي لأنظر إلى أنفي في اليوم كذا مرة؛ مخافة أن يكون قد أسود، لما أخافه من العقوبة!! وقال أبو حفص: منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي، أن الله؛ تعالى: ينظر إلي نظر السخط، وأعمالي تدل على ذلك.

وقال حاتم الأصم: لا تغتر بموضع صالح؛ فلا مكان أصلح من الجنة، فلقي آدم، عليه السلام فيها ما لقي!! ولا تغتر بكثرة العبادة؛ فإن إبليس بعد طول تعبه لقي ما لقي!! ولا تغتر بكثرة العلم؛ فإن بلعام كان يحسن أسم الله الأعظم؛ فأنظر ماذا لقي!! ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر قدراً من المصطفى؛ صلى الله عليه وسلم؛ ولم ينتفع بلقائه أقربيه وأعداؤه.

وخرج ابن المبارك يوماً على أصحابه فقال: إني قد أجتأت الباحرة على الله عز وجل: سألته الجنة. وقيل: خرج عيسى عليه السلام، ومعه صالح من صالح بني إسرائيل فتبعهما رجل خاطيء مشهور بالفسق فيهم، فقعده منتبذاً عنهما منكسراً، فدعا الله سبحانه وقال اللهم اغفر لي. ودعا هذا الصالح وقال: اللهم لا تجمع غداً بيني وبين ذلك العاصي. فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: أني قد استجبت دعاءهما جميعاً، رددت ذلك الصالح، وغفرت لذلك الجرم.

وقال ذو النون المصري: قلت لعليم. لم سميت مجنوناً؟ قال: لما طال حبسي عنه صرت مجنوناً لخوف فراقه في الآخرة. وفي معناه أنشدوا:

لو أن مابي على صخر لأنحله... فكيف يحمله خلق من الطين؟
وقال بعضهم، ما رأيت رجلاً أعظم رجاء هذه الأمة، ولا أشد خوفاً على نفسه، من ابن سيرين.
وقيل، مرض سفيان الثوري، ففرض دليله على الطبيب؛ فقال: هذا رجل قطع الخوف كبده.
ثم جاء وجس عرقه، ثم قال: ما علمت أن في الحنيفة مثله.
وسئل الشبلي: لم تصفر الشمس عند الغروب؟ فقال: لأنها عُرِلت عن مكان التمام: فاصغرت لخوف المقام.
وكذا المؤمن إذا قارب خروجه من الدنيا اصفر لونه، لأنه بعث من خرج ووجهه يشرق.
ويحكى عن أحمد بن حنبل، رحمه الله تعالى، أنه قال: سألت ربي، عز وجل، أن يفتح علي باباً من الخوف، ففتح، فخفت على عقلي، فقلت، يا رب، أعطني على قدر ما أطيع، فسكن ذلك عني.

باب الرجاء

قال الله تعالى: " من كان يرجو لقاء الله، فإن أجل الله لآت ".
أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الأهوازي، قال: أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، قال: حدثن عمرو بن مسلم الثقفي قال: حدثنا الحسن بن خالد قال: حدثنا العلاء بن زيد، قال: دخلت على مالك بن دينار، فرأيت عنده شهر بن حوشب فلما خرجنا من عنده، قلت لشهر: يرحمك الله تعالى، زودني، زودك الله تعالى.
فقال: نعم، حدثني عمي أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن نبي الله، صلى الله عليه وسلم، عن جبريل عليه السلام، قال: " قال ربكم عزوجل: عبيد، ما عبدتني ورجوتني ولم تشرك بي شيئاً غفرت لك على ما كان منك، ولو استقبلتني بماء الأرض خطايا وذنوباً، استقبلتك بمثلها مغفرة، فأغفر لك ولا أبالي ".
أخبرنا علي بن أحمد قال: أخبرنا أحمد بن عبيد قال: حدثنا بشر بن موسى، قال: حدثنا خلف بن الوليد، قال: حدثنا مروان بن معاوية الفراري قال: حدثنا أبو سفيان طريف، عن عبد الله بن الحارث، عن أنس بن مالك قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يقول الله تعالى يوم القيامة: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة شعير من إيمان ثم يقول: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ثم يقول: وعزتي وجلالي لا أجعل من آمن بي ساعة من ليل أو نهار كمن لم يؤمن بي " .
الرجاء: تعلق القلب بمحبوب سيحصل في المستقبل.
وكما أن الخوف يقع في مستقبل الزمان، فكذلك الرجاء يحصل لما يؤمل في الاستقبال والرجاء عيش القلوب، واستقلالها.

والفرق بين الرجاء، وبين التمني، أن التمني: يورث صاحبه الكسل، ولا يسلك طريق الجهد والجد، وبعكسه صاحب الرجاء، فالرجاء محمود، والنمن معلول.

وتكلموا في الرجاء، فقال شاه الكرمانى: علامة الرجاء: حسن الطاعة.

وقال ابن خبيق: الرجاء ثلاثة: وقال ابن خبيق: الرجاء ثلاثة: رجل عمل حسنة: فهو يرجو قبولها.
ورجل عمل سيئة: ثم تاب: فهو يرجو المغفرة.

والثالث الرجل الكاذب: يتمادى في الذنوب: ويقول أرجو المغفرة.

ومن عرف نفسه بالإساءة ينبغي أن يكون خوفه غالباً على رجائه.

وقيل الرجاء: ثقة الجود من الكريم الودود.

وقيل: الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال.

وقيل: هو قرب القلب من ملاطفة الرب.

وقيل: سرور الفؤاد بحسن المعاد.

وقيل: هو النظر إلى سعة رحمة الله تعالى.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى: رحمه الله: يقول: سمعت منصور ابن عبد الله يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: الخوف، والرجاء، هما كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا تقض أحدهما وقع فيه النقص: وإذا ذهب صار الطائر في حد الموت.

وسمعت يقول: سمعت النصر اباذي يقول: سمعت ابن أبي حاتم يقول سمعت علي بن شهمرذان يقول: قال أحمد بن

عاصم الانطاكي، وسئل ما علامة الرجاء في العبد؟ قال: أن يكون إذا أحاط به الإحسان أهتم الشكر، راجياً لتمام النعمة من الله تعالى في الدنيا، وتمام عفوهِ في الآخرة.

وقال أبو عبد الله بن خفيف: الرجاء: استبشار بوجود فضله.

وقال ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجو الخيوب.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله يقول: سمعت أبا عثمان المغربي يقول: من حمل نفسه على الرجاء تعطل، ومن حمل نفسه على الخوف قنط ولكن من هذه مرة، ومن هذه مرة.

وسمعت يقول: حدثنا أبو العباس البغدادي قال: حدثنا الحسن بن صفوان قال: حدثنا ابن ابي الدنيا، قال: حدثت

عن بكر بن سليم الصواف، قال: دخلنا على مالك بن أنس في العشية التي قبض فيها، فقلنا. يا أبا عبد الله، كيف تجدك؟ فقال: ما أدري ما أقول لكم؛ غير أنكم ستعاينون من عفو الله تعالى، ما لم يكن في حساب، ثم ما برحنا حتى أغمضناه.

وقال يحيى بن معاذ: يكاد رجائي لك مع الذنوب، يغلب رجائي لك مع الأعمال؛ لأني أجدني أعتد في الأعمال

على الإخلاص، وكيف أحرزها وأنا بالآفة معروف!! وأجديني في الذنوب أعتمد على عفوك، وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف.

وكلموا ذا النون المصري، وهو في النزح، فقال لا تشغلوني؟ فقد تعجبت من كثرة لطف الله تعالى معي.
وقال يحيى بن معاذ: إلهي، أحلى العطايا في قلبي رجاءك، وأعذب الكلام على لساني ثناؤك، وأحبُّ الساعات إلي ساعة يكون فيها لقاءك.

وفي بعض النفايس: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أصحابه، من باب بني شبيبة، فرآهم يضحكون فقال: أتضحكون؟ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً " ثم مرّ، ثم رجع القهقري، وقال: نزل عليّ جبريل، عليه السلام، وأتى بقوله تعالى: " نبيء عبادي بي أنا الغفور الرحيم " .

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الأهوازي قال: حدثنا أبو الحسن الصفار قال: حدثنا عباس بن تميم قال: حدثنا يحيى بن أيوب قال: حدثنا مسلم بن سالم قال: حدثنا خارجة بن مصعب، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عائشة، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن الله تعالى ليضحك من يأس العباد وقنوطهم وقرب الرحمة منهم، فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله، أويضحك ربنا عز وجل؟ فقال: " والذي نفسي بيده إنه ليضحك، فقالت: لا يعلمنا خيراً إذا ضحك " .

وأعلم أن الضحك في وصفه من صفات فعله، وهو إظهار فضله، كما يقال: ضحكت الأرض بالتبابت وضحكه من قنوطهم إظهار تحقيق فضله الذي هو ضعف انتظارهم له.

وقيل: ن مجوسياً استصاف إبراهيم الخليل، عليه السلام، فقال له: إن أسلمت أضفتك فقال المجوسي: إذا أسلمت فأني مئة تكون لك عليّ؟ فمرّ المجوسي، فأوحى الله تعالى إلى إبراهيم، عليه السلام: يا إبراهيم، لم تطعمه إلا بتغيره دينه؟! ونحن منذ سبعين سنة نطعمه على كفره، فلو أضفته ليلة ماذا عليك؟ فمرّ إبراهيم، عليه السلام، خلف المجوسي، وأضافه، فقال له المجوسي: أي شيء كان السبب في الذي بدالك؟ فذكر له ذلك، فقال له المجوسي: أهكذا يعاملني؟ ثم قال: أعرض عليّ الإسلام فأسلم: سمعت الشيخ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: رى الأستاذ أبو سهل الصعلوكي، رحمه الله، أبا سهل الرّجاج في النوم، وكان يقول بوعيد الأبد، فقال له: كيف حالك؟ فقال وجدنا الأمر أسهل مما توهمنا.

سمعت أبا بكر بن أشكيب يقول: رأيت الأستاذ أبا سهل الصعلوكي في المنام على هيئة حسنة لا توصف، فقلت له. يا أستاذ، بم نلت هذا؟، فقال: بحسن ظنيّ برّي.

ورؤى مالك بن دينار في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك.

قال: قدمت على ربي، عزّ وجلّ، بذنوب كثيرة محامها عني عن حسن ظني به تعالى.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " يقول الله عز وجل، أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، إن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ هو خير منه، وإن اقترب إليّ شبراً اقتربت إليه ذراعاً، وإن اقترب إليّ ذراعاً اقتربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة " .

أخبرنا بذلك أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الأسفرايني قال: أخبرنا يعقوب بن إسحق قال: حدثنا علي بن حرب قال: حدثنا أبو معاوية ومحمد ابن عبيد، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، يقول ذلك.

وقيل: كان ابن المبارك يقاتل علجاً مرة فدخل وقت صلاة العلاج، فاستمهله، فأملهه.

فلما سجد للشمس: أراد ابن المبارك أن يضربه بسيفه، فسمع من الهواء قاتلاً يقول: " وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً " ، فأمسك. فلما سلم الجوسي، قال له: لِمَ أمسكت عما هممت به؟ فذكر له ما سمع، فقال له الجوسي: نعم الرب رب يعاتب وليه في علوه. فأسلم وحسن إسلامه.

وقيل: إنما أوقعهم في الذنب حين سمى نفسه عفواً.

وقيل: لو قال لا أغفر الذنوب، لم يذنب مسلم قط، - كما أنه لم قال: " إن الله لا يغفر أن يشرك به " لم يشرك مسلم قط " ، ولكن لما قال: " ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " طمعوا في مغفرته.

ويحكي عن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه أنه قال: كنت أنتظر مدة من الزمن أن يخلو المطاف لي، فكانت ليلة ظلماء، فيها مطر شديد، فخلا المطاب؛ فدخلت للطواف، وكنت أقول فيه: اللهم أعصمني، اللهم أعصمني، فسمعت هاتفاً يقول لي: يا ابن أدهم، أنت تسألني العصمة، وكل الناس يسألوني العصمة، فإذا عصمتكم فمن أرحم.

وقيل: رأى أبو العباس بن شريح، في منامه في مرض موته، كأن القيامة قد قامت، وإذا الجبار، سبحانه، يقول: أين العلماء؟ قال: فجاءوه. ثم قال: ماذا عملتم فيما علمتم؟ قال فقلنا: يا رب، قصرنا، وأسأنا.

قال: فأعاد السؤال، كأنه لم يرض به، وأراد جواباً آخر.

فقلت: أما أنا، فليس في صحيفتي الشرك، وقد وعدت أن تغفر ما دون.

فقال: إذهبوا فقد غفرت لكم، ومات بعد ذلك بثلاث ليال.

وقيل: كان رجل شريفاً، جمع قوماً من ندمائه، ودفع إلى غلام أربعة دراهم، وأمره أن يشتري بها شيئاً من الفواكه للمجلس، فمر الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل لفقير شيئاً، ويقول: من دفع أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات.

قال: فدفع له الغلام الدرهم، فقال منصور: ما الذي تريد أن أدعو لك به؟ فقال: لي سيد أريد أن أتخلص منه!

فدعا لي منصور بذلك، وقال: ما الأخرى، فقال: أن يخلف الله، تعالى: عليّ دراهمي.

فدعا لي بذلك. ثم قال: وما الأخرى؟ فقال: أن يتوب الله على سيدي فدعا قال: وما الأخرى؟ فقال: أن يغفر الله لي وليسيدي، ولك، وللقوم فدعا، منصور بذلك.

فرجع الغلام إلى سيده، فقال له: لم أبطأت؟ فقص عليه القصة فقال له: وجم دعا؟ فقال: سألت لنفسي العتق فقال:

اذهب، فأنت حر وما الثاني؟ فقال: أن يخلف الله عليّ الدرهم، فقال: لك أربعة آلاف درهم. فقال: وما الثالث؟

فقال: أن يتوب الله عليك فقال: تبت إلى الله تعالى، فقال: وما الرابع؟ فقال: أن يغفر الله تعالى لك ولي وللقوم

وللذكر، فقال: هذا الواحد ليس إلي، فلما بات، رأى في المنام كأن قاتلاً يقول له: أنت فعلت ما كان إليك تراين

لا أفعل ما إلي!! قد غفرت لك، وللغلام ولمنصور بن عمار، وللقوم الحاضرين.

وقيل: حج رباح القيسي حجاً كثيرة، فقال يوماً - وقد وقف تحت الميزاب.

إلهي وهبت من حجاتي كذا وكذا للرسول صلى الله عليه وسلم وعشرة منها لأصحابه العشرة، وثنيتين لوالدي،

والباقي للمسلمين.

ولم يجس منها شيئاً لنفسه: فسمع هاتفاً يقول: هوذا يتسخى علينا؛ لأغفرن لك. ولأبويك، ولمن شهد شهادة الحق.

وروي عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي أنه قال: رأيت جنازة يحملها ثلاثة من الرجال وامرأة، قال فأخذت

مكان المرأة وذهبنا إلى المقبرة، فصلينا عليها، ودفناها، فقلت للمرأة: من كان هذا منك؟ فقالت: ابني قلت: أو لم

يكن لك جيران؟ قالت: نعم، ولكنهم سغروا أمره.

فقلت: وإيش كان هذا؟ فقالت: مخنثاً؟ قال: فرحتها: وذهبت بما إلى منزلي، وأعطيتها دراهم، وحنطة، وثياباً. وفتت تلك الليلة، فأريت كأنه أتاني آت كأنه القمر ليلة البدر، وعليه ثياب بيض فجعل يتشكر لي، فقلت من أنت؟ فقال: المخنث، الذي دفتموني اليوم، رحمني ربي باحتقار الناس إياي.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: مر أبو عمر اليبكدي يوماً بسكة، فرأى قوماً أرادوا إخراج شاب من الخلة، لفساده، وامرأة تبكي، قيل إنها أمه، فرحمها أبو عمر فشفع له إليهم وقال: هيوه مني هذه المرة، فإن عاد إلى فساده فشأنكم فوهيوه منه، فمضى أبو عمرو، فلما كان بعد أيام، اجتاز بتلك السكة، فسمع بكاء العجوز من وراء ذلك الباب، فقال في نفسه: لعل الشاب عاد إلى فساده، فنفي من الخلة.

فدق عليها الباب، وسألها عن حال الشاب؛ فخرجت العجوز وقالت له: إنه مات. فسألها عن حاله، فقالت، لما قرب أجل، قال: لا تخبري الجيران بموتي، فلقد آذيتهم، وإنهم يشتمون في، ولا يحضرون جنازتي، وإذا دفتني، فهذا خاتم لي مكتوب عليه " بسم الله " فادفنيه معي، فإذا فرغت من دفني فشفعي لي إلى ربي عز وجل.

قالت: ففعلت وصيته. فلما انصرفت عن رأس قبره، سمعت صوته يقول: انصرفي يا أماه؛ قلمت على رب كريم. وقيل: أوحى الله، تعالى، إلى داود، عليه السلام: قل لهم: " إني لم أخلقهم لأربح عليهم، وإنما خلقتهم، ليرجوا علي "

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت أبا بكر الحريي يقول: سمعت إبراهيم الأطروش يقول: كنا قعوداً ببغداد، مع معروف الكرخي؛ على الدجلة، إذ مر بنا قوم أحداث في زورق، يضربون بالدف ويشربون، ويلعبون، فقلنا لمروف: أما تراهم كيف يعصون الله تعالى؟ أذع الله عليهم: فرفع يده وقال: إلهي كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الآخرة.

فقالوا: وإنما سألتك أن تدعو عليهم!! فقال: إذا فرحهم في الآخرة فقد تاب عليهم.

سمعت أبا الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد المزكي؛ قال: حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد الاديبي، قال: حدثنا الفضل بن صدقة قال: حدثنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن سعيد، قال:

كان يحيى بن أكنم القاضي صديقاً لي، وكان بودني ووده، فمات معي، فكنت أشتهي أن أراه في المنام، فأقول له: ما فعل الله تعالى بك، فأرأيت ليلة في المنام فقلت ما فعل الله تعالى بك؟ قال: غفر لي، إلا أنه وبخني، ثم قال لي: يا يحيى، خلطت علي في دار الدنيا.

فقلت: أي ربي، إتكلت على حديث حدثنيه أبو معاوية الضري، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنك قلت، " إني لأستحيي أن أعذب ذا شبيبة بالنار " فقال: قد عفوت عنك يا يحيى وصدق نبي، إلا أنك خلطت علي في دار الدنيا.

باب الحزن

قال الله تعالى: " وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن " .

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، قال: أخبرنا أحمد بن عبيد، قال: أخبرنا علي بن جيش قال: حدثنا أحمد بن عيسى قال: حدثنا ابن وهب قال: حدثنا أسامة بن زيد الليثي، عن محمد بن عمرو بن عطاء قال: سمعت عطاء بن يسار قال: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ما من شيء يصيب العبد المؤمن، من وصب، أو نصب، أو حزن، أو ألم يهمله إلا كفر الله تعالى عنه من سيئاته " .

الحزن: حال يقبض القلب عن التفرق في أودية الغفلة.

والحزن من أوصاف أهل السلوك.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله تعالى، يقول: صاحب الحزن يقطع من طريق الله في شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه سنين، وفي الخبر: " إن الله يحب كل قلب حزين " .

وفي التوراة: " إذا أحب الله عبداً جعل في قلبه نائحة، وإذا بغض عبداً جعل في قلبه مزماراً " .

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان متواصل الأحزان دائم الفكر.

وقال بشر بن الحارث.

الحزن ملك، فإذا سكن في موضع لم يرض أن يساكنه أحد.

وقيل: القلب إذا لم يكن فيه حُزن خرب، كما أن الدار إذا لم يكن فيها ساكن تخرب.

وقال أبو سعيد القرشي: بكاء الحزن يعمي، وبكاء الشوق يعشي البصر ولا يعمي: قال الله تعالى: " وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم " .

وقال ابن خفيف: الحزن: حصر النفس عن النهوض في الطرب.

وسمعت رابعة العدوية رجلاً يقول: واحزنناه! فقالت: قل: واقلة حزنناه، لو كنت محزوناً لم ينتهياً لكن أن تتنفس.

وقال سفيان بن عيينه: لو أن محزوناً بكى في أمة لرحم الله تعالى تلك الأمة ببكائه.

وكان داود الطائي الغالب عليه الحزن، وكان يقول بالليل: إلهي، همك عطل على المومم، وحال بيني وبين الرقاد.

وكان يقول: " كيف يتسلى من الحزن من تتجدد عليه المصائب في كل وقت؟ " .

وقيل: الحزن: يمنع من الطعام، والخوف: يمنع من الذنوب.

وسئل بعضهم: بم يستدل على حزن الرجل؟ فقال: بكثرة أئينه.

وقال سري السقطي: وددت أن حزن كل الناس ألقى علي.

وتكلم الناس في الحزن، فكلهم قالوا: إنما يحمد حزن الآخرة، وأما حزن الدنيا فغير محمود، إلا أبا عثمان الحيري،

فإنه قال: الحزن بكل وجه فضيلة، وزيادة للمؤمن، ما لم يكن بسبب معصية، لأنه إن لم يوجب تخصيصاً فإنه يوجب تمحيصاً.

وعن بعض المشايخ أنه كان إذا سافر واحد من أصحابه يقول له: إن رأيت محزوناً، فاقرئه مني السلام.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: كان بعضهم يقول للمشس عند غروبها، هل طلعت اليوم على محزون؟ وكان

الحسن البصري لا يراه أحد إلا ظن أنه حديث عهد بمصيبة.

وقال وكيع لما مات القليل، ذهب الحزن اليوم من الأرض.

قال بعض السلف، أكثر ما يجده المؤمن في صحيفته من الحسنات لهم. الحزن.

سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول: سمعت علي بن بكران يقول: سمعت محمد بن علي المروزي يقول، سمعت أحمد بن

أبي روح يقول: سمعت أبي يقول: سمعت الفضيل بن عياض يقول: كان السلف يقولون: إن على كل شيء زكاة

وزكاة العقل طول الحزن.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: سمعت محمد بن أحمد الفراء يقول: سمعت أبا الحسين الوراق يقول، سألت أبا عثمان الخيري يوماص عن الحزن فقال: الحزين لا يتفرغ إلى سؤال الحزن، فاجتهد في طلب الحزن، ثم سل.

؟باب الجوع وترك الشهوة قال الله تعالى: " ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ".
ثم قال في اخر الآية: " وبشر الصابرين " فبشرهم بمجمل الثواب على الصبر على مقاساة الجوع.
وقال تعالى: " ويؤثرون على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة ".

أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عبيد الصَّفَّار قال: حدثنا عبد الله بن أيوب قال: حدثنا أبو الوليد الطيالسي قال: حدثنا أبو هاشم صاحب الزعفراني قال: حدثنا محمد بن عبد الله، عن أنس بن مالك أنه حدثه قال: " جاءت فاطمة، رضي الله عنها، بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما هذه الكسرة يا فاطمة؟ " .

قالت: قرص خبزته، ولم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة.

فقال: أما إنه أول طعام دخل فم أيك منذ ثلاثة أيام.

وفي بعض الروايات: جاءت فاطمة، رضي الله عنها، بقرص شعير.

ولهذا كان الجوع من صفات القوم، وهو أحد أركان المجاهدة، فإن أرباب السلوك تدرجوا إلى اعتياد الجوع والإمساك عن الأكل، ووجدوا ينابيع الحكمة في الجوع، وكثرت الحكايات عنهم في ذلك.

سمعت محمد بن أحمد بن الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن علي التميمي يقول: سمعت ابن سالم يقول: أدب الجوع أن لا يقص من عادته إلا مثل أذن السنور.

وقيل: كان سهل بن عبد الله لا يأكل الطعام إلا في كل خمسة عشر يوماً؛ فإذا دخل شهر رمضان كان لا يأكل حتى يرى الهلال، وكان يفطر كل ليلة على الماء القراح.

وقال يحيى بن معاذ: لو أن جوع يباع في السوق لما كان ينبغي لطلاب الآخرة إذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره.

أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبيد الله قال: حدثنا علي بن الحسين الأرجاني قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الأصبخري بمكة - حرسها الله تعالى - قال: قال سهل بن عبد الله: لما خلق الله تعالى الدنيا جعل في الشبع المعصية والجهل، وجعل في الجوع: العلم والحكمة.

وقال يحيى بن معاذ: الجوع للمريدين رياضة، وللتائبين تجربة، وللزهاد سياسة، وللعارفين مكرمة.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: دخل بعضهم على بعض الشيوخ، فرآه يبكي، فقال له: مالك تبكي؟ فقال: إني جائع.

فقال: ومثل يبكي من الجوع؟! فقال: أسكت، أما علمت أن مراده من جوعي أن أبكي.

سمعت أبا عبد الله الشيرازي، رحمه الله، يقول: حدثنا محمد بن بشر قال: حدثنا الحسين بن منصور قال: حدثنا دود

بن معاذ قال: سمعت مخلداً يقول: كان الحجاج بن فرافصة معنا بالشام، فمكث خمسين ليلة لا يشرب الماء، ولا

يشبع من شيء يأكله.

وسمعه يقول: سمعت أبا بكر الغزالي يقول: سمعت محمد بن علي يقول: سمعت أبا عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء يقول:

دخل أو تراب النخشي من بادية البصرة مكة - حرسها الله تعالى - فسألناه عن أكله، فقال: خرجت من البصرة..

وأكلت بنجاح. ثم بذات عرق.. ومن ذات عرق إليكم فقطع البادية بأكلتين.

وسمعته يقول: حدثنا علي بن النحاس المصري قال: حدثنا هارون بن محمد الدقاق قال: حدثنا أبو عبد الرحمن بن الدرقش قال: حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت عبد العزيز بن عمير يقول: نجوع صنف من الطير أربعين صباحاً، ثم طاروا في الهواء، فرجعوا بعد أيام، فكان يفوح منهم رائحة المسك.

وكان سهل بن عبد الله إذا جاع قوي، وإذا أكل شيئاً ضعف.

وقال أبو عثمان المغربي: الرباني لا يأكل في أربعين يوماً، والصمداني في ثمانين يوماً.

وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله يقول: سمعت محمد ابن العلوي يقول: سمعت علي بن إبراهيم القاضي بلمشق، يقول سمعت محمد بن علي بن خلف يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: مفتاح الدنيا الشيع، ومفتاح الآخرة الجوع.

سمعت محمد بن عبد الله بن عبيد الله يقول: سمعت علي بن الحسين الأرجاني يقول: سمعت أبا محمد الإصطخري يقول: سمعت سهل بن عبد الله، وقيل له: الرجل يأكل في اليوم آكلة، فقال أكل الصديقين. قال: فأكلتين. قال: أكل المؤمنين. قال: فنلثة: قال: قل لأهلك يبنون لك معلفاً.

وسمعته يقول: حدثنا عبد العزيز بن الفضل قال: حدثنا أبو بكر السائح قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: الجوع نور، والشيع نار، والشهوة مثل الحطب يولد منه الاحتراق، ولا تطفأ ناره حتى يحرق صاحبه.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج العلومي يقول: دخل يوماً رجل من الصوفية على شيخ، فقدم إليه طعاماً.. ثم قال له: منذ كم يوم لم تأكل؟

فقال: منذ خمسة أيام. فقال جوعك جوع بخل!! عليك ثياب وأنت تجوع؟! ليس هذا جوع فقرا!.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سعيد الرازي يقول: سمعت العباس بن حمزة يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: قال أبو سليمان الداراني: لأن أترك من عشتاي لقمة أحب إلي من أن أقوم الليل إلى آخره.

وسمعته يقول سمعت أبا القاسم جعفر بن أحمد الرازي يقول: اشتهى أبو الخير العسقلاني السمك سنين، ثم ظهر له ذلك من موضع حلال، فلما مد يده إليه ليأكل أخذت شوكة من عظامه أصبعه، فذهبت في ذلك يده، فقال: يا رب، هذا لمن مد يده بشهوة لي حلال، فكيف بمن مد يده بشهوة إلى حرام؟ سمعت الأستاذ أبا بكر بن فورك يقول: شغل العيال نتيجة متابعة الشهوة بالحلال. فما ظنك بقضية شهوة الحرام؟

سمعت رستم الشيرازي الصوفي يقول: كان أبو عبد الله بن خفيف في دعوة فمدَّ واحد من أصحابه يده إلى الطعام قبل الشيخ، هذا كان به من فأراد بعض أصحاب الشيخ أن ينكروا عليه لسوء أدبه، حيث مدَّ يده إلى الطعام قبل الشيخ، فوضع شيئاً بين يدي هذا الفقير، فعلم الفقير أنه أنكر عليه لسوء أدبه، فاعتقد أن لا يأكل خمسة عشر يوماً، عقوبة لنفسه، وتأديباً لها، وإظهاراً لتوبته من سوء أدبه وكان قد أصابته فاقة قبل ذلك.

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول: حدثنا أبو الفرج الورثاني قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحارث قال: حدثنا سليمان بن داود قال: حدثنا جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك ابن دينار يقول: من غلب شهوات الدنيا فذلك الذي يفرق الشيطان من ظله.

وسمعته يقول: سمعت منصور بن عبد الله الأصبهاني يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: إذا قال الصوفي بعد خمسة أيام أنا جائع فالزموه السوق، وأمره بالكسب.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، يقول، حاكياً عن بعض المشايخ أنه قال: ن أهل النار غلبت شهوتهم هيتهم، فلذلك افتضحوا.

وسمعتة يقول: قيل لبعضهم: ألا تشتهي؟ فقال: أشتهي ولكن أحتمي.

قال: وقيل لبعضهم: ألا تشتهي؟ فقال: اشتهي أن لا أشتهي وهذا تم.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: أخبرنا أحمد بن منصور قال: أخبرنا ابن مخلد قال: حدثنا أبو الحسين الحسن بن عمرو بن الجهم قال: سمعت أبا نصر التمار، يقول: أتاني بشر ليلة، فقلت: الحمد لله الذي جاء بك: جاءنا قطن من خراسان فغزلته البنت، وباعته، واشترت لنا لحماً، فتفطر عندنا.

فقال: لو أكلت عند أحد أكلت عندكم ثم قال: إني لأشتهي الباذنجان منذ سنين، ولم يتفق لي أكله!! فقلت: إن فيها الباذنجان من الحلال. فقال: حتى يصفو لي حب الباذنجان.

سمعت عبد الله بن باكويه الصوفي، رحمه الله، يقول: سمعت أبا أمد الصغير يقول: أمرني أبو عبد الله بن خفيف أن أقدم إليه كل ليلة عشر حبات زيب، لإفطاره، فليلة اشفت عليه، فحملت إليه خمس عشرة حبة، فنظر إلي وقال: من أمرك بهذا؟ وأكل عشر حبات، وترك الباقي.

سمعت محمد بن عبد الله بن عبيد الله يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن الفرغاني يقول: سمعت أبا الحسين الرازي يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت أبا تراب النخشي يقول: ما تمتعت نفسي من الشهوات، إلا مرة واحدة، تمت خبزاً وبيضاً وأنا في سفر، فعدلت إلى قرية، فقام واحد وتعلق بي وقال: هذا كان مع اللصوص. فصر يوي سبعين درة. ثم عرفني رجل منهم، فقال: هذا أبو تراب النخشي!! فاعتذروا إلي، فحملني رجل إلى منزله، إكراماً لي، وشفقة علي.. وقدم لي خبزاً وبيضاً، فقلت لنفسى: كلي بعد سبعين درة!

باب الخشوع والتواضع

قال الله تعالى: " قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون " .

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحيم بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي، قال: أخبرنا أبو الفضل سفيان بن محمد الجوهري، قال حدثنا علي بن الحسين قال: حدثنا يحيى بن حماد قال: حدثنا شعبة، عن أبان بن ثعلب، عن فضل القمي، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة بن قيس، عن عبد الله ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من قلبه مثقال ذرة من إيمان، فقال رجل يا رسول الله، إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً. فقال: إن الله تعالى جميل يحب الجمال، الكبر من بطن الحق، وغمص الناس " .

وأخبرنا علي بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عبيد البصري، قال: حدثنا محمد بن الفضل بن جابر قال حدثنا أبو إبراهيم قال: حدثنا علي ابن مسهر، عن مسلم الأعمور، عن أنس بن مالك، قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ المريض، ويشيع الجنائز، ويركب الحمار، ويجيب دعوة العبد، وكان يوم قريظة ولا نصير على حمار مخطوم بجبل من ليف. عليها كاف من ليف " .

الخشوع: الانقياد للحق.

والتواضع: هو الاستسلام للحق، وترك الاعتراض على الحكم.

وقال حذيفة: أول ما تفقدون من دينكم: الخشوع.

وسئل بعضهم عن الخشوع، فقال: الخشوع: قيام القلب بين يدي الحق، سبحانه، بهم مجموع.

وقال: من علامات الخشوع للعبد: أنه إذا أغضب أو خولف، أو رد عليه أن يستقبل ذلك بالقبول.

وقال بعضهم: خشوع القلب: قيد العيون عن النظر.

وقال محمد بن علي الترمذي: الخاشع من حمدت نيران شهوته، وسكن دخان صدره، وأشرق نور التعظيم في قلبه، فماتت شهوته، وحبي قلبه؛ فخشعت جوارحه.

وقال الحسن البصري: الخشوع: الخوف الدائم اللازم للقلب.

وسئل الجليل عن الخشوع، فقال: تذلل القلوب لعلام الغيوب.

قال الله تعالى: " وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً " سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول ما معناه: متواضعين، متخاشعين.

وسمعته يقول: هم الذين لا يستحسنون شسع نعالهم إذا مشوا.

واتفقوا على أن الخشوع محله القلب.

ورأى بعضهم رجلاً منقبض الظاهر، منكسر الشاهد، قد زوى منكبيه، فقال له: يا فلان، الخشوع هاهنا، وأشار إلى صدره، لا هاهنا وأشار إلى منكبيه.

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يعبث في صلاته بلحيه، فقال: " لو خشع قلب هذه لخشعت جوارحه " .

وقيل، شرط الخشوع، في الصلاة أن لا يعرف من على يمينه ومن على شماله.

قال الأستاذ الإمام: ويحتمل أن يقال: الخشوع، إطراق السريرة بشرط الأدب بمشهد الحق سبحانه وتعالى.

ويقال: الخشوع، ذبول يرد على القلب عند اطلاع الرب.

ويقال: الخشوع، ذوبان القلب وانحناسه عند سلطان الحقيقة.

ويقال: الخشوع، مقدمات غلبات الهيبة.

ويقال: الخشوع: قشعريرة ترد على القلب بغتة عند مفاجأة كشف الحقيقة.

وقال القضاة بن عياض: كان يكره أن يرى على الرجل من الخشوع أكثر مما في قلبه.

وقال أبو سليمان الداراني: لو أجمع الناس على أن يضعوني كاتضاعي عند نفسي لما قدروا عليه.

وقيل: من لم يتضع عند نفسه لم يتضع عند غيره.

وكان عمر بن عبد العزيز لا يسجد إلى على التراب.

أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي قال: حدثنا أحمد بن عبيد البصري، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن يزيد الفرائض، قال: حدثنا محمد بن كثير، وهو المصيصي، عن هارون بن حيان، عن حصيف، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر " .

وقال مجاهد، رحمه الله: لما أغرف الله سبحانه، قوم نوح شمخت الجبال، وتواضع الجودي، فجعله الله سبحانه، قراراً لسفينة نوح عليه السلام.

وكان عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، يسرع في المشي، ويقول: إنه أسرع للحاجة، وأبعد من الزهو.
وكان عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه، يكتب ليلة شيباً، وعند ضيف، فكاد السراج. ينطفئ، فقال الضيف:
أقوم إلى الصباح فأصلحه، فقال: لا: ليس من الكرم استخدام الضيف.
قال: فأنبه الغلام.

قال: لا، هي أول نومة نامها.
فقالم إلى البطة، وجعل الدهن في الصباح، فقال الضيف: قمت بنفسك يا أمير المؤمنين!! فقال له عمر: ذهبت وأنا
عمر، ورجعت وأنا عمر.

وروي أبو سعيد الخدري، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان يعلف البعير، ويقم البيت،
ويخفف النعل، ويرقع الثوب، ويحلب الشاة، ويأكل مع الخادم، ويطحن معه إذا أعياء، وكان لا يمنع الحياء أن يحمل
بضاعته من السوق إلى أهله، وكان يصافح الغني والفقير، ويسلم مبتدئاً، ولا يحتقر ما دعي إليه، ولو إلى حشف
التمر، وكان هين المؤنة، لين الخلق؛ كريم الطبيعة جميل المعاشرة، طلق الوجه، بساماً من غير ضحك، محزوناً من غير
عبوسة؛ متواضعاً من غير مذلة؛ جواداً من غير سرف، رقيق القلب؛ رحيماً بكل مسلم، لم يتجشأ قط من شبع؛ ولم
يمد يده إلى طمع ". .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى؛ رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول: سمعت محمد بن نصر
الصائغ يقول: سمعت مردويه الصائغ يقول: سمعت الفضيل بن عياض يقول: قراء الرحمن، عز وجل، أصحاب
خشوع وتواضع، وقراء القضاة أصحاب عجب وتكبر.

وقال الفضيل بن عياض: من رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب.
وسئل الفضيل عن التواضع، فقال: تخضع للحق، وتقاد له وتقبله ممن قاله.
وقال الفضيل: أوحى الله؛ سبحانه وتعالى؛ إلى الجبال: أي مكلم على واحد منكم نبياً. فتناولت الجبال؛ وتواضع
طورسينا؛ فكلم الله سبحانه عليه موسى، عليه السلام، لتواضعه.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت أحمد بن علي بن جعفر، يقول: سمعت إبراهيم بن فاتك، يقول:
سئل الجنيد عن التواضع؛ فقال: خفض الجناح للخلق؛ ولين الجانب لهم.
وقال وهب: مكتوب في بعض ما أنزل الله تعالى من الكتب: " إني أخرجت الذر من صلب آدم، فلم أجد قلباً أشدَّ
تواضعاً من قلب موسى عليه السلام، فلذلك اصطفتيه وكلمته ". .
وقال ابن المبارك: التكبير على الأغنياء، والتواضع للفقراء من التواضع.
وقيل لأبي يزيد: متى يكون الرجل متواضعاً؟ فقال: إذا لم ير لنفسه مقاماً ولا حالاً؛ ولا يرى أن في الخلق من هو شر
منه.

وقيل: التواضع نعمة لا يحسد عليها، والكبر محنة لا يرحم عليها، والعزُّ في التواضع فمن طلبه في الكبر لم يجده.
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله يقول: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول:
الشرف في التواضع، والعزُّ في التقوى، والحريّة في القناعة.

وسمعت أياً يقول: سمعت الحسن السائى يقول: سمعت ابن الأعرابي يقول: بلغني أنّ سفيان الثوري قال: أعز الخلق
خمسة أنفس: عالم زاهد، وفقه صوفي، وغني متواضع، وفقير شاكراً، وشريف سخي.
وقال يحيى بن معاذ: التواضع حسن في كلِّ أحد لكنه في الأغنياء أحسن، والتكبر سمح في كلِّ أحد لكنه في الفقراء

أسمع!! وقال ابن عطاء: التواضع: قبول الحقّ ممن كان.

وقيل: ركب زيد بن ثابت، فدنا ابن عباس ليأخذ بركابه، فقال ل مَه يا ابن عمّ رسول الله. فقال هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا. فأخذ زيد بن ثابت يد ابن عباس فقبلها، وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال عروة بن الزبير: رأيت عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وعلى عاتقه قربة ماء، فقلت: يا أمير المؤمنين، لا ينبغي لك هذا!! فقال: لما أتاني الوفود سامعين مطيعين، دخلت في نفسي نحوه فأحببت أن أكسرها. ومضى بالقربة إلى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها في إنائها.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج الطوسي يقول: روي أبو هريرة، وهو أمير المدينة، وعلى ظهره حزمة حطب، وهو يقول: طرقتوا للأمر.

وقال عبد الله الرازي: التواضع ترك التمييز في الخدمة.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت محمد بن أحمد بن هارون يقول: سمعت محمد بن العباس اللمشقي يقول: سمعت أحمد بن أبي الخواري يقول: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: من رأى لنفسه قيمة لم يذق حلوة الخدمة.

وقال يحيى بن معاذ: التكبر على من تكبر عليك بمالة تواضع.

وقال الشبلي رحمه الله: دلي عطّل ذل اليهود.

وجاءه رجل، فقال له الشبلي: ما أنت؟ فقال: يا سيدي النقطة التي تحت الباء.

فقال له: أنت شاهدي، ما لم تجعل لنفسك مقاماً.

وقال ابن عباس، رضي الله عنهما، من التواضع أن يشرب الرجل من سؤر أخيه.

وقال بشر: سلموا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم.

وقال شعيب بن حرب: بينا أنا في الطواف إذ لكرني إنسان بمرقه، فالتفت إليه، فإذا هو القضييل بن عيضا، فقال: يا أبا صالح، إن كنت تظن أنه شهد الموسم شر مني ومنك فبتس ما ظننت!! وقال بعضهم: رأيت في الطواف إنساناً بين يديه شاكره يمنعون الناس لأجله عن الطواف.. ثم رأيت بعد ذلك بمدة على جسر بغداد يسأل الناس شيئاً. ففعلت منه، فقال لي: أنا تكبرت في موضع يتواضع الناس هناك، فابتلاني الله، سبحانه، بالتذلل في موضع يترفع فيه الناس.

وبلغ عمر بن عبد العزيز أن ابناً له اشترى فصاً بألف درهم فكتب إليه عمر: " بلغني أنك اشتريت فصاً بألف درهم، فإذا أنك كتابي هذا فبع الخاتم، وأشبع ألف بطن واتخذ خاتماً من درهمين، واجعل واكتب عليه " رحم الله أمراً عرف قدر نفسه ".

وقيل: عرض على بعض الأسياء مملوك بألف درهم، فلما أحضر الثمن استكثره فبدا له في شرائه فردّ الثمن إلى الخزانة! فقال العبد: يا مولاي، اشتريني، فإن في بكل درهم من هذه الدراهم خصلة تساوي أكثر من ألف درهم، فقال: وما هي؟ فقال: أقلها وأدناها مالو اشتريتني وقدمتني على جمع مما ليكن لا أغلظ في نفسي، وأعلم أي أنا عبدك. فاشتراه.

وحكي عن رجاء بن حيوة أنه قال: قومت ثياب عمر بن عبد العزيز وهو يخطب يائي عشر درهماً؛ وكانت: قباء، وعمامة، وقميصاً، وسرويل، وخفين، وقلنسوة.

وقيل: مشى عبد الله بن محمد بن واسع مشياً لا يحمد فقال له أبوه: وتدرى بكم اشتريتُ أمك بثلاثمائة درهم، وأبوك لا أكثر الله في المسلمين مثله أباً، وأنت تمشي هذه المشية!! سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أحمد بن الفراء يقول: سمعت عبد الله بن منازل يقول: سمعت حمدون القصار يقول: التواضع: أن لا ترى لأحد إلى نفسك حاجة، لا في الدين، ولا في الدنيا.

وقال إبراهيم بن أدهم: ما سررت في إسلامي إلا ثلاث مرات: مرة كنت في سفينة، وفيها رجل مضحك كان يقول: كنا نأخذ العليج في بلاد الترك هكذا وكان يأخذ بشعر رأسي، ويهزني، فيسرني ذلك؛ لأنه لم يكن في السفينة أحدٌ أحقر في عينه مني.

والأخرى: كنت عليلاً في مسجد، فدخل المؤذن، وقال: أخرج. فلم أطق، فأخذ برجلي وجرتني إلى خارج المسجد. والثالثة: كنت بالشام، وعليّ فرو، فنظرت فيه فلم أميز بين شعره وبين القمل، لكثرت، فسرني ذلك. وفي حكاية أخرى عنه قال: ما سررت بشيء كسروري أني كنت يوماً جالساً فجاء إنسان وبال علي. وقيل: تشاجر أبو ذر وبلال، رضي الله عنهما، فعير أبو ذر بلالاً بالسواد. فشكاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا ابا ذر، إنه بقي في قلبك منكبر الجاهلية شيء.

فألقي أبو ذر نفسه.. وحلف أن لا يرفع رأسه حتى يطأ بلال خده بقدمه. فلم يرفع حتى فعل بلال ذلك. ومر الحسن بن علي، رضي الله عنهما، بصبيان معهم كسر خبز، فاستضافوه، فنزل، وأكل معهم. ثم حملهم إلى منزله، وأطعمهم، وكساهم، وقال: اليد لهم، لأنهم لم يجدوا غير ما أطعموني، ونحن نجد أكثر منه. وقيل: قسم عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، الحلال بين الصحابة من غنيمة، فبعض إلى معاذ حلة يمانية، فباعها واشترى ستة أعبد، وأعتقهم. فبلغ عمر ذلك، فكان يقسم الحلال بعده؛ فبعث إليه حلة دون تلك، فعاتبه معاذ، فقال له عمر: لا معاتبه، لأنك بعث الأولى.

فقال معاذ: وما عليك. ادفع إلي نصيبي، وقد حلفت لأضربن بها رأسك. فقال عمر: هذا رأسي بين يديك، وقد يرفق الشيخ بالشيخ.

باب مخالفة النفس

وذكر عيوها قال الله تعالى: "وأما من خاف مقام ربه وهى وهى النفس عن الهوى؛ فإن الجنة هي المأوى". أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال: حدثنا أحمد بن عبيد قال: أخبرنا تمام قال: حدثنا محمد بن معاوية النيسابوري قال: حدثنا علي بن أبي علي بن عتبة بن أبي لهب، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أخوف ما أخاف علي أمتي: باع الهنى، وطول الأمل، فأما انباغ الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة".

ثم اعلم أن مخالفة النفس رأس العبادة. وقد سئل الشيخ عن الإسلام، قالوا: ذبح النفس بسيف المخالفة. واعلم أن من نجمت طوارق نفسه أفلت شوارق أنسه.

وقال ذو النون المصري: مفتاح العبادة: الفكرة، وعلامة الإصابة: مخالفة النفس والهوى، ومخالفتها ترك شهواتهما. وقال ذو النون المصري: مفتاح العبادة للفكر، وعلامة الإصابة: مخالفة النفس والهوى، ومخالفتها ترك شهواتهما.

وقال ابن عطاء: النفس مجبلة على سوء الأدب، والعبد مأمور بملازمة الأدب، فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة، والعبد يرددها بجهده عن سوء المطالبة، فمن أطلق عنانها فهو شريكها معها في فسادها. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا عبد الرحمن الأنطاقي يقول: سمعت الجنيد يقول: النفس الأمانة بالسوء: هي الداعية إلى المهالك، المعينة للأعداء، المتبعة للهوى، المتهممة بأصناف الأسواء.

وقال أبو حفص: من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات، ولم يخالفها في جميع الأحوال، ولم يجرها إلى مكروهها في سائر أيامه كان مغروراً ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها.

وكيف يصح لعاقل: الرضا عن نفسه، والكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الخليل، يقول: " وما أبرىء نفسي، إن النفس لأمانة بالسوء " .

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت إبراهيم بن مقسم ببغداد يقول: سمعت ابن عطاء يقول: قال الجنيد: أوقت ليلة، فقممت إلى وردي، فلم أجد ما كنت أجد من الحلاوة والتلذذ بمناجاتي لربي، فتنحير، فأردت القيام بما لم أقدر عليه، فقممت، فلم أطق القعود، ففتحت الباب، وخرجت، فإذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق. فلما أحس بي، رفع رأسه، وقال: يا أبا القاسم، إلى الساعة فقلت: يا سيدي من غير موعد؟ فقال: بلى قد سألت محرّك القلوب أن يحرك إلى قلبك.

فقلت: فقد فعل فما حاجتك؟ فقال: متى يصير داء النفس دواءها؟ فقلت: إذا خالقت النفس هواها صار دأؤها دواءها.

فأقبل على نفسه، وقال: اسمعي، قد أجبتك بهذا الجواب سبع مرات فأبيت أن تسمعيه إلا من الجنيد، فقد سمعت، وانصرفت عني ولم أعرفه. ولم أقف عليه بعد.

وقال أبو بكر الطمستاني: النعمة العظمى: الخروج من النفس؛ لأنه أعظم حجاب بينك وبين الله عز وجل. وقال سهل بن عبد الله: ما عبد الله بشيء مثل مخالفة النفس والهوى.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا عمر الأنطاقي يقول: سمعت ابن عطاء، وقد سئل عن أقرب شيء إلى مقت الله تعالى، فقال: رؤية النفس وأحوالها، وأشد من مطالعة الأعواض على أفعالها.

وسمعت يقول: سمعت الحسين بن يحيى يقول: سمعت جعفر بن نصير يقول: سمعت إبراهيم الخواص يقول: كنت في جبل اللكام فرأيت رماناً فاشتهيته. فدنوت منه، فأخذت منه واحدة، فشققتها، فوجدتها حامضة، فمضيت، وتركت الرمان، فرأيت رجلاً مطروحاً. قد اجتمع عليه الزنابير، فقلت: اللام عليك، فقال: وعليك السلام يا إبراهيم، فقلت له: وكيف عرفني؟ فقال: من عرف الله تعالى، لا يخفى عليه شيء. فقلت: أرى لك حالاً مع الله تعالى، فلو سألته أن يحميك ويقيك الأذى من هذه الزنابير؟ فقال: وأنا أرى لك حالاً مع الله تعالى، فلو سألته أن يقيك شهوة الرمان!! فإن لدغ الرمان يجد الإنسان ألمه في الآخرة، ولدغ الزنابير يجد ألمه في الدنيا. فتركته، ومضيت.

وحكي عن إبراهيم بن شيبان أنه قال: ما بت تحت سقف، ولا في موضع غلق أربعين سنة، وكنت أشتهي في أوقات أن أتناول شبعة عدس، فلم، يتفق.. فكنت وقتاً بالشام، فحمل إلي غضارة فيها عدس، فتناولت منه، وخرجت... فرأيت قوارير معلقة فيها شيء شبه نموذجات.. فظننته خلا.. فقال لي بعض الناس: إيش تنظر هذه نموذجات الخمر؛ وهذه الدنان حمر.

فقلت في نفسي: لزمني فرض..، فدخلت حانوت الخمار، ولم أزل أصب تلك الدنان وهو يتوهم أنني أصبها بأمر السلطان.. فلما علم، حملني إلى ابن طولون.. فأمر بصري مائتي خشبة.. وطرحني في السجن.. فبقيت فيه مدة، حتى دخل أبو عبد الله المغربي أستاذي ذلك البلد؛ فشفع لي، فلما وقع بصره علي، قال: إيش فعلت؟ فقلت: شعبة عدس ومائتي خشبة فقال لي: نجوت مجاناً.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت جعفر بن نصير يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري السقطي يقول:

إن نفسي تطالبي، منذ ثلاثين سنة أو أربعين سنة، أن أغمس جزرة في دبس فما أطعتها.

وسمعته يقول: سمعت جدي يقول: رضاه من نفسه بما هو فيه.

وسمعته يقول: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت الحسين ابن علي القرمسيبي يقول: وجه عصام بن يوسف البلخي شيئاً إلى حاتم الأصم، فقبله منه.

فقبل له: لم قبلته؟.

فقال: وجدت في أخذه ذليّ وعزه، وفي رده عزي وذله؛ فاختر عزه على عزي وذلي على ذله.

وقيل لبعضهم: إني أريد أن أحج على التجريد.

فقال له: جرد أولاً قلبك عن السهو، ونفسك عن اللهو؛ ولسانك عن اللغو، ثم اسلك حيث شئت.

وقال أبو سليمان الداراني: من أسن في ليله كوفء في نهاره، ومن أحسن في نهاره كوفء في ليله، ومن صدق في ترك شهوة كفى مؤنتها، والله أكرم من أن يعذب قلباً ترك شهوة لأجله.

وأوحى الله سبحانه إلى داود عليه السلام: يا داود، حذر، وأنذر أصحابك أكل الشهوات؛ فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة.

وروى رجل جالساً في الهواء، فقيل له: بم نلت هذا؟ فقال: تركت الهوى فسخر لي الهواء.

وقيل: لو عرض للمؤمن ألف شهوة لأخرجها بالخوف، ولو عرض للفاخر شهوة واحدة لأخرجته من الخوف.

وقيل: لا تضع زمامك في يد الهوى، فإنه يقودك إلى الظلمة.

وقال يوسف بن أسباط: لا يمحو الشهوات من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق.

وقال الخواص: من ترك شهوة، فلم يجد عوضها في قلبه، فهو كاذب في تركها.

وقال جعفر بن نصير: دفع إلى الجنيد درهماً وقال: اشتر لي به التين الوزيري، فاشتريته له، فلما أظفر أخذ واحدة

ووضعها في فمه، ثم ألقاها، وبكى، وقال: إجمله.

فقلت له في ذلك، فقال: هتف في قلبي أما تستحي؟ شهوة تركتها من أجلي ثم تعود إليها.

وأنشوا:

نون الهوان من الهوى مسروقة... وصريع كل هوى صريع هوان

واعلم ن للنفس أخلاقاً ذميمة، فمن ذلك: الحسد.

باب الحسد

قال الله تعالى: " قل أعوذ برب الفلق، من شر ما خلق " .

ثم قال: " ومن شر حاسد إذا حسد " .

فختم السورة التي جعلها عوذة بذكر الحسد.

أخبرنا أبو الحسين الأهوازي، قال: أخبرنا أحمد بن عبيد البصري قال: حدثنا اسماعيل بن الفضل قال: حدثنا يحيى بن مخلد، قال: حدثنا معاً في ابن عمران، عن الحارث بن شهاب، عن معبد، عن ابن مسعود قال: ن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ثلاث هن أصل كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن: إياكم والكبر، فإن إبليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم.

وإياكم والحرص، فإن آدم حمله الحرص على أن أكل من الشجرة.

وإياكم والحسد، فإن ابني آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسداً.

وقال بعضهم: الحاسد جاحد، لأنه لا يرضى بقضاء الواحد.

وقيل: الحسود لا يسود.

وقيل في قوله تعالى: " قل نما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن " ، قيل ما بطن: الحسد. وفي بعض الكتب:

الحاسد عدو نعمتي.

وقيل: أثر الحسد يتبين فيك قيل أن يتبين في عدوك.

وقال الأصمعي: رأيت أعرابياً أتى عليه مائة وعشرين سنة، فقلت له: ما أطول عمرك.

فقال: تركت الحسد فبقيت.

وقال ابن المبارك: الحمد لله الذي لم يجعل في قلب أميري ما جعله في قلب حاسدي.

وفي بعض الآثار إن في السماء الخامسة ملسكاً يمر به عمل عبد، له ضوء كضوء الشمس، فيقول له الملك: قف فأنا

ملك الحسد. اضرب به وجه صاحبه، فإنه حاسد.

وقال معاوية: كل إنسان أقدر على أن أرضيه، إلا الحاسد، فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة.

ويقال: الحاسد ظالم غشوم، لا يبغي ولا يذر.

وقال عمر بن عبد العزيز: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد: غم دائم ونفس متتابع.

وقيل: من علامات الحاسد أن يتعلق إذا شهد، ويغتاب إذا غاب، ويشتم بالمصيبة إذا نزلت.

وقال معاوية: ليس في خلال الشرخلة أعدل من الحسد، تقتل الحاسد قبل الحسود.

وقيل: أوحى الله، سبحانه، إلى سليمان بن داود، عليهما السلام: أوصيك بسبعة أشياء: لا تغتابن صالح عبادي، ولا

تحسدن أحداً من عبادي. فقال سليمان: يا رب، حسبي.

وقيل رأى موسى عليه السلام، رجلاً عند العرش فغبطه، فقال: ما صفته؟ فقيل: كان لا يحسد الناس على ما آناهم

الله من فضله.

وقيل: الحاسد إذا رأى نعمة بهت، وإذا رأى عثرة شمت.

وقيل: إذا أردت أن تسلم من الحاسد، فليس عليه أمرك.

وقيل: الحاسد مغتاض على من لا ذنب له، بخيل بما لا يملكه.

وقيل: إياك أن تتعنى في مودة من يحسدك، فإنه لا يقبل إحسانك وقيل. إذا أراد الله تعالى أن يسلط على عبد عدواً

لا يرحمه سلط عليه حاسده: وأنشدوا:

وحسبك من حادث بامري ... ترى حاسديه له راحينا

وأنشوا:

كلُّ العداوة قد ترجى إمانتها ... إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال ابن المعتز:

قل للحسود إذا تنفس: طعنة ... يا ظالماً وكأنه مظلوم

وأنشوا:

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود

ومن الأخلاق المذمومة للنفس: اعتياد الغيبة.

باب الغيبة

قال الله سبحانه: " ولا يغتب بعضكم بعضاً، يجب أحذكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً " الآية.

أخبرنا أبو سعيد محمد بن إبراهيم الإسماعيلي، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن الحسن بن الخليل، قال:

حدثنا علي بن الحسن قال: حدثنا إسحق بن عيسى ابن بنت داود بن أبي هند، قال حدثنا محمد بن أبي حميد، عن

موسى بن وردان، عن أبي هريرة: أن رجلاً قام، وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك جالس، فقال

بعض القوم: ما أعجز فلاناً، فقال صلى الله عليه وسلم: " أكلتم أحاكم واغتتموه " .

وأوحى الله، سبحانه، إلى موسى عليه السلام: " من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصراً

عليها فهو أول من يدخل النار " .

وقال عوف: دخلت على ابن سيرين، فتناولت الحجاج، فقال ابن سيرين: إن الله، تعالى، حكم عدل؛ فكما يأخذ

من الحجاج يأخذ للحجاج، وإنك إذا لقيت الله عز وجل غداً كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب

أصابه الحجاج.

وقيل: دعى إبراهيم بن أدهم إلى دعوة، فحضر، فذكروا رجلاً لم يأنهم، فقالوا: إنه ثقيل؟؟ فقال إبراهيم: إنما فعل بي

هذا نفسي، حيث حضرت موضعاً يغتاب فيه الناس، فخرج، ولم يأكل ثلاثة أيام.

وقيل: مثل الذي يغتاب الناس، كمثل من نصب منجنيقاً، يرمي به حسناته شرقاً وغرباً؛ يغتاب واحداً خراسانياً،

وآخر تركياً، فيفرق حسناته، ويقوم لا شيء معه؟؟ وقيل: يؤتى العبد يوم كتابه، فلا يرى فيه حسنة، فيقول: أين

صلاقي، وصيامي، وطاعتي؟؟ فيقال: ذهب عملك كله.

وقيل: من اغتیب بغيبة غفر الله له نصف ذنوبه.

وقال سفيان بن الحسين: كنت جالساً عند إياس بن معاوية، فنلت من إنسان.

فقال لي: هل غزوت في هذا العام الترك والروم؟ فقلت: لا.

فقال: سلم منك الترك والروم، وما سلم منك أخوك المسلم؟ وقيل: يعطى الرجل كتابه. فبرى فيه حسنات لم

يعملها. فيقال له: ذا بما اغتابك الناس وأنت لم تشعر.

وسئل سفيان الثوري عن قوله صلى الله عليه وسلم: " إن الله يبغض أهل البيت اللحميين " . فقال: هم الذين

يغتابون الناس: يأكلون لحومهم.

وذكرت الغيبة عند عبد الله بن المبارك، فقال: لو كنت مغتاباً أحداً لا غبت والدي؛ لأنهما أحق بحسناتي: وقال يحيى بن معاذ: ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تسره فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تدمه: وقيل للحسن البصري: إن فلاناً اغتابك: فبعث إليه طبق حلواء وقال: بلغني أنك أهديت إلى حسناتك، فكافأتك: أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عبيد البصري قال: أخبرنا أحمد بن عمرو القطوني قال: حدثنا سهل بن عثمان العسكري قال: حدثنا الربيع بن بدر، عن أبان، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من ألقى جلاباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له " .

سمعت حمزة بن يوسف السهمي يقول: سمعت أبا طاهر محمد بن أسيد الرقي يقول، سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول، قال الجنيد: كنت جالساً في مسجد الشونزية أنتظر جنازة أصلي عليها، وأهل بغداد، على طبقاتهم، جلوس ينتظرون الجنازة، فرأيت فقيراً عليه أثر النسك يسأل الناس، فقلت في نفسي؛ لو عمل هذا عملاً يصون به نفسه كان أجمل به.

فلما انصرفت إلى منزلي، وكان لي شيء من الورد بالليل، حتى البكاء والصلاة وغير ذلك، فنقل على جميع أورادي. فسهرت وأنا قاعد، فغلبتني عيناي.. فرأيت ذلك الفقير.. جاء به على خوان مملود. وقالوا لي: كل لحمه؛ فقد اغتبتته!. وكشف لي عن الحال، فقلت: ما اغتبتته! إنما قلت في نفسي شيئاً، فقبل لي:

مأنت ممن يرضى منك بمنله، إذ ذهب فاستحله، فأصبحت ولم أزل أتردد حتى رأيت في موضع يلتقط من الماء، عند تزايد الماء، أوراننا من البقل ما تساقط من غسل البقل، فسلمت عليه، فقال يا أبا القاسم، تعود؟ فقلت: لا. فقال: غفر الله لنا ولك.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: سمعت أبا طاهر الإسفرايني يقول: سمعت أبا جعفر البلخي يقول: كان عندنا شاب من أهل بلخ، وكان يجتهد؛ ويتعب؛ إلا أنه كان أبداً يغتاب الناس ويقول: فلان كذا، وفلان كذا، وفلان كذا.. فرأيت يوماً عند المخنثين الغسالين، خرج من عندهم. فقلت: يا فلان، ما حالك؟ فقال: تلك الواقعة في الناس أوقعتني إلى هذا، ابتليت بمخنث من هؤلاء، وأنا أخدمهم من أجله، وتلك الأحوال كلها ذهبت، فادع الله أن يرحمي.

باب القناعة

قال الله تعالى: " من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجييه حياة طيبة " .
أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى، قال: حدثنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر، قال: حدثنا محمد بن موسى الحلواني، قال: حدثنا عبد الله بن إبراهيم الغفاري، عن المنكدر بن محمد عن أبيه، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " القناعة كنز لا يفنى " .
أخبرنا أبو الحسن الأهوازي، قال: حدثنا أحمد بن عبيد البصري، قال: حدثنا عبد الله بن أيوب المقرئ قال: حدثنا أبو الربيع الزهراني؛ قال: حدثنا إسماعيل بن زكريا، عن أبي رجاء؛ عن برد بن سنان، عن مكحول، عن وائلة بن الأسقع؛ عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كن ورعاً تكن أعبد الناس،

وكن قنعاً تكن أشكر الناس؛ وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً وأحسن من جاورك تكن مسلماً، وأقل الضحك، فن كثرة الضحك تميمت القلب " .

وقيل: الفقراء أموات، إلا من أحياه الله تعالى بعز القناعة.

وقال بشر الحافي: القناعة: ملك لا يسكن إلا في قلب مؤمن.

سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد الشعراي يقول: سمعت اسحق بن إبراهيم بن أبي حسان الأماطي يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: القناعة من الرضا بمنزلة الورع من الزهد، هذا أول الرضا وهذا أو الرُّهد.

وقيل القناعة: السكون عد عدم المألوفات.

وقال أبو بكر الراعي: العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسوية وأمر الآخرة بالحرص والعجيل، وأمر الدين بالعلم والاجتهاد.

وقال أبو عبد الله بن خفيف: القناعة: ترك التشوف إلى المفقود، والاستغناء بالموجود.

وقيل في معنى قوله تعالى: " ليرزقنهم الله رزقاً حسناً " يعني: القناعة.

وقال محمد بن علي الترمذي: القناعة: رضا النفس بما قسم لها من الرزق.

ويقال: القناعة: الاكتفاء بالموجج، وزوال الطمع فيما ليس بحاصل.

وقال وهب: إن العز والغنى خرجاً يجولان، يطلبان رفيقاً؛ فليقيا القناعة، فاستقرأ.

وقيل: من كانت قناعتة سمينة طابت له كل مرقه ومن رجح إلى الله تعالى على كل حال رزق الله القناعة.

وقيل: مر أبو حازم بقصاب معه لحم سمين، فقال: خذ يا أبا حازم فإنه سمين. فقال: ليس معي درهم.

فقال: أنا أنظرك. فقال: نفسي أحسن نظرة لي منك.

وقيل لبعضهم: من أقنع الناس؟ فقال: أكثرهم لناس معونة، وأقلهم عليهم مؤونة.

وفي الزبور: القانع غني وإن كان جائعاً.

وقيل: وضع الله تعالى خمسة أشياء في خمسة مواضع: العز في الطاعة، والذل في المعصية، والهيبه في قيام الليل،

والحكمة في البطن الخالي، والغنى في القناعة.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت نصر ابن محمد يقول: سمعت سليمان بن أبي سليمان

يقول: سمعت أبا القاسم بن أبي نزار يقول: سمعت إبراهيم المارستاني يقول: انتقم من حرصك بالقناعة، كما تنتقم

من عدوك بالقصاص.

وقال ذو النون المصري: من قنع استراح من أهل زمانه، واستطال على أقرنه.

وقيل: من قنع استراح من الشغل. واستطال على الكل.

وقال الكندي: من باع الحرص بالقناعة ظفر بالعز والمروءة.

وقيل: من تبعت عيناه ما في أيدي الناس طال حزنه.

وأنشوا:

وأحسن بالفتى من يوماً عار... ينال به الغني كرم وجوع

وقيل: رأى رجل حكيماً يأكل ما تساقط من البقال على راس ماء فقال:

لو خدمت السلطان لم تحتج إلى أكل هذا.
 فقال الحكيم: وأنت لو قنعت بهذا لم تحتج إلى خدمة السلطان.
 وقيل: "العقاب عزيز في مطاره، لا يسمو إليه طرف صياح. ولا طعمه، فإذا طمع في جيفة علق في حباله، نزل من مطاره، فتعلق في حباله".
 وقيل: لما نطق موسى عليه السلام، بذكر الطمع فقال: "لو شئت لاتخذت عليه أجراً".
 قال الخضر له: "هذا فراق بيني وبينك".
 وقيل: لما قال ذلك موسى عليه السلام وقف بين يدي موسى والخضر، عليهما السلام ظبي وكانا جائعين، الجانب الذي يلي موسى عليه السلام غير مشوي، والجانب الذي يلي الخضر مشوي.
 وقيل في قوله تعالى: "إن الأبرار لفي نعيم" : هو القناعة في الدنيا، "وإن الهجار لفي جحيم" ، هو: الحرص في الدنيا.
 وقيل في قوله تعالى: "فك رقية" أي: فكرها من ذل الطمع.
 وقيل في قوله تعالى: "إنما يردي الله لينهب عنكم الرجس أهل البيت" يعني: البخل، والطمع. "ويطهركم تطهيراً" يعني: بالسخاء والايثار.
 وقيل في قوله تعالى: "هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي" أي: مقاماً في القناعة انفرد به من أشكالي، وأكون راضياً فيه بقضائك.
 وقيل في قوله تعالى: "لأعذبه عذاباً شديداً" يعني: لآسلبه القناعة، ولأبتلينه بالطمع، يعني: أسأل الله تعالى، أن يفعل به ذلك.
 وقيل لأبي يريد: بم وصلت إلى ما وصلت؟ فقال: جمعت أسباب الدنيا، فربطتها بحبل القناعة، ووضعتها في منجنيق الصدق، ورميت بها في بحر اليأس فاسترحت.
 سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت محمد بن فرحان بسامرة يقول: سمعت خالي عبد الوهاب يقول: كنت جالساً عند الجنيد، أيام التيسم، وحوله جماعة كثيرون من العجم والمولدين.
 فجاءه إنسان بخمسائة دينار، ووضعها بين يديه، وقال: تفرّقها على هؤلاء الفقراء.
 فقال: ألك غيرها؟ فقال نعم، لي دنائير كثيرة. فقال: أتريد غير ما تملك؟ فقال: نعم: فقال له الجنيد، خذها، فإنك أحو إليها منّا. ولم يقبلها.

باب التوكل

قال الله عز وجل: "ومن يتوكل على الله فهو حسبه".
 وقال: "وعلى الله فليتوكل المؤمنون".
 وقال: "وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين".
 أخبرنا الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك، قال: أخبرنا عبد الله بن جعفر بن أحمد الأصبهاني قال: حدثنا يونس بن حبيب بن عبد القاهر قال: حدثنا أبو داود الطيالسي، قال: حدثنا بن سلمة، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش؛ عن عبد الله بن مسعود؛ رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أريت الأمم

بالموسم، فرأيت أمتي قد ملئوا السهل والجبل، فأعجبني كثرتهم وهيتهم، فقليل لي: أراضيت؟ فقلت: نعم. قال: ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، لا يكتون، ولا يتطرون، ولا يسترقون، وعلى ربهم يتوكلون. فقام عكاشة بن محسن الأسدي، فقال: يا رسول الله، أذع أن يجعلني منهم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم اجعله منهم.

فقال آخر، فقال: أذع الله أن يجعلني منهم، فقال صلى الله عليه وسلم: "سبقك بما عكاشة".

سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت أبا بكر الوجيهي يقول: قال أبو علي الروذباري قلت: لعمرو بن سنان: أحك عن سهل بن عبد الله حكاية، فقال إنه قال: علامة المتوكل ثلاث لا يسأل، ولا يرد، ولا يجس.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله يقول: سمعت منصور ابن عبد الله يقول: سمعت أبا عبد الله الشرازي يقول: سمعت أبا موسى الديلمي يقول: قيل لأبي يزيد: ما التوكل؟ فقال لي: ما تقول أنت؟ فقلت: إن أصحابنا يقولون: لو أن السباع والأفاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك شرك.

فقال أبو يزيد: نعم؛ هذا قريب؛ ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة ينتعمون وأهل النار في النار يعذبون: ثم وقع لك تمييز عليهما خرجت من جملة التوكل.

وقال سهل بن عبد الله: أول مقام في التوكل: نيكون العبد بين يدين الله عز وجل كالميت بين يدي الغاسل، يقلبه كيف شاء؛ لا يكون له حركة ولا تدبير.

وقال حمدون: التوكل: هو الاعتصام بالله تعالى.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد البلخي يقول: سمعت محمد بن حامد يقول: سمعت أحمد خضرويه يقول: قال رجل لحاتم الأصم: من أين تأكل؟

فقال: "ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون".

واعلم أن التوكل محله القلب، والحركة بالظاهر لا تنافي التوكل بالقلب، بعدما تحقق العبد أن التقدير من قبل الله تعالى؛ فإن تعسر شيء فبتقديره، وإن اتفق شيء فبتيسيره.

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال: حدثنا أحمد بن عبيد البصري قال: حدثنا غيلان بن عبد الصمد قال: حدثنا إسماعيل بن مسعود الجحدري قال: حدثنا خالد بن يحيى قال: حدثنا عمي المغيرة بن أبي قررة، عن أنس بن مالك قال: "جاء رجل على ناقة له، يا رسول الله، أدعها وأتوكل؟. فقال: اعقلها وتوكل".

وقال إبراهيم الخواص: من صحَّ توكله في نفسه، صحَّ توكله في غيره.

وقال بشر الجافي: يقول أحدهم: توكلت على الله، ويكذب على الله تعالى، لو توكل على الله لرضي بما يفعله الله به.

وسئل يحيى بن معاذ: متى يكون الرجل متوكلاً؟ فقال: إذا رضي بالله تعالى وكياً.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: سمعت محمد ابن علي بن الحسين يقول: سمعت عبد الله بن محمد بن الصامت يقول: سمعت إبراهيم الخواص يقول: بينما أنا أسير في البادية، وإذا بماتف يهنف، فالتفت إليه، فإذا أعرابي يسير فقال لي: يا إبراهيم: التوكل عندنا: أقم عندنا حتى يصح توكلك، ألم تعلم أن رجاءك لدخول بلد فيه أطعمة يحملك؟، إقطع رجاءك عن البلدان، وتوكل.

وسمعت يقول سمعت محمد بن أحمد الفلاسي يقول: سمعت ابن عطاء، وقد سئل عن حقيقة التوكل، فقال: أن لا يظهر

فيك انزعاج إلى الأسباب مع شدة فافتك إليها، ولا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها. سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: شرط التوكل ما قاله أبو تراب النخشي، وهو: طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى الكفاية، فإن أعطى شكر وإن منع صبر. وكما قال ذو النون: التوكل: ترك تدبير النفس، والإنحلاع من الحول والقوة، وإنما يقوي العبد على التوكل إذا علم أن الله سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا الفرج الورثاني يقول: سمعت أحمد بن محمد القرمسيبي يقول: سمعت الكناني يقول: سمعت أبا جعفر ابن أبياترج يقول: رأيت رجلاً يعرف بجمل عائشة مع الشطار يضرب بالسياط، فقلت له: أي وقت يكون ألم الضرب عليكم أسهل؟ فقال: إذا كان من ضربنا لأجله يرانا.

وسمعته يقول: سمعت عبد الله بن محمد يقول: قال الحسين بن منصور لإبراهيم الخواص: ماذا صنعت في هذه الأسفار، وقطع هذه المفوز؟ قال بقيت في التوكل أصحح نفسي عليه. فقال الحسين: أفنيت عمرك في عمران باطنك، فأين الفناء في التوحيد. سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: التوكل: ما قاله أبو بكر الدقاق، وهو: رد العيش إلى يوم واحد، واسقاط هم غد.

قال: وهو: كما قال سهل بن عبد الله، التوكل: الاسترسال مع الله تعالى، على ما يريد. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: سمعت محمد ابن جعفر بن محمد يقول سمعت أبا بكر البردعي يقول: سمعت أبا يعقوب النهرجوري يقول: الوكل على الله تعالى بكمال الحقيقة، ما وقع لإبراهيم عليه السلام، في الوقت الذي قال لجبريل، عليه السلام: أما إليك فلا، لأنه غابت نفسه بالله تعالى، فلم يرمع الله غير الله عز وجل.

وسمعت يقول: سمعت سعيد بن أحمد بن محمد يقول سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول، سمعت سعيد بن عثمان الخياط يقول، سمعت ذا النون المصري، وسأل رجل فقال، ما التوكل. فقال: خلع الأرباب وقطع الأسباب. فقال السائل: زدني.

فقال: إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية. وسمعت يقول: سمعت عبد الله بن محمد المعلم يقول. سمعت عبد الله ابن المبارك يقول: سمعت حمدون القصار، وسئل عن التوكل، فقال: إن كان لك عشرة آلاف درهم، وعليك دائق دين، لم تأمن أن تموت ويبقى ذلك في عنقك، ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين، ومن غير أن تترك لهاوفاء، لا تياس من الله تعالى أن يقضيه عنك. وسئل أبو عبد الله القرشي عن التوكل فقال: التعلق بالله تعالى في كل حال. فقال السائل: زدني. فقال: ترك كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هو المتولى لذلك.

وقال سهل بن عبد الله: التوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم، والكسب سنته؛ فمن بقي على حاله، فلا يترك سنته: وقال أبو سعيد الخراز: التوكل: اضطراب بلا سكون، وسكون بلا اضطراب. وقيل: التوكل: أن يستوي عندك الإكثار والتقليل.

وقال ابن مسروق: التوكل: الاستسلام لجريان القضاء والأحكام. سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله الرازي يقول: سمعت أبا عثمان الخيري يقول: التوكل: الاكتفاء بالله، تعالى، مع الاعتماد عليه.

وسمعه: يقول: سمعت محمد بن غالب يحكي عن الحسين بن منصور قال: المتوكل الحق لا يأكل شيئاً في البلد من هو أحق به منه.

وسمعه يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت منصور بن أحمد الحربي يقول حكى لنا ابن أبي شيخ قال: سمعت عمر بن سنان يقول: اجناز بنا إبراهيم الخواص، فقلنا له: حدثنا بأجب ما رأيت في أسفارك، فقال: لقيني الخضر عليه السلام، فسألني الصحبة، فخشيت أن يُفسد عليّ توكلي بسكوني إليه. ففارقته.

وسئل سهل بن عبد الله عن التوكل، فقال: هو قلب عاش مع الله تعالى بلا علاقة.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: للمتوكل ثلاث درجات: التوكل، ثم التسليم، ثم التفويض.

فالتوكل يسكن إلى وعده، وصاحب التسليم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه.

وسمعه يقول: التوكل: بداية، والتسليم: واسطة، والتفويض نهاية.

وسئل الدقاق عن التوكل، فقال: الأكل بلا طمع.

وقال يحيى بن معاذ: لبس الصوف حانوت، والكلام في الزهد حرفة، وصحبة القوافل تعرض، وهذه كلها علاقات.

وجاء رجل إلى الشبلي يشكو إليه كثرة العيال، فقال: ارجع إلى بيتك، فمن ليس رزقه على الله، تعالى، فاطرده عنك.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت أحمد بن عطاء يقول: قرأت على محمد بن الحسين؛ قال سهل بن عبد الله: من طعن في الحركة فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان.

وسمعه يقول: سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول: سمعت جعفر الخدي يقول: قال إبراهيم الخواص: كنت في

طريق مكة، فرأيت شخصاً وحشياً.. فقلت: جنى أم نسي؟ فقال: جنى. فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى مكة. فقلت:

بلازاد؟ فقال: فينا أيضاً من يسفر على التوكل فقلت: إيش الوكل؟ فقال: الأخذ من الله تعالى.

وسمته يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت القرغاني يقول: كان إبراهيم الخواص مجرداً في التوكل، يدقق

فيه، وكان لا يفارقه إبرة وخيوط وكورة. ومقراض فقيل له: يا أبا اسحاق، لم تحمل هذا وأنت تمتنع من كل شيء؟

فقال: مثل هذا لا ينقض التوكل، لأن الله، سبحانه، علينا فرائض، والفقير لا يكون عليه غلا ثوب واحد؛ فربما

يتخرق ثوبه، فإن لم يكن معه إبرة وخيوط تبدو عورته، ففسد عليه صلاته، وإذا لم يكن معه ركوة تفسد عليه

طهارته، فإذا رأيت الفقير بلا ركوة ولا إبرة، ولا خيوط، فاهمه في صلاته.

وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله؛ يقول: التوكل: صفة المؤمنين، والتسليم: صفة الأولياء، والتفويض: صفة

الموحدين، فالتوكل: صفة العوام، والتسليم: صفة الخواص، والتفويض: صفة خواص الخواص.

وسمعه يقول: التوكل صفة الأنبياء، والتسليم صفة إبراهيم عليه السلام، والتفويض: صفة نبينا محمد صلى الله عليه

وسلم.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت محمد بن عبد الله القرغاني يقول: سمعت أبا

جعفر الحداد يقول: مكنت بضع عشرة سنة أعتقد التوكل وأنا أعمل في السوق، وأخذ كل يوم أجرتي؛ ولا أنفع

منها بشرية ماء، لا بدخلة حمام ولكن كنت أجيء بأجرتي إلى الفقراء في الشونزية وأكون مستمراً على حالي.

وسمعه يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت الخواص يقول: سمعت الحسين أخا سنان

يقول: حججت أربع عشرة حجة، حافياً، على التوكل، فكان يدخل في رجلي شوكة فأذكر أنني قد اعتقدت على

نفسى التوكل، فأحكها في الأرض وأمشي.

وسمعتنه يقول: سمعت محمد بن عبد الله الواعظ يقول: سمعت خيراً لنساج يقول: سمعت أب حمزة يقول: إني لأستحي من الله تعالى أن أدخل مادية وأنا شعبان، وقد اعتقدت التوكل، لنلا يكون سعي على الشيع زاداً أتزود به.. وسئل حمدون التوكل. فقال:

تلك درجة لم أبلغها بعد، وكيف يتكلم في التوكل من لم يصح له حال الإيمان؟ وقيل: المتوكل كالطفل، لا يعرف شيئاً يأوي إليه إلا ثدي أمه، كذلك المتوكل لا يهتدي إلى إله ربه تعالى.
وعن بعضهم قال؟ كنت في البادية فتقدمت القافلة فرأيت قدامي واحداً. فتسارعت حتى أدركته، فإذا هي امرأة بيدها عكاز، تمشي على التردة.. فظننت أنها أعيت، فأدخلت يدي في جيبي، فأخرجت عشرين درهماً، فقلت: خذها وامكنني حتى تلحقك القافلة فتكثري بها. ثم اتيتني الليلة حتى أصلح أمرك.
فقال: بيدها هكذا في الهواء، فإذا في كفها دنانير، فقالت: أنت أخذت الدراهم من الجيب، وأنا أخذت الدنانير من الغيب.

ورأى أبو سليمان الداراني رجلاً بمكة، لا يتناول شيئاً إلا شربة من ماء زمزم، فمضى عليه أيام، فقال له سليمان يوماً: رأيت لو غارت زمزم إيش كنت تشرب؟ فقام، وقبل رأسه، وقال: جزاك الله خيراً، حيث أرشدتني، فإني كنت أعبد زمزم منذ أيام. ومضى.

وقال إبراهيم الخواص: رأيت في طريق الشام شاباً حدثاً، حسن المراعاة، فقال لي: هل لك في الصحبة؟ فقلت: إني أجوع. فقال: إن جمعت معك.

فبقينا أربعة أيام، ففتح علينا بشيء، فقلت: هلم. فقال: اعتقدت أني لا آخذ بواسطة فقلت: يا غلام دقت. فقال: يا إبراهيم، لا تنهرج، فإن الناقد بصير، مالك والتوكل؟ ثم قال: أله التوكل: أن ترد عليك موارد الفاقات فلا تسمو نفسك إلا إلى من إليه الكفايات.

وقيل: التوكل: نفي الشكوك، والتفويض إلى ملك الملوك.

وقيل: دخل جماعة على الجنيد رحمه الله، فقالوا: أين نطلب الرزق؟ فقال: إن علمتم في أي موضوع هو، فقالوا: ندخل البيت فتوكل؟ فقال: التجربة شك.

قالوا: فما الحيلة؟ فقال: ترك الحيلة.

وقال أبو سليمان الداراني لأحمد بن الحواري: يا أحمد، إن طرق الآخرة كثيرة، وشيخك عارف بكثير منها إلا هذا التوكل المبارك، فإني ما شممت منه رائحة.

وقيل: التوكل: الثقة بما في يد الله تعالى، واليأس عما في أيدي الناس وقيل التوكل: فراغ السر عن التفكير في التقاضي في طلب الرزق.

وسئل الحارث الحاسبي، رحمه الله، عن المتوكل: هل يلحقه طمع؟ فقال: يلحقه من طريق الطباع خطرات، ولا تضره شيئاً، ويقويه على إسقاط الطمع اليأس مما في أيدي الناس.

وقيل: جاع النوري في البادية، فهتف به هاتف: أيما أحب إليك: سيب أو كفاية.

فقال: الكفاية ليس فوقها نهاية، فبقي سبعة عشر يوماً لم يأكل.

وقال أبو علي الروذباري: إذا قال الفقير بعد خمسة أيام: أنا جائع، فالزمه السوق، ومره بالعمل والكسب.

وقيل: نظر أبو تراب النخشي إلى صوفي مد يده إلى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام.

فقال له: لا يصلح لك التصوف إلزم السوق.

وقال أبو يعقوب الأقطع البصري: جعت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضعفاً. فحدثني نفسي، فخرجت إلى الوادي، لعلني أجد شيئاً يسكن ضعفي.. فرأيت سلحمة مطروحة.. فأخذتها.. فوجدت في قلبي منها وحشة. وكان قائلاً يقول لي: جعت عشرة أيام وآخره يكون حظك سلحمة متغيرة. فرميت بها ودخلت المسجد فقعدت، فإذا أنا برجل أعجمي، جلس بين يدي ووضع قمطرة، وقال: هذه لك.

فقلت: كيف خصصتني بما؟ فقال: أعلم أنا كنا في البحر منذ عشر أيام. وأشرفت السفينة على الغرق:: فذرت كل واحد منا: إن خلصنا الله، تعالى، أن يتصدق بشيء، ونذرت أنا: إن خلصني الله تعالى أن أتصدق بهذه على أول من يقع بصري عليه من المجاورين وأنت أول من لقيته.

فقلت: افتحها ففتحها، فإذا فيها: كحك سميد مصري، ولوز مقشور، وسكر كعاب فقبضت قبضته من ذا، وقبضة من ذا، وقبضة من ذا.

وقلت ردّ الباقي إلى صبيانك، هو هدية مني لكم، وقد قبلتها.

ثم قلت في نفسي: رزقك يسير إليك من عشرة أيام وأنت تطلبه من الوادي..

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: كنت عند ممشاد الدينوري، فجرى حيث الدّين، فقال: كان علي دين. فاشتغل قلبي. فرأيت في النوم كأن قائلاً يقول: يا بخيل، أخذت علينا هذا المقدار، خذ؛ عليك الأخذ، وعلينا العطاء فما حاسبت بعد ذلك بقالاً، ولا قصاباً، ولا غيرهم.

ويحكى عن بنان الحمال، قال: كنت في طريق مكة حرسها الله أجيء من مصر، ومعني زاد، فجاءتني امرأة، وقالت لي: يا بنان، أنت حمال تحمل على ظهرك الزاد، وتتهم أنه لا يرزقك؟؟. قال فرميت بزادي. ثم أتى على ثلاث لم أكل فوجدت خلخالاً في الطريق.. فقلت في نفسي: أحمله حتى يجيء صاحبه، فرميت شيئاً فأرده عليه فإذا أنا بتلك المرأة، فقالت لي: أنت تاجر؟؟ تقول: حتى يجيء صاحبه فأخذ منه شيئاً؟ ثم رمت إليه شيئاً من الدراهم، وقالت: أنفقها فاكشفت بها إلى قريب من مكة.

ويحكى عن بنان أنه احتاج إلى جارية تخدمه، فانبسط إلى إخوانه فجمعوا له ثمنها، وقالوا: هو ذا، يجيء النفر فتشترى ما يوافقك.

فلما ورد النفر، اجتمع رأيهم على واحدة، وقالوا: إنها تصلح له.

فقالوا لصاحبها: بكم هذه؟ فقال: إنها ليست للبيع؛ فالحوا عليه، فقال: إنها لبنان الحمال، أهدتها إليه امرأة من سمرقند فحملت إلى بنان، وذكرت له القصة.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن الحسين المخزومي يقول: حدثنا أحمد بن محمد بن صالح قال: حدثنا محمد بن عبدون، قال: حدثنا الحسن الحياط قال: كنت عند بشر الحافي، فجاء نفر فسلموا عليه، فقال: من أين أنتم.

قالوا: نحن من الشام جئنا لنسلم عليك، ونريد الحج.

فقال: شكر الله تعالى لكم فقالوا: تخرج معنا. فقال: بثلاث شرائط لا تحمل معنا شيئاً، ولا نسأل أحد شيئاً، وإن أعطانا أحد شيئاً لا نقبله؟ قالوا: أما أن لا نحمل، فنعلم. وأما أن لا نسأل، فنعلم، وأما أن لا نقبل إن أعطينا، فهذا لا نستطيعه.

فقال: خرجتم متوكلين على زاد الحجيج: ثم قال: يا حسن، الفقراء ثلاثة: فقير لا يسأل، وإن أعطى لا يأخذ، فذاك

من جملة الروحانيين.

وفقير لا يسأل، وإن أعطي قبل، فذاك مما يوضع له موائد في حظائر القدس.

وفقير يسأل، وإن أعطي قبل قدر الكفاية، فكفارته صدقة.

وقيل لحبيب العجمي: لم تركت التجارة؟ فقال: وجدت الكفيل ثقة.

وقيل: كان في الزمن الأول رجل في سفر ومعه قرص، فقال: إن أكلت مت.

فوكّل الله تعالى به ملكاً، وقال: إن أكله فارزقه، وإن لم يأكله فلا تطه غيره، فلم يزل القرص معه حتى مات، ولم يأكل، وبقي عنده القرص.

وقيل: من وقع في ميدان التفويض يزف إليه المراد كما نرف العروس إلى أهلها، والفرق بين التصييع والتفويض: أن التصييع في حق الله تعالى، وذلك مذموم، والتفويض في حقك، وهو محمود.

وقال عبد الله بن المبارك: من أخذ فلساً من حرام. فليس بمتموكل.

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي، رحمه الله، يقول سمعت نصر بن أبي نصر العطار يقول: سمعت علياً بن محمد المصري يقول: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: دخلت البادية مرة بغير زاد، فأصابني فاقة، فرأيت المرحلة من بعيد، فسررت بأني وصلت. ثم فكرت في نفسي: أني سكنت واتكلت على غيره، فأليت أن لا أدخل المرحلة إلا أن أحمل إليها فحفرت لنفسي في الرمل حفرة. وداريت جسدي فيها إلى صدري، فسمعوا صوتاً في نصف الليل عالياً يقول: يا أهل المرحلة، إن الله تعالى ولياً، حبس نفسه في هذا الرمل؛ فألحقوه. فجاءني جماعة فاخرجوني وحملوني إلى القرية.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: سمعت محمد بن الحسين المخزومي يقول: سمعت ابن المالكي يقول: قال أبو حمزة الخراساني: حججت سنة من السنين، فبينما أنا أمشي في الطريق، إذ وقعت في بئر فنازعني نفسي أن أستغيث، فقلت: لا والله، لا أستغيث فما استتمت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلاً: فقال أحدهما للآخر: تعالي حتى نسد رأس هذه البئر، لئلا يقع فيها أحد.. فأقوا: بصب وباربة، وطمو رأس البئر، فهيمت أن أصيح ثم قلت في نفسي: أصيح إلى من هو أقرب منهما!! وسكنت، فبينما أنا بعد ساعة، إذ أنا بشيء جاء.. وكشف عن رأس البئر، وأدلى رجله، وكأنه يقول لي: تعلق بي، في همهمة له كنت أعرف ذلك منه، فتعلقت به.. فأخرجني، فإذا هو سيع، فمر. وهتف بي هاتف: يا أبا حمزة، أليس هذا أحسن!! نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وأنا أقول:

أهابك أن أبدي إليك الذي أخفي ... وسري يدي ما يقول له طر في
نماني حياتي منك أن أكنم الهوي ... وأغنيتني بالقهم منك عن الكشف
وتلطف في أمري. فأبديت شاهدي ... إلى غائي واللف يدرك باللف

ترأيت لي بالغيب، حتى كأنما ... تبشيري في الغيب أنك في الكف
اراك وبني من هيبتي لك وحشة ... فتؤنسي باللف منك وبالعطف
وتحبي محباً أنت في الحب حتفه ... وذا عجب كون الحياة مع الحنف

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا سعدان التاهرتي يقول: سمعت حذيفة المرعشي يقول: وكان قد خدم إبراهيم بن أدهم، وصحبه، فقيل له: ما أعجب ما رأيت منه؟ فقال: بقينا في طريق مكة أياماً لم نجد طعاماً، ثم دخلنا الكوفة، فأوبنا إلى مسجد خراب، فنظر إلى إبراهيم بن أدهم، وقال: يا

حذيفة، أرى بك أثر الجوع!! فقلت: هو ما رآه الشيخ. فقال عليّ بدواة، وقرطاس.
فجئت به، فكتب: " بسم الله الرحمن الرحيم، أنت المقصود إليه بكل حال " ، والمشار إليه بكل معنى:
أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر ... أنا جائع أنا نائع أنا عاري
هي ستة وأنا الضمين لنصفها ... فكن الضمين لنصفها يا باري
مدحي لغيرك هب نار خضتها ... فأجر عبيدك من دخول النار
والنار عندي كالسؤال فهل ترى ... أن لا تكلفني دخول النار
ثم دفع إلى الرقعة: قال: أخرج، ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى، وادفع الرقعة إلى أول من يلقاك.
قال: فخرجت.. فأول من لقيني رجل كان على بغلة، فدفعتها إليه، فأخذها وبكى، وقال: ما فعل صاحب هذه
الرقعة؟ فقلت: هو في المسجد القلاني.
فدفع إلي صرة فيها ستمائة دينار.
ثم لقيت رجلاً آخر، فقلت له: من صاحب هذه البغلة؟ فقال لي: هو نصراني فجئت إلى إبراهيم بن أدهم، وأخبرته
بالقصة، فقال: لا تمسها، فإنه يجيء الساعة.
فلما كان بعد ساعة، وافى النصراني؛ وأكب على رأس إبراهيم بن أدهم وأسلم.

باب الشكر

قال الله عز وجل: " لئن شكرتم لأزيدنكم " .
وحدثنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان الأهوازي قال: أخبرنا أبو الحسن الصفار، قال حدثنا الإسقاطي قال:
حدثنا منجاب قال: حدثنا يحيى ابن يعلى، عن أبي خباب، عن عطاء، قال: دخلت على عائشة، رضي الله عنها، مع
عبيد بن عمير، فقلت: أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله، صلى الله عليه وسلم.
فبكت، وقالت: وأي شأنه لم يكن عجباً؟.. إنه أتاني في ليلة.. فدخل معي في فراشي، أو قالت: في لحافي: حتى مس
جلدي، ثم قال: يا بنت أبي بكر، ذريني أتبعك لربي.
قالت: قلت: إني أحب قربك فأذنت له فقام إلى قربة من ماء. فتوضأ وأكثر صب الماء.. ثم قام يصلي. فبكي، حتى
سالت دموعه على صدره.. ثم ركع فبكي، ثم سجد فبكي، ثم رفع رأسه فبكي. فلم يزل كذلك حتى جاء بلال
فأذنه بالصلاة.
فقلت له: يا رسول الله، ما يكيك، وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر؟! فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟ ولم
لا أفعل: وقد أنزل الله علي: " إن في خلق السموات والأرض. الآية " .
قال الأستاذ: حقيقة الشكر عند أهل التحقيق: الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع، وعلى هذا القول:
يوصف الحق سبحانه، بأنه: شكور، توسعاً ومعناه: أنه يجازي العباد على الشكر، فسمي جزاء الشكر شكراً؛ كما
قال تعالى: " وجزاء سيئة سيئة مثلها " .
وقيل: شكره تعالى: إعطاؤه الكثير من الثواب على العمل اليسير؛ من قوفهم: دابة شكور: إذا أظهرت من السمن
فوق ما تعطى من العلف.
ويحتمل أن يقال. حقيقة الشكر: الثناء على المحسن يذكر إحسانه فشكر العبد لله تعالى: ثناؤه عليه بذكر إحسانه

إليه، وشكر الحق، سبحانه، للعبد: ثناؤه عليه بذكر إحسانه له، ثم إن إحسان العبد: طاعته لله تعالى، وإحسان الحق: إنعامه على العبد بالتوفيق للشكر له، وشكر نعبد على الحقيقة، إنما هو: نطق اللسان، وإقرار القلب بإنعام الرب، والشكر ينقسم إلى: شكر باللسان: وهو اعترافه بالنعمة بنعت الاستكانة. وشكر بالبدن والأركان: وهو اتصاف بالوفاء والخدمة. وشكر بالقلب وهو اعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة. ويقال: شكر هو شكر العالمين، يكون من جملة أقوالهم. وشكر: هو شكر العارفين، يكون باستقامتهم له في عموم أحوالهم. وقال أبو بكر الوراق: شكر النعمة مشاهدة المنة، وحفظ الحرمة. قال حمدون القصار شكر النعمة: أ، ترى نفسك فيه طفيلياً.

وقال الجنيد: الشكر فيه علة، لأنه طالب لنفسه المزيد، فهو واقف مع الله، سبحانه، على حظ نفسه.

وقال أبو عثمان: الشكر: معرفة العجز عن الشكر.

ويقال: الشكر على الشكر أتم من الشكر، وذلك بأن ترى شكرك بتوفيقه، ويكون ذلك التوفيق من أجل النعم عليك، فتشكره على الشكر ثم تشكره على شكر الشكر، إلا ما لا يتناهي.

وقيل: الشكر: إضافة النعم إلى موليتها بنعت الاستكانة.

وقال الجنيد: الشكر: أن لا ترى نفسك أهلاً للنعمة.

وقال رويم: الشكر: استفراغ الطاقة.

وقيل: الشاكر: الذي يشكر على الموجود، والشكور: الذي يشكر على المفقود.

ويقال: الشاكر: الذي يشكر على الرشد، والشكور: الذي يشكر على الرد.

ويقال الشاكر: الذي يشكر على النفع، والشكور: الذي يشكر على المنع.

ويقال: الشاكر: الذي يشكر على العطاء، والشكور: الذي يشكر على البلاء.

ويقال: الشاكر: الذي يشكر عند البذل، والشكور: الذي يشكر عند المثل.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت الأستاذ أبا سهل الصعلوكي يقول: سمعت المرتعش يقول: سمعت الجنيد يقول: كنت بين يدي السريّ العب، وأنا ابن سبع سنين، وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر، فقال لي: يا غلام، ما الشكر؟ فقلت: ألا تعصي الله بنعمة.

فقال: يوشك أن يكون حظك من الله لسانك.

قال الجنيد، رحمه الله، فلا أزال أبي على هذه الكلمة التي قالها السري.

وقال الشبلي: الشكر: رؤية المنعم، لا رؤية النعمة.

وقيل الشكر: قيد الموجود، وصيد المفقود.

وقال أبو عثمان: شكر العامة على المطعم والمبس، وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم من المعاني.

وقيل: قال داود، عليه السلام، إلهي، كيف أشكرك، وشكري لك نعمة من عندك؟ وقيل: قال داود، عليه السلام،

إلهي، كيف أشكرك، وشكري لك نعمة من عندك؟ فأوحى الله إليه: الآن قد شكرتني.

وقيل: قال موسى عليه السلام في مناجاته: إلهي، خلقت آدم بيدك، وفعلت.. وفعلت. فكيف شكرك؟ فقال: علم

أن ذلك مني، فكانت معرفته بذلك شكركه لي.

وقيل: كان لبعضهم صديق، فحبسه السلطان، فأرسل إليه، فقال له صاحبه: أشكر الله تعالى؛ فضرب الرجل؛ فكتب إليه، فقال: اشكر الله تعالى، فجيء بمجوسي مبطون، وقيد، وجعلت حلقة من قيده على رجل هذا، وحلقة على رجل المجوسي، فكان يقوم المجوسي بالليل مرات وهذا يحتاج أن يقوم على رأسه حتى يفرغ، فكتب إلى صاحبه، فقال: أشكر الله تعالى، فقال: إلى متى تقول، وأي بلاء فوق هذا؟ فقال له صاحبه: لو وضع الزنار الذي في وسطه في وسطك، كما وُضع القيد الذي في رجله في رجلك، ماذا كنت تصنع؟ وقيل: دخل رجل على سهل بن عبد الله، فقال له: إن اللص دخل داري، وأخذ متاعي!! فقال له أشكر الله تعالى، لو دخل اللص قلبك - وهو الشيطان - وأفسد الوحيد، ماذا كنت تصنع! وقيل: شكر العينين: أن تستر عيياً تراه بصاحبك. وشكر الأذنين: أن تستر عيياً تسمعه فيه.

وقيل: الشكر: التلذذ بثنائه على ما لم يستوجبه عن عطائه.

سمعت السلمي يقول: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت الحسن بن يحيى يقول: سمعت جعفرًا يقول سمعت الجنيد يقول: كان السري إذا أراد أن ينفعي يسألني؛ فقال لي يوماً: يا أبا القاسم، ما الشكر! فقلت له: أن لا يستعان بشيء من نعم الله، تعالى، على معاصية.

فقال: من أين لك هذا! فقلت: من مجالستك.

وقيل: التزم الحسن بن علي الركن وقال: إلهي. نعمتني فلم تجدني شاكراً! وابتليتني فلم تجدني صابراً، فلا أنت سلبت النعمة بتركي الشكر ولا أدمت الشدة بتركي الصبر. إلهي ما يكون من الكريم إلا الكرم. وقيل: إذا قصرت يدك عن المكافاة فليطل لسانك بالشكر.

وقيل: أربعة لا ثمرة لأعمالهم: مسارة الأسم، ووضع النعمة عند من لا يشكر، والباذر في السبخة، والمسرح في الشمس.

وقيل: لما بُشر إدريس، عليه السلام؛ بالمغفرة سأل الحياة، فقيل له فيه، فقال لأشكره فإني كنت أعمل قبله للمغفرة، فبسط الملك جناحه وحمله عليه إلى السماء.

وقيل، مر بعض الأنبياء عليهم السلام بحجر صغير يخرج منه الماء الكثير، فتعجب منه، فانطقه الله معه، فقال: مذ سمعت الله، تعالى يقول، " ناراً وقودها الناس والحجارة " وأنا أبكي من خوفه قال؛ فدعا ذلك النبي أن يجير الله ذلك الحجر؛ فأوحى الله تعالى إليه أي قد أجرته من النار، فمر ذلك النبي، فلما عاد وجد الماء يتفجر منه مثل ذلك؛ فعجب منه فانطق الله ذلك الحجر معه، فقال له لم تبكي، وقد غفر الله لك؟ فقال: ذلك كان بكاء الحزن والخوف، وهذا بكاء الشكر والسرور.

وقيل: قدم وفد على عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه، وكان فيهم شاب. فأخذ يحطب، فقال عمر: الكبير. الكبير. فقال له الشاب: يا أمير المؤمنين، لو كان الأمر بالسِّنِّ، لكان في المسلمين من هو أسنُّ منك!! فقال: تكلمم فقال: لسنا وفد الرغبة، ولا وفد الرهبة. أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك وأما الرهبة فقد أمنتنا منها عدلك. فقال له: فمن أنتم؟ فقال: وقد الشكر، جئناك نشكرك وتتصرف. وأنشدوا:

ومن الرزية أن شكري صامت ... عما فعلت وأن برك ناطق

أرى الصنيعة منك ثم أسرها ... إني إذن ليد الكريم لسارق

وقيل: أوحى الله تعالى لى موسى عليه السلام: أرحم عبادي: ألتبلي، والمعافى.

فقال: ما بال المعافي؟ فقال: لقللة شكرهم على عافيتي إليهم.

وقيل: الحمد على الأنفاس، والشكر على نعم الحواس.

وقيل الحمد: ابتداء منه، والشكر: اقتداء منك.

وفي الخبر الصحيح: " لو من يدعى إلى الجنة الحامدون لله على كل حال " .

وقيل: الحمد: على ما دفع، والشكر: على ما صنع.

وحكي عن بعضهم أنه قال: رأيت في بعض الأسفار شيخاً كبيراً قد طعن في السن، فسألته عن حاله، فقال: إني كنت في ابتداء عمري أهوى ابنة عم لي؛ وهي كذلك كانت قمواني؛ فانفق أهما زوجت مني، فليلة زفافها قلنا: تعال: حتى تحيي هذه الليلة شكراً لله تعالى على ما جمعنا فصلينا تلك الليلة، ولم يتفرغ أحدنا لصاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فمنذ سبعين؛ أو ثمانين سنة، نحن على تلك الصفة كل ليلة: أليس كذلك يا فلانة، فقالت العجوز: كما يقول الشيخ.

باب اليقين

قال الله تعالى: " والذين يؤمنون بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون " .

حدثنا الاستاذ الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك، قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمود بن خرزاذ الأهوازي بها قال: حدثنا أحمد بن سهل بن ايوب قال: حدثنا خالد، يعني ابن زيد قال. حدثنا سفيان الثوري، وشريك بن عبد الله وسفيان بن عيينة، عن سليمان التيمي، عن خيثمة، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لا ترضين احداً بسخط الله تعالى، ولا تحمدن احداً على فضل الله عز وجل، ولا تذمن احداً على ما لم يؤتك الله تعالى، فإن رزق الله لا يسوقه غليك حرص حريص ولا يرده عنك كراهة كاره، وإن الله تعالى - بعدته وقسطه - ، جعل الروح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط " .

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن سعيد الرازي قال: حدثنا عياش بن حمزة قال: حدثنا أحمد بن أبي الخواري، قال: قال أبو عبد الله الأنطاكي: إن أقل اليقين إذا وصل إلى القلب يملاً القلب نوراً، وينفي عنه كل ريب، ويمتلئ القلب به شكراً، ومن الله تعالى خوفاً. ويحكى عن أبي جعفر الحداد قال: رأيتني أبو تراب النخشي، وأنا في البادية جالس على بركة ماء، ولي ستة عشر يوماً لم أكل ولم أشرب فقال لي: ما جلوسك؟ فقلت: أنا بين العلم واليقين أنتظر ما يغلب فأكون معه، يعني " إن غلب على العلم شربت، وإن غلب اليقين مررت " فقال لي: سيكون لك شأن.

وقال أبو عثمان الحيري اليقين: قلة الاهتمام لغد.

وقال سهل بن عبد الله: اليقين: من زيادة الإيمان ومن تحقيقه.

وقال سهل أيضاً: اليقين: شعبة من الإيمان، وهو دون التصديق.

وقال بعضهم: اليقين: هو العلم المستودع في القلوب. يشير هذا القائل إلى إنه غير مكتسب.

وقال سهل: ابتداء اليقين: المكاشفة، ولذلك قال بعض السلف: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً، ثم المعاينة والمشاهدة.

وقال أبو عبد الله بن خفيف: اليقين تحقق الأسرار بأحكام المغيبات.

وقال أبو بكر بن طاهر: العلم: بمعارضة الشكوك، واليقين: لاشك فيه. أشار إلى العلم السكبي وما يجري مجرى البديهي، وكذلك علوم القوم في الابتداء كسبي، وفي الانتهاء بديهي. سمعت محمد بن الحسين يقول: قال بعضهم: أول المقامات. المعرفة، ثم اليقين، ثم التصديق، ثم الإخلاص، ثم الشهادة، ثم الطاعة. والإيمان اسم يجمع هذا كله. أشار هذا القائل إلى أن أول الواجبات، هو المعرفة الله سبحانه والمعرفة لا تحصل إلا بتقديم شرائطها. وهو النظر الصائب، ثم إذا توالى الأدلة، وحصل البيان، صار بوالي الأنوار، وحصول الاستبصار، كالدستغني عن تأمل البرهان وهو حال اليقين، ثم تصديق الحق، سبحانه، فيما أخبر عند إصغائه إلى إجابة الداعي فيما يجبر من أفعاله، سبحانه في المستأنف؛ لأن التصديق إنما يكون في الإخبار، ثم الإخلاص فيما يتعقبه من أداء الأوامر، ثم بعد ذلك إظهار الإجابة بجميل الشهادة، ثم أداء الطاعات بالوحيد فيما أمر به، والتجرد عما زجر عنه.

وإلى هذا المعنى أشار الإمام أبو بكر محمد بن فورك، فيما سمته، يقول ذكر اللسان فضيلة يفيض بها القلب. وقال سهل بن عبد الله: حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين وفيه سكون إلى غير الله تعالى. وقال ذو النون المصري: اليقين داع إلى قصر الأمل، وقصر الأمل يدعو إلى الزهد، والزهد يورث الحكمة، والحكمة تورث النظر في العواقب.

وسمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت ذا النون المصري يقول: ثلاثة من أعلام اليقين: قلة المخالطة للناس في العشرة، وترك المدح لهم في العظيمة، والتزه عن ذمهم عند المنع. وثلاثة من أعلام يقين اليقين: النظر إلى الله تعالى في كل شيء، والرجوع إليه في كل أمر ولا الاستعانة به في كل حال.

وقال الجنيد، رحمه الله اليقين: واستقرار العلم الذي لا يقلب ولا يحول ولا يتغير في القلب. وقال ابن عطاء: على قدر قربهم من التقوى أدركوا ما أدركوا من اليقين. وأصل التقوى: مباينة النهي، ومباينة النهي مباينة النفس، فعلى قدر مفارقتهم النفس وصلوا إلى اليقين. وقال بعضهم: اليقين: هو المكاشفة، والمكاشفة على ثلاثة أوجه: مكاشفة الإخبار، ومكاشفة بإظهار القدرة، ومكاشفة بحقائق الإيمان.

وأعلم أن المكاشفة في كلامه، عبارة، عن ظهور الشيء للقلب بستيلاء ذكره من غير بقاء للريب، وربما أرادوا بالمكاشفة ما يقرب مما يراه الرائي بين اليقظة والنوم. وكثيراً ما يعبر هؤلاء عن هذه الحالة بالنبات. سمعت الإمام أبا بكر بن فورك يقول: سألت أبا عثمان المغربي، فقلت: ما هذا الذي تقول؟ قال الأشخاص أراهم كذا.. وكذا، فقلت: تراهم معاينة أو مكاشفة؟ فقال: مكاشفة. وقال امر بن عبد قيس: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً.

وقيل: اليقين: رؤية العيان بقوة الإيمان.

وقيل: اليقين: زوال المعارضات.

وقال الجنيد، رحمه الله، اليقين: ارتفاع الريب في مشهد الغيب.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، يقول: في قول النبي صلى الله عليه وسلم، في عيسى ابن مريم عليه السلام: " لو ازداد يقيناً لمشيء في الهواء كما مشيت فيه " .

قال رحمه الله: أنه أشار بهذا إلى حال نفسه، صلى الله عليه وسلم، ليلة المعراج؛ لأن في الطائف المعراج أنه، صلى الله

عليه وسلم، قال: " رأيت البراق قد بقي ومشيت " .
سمعت محمد الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول: سمعت إبراهيم بن فانك يقول: سمعت
الجعيد يقول: سمعت السريّ يقول، وقد سئل عن اليقين، فقال: اليقين: سكونك عند جولان الموارد في صدرك،
لتبينك أن حركتك فيها لا تنفك ولا ترد عنك مقضياً.
وسمعت يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت أبا جعفر الأصبهاني يقول: سمعت علي بن سهل يقول: الحضور
أفضل من اليقين، لأن الحضور وطناً، واليقين خطرات.
كأنه جعل اليقين ابتداء الحضور، والحضور دوام ذلك، فكأنه جَوَّز حصول اليقين خالياً من الحضور، وأحال جواز
الحضور بلا يقين؛ ولهذا قال التوري: اليقين: المشاهدة، يعني أن في المشاهدة يقيناً لا شك فيه؛ لأنه لا يشاهده، تعالى
من لا يتق بما منه.
وقال أبو بكر الوراق: اليقين: ملاك القلب، وبه كمال الإيمان، وباليقين عرف الله تعالى، وبالفعل عقل عن الله تعالى.

وقال الجعيد: قد مشى رجال باليقين على الماء، ومات بالعطش أفضل منهم يقيناً.
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت الحسين بن يحيى يقول: سمعت جعفرأ يقول: قال إبراهيم
الخواص: لقيت غلاماً في التيه، كأنه سيكة فضة، فقلت: إلى أين يا غلام؟ فقال: إلى مكة: فقلت: بلا زاد، ولا
راحلة، ولا نفقة! فقال لي: يا ضعيف اليقين، الذي يقدر على حفظ السموات والأرضين لا يقدر أن يوصلني إلى
مكة بلا علاقة قال: فلما دخلت مكة إذا أنا به في الطواف وهو يقول:
يا عين سحى أبداً... يا نفس موتي كمداً
ولا تحي أحداً... إلا الجليل الصمدا
فلما رأي قال لي: يا شيخ، أنت بعد على ذلك الضعف من اليقين؟! وسمعت يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول:
سمعت النهرجوري يقول: إذا استكمل العبد حقائق اليقين صار البلاء عنده نعمة، والرخاء مصيبة.
وقال أبو بكر الوراق: القين على ثلاثة أوجه: يقين خبر، ويقين دلالة، ويقين مشاهدة.
وقال أبو تراب النخشي: رأيت غلاماً في البادية يمشي بلا زاد، فقلت: إن لم يكن معه يقين فقد هلك. فقلت: يا
غلام، في مثل هذا الموضع بلا زاد؟ فقال: يا شيخ ارفع رأسك هل ترى غير الله عز وجل؟ فقلت: الآن إذهب حيث
شئت.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا نصر الأصبهاني يقول: سمعت محمد بن عيسى يقول: قال أبو سعيد الخراز:
العلم ما استعملك، واليقين: ما حملك.
وسمعت يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا عثمان الآدمي يقول: سمعت إبراهيم الخواص يقول: طلبت
المعاش لأكل الحلال! فأصطدت السمك، فيوماً وقعت في الشبكة سمكة، فأخرجتها، وطرح الشبكة في الماء
فوقعت أخرى فيها فرميت بما ثم عدت، فهتف بي هاتف: لم تجد معاشاً إلا أن تأتي من يذكرنا فتقتلهم...! قال:
فكسرتُ القبصة، وتركت الاصطياد.

باب الصبر

قال الله، عزَّ وجلَّ: " واصبر وما صبرك إلا بالله " .

وأخبرنا عليُّ بن أحمد الأهوازي، قال: أخبرنا أحمد بن عبيد البصري، قال: حدثنا أحمد بن علي الخراز قال: حدثنا أسيد بن زيد قال: حدثنا مسعود بن سعد، عن الزيات، عن أبي هريرة، عن عائشة، رضي الله عنها، رفعتة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الصبر عند الصدمة الأولى " .

وأخبرنا علي بن أحمد قال: أخبرنا بن عبيد قال: حدثنا أحمد بن عمر، قال: حدثنا محمد بن مرداس قال: حدثنا يوسف بن عطية، عن عطاء بن أبي ميمونة، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الصبر عند الصدمة الأولى " .

ثم الصبر على أقسام: صبر على ما هو كسب للعبد، وصبر على ما ليس بكسب له.

فالصبر على المكتسب، على قسمين: صبر على ما أمر الله تعالى به، وصبر على من نهي عنه.

وأما الصبر على ما ليس بمكتسب للعبد: فصبره على مقاساة ما يتصل به من حكم الله فيما يناله فيه مشقة.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت السحبن بن يحيى يقول: سمعت جعفر بن محمد يقول: سمعت الجنيدي يقول: المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن، وهجران الخلق في جنب الله تعالى شديد، والمسير من النفس إلى الله تعالى صعب شديد، والصبر مع الله أشد.

وسئل الجنيدي عن الصبر، فقال: هو تجرع المرارة من غير تعبير.

وقال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: الصبر من الإيمان بنزلة الرأس في الجسد.

وقال أبو القاسم الحكيم: قوله تعالى: " واصبر " أمر بالعبادة، وقوله: " وما صبرك إلا بالله " عبودية، فمن ترقى من درجة لك إلى درجة بك؛ فقد انتقل من درجة العبادة إلى درجة العبودية.

قال صلى الله عليه وسلم: " بك أحيأ وبك أموت " .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، يقول: سمعت أبا جعفر الرازي يقول: سمعت عياشاً يقول: سمعت أحمد يقول:

سألت أبا سليمان عن الصبر، فقال: والله ما نصبر على ما نحب، فكيف على ما نكره؟ وقال ذو النون: الصبر:

التباعد عن المخالقات، والسكون عند تجرع قصص البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة.

وقال ابن عطاء: الصبر: الوقوف مع البلاء بحسن الأدب.

وقيل: هو القناء في البلوى بلا ظهور شكوى.

وقال أبو عثمان: الصبار: الذي عود نفسه الهجوم على المكاره.

وقيل: الصبر: المقام مع البلاء بحسن الصحبة، كالمقام مع العافية.

وقال أبو عثمان: أحسن الجزاء على عبادة: الجزاء على الصبر، ولا جزاء فوقه، قال الله عزَّ وجلَّ: " ولنجزين الذين

صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون " .

وقال عمرو بن عثمان: الصبر. هو الثبات مع الله سبحانه وتعالى، وتلقي بلائه بالرحب والدعة.

وقال الخوَّاص: هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة.

وقال يحيى بن معاذ: صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين، واعجباً، كيف يصبرون؟ وأنشدوا:

الصبر يحمي في المواطن كلها ... إلا عليك فإنه لا يحمي

وقال رويم: الصبر: ترك الشكوى.

وقال ذون النون: الصبر: هو الاستعانة بالله تعالى.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق، رحمه الله، يقول: الصبر كإسمه.

وأنشدني الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي، قال: أنشدني أبو بكر الرازي قال: أنشدني ابن عطاء لنفسه:

سأصبر، كي ترضى، وأتلف حسرة... وحسي أن ترضى ويتلفني صبري

وقال أبو عبد الله بن خفيف: الصبر على ثلاثة أقسام، متصبر، وصابر، وصابر.

وقال عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه: الصبر مطية لا تكبو.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت علي بن عبد الله البصري يقول: وقف رجل على الشبليّ فقال: أي صبر أشد

على الصابرين؟ فقال: الصبر في الله عزّ وجلّ، فقال: لا، فقال: الصبر لله، قال: لا. قال: الصبر مع الله، قال: لا.

قال: فاي شيء؟ قال: الصبر عن الله.

قال: فصرخ الشبلي صرخة طادت روحه أن تتلف.

وسمعته يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان، يقول: سمعت أبا محمد الجريري يقول: الصبر: أن لا يفرق بين حال

النعمة والحنة، مع سكون خاطر فيهما. والتصبر: هو السكون، مع البلاء مع وجدان أتعاقب الحنة.

وأنشد بعضهم:

صبرت ولم أطلع هواك على صبري... وأخفيت ما بي منك عن موضع الصبر

مخافة أن يشكو ضميري صابتي... إلى دمعتي سرّاً فتجري ولا أدري

سمت الأستاذ أبا عليّ الدقاق، رحمه الله، يقول: فاز الصابرون بعزّ الدارين؛ لأنهم نالوا من الله تعالى معيته: قال الله

تعالى: "إن الله مع الصابرين".

وقيل في معنى قوله تعالى: "اصبروا وصابروا ورابطوا" الصبر: دون المصابرة، والمصابرة: دون المرابطة.

وقيل: اصبروا بنفوسكم على طاعة الله تعالى، وصابروا بقلوبكم على البلوى في الله، ورابطوا بأسراركم على

الشوق إلى الله.

وقيل: اصبروا في الله، وصابروا بالله، ورابطوا مع الله.

وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: تخلّق بأخلاقِي، وإنّ من أخلاقِي أنّي أنا الصبور.

قويل: يجرّع الصبر، فإن قتلك قتلك شهيداً، وإن أحياك أحياك عزيزاً.

وقيل: الصبر لله: عناء، والصبر بالله: بقاء، والصبر في الله: بلاء. والصبر مع الله وفاء، والصبر عن الله: جفاء.

وأنشدوا:

والصبر عنك فمذموم عواقبه... والصبر في سائر الأشياء محمود

وأنشدوا:

وكيف الصبر عن حل مني... بمنزلة اليمين من الشمال

إذا لعب الرجال بكلّ شيء... رأيت الحب يلعب بالرجال

وقيل: الصبر على الطلب عنوان الظفر، والصبر في الخن علامة القرج.

سمعت منصور بن خلف المغربي، رحمه الله، يقول: جرّد واحد للسياط، فلما ردّ إلى السجن دعا ببعض أصحابه فتفل

على يده، وألقى من فمه دقاق الفضة على يده فسئل، فقال: كان في فمي درهمان، وكان على حاشية الحلقة لي

عين، فلم أرد أن أصيح لرؤيته إياي.. فكنت أعض على الدرهمين.. فكسروا في فمي.

وقيل: حالك التي أنت فيها رباطك، وما دون الله تعالى أعداؤك، فأحسن المرابطة في رباط حالك.
وقيل: المصابرة: هي الصبر على الصبر، حتى يستغرق الصبر في الصبر فيعجز الصبر عن الصبر، كما قيل: صابر
الصبر فاستغاث به فصاح المحب بالصبر صبراً وقيل: حبس الشبلي وقتاً في المارستان، فدخل عليه جماعة؛ فقال: من
أنتم؟ فقالوا: أحباؤك جاءوك زائرين.
فأخذ يرميهم بالحجر، وأخذوا يهربون.
فقال: يا كذابون، لو كنتم أحبائي لصبرتم على بلائي.
وفي بعض الأخبار: بعيني ما يتحمل المتحملون من أجلي.
وقال الله تعالى: " واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا " .

وقال بعضهم: كنت بمكة.. فرأيت فقيراً طاف بالبيت، وأخرج من جيبه رقعة، ونظر فيها، ومر، فلما كان بالغد،
فعل مثل ذلك، فترقبته أياماً وهو يفعل مثل ذلك، فيوماً من الأيام طاف ونظر في الرقعة، وتباعد قليلاً، وسقط ميتاً،
فأخرجت الرقعة من جيبه، فإذا فيها: " واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا " .
وقيل: رؤي حدث يضرب وجه شيخ بنعله، فقيل له: ألا تستحي؟! تضرب حر وجه شيخ بمثل هذا؟ فقيل: جرمه
عظيم. فقيل: وما ذاك؟ فقال: هذا الشيخ يدعي أنه يهواني، ومنذ ثلاث ما رأي.
وقال بعضهم: دخلت بلاد الهند، فرأيت رجلاً بفرد عينيسمى فلانا الصبور فسألت عن حاله، فقيل: هذا في عنفوان
شبابه سافر صديق له، فخرج في وداعه، فدمعت إحدى عينيه ولم تبك الأخرى، فقال لعينه التي لم تدمع: لم لم
تدمعي على فراق صاحبي؟ لأحرمك النظر إلى الدنيا وغمض عينه، فمنذ ستين سنة لم يفتح عينه.
وقيل في قوله تعالى: " فاصبر صبراً جميلاً " : الصبر الجميل: أن يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدري من هو.
وقال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، لو كان الصبر والشكر بعيرين، لم أبال أيهما ركبت.
وكان ابن شبرمة، رحمه الله، إذا نزل به بلاء قال: سحابة ثم تنقشع.
وفي الخبر، أن النبي صلى الله عليه وسلم، سئل عن الإيمان، فقال: " الصبر والسماحة " .
أبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن طاهر الصوفي قال: حدثنا محمد بن
التيجاني قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري قال: حدثنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا سويد بن حاتم قال: حدثنا
عبد الله بن عبيد، عن عمير، عن أبيه، عن جده، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، فقال: "
الصبر والسماحة " .

وسئل السري عن الصبر، فجعل يتكلم فيه، فدب على رجله عقرب، وهي تضربه بابرقتها ضربات كثيرة، وهو
ساكن: فقيل له: لم لم تنحها؟

فقال: استحيت من الله تعالى أن أتكلم في الصبر، ولم أصبر.
وفي بعض الأخبار: الفقراء الصبر هم جلساء الله تعالى يوم القيامة.
وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه: أنزلت بعبي بلائي، فدعاني، فمطلته بالإجابة، فشكاني، فقلت: يا عبدي، كيف
أرحمك من شيء به أرحمك.

وقال ابن عيينة في معنى قوله تعالى: " وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا " ، قال: لما أخذوا برأس الأمر
جعلناهم رؤساء.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: أن الصبر حده أن لا تعترض على التقدير؛ فأما إظهار البلاء على غير وجه

الشكوى فلا ينافي الصبر، قال الله تعالى في قصة أيوب: " إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب " مع ما أخبر عنه تعالى أنه قال " مسنى الضر " .

وسمعه يقول: استخرج الله منه هذه المقالة: يعني قوله: " مسنى الضر " ؛ لتكون متنفساً لضعفاء هذه الأمة. وقال بعضهم: إنا وجدناه صابراً، ولم يقل صبوراً لأنه لم يكن جميع أحواله الصبر، بل كان في بعض أحواله يستلذ البلاء، ويستعذبه، فلم يكفني حال الاستلذاد صابراً؛ فلذلك لم يقل: صبوراً. سمعت الأستاذ أبا علي، رحمه الله، يقول: حقيقة الصبر: الخروج من البلاء على حسب الدخول فيه، مثل أيوب عليه السلام فإنه قال في آخر بلائه: " مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين " فحفظ أدب الخطاب حيث عرض يقول: " وأنت أرحم الراحمين " ولم يصرح بقوله ارحمني.

واعلم أن الصبر على ضربين: صبر العابدين، وصبر المحبين. فصبر العابدين، أحسنه: أن يكون محفوظاً، وصبر المحبين أحسنه: أن يكون مرفوضاً. وفي معناه أنشأوا: تبين يوم الدين أن اعترامه ... على الصبر من إحدى الظنون الكواذب وفي هذا المعنى سمعت الأستاذ أبا علي، رحمه الله، يقول: أصبح يعقوب، عليه السلام، وقد وعد الصبر من نفسه فقال: " فصبر جميل أي: فشأنني صبر جميل، ثم لم يمس حتى قال: يا أسفاً على يوسف " .

باب المراقبة

قال الله تعالى: " وكان الله على كل شيء رقيباً " .

أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن بن محمد بن اسحق، قال: حدثنا أبو عوانة يعقوب بن اسحق، قال: حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم، قال: حدثنا خالد بن يزيد قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم؛ عن جرير بن عبد الله البجلي، قال: " جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة رجل، فقال: يا محمد، ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته " وكتبه، ورسله، والقدر: خيره وشره، وحلوه ومره. قال: صدقت. قال: فتعجبنا من تصديقه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت. قال: صدقت. قال فأخبرني ما الاحسان؟ قال: الاحسان: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال صدقت. . " الحديث.

قال الشيخ: هذا الذي قاله صلى الله عليه وسلم: " فإن لم تكن تراه فإنه يراك " إشارة إلى حال المراقبة، لأن المراقبة، علم العبد باطلاع الرب سبحانه عليه، فاستدامته لهذا العلم مراقبة لربه، وهذا أصل كل خير له. ولا يكاد يصل إلى هذه المرتبة إلا بعد فراغه من الحاسبة، فإذا حاسب نفسه على ما سلف له، وأصلح حاله في الوقت، ولازم طريق الحق، وأحسن بينه وبين الله تعالى مراعاة القلب، وحفظ مع الله تعالى الأنفاس، وراقب الله تعالى في عموم أحواله، فيعلم أنه سبحانه؛ عليه رقيب، ومن قلبه قرب، يعلم أحواله، ويرى أفعاله، ويسمع أقواله، ومن تغفل عن هذه الجملة فهو بمعزل عن بداية الوصلة، فكيف عن حقائق القربة.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الجريري يقول: من لم يحكم بينه وبين الله تعالى التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق. رحمه الله، يقول: كان لبعض الأمراء وزير، وكان بين يديه يوماً، فالتفت إلى بعض الغلمان الذين كانوا وقوفاً، لا لربية، ولكن لحركة أو صوت أحس به منهم، فاتفق أن ذلك الأمير نظر إلى هذا الوزير في تلك الحالة فخاف الوزير أن يتوهم الأمير أنه نظر إليهم، فجعل ينظر إليه كذلك، فبعد ذلك اليوم كان هذا الوزير يدخل على هذا الأمير، وهو أبداً ينظر إلى جانب، حتى توهم الأمير أن ذلك خلقه؛ وحول فيه. فهذه مراقبة مخلوق لمخلوف، فكيف مراقبة العبد لسيدته؟ سمعت بعض الفقهاء يقول: كان أمير له غلام يقبل عليه أكثر من إقباله على غيره من غلمانه؛ ولم يكن أكثرهم قيمة، ولا أحسنهم صورة، فقالوا له في ذلك، فأراد الأمير أن يبين لهم فضل الغلام في الخدمة على غيره. فيوماً من الأيام كان راكباً، ومعه الحشم، وبالبعث منهم جبل عليه ثلج، فنظر الأمير إلى ذلك الثلج وأطرق رأسه، فركض الغلام فرسه، ولم يعلم القوم لماذا ركض! فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء ومعه شيء من الثلج. فقال له الأمير: ما أدراك أي أردت الثلج؟ فقال الغلام: لأنك نظرت إليه، ونظر السلطان إلى شيء لا يكون عن غيره قصد صحصح فقال الأمير: إنما أخصه بإكرامي وإقبالي، لأن لكل أحد شغلاً، وشغله مراعاة لحظاتي، ومراقبة أحوالي.

وقال بعضهم: من راقب الله تعالى في خواطره، عصمه الله في جوارحه. وسئل أبو الحسين بن هند: متى يهش الراعي غنمه بعضا الرعاية عن مراتع الهلكة؟ فقال: إذا علم أن عليه رقيباً. وقيل: كان ابن عمر؛ رضي الله عنه، في سفر، فرأى غلاماً يرعى غنماً، فقال له: تبع من هذه الغنم واحدة؟ فقال: إنما ليست لي فقال: قل لصاحبها إن الذئب أخذ منها واحدة. فقال العبد: فأين الله!! فكان ابن عمر يقول بعد ذلك إلى مدة: قال ذلك العبد: فأين الله.

وقال الجنيد: من تحقق في المراقبة خاف فوت حظه من ربه عز وجل لا غير. وكان بعض المشايخ له تلامذة.. فكان يخص واحداً منهم بإقباله عليه أكثر مما يقبل على غيره، فقالوا له في ذلك، فقال: أين لكن ذلك.. فدفع إلى كل واحد من تلامذته طائراً، وقال له: إذبحه بحيث لا يراه أحد، ودفع إلى هذا أيضاً، فمضوا.. ورجع كل واحد منهم وقد ذبح طائر، وجاء هذا بالطائر حياً فقال: هلا ذبحته؟ فقال: أمرتني أن إذبحه بحيث لا يراه أحد، فقال: لهذا أخصه بإقبالي عليه. وقال ذو النون المصري: علامة المراقبة: إبتار ما آثر الله تعالى، وتعظيم ما عظم الله تعالى، وتصغير ما صغر الله تعالى.

وقال النصر اباذي: الرجاء: يحركك إلى الطاعات، والخوف: يبعدك عن المعاصي، والمراقبة: تؤدبك إلى طرق الحقائق.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سألت جعفر بن نصير عن المراقبة، فقال: مراعاة السر، للملاحظة نظر الحق سبحانه مع كل خطرة. وسمعت يقول: سمعت أبا الحسين الفارسي يقول: سمعت الجريري يقول: أمرنا هذا مبني على فصلين: وهو أن تلزم نفسك المراقبة لله تعالى، ويكون العلم على ظاهره قائماً. وسمعت يقول: سمعت أبا القاسم البغدادي يقول: سمعت المرتعش يقول: المراقبة: مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولقطة.

وسئل ابن عطاء: ما أفضل الطاعات؟ فقال: مراقبة الحق على دوام الأوقات.

وقال إبراهيم الخواص: المراعاة تورث المراقبة، والمراقبة تورث خلوص السر والعلانية لله تعالى.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت أبا عثمان المغربي يقول: أفضل ما يلزم به الإنسان

نفسه في هذه الطريقة: الخاسية، والمراقبة، وسياسة عمله بالعلم.
وسمعه يقول: سمعت عبد الله الرازي يقول سمعت أبا عثمان يقول: قال لي أبو حفص إذا جلست للناس فكن واعظاً لقلبك ولنفسك، ولا يعرّنك إجتماعهم عليك، فنههم يراقبون ظاهرك، والله يراقب باطنك.
وسمعه يقول: سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت أبا جعفر الصيدلاني يقول: سمعت أبا سعيد الخزاز يقول: قال لي بعض مشايخي عليك بمراعاة سرّك والمراقبة. قال: فبينما أنا يوماً أسير في البادية، إذ أنا بمشخشة خلفي، فهالني ذلك.. وأردت أن ألفت فلم ألفت.. فرأيت شيئاً واقفاً على كتفي.. فانصرف، وأنا مراعى لسري.. ثم التفت، فإذا أنا بسبع عظيم.
وقال الواسطي: أفضل الطاعات حفظ الأوقات. وهو: أن لا يطالع العبد غير حده، ولا يراقب غير ربه، ولا يقارن غير وقته.
انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثاني وأوله باب الرضا.

الجزء الثاني تابع المقامات

باب الرضا

قال الله عزَّ وجلَّ: " رضي الله عنهم ورضوا عنه " .. الآية.

أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي، رحمه الله، قال: حدثنا أحمد بن عبيد البصري، قال: حدثنا الكريمي، قال: حدثنا يعقوب بن إسماعيل السلال، قال: حدثنا أبو عاصم العبادي، عن الفضل بن عيسى الرقاشي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. " بينا أهل الجنة في مجلس لهم، إذ سطع لهم نورٌ على باب الجنة، سلوني. فقالوا: نسألك الرضا عنَّا، قال تعالى: رضاي قد أحلكم داري، وأنا لكن كرامتي، هذا أوأئها، فاسألوني. قالوا: نسالك الزيادة. قال: فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر.. أزمتهأ زُمردٌ أخضر، وياقوت أحمر، فجاءوا عليها، تضع حوافرها عند منتهى طرفها، فيأمر الله، سبحانه، بأشجار عليه الثمار، وتجيء جوار من الحوار العين، وهنَّ يقلن: نحن الناعمات فلا نؤس، ونحن الخالديات فلا نموت، أزواج قوم مؤمنين كرام، ويأمر الله، سبحانه، يكتبان من مسك أبيض أذفر، فتشير عليهم ريجاً يقول لها المشيرة حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن، وهي قسبة الجنة، فتقول الملائكة: يا ربنا، قد جاء القوم. فيقول الله: مرحباً بالصادقين.. مرحباً بالطائعين.

قال: فيكشف لهم الحجاب.. فينظرون إلى الله، عزَّ وجلَّ. فيتمنون بنور الرحمن، حتى لا يبصرَ بعضهم بعضاً، ثم يقول: أرجعوهم إني الصور بالتحف قال: فيرجعون، وقد أبصر بعضهم بعضاً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فذلك قوله تعالى: " نُزلاً من غفور رحيم " .

وقد اختلف العراقيون والخراسانيون في الرضا: هل هو من الأحوال، أو من المقامات.

فأهل خراسان قالوا: الرضا: من جملة المقامات وهو نهاية التوكل، ومعناه: أنه ينول إلى أنه يتوصل إليه العبد باكتسابه.

وأما العراقيون؛ فإنهم قالوا: الرضا: من جملة الأحوال، وليس ذلك كسباً للعبد، بل هو نازلةٌ تحل بالقلب كسائر الأحوال.

ويمكن الجمع بين اللسانين؛ فيقال: بداية الرضا مكتسبة للعبد، وهي من المقامات، ونهايته من جملة الأحوال، وليست بمكتسبة.

وتكلم الناس في الرضا؛ فكل عبر عن حاله وشربه، فهم في العبارة، عنه مختلفون، كما أنهم في الشرب والنصيب من ذلك متفاوتون.

فأما شرط العلم، والذي هو لا يبد منه: فالراضي بالله تعالى، هو: الذي لا يعترض على تقديره.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: ليس الرضا أن لا تحس بالبلاء، إنما الرضا: أن لا تعترض على الحكم والقضاء.

واعلم أن الواجب على العبد: أن يرضى بالقضاء الذي أمر بالرضا به؛ إذ ليس كل ما هو بقضائه يجوز للعبد أو يجب عليه الرضا؛ كالمعاصي، وفنون محن المسلمين.

وقال المشايخ: الرضا باب الله الأعظم. يعنون: من أكرم بالرضا فقد لقي بالترحيب الأوفى، وأكرم بالتقريب الأعلى.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: أخبرنا أبو جعفر الرازي قال: حدثنا العباس بن حمزة قال: حدثنا ابن أبي الحواري قال: قال عبد الواحد بن زيد: الرضا بابُ الله الأعظم، وجنة الدنيا.

واعلم: أن العبد لا يكاد يرضى عن الحق. سبحانه، إلا بعد أن يرضى عنه الحق سبحانه؛ لأن الله عزَّ وجلَّ قال: "رضي الله عنهم ورضوا عنه".

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: قال تلميذ لأستاذه: هذا يعرف العبد أن الله تعالى راضٍ عنه؟ فقال: لا، كيف يعلم ذلك. ورضاه غيب؟ فقال التلميذ: بل يعلم ذلك، فقال: كيف؟! فقال: إذا وجدت قلبي راضياً عن الله تعالى. علمت أنه راضٍ عني فقال الأستاذ: أحسنت يا غلام.

وقيل: قال موسى عليه السلام: إلهي، دلي على عمل إذا عملته رضت به عني. فقال: إنك لا تُطبق ذلك: فخر موسى عليه السلام ساجداً له، متضرعاً، فأوحى الله تعالى إليه: يا ابن عمران، إن رضاي في رضاك بقضائي.

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، قال: أخبرنا أبو جعفر الرازي، قال: حدثنا العباس بن حمزة قال: حدثنا ابن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: إذا سلا العبد عن الشهوات فهو راضٍ.

وسمعه يقول: سمعت النصرابادي يقول: من أراد أن يبلغ محل الرضا فليلزم ما جعل الله رضاه فيه.

وقال محمد بن خفيف: الرضا على قسمين: رضا به، ورضاع عنه؛ فالرضا به أن يرضاه مديراً، والرضا عنه فيما يقضى.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: طريق السالكين أطول، وهو طريق الرياضة، وطريق الخواص أقرب، لكنه أشقُّ، وهو أن يكون عملك بالرضا، ورضاك بالقضاء.

وقال رويم: الرضا: أن لو جعل الله جهنم على يمينه ما سأل أن يحولها إلى يساره.

وقال أبو بكر بن طاهر: الرضا: إخراج الراهية من القلب، حتى لا يكون فيه إلا فرح وسرور.

وقال الواسطي: استعمل الرضا جهدك، ولا تدع الرضا يستعملك؛ فتكون مجبوراً بلذته ورؤيته عن حقيقة ما تطالع.

واعلم أن هذا الكلام الذي قاله الواسطي شيء عظيم، وفيه تنبيه على مقطعة للقوم خفية، فإن السكون عندهم إلى الأحوال: حجاب عن محول الأحوال، فإذا استلذ رضاه ووجد بقلبه راحة الرضا حجب بحاله عن شهود حقه.

ولقد قال الواسطي أيضاً: إياكم واستحلاء الطاعات، فإنها سموم قاتلة.

وقال ابن خفيف: الرضا: سكون القلب إلى أحكامه، وموافقة القلب بما رضي الله به واختاره له.

وسئلت رابعة العلوية: متى يكون العبد راضياً؟ فقالت: إذا سرته المصيبة كما سرته النعمة.

وقيل: قال الشبلي بين يدي الجنيد: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال له الجنيد: قولك ذا ضيقُ صدر، وضيُّقُ الصدر لترك الرضا بالقضاء، فسكت الشبلي.

وقال أبو سليمان الداراني: الرضا: أن لا تسأل الله تعالى الجنة، ولا تسعيذ به من النار.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول: سمعت سعيد بن عثمان يقول: سمعت ذا النون المصري، رحمه الله، يقول: ثلاثة من أعلام الرضا: ترك الاختيار قبل القضاء، وفقدان المارة بعد القضاء، وهيجان الحب في حشو البلاء.

وسمعت يقول: سمعت محمد بن جعفر البغدادي يقول: سمعت إسماعيل بن محمد الصفار يقول: سمعت محمد بن يزيد المربرد يقول: قيل للحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما: إن أبا ذر يقول: الفقر أحب إلي من الغنى، والسقم أحب إلي من الصحة، فقال: رحم الله أبا ذر، أما أنا فأقول: من اتكل على حسن اختيار الله تعالى له لم يتمنَّ غير ما اختاره الله عز وجل له.

وقال القليل بن عياض لبشر الحافي: الرضا أفضل من الزهد في الدنيا؛ لأن الراضي لا يتمنى فوق منزلته.

وسئل أبو عثمان عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أسألك الرضا بعد القضاء" فقال: لأن الرضا قبل القضاء عزم على الرضا، والرضا بعد القضاء هو الرضا.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت عبد الله الرازي يقول: سمعت ابن أبي حسان الأنماطي يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سمعت أبا سليمان يقول: أرجوا أن أكون عرفت طرفاً من الرضا: لو أنه أجدلي النار لكنت بذلك راضياً.

وقال أبو عمر الدمشقي: الرضا: ارتفاع الجزع في أيِّ حكم كان، وقال الجنيد: الرضا: رفع الاختيار، وقال ابن عطاء: الرضا: نظر القلب إلى قديم اختيار الله تعالى للعبد، وهو ترك النسخ، وقال رُويم: الرضا: استقبال الأحكام بالفرح، وقال الحاسبي: الرضا: سكون القلب تحت مجاري الأحكام، وقال النوري: الرضا: سرور القلب بمرِّ القضاء.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا الحسين القارسي يقول: سمعت الجريري يقول: من رضي بدون قدره رفعه الله تعالى فوق غايته.

وسمعت يقول: سمعت أحمد بن علي يقول: سمعت الحسن بن علوية يقول: قال أبو تراب النخشي: ليس ينال الرضا من للدنيا في قلبه مقدار.

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حمدان قال: حدثنا عبد الله بن شترويه قال: حدثنا بشر بن الحكم قال: حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن يزيد بن الهادي، عن محمد بن إبراهيم، عن عامر بن سعد، عن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً".

وقيل: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري، رضي الله عنهما، "أما بع، فإن الخير كله في الرضا، فإن استطعت أن ترضي، وإلا، فاصبر".

وقيل: إنَّ عتبة الغلام بات ليلة يقول إلى الصباح: "إن تعذبني فأنا لك محبٌ، وإن ترحمني فأنا لك محب".

سمت الأستاذ أبا علي الدقاق، يقول: الإنسان خرف، وليس للخرف من الخطر ما يعارض فيه حكم الحق تعالى.

وقال أبو عثمان الحيري: منذ أربعين سنة ما أقامني الله، عز وجل، في حال فكرهته، وما نقلني إلى غير فسخطته.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: غضب رجل على عبد له، فاستشفع العبد إلى سيده إنساناً، فعفا عنه، فأخذ العبد يكي، فقال له الشفيع: لم تبكي وقد عفا عنك سيدك؟ فقال له السيد: إنما يطلب الرضا مني ولا سبيل له إليه، فإنما يكي لأجله.

قال الله عزَّ وجلَّ: " واعبد ربك حتى يأتيك اليقين " .

وأخبرنا أبو الحسن الإهوازي، رحمه الله، قال: أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، قال حدثنا عبيد بن شريك قال: حدثنا يحيى قال: حدثنا مالك، عن حبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن عمر بن الخطاب، عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " سبعة يظلهم الله في ظلة يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى. ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل ذكر الله تعالى خالياً ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقالت: إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه " .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله يقول: العبودية أتم من العبادة، فأولاً: عبادة، ثم عبودية؛ ثم عبودة. فالعبادة للعوام من المؤمنين، والعبودية للخواص، والعبودة لخاص الخالص.

وسمعت يقول: العبادة: لمن له علم اليقين، والعبودية؛ لمن له عين اليقين، والعبوة: لمن له حق اليقين. وسمعت يقول: العبادة: لأصحاب الجاهدات، والعبودية: لأرباب المكابدات، والعبودة: صفة أهل المشاهدات، فمن لم يدخر عنه نفسه، فهو صاحب عبادة، ومن لم يرض عنه بقلبه فهو صاحب عبودية: ومن لم ييخل عليه بروحه فهو صاحب عبودة.

ويقال: العبودية: القيام بحق الطاعات بشرط التوفير والنظير إلى ما منك بعين التقصير، وشهود ما يحصل من مناقبك من التقدير.

ويقال: العبودية: ترك الاختيار فيما يبدو من الأقدار.

ويقال: العبودية: التبرؤ من الحول والقوة، والإقرار بما يعطيك ويوليك من الطول والمنة.

ويقال: العبودية: معانقة ما أمرت به، ومفارقة ما جرت عنه.

وسئل محمد بن خفيف: متى تصح العبودية؟ فقال: إذا طرح كل علي مولاة، وصبر معه على بلواه.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول: سمعت ابن مسروق يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول: لا يصح التبعد لأحدٍ حتى لا يجرع من أربعة أشياء: من الجوع، والعري، والفقر، والذل.

وقيل: العبودية: أن تسلم إليه كلك، وتحمل عليه كلك.

وقيل: من علامات العبودية: ترك التدبير، وشهود التقدير.

وقال ذو النون المصري: العبودية: أن تكون أنت عبده في كل حال، كما أنه ربك في كل حال.

وقال الجريري: عبيد النعم كثير عبيدهم؛ وعبيد المعتم عزيز وجودهم.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: أنت عبد من أنت في رقة وأسرته، فإن كنت في أسر نفسك فأنت عبد نفسك، وإن كنت في أسر دنياك فأنت عبد دنياك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار تعس عبد الحميصة " .

ورأى أبو رزين رجلاً فقال له: ما حرفتك؟ فقال: خربندة " .

فقال: أما الله تعالى حمارك، لتكون عبد الله، لا عبد الحمار.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول: سمعت جدي أبا عمرو بن نجيذ يقول: لا تصفو لأحد قدم في العبودية حتى يشاهد أعماله عنده رياء، وأحواله دعاوى. وسمعت يقول: سمعت عبد الله المعلم يقول: سمعت عبد الله بن منازل يقول: العبد عبد ما لم يطلب لنفسه خادماً، فإذا طلب لنفسه خادماً فقد سقط عن حد العبودية وترك آدابها. وسمعت يقول: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت جعفر بن نصير يقول: سمعت ابن مسروق يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول: لا يصلح للعبد التبعيد حتى يكون بحيث لا يرى عليه أثر المسكنة في العدم، ولا أثر الغنى في الوجود.

وقيل: العبودية شهود الربوبية.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق، رحمه الله، يقول: سمعت النصارى يقولون: سمعت النصارى يقولون: قيمة العابد بمعبوده، كما أن شرف العارف بمعرفه.

وقال أبو حفص: العبودية زينة العبد، فمن تركها تعطل من الزينة.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت أبا جعفر الرازي يقول سمعت عباس بن حمزة يقول: حدثنا أحمد بن الحواري قال: سمعت النباجي يقول: أصل العبادة في ثلاثة أشياء: لا ترد من أحكامه شيئاً، ولا تدخر عنه شيئاً، ولا يسمعك تسأل غيره حاجة. وسمعت يقول: سمعت أبا الحسن الفارسي يقول: سمعت ابن عطاء يقول: العبودية في أربع خصال: الوفاء بالعهود، والحفظ للحدود، والرضا بالوجود، والصبر عن المفقود.

وسمعت يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت الكتاني يقول: سمعت عمرو بن عثمان المكي يقول: ما رأيت أحداً من المتعبدين، في كثرة من لقيت بمكة وغيرها، ولا أحداً ممن قدم علينا في المواسم أشد اجتهاداً ولا أدوم على العبادة من المزني، رحمه الله تعالى، ولا رأيت أحداً أشد تعظيماً لأوامر الله تعالى عنه، وما رأيت أحداً أشد تضييقاً على نفسه وتوسعة على الناس منه.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق يقول: ليس شيء أشرف من العبودية، ولا أسم أتم للمؤمن من الاسم له بالعبودية، ولذلك قال سبحانه في وصف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج - وكان أشرف أوقاته في الدنيا - " سبحانه الذي أسرى بعبد له ليلاً من المسجد الحرام ". وقال تعالى: " فأوحى إلى عبه ما أوحى " ، فلو كان اسمٌ أجل من العبودية لسماه به.

وفي معناه أنشدوا:

يا عمرو ثاري عند زهرائي ... يعرفه السامع والرائي

لا تدعني إلا يباعدها ... فإنه أشرف أسمائي

وقال بعضهم: إنهم شيان: سكونك إلى اللذة، واعتمادك على الحركة، فإذا أسقطت عنك هذين فقد أدبت العبودية حقها.

كما قال الواسطي: احذروا لذة العطاء؛ فإنها غطاء لأهل الصفاء.

وقال أبو عليّ الجوزجاني: الرضا: دار العبودية، والصبر بابه، والتفويض بيته، فالصوت على الباب والقراغة في الدار، والراحة في البيت.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق يقول: كما أن الربوبية نعت للحق سبحانه لا يزول عنه، فالعبودية صفة للعبد لا تفارقه ما دام.

وأنشد بعضهم:

فإن تسألوني قلت: هاأنا عبدهُ... وإن سألوهُ قال هَذَاكَ مولايَا
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت النصراباذي يقول: العبادات إلى طلب الصفح والعفو عن
تقصيرها أقربُ منها إلى طلب الإعراضِ والجزاء عليها.

وسمعه يقول: سمعت النصراباذي يقول: العبودية اسقاط رؤية التبعد في مشاهدة المعبود.
وسمعه يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت الجريري يقول: سمعت الجنيد يقول:
العبودية، تركُ الأشغال، والاشتغالُ بالشغل الذي هو أصل الفراغة.

باب الإرادة

قال الله عزَّ وجلَّ: " ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه " .
وأخبرنا: علي بن أحمد بن عبدان قال: أخبرنا أحمد بن عبيد قال: حدثنا هشام بن علي قال: حدثنا الحكم بن أسلم
قال: أخبرنا إسماعيل بن جعفر، عن حميد، عن أنس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذا أراد الله
بعبد خيراً استعمله. فقليل له: كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت " .
والإرادة: بدء طريق السالكين، وهي أسم لأول منزلة القاصدين إلى الله تعالى.
وإنما سميت هذه الصفة: إرادة؛ لأن الإرادة مقدمة كلِّ أمر، فما لم يُرد العبد شيئاً لم يفعله، فلما كان هذا أوَّل الأمر
لمن سلك طريق الله عز وجل سُمي: إرادة تشبيهاً بالقصد في الأمور الذي هو مقدمتها.
والمريد، على موجب الاشتقاق: من له إرادة، كما أن العالم: من له علم؛ لأنه من الأسماء المشتقة.
ولكن المريد في عُرف هذه الطائفة: من لا إرادة له، فمن لم يتجرد عن إرادته لا يكون مريداً، كما أن من لا إرادة
له، على موجب الاشتقاق لا يكون مريداً.
وتكلم الناس في معنى الإرادة؛ فكلُّ عبر على حسب ما لاح لقلبه، فأكثر المشايخ قالوا: الإرادة: ترك ما عليه العادة
وعادة الناس - في الغالب - التعرُّج في أوطان الغفلة، والركونُ إلى اتباع الشهوة، والإخلادُ إلى ما دعت إليه
المنية.

والمريد منسلخ عن هذه الجملة؛ فصار خروجه إمارة ودلالة على صحة الإرادة، فسميت تلك الحالة: إرادة، وهي
خروج عن العادة؛ فإن ترك العادة أمانة الإرادة.

فأما حقيقتها: فهي هموض القلب في طلب الحق، سبحانه، ولهذا يقال: إنها لوعةٌ تمون كل روعة.
سمت: الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول حاكياً على ممشاد الدينوري، أنه قال: مذ علمتُ أن أحوال الفقراء
جد كلها لم أَمَازح فقيراً؛ وذلك أن فقيراً أقدم عليَّ فقال: أيها الشيخ أريد أن تتخذ لي عصيدة. فجرى على لساني
إرادة وعصيدة فتأخر الفقير ولم أشعر به، فأمرتُ باتخاذ عصيدة.. وطلبت الفقير. فلم أجده.. فتعرفت خبره.. فقليل
لي: إنه انصرف من فورهِ، وكان يقول في نفسه: إرادة وعصيدة.. إرادة وعصيدة.. وهام علي وجهه حتى دخل
البادية، ولم يزل يقول هذه الكلمات حتى مات.

وعن بعض المشايخ قال: كنت بالبادية وحدي، فضاقت صدري، فقلت: يا إنس، كلموني.. يا جن كلموني، فهتفت

بين هتف: ما تريد؟ فقلت: أريد الله تعالى، فقال: متى تريد الله؟ يعني: أن من قال للجن والإنس: كلموني، متى يكون مريداً لله عز وجل؟! والمريد لا يفتر آناء الليل والنهار، فهو في الظاهر بنعت الجاهدات، وفي الباطن بوصف المكابدات.. فارق الفراش، ولازم الانكماش، وتحمل المصاعب، وركب المتاعب، وعالج الأخلاق، ومارس المشاق، وعانق الأهوال، وفارق الأشكال، كما قيل:

ثم قطعت الليل في مهمة... لا أسد أحشى ولا ذيبا

يغلبني شوقي فأطوي السرى... ولم يزل ذو الشوق مغلوبا

سمعت: الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: الإرادة: لوعة في الفؤاد.. لدغة في القلب.. غرام في الضمير.. انزعاج في الباطن.. نيران تتأجج في القلوب.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت أبا بكر السباك يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: كان بين أبي سليمان وأحمد بن أبي الحواري عقد: لا يخالفه أحمد في شيء يأمره به.. فجاءه يوماً وهو يتكلم في مجلسه، فقال: إن التنور قد سجر، فما تأمر؟ فلم يجبه، فقال مرتين أو ثلاثة، فقال أبو سليمان: اذهب فاقعد فيه!! كأنه ضاق به قلبه، وتغافل عنه أبو سليمان ساعة، ثم ذكر فقال: ادركوا أحمد فإنه في التنور؛ لأنه آلى على نفسه أن لا يخالفني؛ فنظروا فإذا هو في التنور لم تحترق منه شعرة. وسمعت الأستاذ أبا علي يقول: كنت في ابتداء صباي محترقا في الإرادة وكنت أقول في نفسي: ليت شعري!! ما معنى الإرادة.

وقيل: من صفات المرادين: التحبب إليه بالنوافل، والخلوص في نصيحة الأمة، والأنس بالخلوة، والصبر على مقاساة الأحكام، والإيثار لأمره، والحياء من نظره، وبذل الجهود في محبوه، والتعرض لكل سبب يتوصل إليه، والقناعة بالحمول، وعدم القرار بالقلب إلى أن يصل إلى الرب.

وقال أبو بكر الوراق: آفة المريد ثلاثة أشياء: التزويج، وكتابة الحديث، والأسفار.

وقيل له: لم تركت كتابة الحديث؟ فقال: منعتني عنها الإرادة.

وقال حاتم الأصم: إذا رأيت المريد يريد غير مراده، فاعلم أن قد أظهر بذلته.

سمعت: محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الكنايني يقول: من حكم المريد أن يكون فيه ثلاثة أشياء: نومه غلبة، وأكله فاقة، وكلامه ضرورة.

وسمعت يقول: سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول: سمعت جعفر بن نصير يقول: سمعت الجنيد يقول: إذا أراد الله تعالى بالمريد خيراً أوقفه إلى الصوفية، ومنعه صحبة القراء.

وسمعت يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت الرقي يقول: سمعت الدقاق يقول: نهاية الإرادة أن تشير إلى الله تعالى فيتجده مع الإشارة، فقلت: فأى شيء يستوعب الإرادة؟ فقال: أن تجد الله تعالى بلا إشارة.

سمعت: محمد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت عباس بن أبي الصحو يقول: سمعت أبا بكر الدقاق يقول: لا يكون للرد مريداً حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال عشرين سنة.

وقال أبو عثمان الحيري: من لم تصح إرادته بداراً لا يزيد مرور الأيام عليه إلا إداراً.

وقال أبو عثمان: المريد إذا سمع شيئاً من علوم القوم فعمل به صار حكمة في قلبه إلى آخر عمره، ينتفع به، ولو تكلم به انتفع به من سمعه. ومن سمع شيئاً من علومهم، ولم يعمل به، كان حكاية يحفظها أياماً ثم ينسها.

وقال الواسطي: أول مقام المريد: إرادة الحق، سبحانه، بإسقاط إرادته.

وقال يحيى بن معاذ: أشد شيء علي المرادين: معاشره الأضداد.

سمعت: الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا القاسم الرازي يقول: قال يوسف بن الحسين: إذا رأيت المرید يشغل بالرخص والكسب؛ فليس يحيى منه شيء.

وسمعه يقول: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت جعفرًا الخالدي يقول: سئل الجنيد: ما للمرادين في مجارة الحكايات؟ فقال: الحكايات جند من جنود الله تعالى، يقوي بها قلوب المریدی. فقيل له: فهل لك في ذلك شاهد؟ فقال: نعم، قوله عز وجل: " وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ".
وسمعه يقول: سمعت محمد بن خالد يقول: سمعت جعفرًا يقول: سمعت الجنيد يقول: المرید الصادق غني عن علم العلماء.

فأما الفرق بين المرید والمراد: فكل مرید على الحقيقة مرا. إذ لو لم يكن مراد الله تعالى بن يریده لم يكن مریداً؛ إذ لا يكون إلا ما أراده الله تعالى، وكل مراد مرید؛ لأنه إذا أراده الحق سبحانه بخصوصية وفقه للإرادة. ولكن القوم فرقوا بين المرید والمراد: فالمرید عندهم هو المبتدئ، والمراد: هو المنتهي، والمرید: الذي نصب بعين وألقى في مقاسات المشاق، والمراد: الذي كفى بالأمر من غير مشقة، فالمرید متعمّن، والمراد: مرفوق به مرفقه.
وسنة الله تعالى مع القاصدين مختلفة، فأكثرهم يوفقون للمجاهدات، ثم يصلون، بعد مقاساة اللتيا والتي، إلى سني المعاني. وكثير منهم يكاشفون في الابتداء بجليل المعاني، ويصلون إلا ما لم يصل إليه كثيرون من أصحاب الرياضات، إلا أن أكثرهم يردون إلى الجاهدات بعد هذه الأرفاق؛ ليستوفي منهم ما فاتهم من أحكام أهل الرياضة.
سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: متحمّل، والمراد محمول.

وسمعه يقول: كان موسى، عليه السلام، مریداً، فقال: " ربي اشرح لي صدري " ، وكان نبينا، صلى الله عليه وسلم، مراداً، فقال الله تعالى: " ألم نشرح لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك، الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك ". وكذلك قال موسى عليه السلام: " رب، أرني أنظر إليك، قال: لن تراني " وقال لنبينا، صلى الله عليه وسلم: " ألم تر إلى ربك كيف مد الظل " .

وكان أبو علي يقول: إن المقصود قوله " ألم تر إلى ربك " وقوله: " كيف مد الظل " : ستر للقصة وتحصين للحالة. وسئل الجنيد، رحمه الله، عن المرید والمراد، فقال:

المرید: تتولاه سياسة العلم، والمراد: تتولاه رعاية الحق، سبحانه، لأن المرید يسير، والمراد يطير، فمتى يلحق السائر الطائر؟ وقيل: أرسل ذو النون إلى أبي يزيد رجلاً، وقيل له: قل له إلى متى النوم والراحة، وقد جازت القافلة؟! فقال أبو يزيد: قل لأخي ذي النون: الرجل من ينام الليل كله، ثم يصبح في المنزل قبل القافلة.
فقال ذو النون: هنيئاً له؛ هذا كلام لا تبلغه أحوالنا.

باب الاستقامة

قال الله تعالى: " إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا " .

أخبرنا: الإمام أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك، رحمه الله، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر بن أحمد الأصهباني قال: أخبرنا أبو بشر يونس بن حبيب قال حدثنا أبو داود الطيالسي قال: حدثنا شعبة، عن الأعمش، عن سالم بن أبي

الجمع، عن ثوبان مولي النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير دينكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن.

والاستقامة: درجة بها كمال الأمور وتمامها، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها، ومن لم يكن مستقيماً في حالته ضاع سعيه وخاب جهده؛ قال الله تعالى: " ولا تكونوا كالتى نقصت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً " .

ومن لم يكن مستقيماً في صفته لم يرتق من مقامه إلى غيره، ولم يبن سلوكه على صحة؛ فمن شرط المستأنف: الاستقامة في أحكام البداية، كما أن من حق العارف الاستقامة في آداب النهاية.

فمن أمارات استقامة أهل البداية: أن لا تشوب معاملتهم فترة.

ومن أمارات استقامة أهل الوسائط: أن لا يصحب منازلهم وقفة.

ومن أمارات استقامة أهل النهاية: أن لا تتداخل مواصلتهم حجة.

سمعت: الأستاذ أبا عليّ الدقاق، رحمه الله، يقول: الاستقامة؛ لها ثلاثة مدارج: أولها: التقويم، ثم الإقامة، ثم الاستقامة؛ فالتقويم، من حيث تأديب النفوس. والإقامة: من حيث تهذيب القلوب، والاستقامة: من حيث تقريب الأسرار.

وقال أبو بكر، رضي الله عنه، في معنى قوله: " ثم استقاموا " : لم يشركوا.

وقال عمر، رضي الله عنه، لم يزوغوا زوجان النعال.

فقول الصديق، رضي الله عنه، محمول على مراعاة الأصول في التوحيد.

وقول عمر، رضي الله عنه، محمول على طلب التأويل والقيام بشرط العهود.

وقال ابن عطاء: استقاموا على انفراد القلب بالله تعالى.

وقال أبو عليّ الجوزجاني: كن صاحب الاستقامة، لا طالب الكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك، عز وجلّ، يطالبك بالاستقامة.

سمعت: الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت أبا عليّ الشّيبوي يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقلت له: روى عنك يا رسول الله أنك قلت: " شيتني هود " فما الذي شيتك منها: قصص الأنبياء وهلاك الأمم؟ فقال: لا، ولكن قوله تعالى: " فاستقم كما أمرت " .

وقيل: إن الاستقامة لا يطبقها إلا الأكابر؛ لأنها الخروج عن المعهودات، ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: " استقيموا ولن تحصوا " .

وقال الواسطي: الخصلة التي بها كملت الحسن، وبفقدتها قبحت الحسن: الاستقامة.

وحكى عن الشبلي، رحمه الله، أنه قال: الاستقامة: أن تشهد الوقت قيامة.

ويقال: الاستقامة في الأقوال: بترك الغيبة، وفي الأفعال: بنفي البدعة، وفي الأعمال بنفي الفترة. وفي الأحوال بنفي الحجة.

سمعت: الأستاذ الإمام أبا بكر محمد بن الحسين بن فورك يقول: السيد في الاستقامة: سين الطلب، أي: طلبوا من الحقّ، تعالى، أن يقيمهم على توحيدهم، ثم على استدامة عهودهم، وحفظ حلودهم.

قال الأستاذ: واعلم أن الاستقامة: توجب دوام الكرامات، قال الله تعالى: " وأن لو استقاموا على الطريقة

لأسقيناهم ماء غدقا " ولم يقل: سقيناهم، بل قال: " أسقيناهم " يقال: أسقيت به إذا جعلت له سقياً؛ فهو يشير إلى الدوام.

سمعت: محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت الحسين بن أحمد يقول: سمعت أبا العباس الفرغني يقول: قال الجعيد: لقيت شاباً من المريدين في البادية تحت شجرة من شجر أم غيلان فقلت: ما أجلسك ها هنا؟ فقال: مال افتقدته، فمضيت وتركته. فلما انصرفت من الحج إذا أنا بالشاب قد انتقل إلى موضع قريب من الشجرة، فقلت: ما جلوسك هنا؟ فقال: وجدت ما كنت أطلبه في هذا الموضع فلزمته.

فقال: الجعيد: فلا أدري أيهما كان أشرف: لزومه لا فتقاده حاله، أو لزومه للموضع الذي نال فيه مراده.

باب الإخلاص

قال الله تعالى: "ألا لله الدين الخالص".

أخبرنا: علي بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عبيد البصري، قال: حدثنا جعفر بن محمد الغرياني قال: حدثنا أبو طلوت قال: حدثني هانيء بن عبد الرحمن بن أبي عقبة، عن إبراهيم بن أبي عبلة العقيلي قال: حدثني عطية ابن وشاح، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب مسلم: إخلاص العمل لله؛ ومناصحة ولاة الأمور، ولزوم جماعة المسلمين".

وقال الأستاذ: الإخلاص، أفراد الحق، سبحانه، في الطاعة بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله سبحانه دون أي شيء آخر؛ من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس، أو محبة مدح من الخلق، أو معنى من المعاني سوى التقرب به إلى الله تعالى.

ويصحّ أن يقال: الإخلاص: تصفية الفعل من ملاحظة المخلوقين.

ويصحّ أن يقال الإخلاص: التوقّي عن ملاحظة الأشخاص.

وقد ورد خبر مسند: "أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر جبريل، عليه السلام، عن الله سبحانه وتعالى، أنه قال: الإخلاص سر من سري، استودعته قلب من أحببته من عبادي".

سمعت: الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، يقول: وقد سألته عن الإخلاص: ما هو؟ فقال: سمعت: علي بن سعيد، وأحمد بن محمد بن زكريا، وقد سألتهما عن الإخلاص، فقالا: سمعنا علي بن إبراهيم الشقيقي، وقد سأله عن الإخلاص، فقال: سمعت: محمد بن جعفر الخصاف، وقد سألته عن الإخلاص، فقال: سألت أحمد بن بشار عن الإخلاص: ما هو؟ قال: سألت أبا يعقوب الشريطي عن الإخلاص: ما هو؟ قال: سألت أحمد بن غسان عن

الإخلاص: ما هو؟ قال: سألت عبد الواحد بن زيد عن الإخلاص: ما هو؟ قال: سألت الحسن عن الإخلاص: ما هو؟ قال: سألت حذيفة عن الإخلاص: ما هو؟ قال: سألت جبريل عليه السلام عن الإخلاص: ما هو؟ قال: سألت ربّ العزة عن الإخلاص: ما هو؟ قال: "سرّ من سرّي استودعته قلب من أحببته من عبادي".

سمعت: الأستاذ أبا عليّ الدقاق يقول: الإخلاص: التوقّي عن ملاحظة الخلق، والصدّق: التقّي من مطالعة النفس فالخلص؛ لا رياء له، والصادق: لا إعجاب له.

وقال ذو النون المصري: الإخلاص: لا يتم إلا بالصدق فيه، والصبر عليه، والصدق لا يتم إلا بالإخلاص فيه والمداومة عليه.

وقال أبو يعقوب السوسي: متى شهدوا في إخلاصهم الخلاص إحتاج إخلاصهم إلى إخلاص.

وقال ذو النون: ثلاث من علامات الإخلاص: استواء المدح والذم من العامة، ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال، ونسيان اقتضاء ثواب العمل في الآخرة.

سمعت: الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت أبا عثمان المغربي يقول: الإخلاص: ما يكون للنفس فيه حظ بحال، وهذا إخلاص العوام. وأما إخلاص الخواص: فهو ما يجري عليهم، لا بهم، فتبدو منهم الطاعات، وهم عنهما بمعزل، ولا يقع لهم عليها رؤية، ولا بها اعتداد، فذلك: إخلاص الخواص.

وقال أبو بكر الدقاق: نقصان كل مخلص في إخلاصه: رؤية إخلاصه؛ فإذا أراد الله تعالى أن يخلص إخلاصه أسقط عن إخلاصه رؤيته لإخلاصه؛ فيكون مخلصاً لا مخلصاً.

وقال سهل: لا يعرف الرب إلا مخلص.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت الوجيهي يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: قال لي رويم: قال أبو سعيد الخزاز: رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين.

وقال ذو النون: الإخلاص: ما حفظ من العدو أن يفسده.

وقال أبو عثمان: نسيان رؤية الخلق به وام النظر إلى فضل الخالق.

وقال حذيفة المرعشي: الإخلاص أن تستوي أفعال العبد في الظاهر والباطن.

وقيل: الإخلاص: ما أريد به الحق، سبحانه، وقصد به الصدق.

وقيل: الإغماض عن رؤية الأعمال.

سمعت: محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت أبا الحسين القراسي يقول: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت علي بن عبد الحميد يقول: سمعت السري يقول: من ترين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله تعالى.

وسمعت يقول: سمعت علي بن بندار الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن محمود يقول: سمعت محمد بن عبد ربه يقول: سمعت الفضيل يقول ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص: أن يعافيك الله منهما.

وقال الجنيد: الإخلاص سر بين الله تعالى وبين العبد، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله.

وقال رويم: الإخلاص من العمل هو: الذي لا يريد صاحبه عليه عوضاً من الدارين، ولا حظاً من الملكين.

وقيل لسهل بن عبد الله: أي شيء أشد على النفس؟ فقال: الإخلاص: لأنه ليس لها فيها نصيب.

وسئل بعضهم عن الإخلاص: فقال: أن لا تشهد على عملك غير الله عز وجل.

وقال بعضهم: دخلت علي سهل بن عبد الله يوم الجمعة قبل الصلاة بيتاً.. فرأيت في البيت حية. فجعلت أقدم رجلاً

وأؤخر أخرى، فقال: ادخل، لا يبلغ أحد حقيقة الإيمان وعلى وجه الأرض شيء يخافه. ثم قال: هل لك في صلاة

الجمعة؟ فقلت: بيننا وبين المسجد مسيرة يوم وليلة.. فأخذ بيدي، فما كان إلا قليل حتى رأيت المسجد، فدخلناه؛

وصلينا الجمعة. ثم خرجنا؛ فوقف ينظر إلى الناس وهم يخرجون، فقال: أهل لا إله إلا الله كثير، والمخلصون منهم

قليل.

أخبرنا: حمزة بن يوسف الجرجاني قال: حدثنا محمد بن محمد بن عبد الرحيم قال: حدثنا أبو طالب محمد بن زكريا

المقدسي قال: حدثنا أبو قرصافة محمد بن عبد الوهاب العسقلاني قال: حدثنا زكريا بن نافع قال: حدثنا محمد بن

يزيد القراطيسي، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن مكحل قال: ما أخلص عبد قط أربعين يوماً، إلا ظهرت ينابيع

الحكمة من قلبه على لسانه.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت عبد الرزاق يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: أعزُّ شيء في الدنيا الإخلاصُ، وكن أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي، فكأنه ينبث فيه على لون آخر.

وسمعتَه يقول: سمعت النصراباذي يقول: سمعت أبا الجهم يقول: سمعت ابن أبي الحواري يقول: سمعت أبا سليمان يقول: إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوسوس والرياء.

باب الصدق

قال الله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين . "

أخبرنا: الإمام أبو بكر محمد بن فورك، رحمه الله، قال: أخبرنا عبد الله ابن جعفر بن أحمد الأصبهاني قال: حدثنا أبو بشر يونس بن حبيب قال: حدثنا أبو داود الطيالسي قال: حدثنا شعبة، عن منصور، عن أبي وائل، عن عبد الله ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " لا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدقاً، ولا يزال يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً . "

قال الأستاذ: والصدق: عماد الأمر، وبه تمامه، وفيه نظامه، وهو تالي درجة النبوة، قال الله تعالى: " فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين . . الآية.

والصادق الاسم اللازم من الصدق، والصديق المبالغة منه: وهو الكثير الصدق، الذي الصدق غالبه، كالكسبي والحميم . . وبابه.

وأقل الصدق: استواء السر والعلانية. والصادق: من صدق في أقواله.

والصديق: من صدق في جميع أقواله، وأفعاله وأحواله.

وقال أحمد بن حنبل: من أراد أن يكون الله تعالى معه فليلزم الصدق؛ فإن الله تعالى قال: " إن الله مع الصادقين "

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت الفرغاني يقول:

سمعت الجنيد يقول: الصادق: ينقلب في اليوم أربعين مرة، والمراي يثبت على حالة واحدة أربعين سنة.

وقال أبو سليمان الداراني: لو أراد الصادق أن يصف ما في قلبه ما نطق به لسانه.

وقيل الصدق: القول بالحق في مواطن الهلكة.

وقيل: الصدق: موافقة السرِّ النطق.

وقال القناد: الصدق: منع الحرام من الشدق.

وقال عبد الواحد بن زيد: الصدق: الوفاء لله سبحانه بالعمل.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت جعفر بن نصير يقول: سمعت الجريري

يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول: لا يشم رائحة الصدق عبد داهن نفسه أو غيره.

وقال أبو سعيد العرشي: الصادق: الذي يتهيأ له أن يموت ولا يستحي من سره لو كشف، قال الله تعالى: " فتمنوا

الموت إن كنتم صادقين . "

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: كان أبو علي الثقفني يتكلم يوماً، فقال له عبد الله بن منازل: يا أبا علي، استعد للموت فلا بد منه. فقال أبو علي: وأنت يا عبد الله، استعد للموت فلا بد منه. فتوسد عبد الله ذراعاه، ووضع رأسه، وقال: قد ميتٌ.

فانقطع أبو علي؛ لأنه لم يمكنه أن يقابله بما فعل، لأنه كان لأبي عليّ علاقات وكان عبد الله مجرداً لا شغل له. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: كان أبو العباس الدينوري يتكلم.. فصاحت عجوز في المجلس صيحة، فقال لها أبو العباس الدينوري: مُوتِي.. فقامت وخطت خطوات.. ثم التفتت إليه، وقالت: قد ميتٌ. ووقعت ميتة.

وقال الواسطي: الصدق: صحة التوحيد مع القصد.

وقيل: نظر عبد الواحد بن زيد إلى غلام من أصحابه قد نحل بدنه، فقال: يا غلام، أتدبم الصوم؟ فقال: ولا أديم الإفطار. فقال: أتدبم القيام بالليل؟ فقال: ولا أديم النوم.

فقال: فما الذي أئحلك؟ فقال: هوى دائم.. وكتمان دائم عليه. فقال عبد الواحد: اسكت؟ فما أجراك!! فقام الغلام، وخطا خطوتين، وقال إلهي، إن كنت صادقاً فخذني؛ فخر ميتاً. وحكي عن أبي عمرو الزجاجي أنه قال: ماتت أمي.. فورثت منها داراً، فبعثتها بخمسين ديناراً.. وخرجت إلى الحج، فلما بلغت باب استقبلي من واحد القناقنة وقال: ما معك؟ فقلت في نفسي: الصدق خير.. ثم قلت: خمسون ديناراً. فقال: ناولنيها. فناولته الصرة.. فعدّها؛ فإذا هي خمسون ديناراً. فقال: خذتها؛ فلقد أخذني صدقك. ثم نزل عن الدابة، وقال: أركبها. فقلت: لا أريد! فقال لا بد. وألح عليّ فركبتها. فقال: وأنا على أترك.

فلما كان العام المستقبل لحق بي، ولازمي حتى مات.

سمت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت جعفرأ الخواص يقول: سمعت إبراهيم الخواص يقول: الصادق. لا نراه إلا في فرض يؤديه، أو فضل يعمل فيه. وسمعت يقول: سمعت أبا الحسين بن مقسم يقول: سمعت جعفرأ الخواص يقول: سمعت الجنيد يقول: حقيقة الصدق: أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب.

وقيل: ثلاثة لا تخطيء الصادق: الحلاوة، والهيبه، والملاحة.

وقيل: أوحى الله، سبحانه، إلى داود عليه السلام، يا داود من صدقي في سريره صدقته عند المخلوقين في علانيته. وقيل: دخل إبراهيم بن دوحه مع غبراهيم بن ستنبة البادية، فقال إبراهيم بن ستنبة: اطرح ما معك من العلائق. قال: فطرحت كل شيء إلا ديناراً فقال: يا إبراهيم، لا تشغل سري، اطرح ما معك من العلائق!! قال: فطرحت الدينار، ثم قال: يا إبراهيم، اطرح ما معك من العلائق!! فذكرت أن معي شسوعاً للنعل، فطرحتها، فما أحتجت في الطريق إلى شسع إلا وجدته بين يدي.

فقال: إبراهيم بن ستنبة: هكذا من عامل الله تعالى بالصدق.

وقال ذو النون المصري، رحمه الله: الصدق سيف الله، ما وُضع على شيء، إلا قطع.

وقال سهل بن عبد الله: أول خيانة الصديقين حديثهم مع أنفسهم.

وسئل فتح الموصلي عن الصدق، فأدخل يده في كير الحداد.. وأخرج الحديد المحماة.. ووضعها على كفه، وقال: هذا هو الصدق.

وقال يوسف بن أسباط: لأن أبيت ليلة أعامل الله تعالى بالصدق أحب إلى من أن أضرب بسيفي في سبيل الله تعالى. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، يقول: الصدق أن تكون مع الناس كما ترى من نفسك، أو أن ترى من نفسك كما تكون.

وسئل الحارث الحاسبي عن علامة الصدق، فقال: الصادق: هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه، ولا يجب إطلاع الناس على مثاقيل الدر من حسن عمله، ولا يكره أن يُطلع الناس على السيء من عمله؛ فإن كراهته لذلك دليل على أنه يجب الزيادة عندهم وليس هذا من أخلاق الصديقين. وقال بعضهم: من لم يؤد القرض الدائم لا يقبل منه القرض المؤقت. وقيل له: ما القرض الدائم؟ قال: الصدق.

وقيل: إذا طلبت الله بالصدق أعطاك مرآة تُبصر فيها كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة. وقيل: عليك بالصدق حيث تخاف أنه يضرك فإنه ينفعك، ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك؛ فإنه يضرك. وقيل: كل شيء، ومصادقة الكذاب لا شيء. وقيل: علامة الكذاب جوده باليمين بغير مستحلف. وقال ابن سيرين: الكلام أوسع من أن يكذب طريف. وقيل: ما أملت تاجر صدوق.

باب الحياء

قال الله تعالى: " ألم يعلم بأن الله يرى " . وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبدوس الحيري! المزكي قال: أخبرنا أبو سهل أحمد ابن محمد بنزياد النحوي ببغداد قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن الهيثم قال: حدثنا موسى بن حيان قال: حدثنا المقلمي، عن عبيد الله بن عمر، عن نافقع، عن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. " الحياء من الإيمان " .

وأخبرنا أبو سعيد محمد بن إبراهيم الاسماعيلي قال: حدثنا أبو عثمان عمرو بن عبد الله البصري قال: حدثنا أبو أحمد بن عبد الوهاب قال: حدثنا يعلى بن عبيد قال: حدثنا أبان بن إسحق، عن الصباح بن محمد، عن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، رضي الله عنه، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم، قال ذات يوم لأصحابه: " استحيوا من الله حق الحياء، قالوا: إنا نستحي يا نبي الله، والحمد لله.

قال: ليس ذلك، ولكن ن استحي من الله حق الحياء، فليحفظ الرأس وما وعي، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء " . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: أخبرنا أبو نصر الوزيري قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن محمد قال: حدثنا الغلابي قال: حدثنا محمد بن مخلد، عن أبيه قال: قال بعض الحكماء: أحبوا الحياء بمجالسة من يُستحوا منه. وسمعت يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت ابن عطاء يقول: العلم الأكبر: الهيبة والحياء؛ فإذا ذهب الهيبة والحياء لم يبق فيه خير.

وسمعت يقول: سمعت أبا الفرج الورثاني يقول: سمعت محمد بن أحمد بن يعقوب يقول: حدثني محمد بن عبد الملك قال: سمعت ذا النون المصري يقول: الحياء وجود الهيبة في القلب، مع وحشة ما سبق منك إلى ربك تعالى.

وقال ذو النون المصري: الحبُّ ينطق، والحياة يسكب، والخوف يقلق.

وقال أبو عثمان: من تكلم في الحياء ولا يستحي من الله عز وجل فيما يتكلم به، فهو مستدرج. سمعت أبا بكر بن أشكيب، يقول: دخل الحسن بن الحداد على عبد الله ابن منازل، فقال: من أين تجيء؟ فقال: من مجلس أبي القاسم المذكور. قال: في ماذا كان يتكلم؟ فقال: في الحياء. فقال عبد الله: واعجبا! من لم يستح من الله تعالى كيف يتكلم في الحياء؟! سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت أحمد بن صالح يقول: سمعت محمد بن عبدون يقول: سمعت أبا العباس المؤدب يقول: قال السري: إن الحياء والأنس يطرقان القلب؛ فإن وجدا فيه الزهد والورع حطا، وإلا رحلا.

وسمعته يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت الجريري يقول: تعامل القرن الأول من الناس فيما بينهم بالدين، حتى رق الدين.. ثم تعامل القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء، ثم تعامل القرن الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة، ثم تعامل القرن الرابع بالحياء حتى ذهب الحياء، ثم صار الناس يتعاملون بالرجبة والرغبة. وقيل في قوله تعالى: " ولقد هممت به وهمّ بما لولا أن رأى برهان ربه " .

البرهان: أنها أُلقت ثوبا على وجه صنم في زاوية البيت، فقال يوسف عليه السلام: ماذا تفعلين؟ فقالت: استحي منه، قال يوسف عليه السلام: أنا أولى منك أن أستحي من الله تعالى.

وقيل في قوله تعالى: " فجاءته إحداهما تمشي على استحياء " قيل: إنما استحييت منه؛ لأنها كانت تدعوه إلى الضيافة، فاستحييت أن لا يجيب موسى عليه السلام، فصفة المضيف الاستحياء، وذلك استحياء الكرم.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله. يقول: سمعت عبد الله بن الحسين يقول: سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله. يقول: سمعت أبا عبد الله العمري يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سمعت أبا سليمان الدارقي يقول: قال الله تعالى: " يا عبدي إنك ما استحييت مني؛ أنسيتُ الناس عيوبك، وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك، ومحوت من أم الكتاب زلاتك، ولا أنقشك في الحساب يوم القيامة " .

وقيل: رؤى رجل يصلي خارج المسجد، فقيل له: لم لا تدخل المسجد فتصلي فيه؟ فقال: استحي منه تعالى أن أدخل بيته، قد عصيته!! وقيل: من علامات المستحي: أن لا يرى بموضع يستحيا منه. وقال بعضهم: خرجنا ليلة فمررنا بأجمة، فإذا رجل نائم، وفرص عند رأسه ترعى، فحركناه، وقلنا له: ألا تخاف أن تنام في مثل هذا الموضع المخوف وهو مَسِيح؟

فرفع رأسه، وقال: أنا أستحي منه تعالى، أن أخاف غيره، ووضع رأسه ونام. وأوحى الله سبحانه إلى عيسى عليه السلام: عظ نفسك؛ فإن اتعظت فعظ الناس، وإلا فاستح مني أن تعظ الناس. وقيل: الحياء على وجوه: حياء الجنانية؛ كآدم، عليه السلام، لما قيل له: أفراراً منا!! فقال: لا، بل حياء منك. وحياء التقصير؛ كالملائكة يقولون: سبحانه: ما عبدناك حق عبادتك. وحياء الإجلال؛ كإسرافيل، عليه السلام، تسربل بجناحه حياء من الله عز وجل. وحياء الكرم؛ كالنبي صلى الله عليه وسلم، كان يستحي من أمته أن يقول لهم: أخرجوا، فقال الله عز وجل: " ولا مستأنسين لحديث " .

وحياء حشمة؛ كعلي، رضي الله عنه، حين سأل المقداد بن الأسود حتى سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حكم خروج المندي، لمكان فاطمة رضي الله عنها. وحياء الاستحقار؛ كموسى عليه السلام، قال: إني لنعرض لي الحاجة من الدنيا، فاستحي أن أسألك يا رب، فقال لله

عز وجل له: سلني حتى عن ملح عجبتك، وعلق شاتك.
وحياء الإنعام، هو حياء الرب سبحانه، يدفع إلى العبد كتاباً مختوماً بعد ما عبر الصراط، وإذا فيه: فعلت ما فعلت،
وقد استحيت أن أظهره عليك، فاذهب، فإني قد غفرت لك.
سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول في هذا الخبر: إن يحيى بن معاذ قال: سبحان من يذنب العبد فيستحي هو منه.
سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله بن أحمد بن جعفر يقول: سمعت زنجوية اللباد يقول: سمعت علي بن
الحسين الهلالي يقول: سمعت إبراهيم بن الأشعث يقول: سمعت الفضيل بن عياض يقول: خمس من علامات الشقاء:
القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل.
وفي بعض الكتب: ما أنصفتني عبدي، يدعوني فأستحي ن أردده، ويعصيني فلا يستحي مني.
وقال يحيى بن معاذ: من استحيا من الله مطيعاً استحيا الله تعالى منه وهو مذنب.
وأعلم أن الحياء: يوجب التذويب، فقال: الحياء: ذوبان الحشا لاطلاع المولى.
ويقال: الحياء: انقباض القلب، لتعظيم الرب وقيل: إذا جلس الرجل ليعظ الناس ناداه ملكاه: عظ نفسك بما تعظ
به أخاك، وإلا فاستحي من سيدك؛ فإنه يراك.
وسئل الجنيد عن الحياء، فقال: رؤية الآلاء، ورؤية التقصير، فيتولد من بينهما حالة تسمى الحياء.
وقال الواسطي: لم يذق لذعات الحياء من لابس خرق حدّ أو نقض عهد.
وقال الواسطي أيضاً: المستحي يسيل منه العرق، وهو الفضل الذي فيه، وما دام في النفس شيء فهو مصروف عن
الحياء.
سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: الحياء: ترك الدعوى بين يدي الله عز وجل.
سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن عبد الله الصوفي، رحمه الله، يقول: سمعت أبا العباس بن الوليد الزوزني
يقول: سمعت محمد بن أحمد الجوزجاني يقول: سمعت أبا بكر الوراق يقول: ربما أصلي لله تعالى ركعتين، فأنصرف
عنهما، وأنا بمنزلة من ينصرف عن السرقة من الحياء.

باب الحرية

قال الله عز وجل: " ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة " .
قال: إنما آثروا على أنفسهم لتجردهم عما خرجوا منه، وآثروا به.
أخبرنا: علي بن أحمد الأهوازي، قال: أخبرنا أحمد بن عبيد البصري قال: حدثنا ابن أبي قماش قال: حدثنا محمد بن
صالح بن النطاح قال: حدثنا نعيم بن مورع بن توبة، عن إسماعيل المكي، عن عمرو بن دينار، عن طاووس، عن ابن
عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنما يكفني أحدكم: ما قنعت به نفسه، قال: وإنما يصير إلى أربعة
أذرع وشبر، وإنما يرجع الأمر إلى آخر " .
قال: الحرية: أن لا يكون العبد تحت رق المخلوقات، ولا يجري عليه سلطان المكونات، وعلامة صحته: سقوط
التمييز عن قلبه بين الأشياء، فيتساوى عنده أخطار الأعراض.
قال حارثة رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم: عزفت نفسي عن الدنيا؛ فأسوى عندي حجرها
وذبيها.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: من دخل الدنيا وهو عنها حر ارتحل إلى الآخرة وهو عنها حر. سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا محمد المراغي يحكي عن الرقي، عن الدقاق: يقول: من كان في الدنيا حراً منها كان في الآخرة حراً منها.

واعلم أن حقيقة الحرية في كمال العبودية؛ فإذا صدقت لله تعالى عبوديته خلصت عن رق الأغيار حريته.

فأما من توهم أن العبد يسلم له أن يخلع وقتاً عذار العبودية، ويحيد بلحظه عن حد المر والنهي وهو مميز، في دار التكليف، فذلك انسلاخ من الدين.

قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم: " وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين " يعني: الأجل، وعليه أجمع المفسرون. وأن الذي أشار إليه القوم من الحرية هو: أن لا يكون العبد تحت رق شيء من المخلوقات لا من أعراض الدنيا، ولا من أعراض الآخرة؛ فرداً لفرد لم يسترقه عاجل دنيا، ولا حاصل هوى، ولا أجل مني، ولا سؤال، ولا تصد ولا أرب، ولا حظ.

وقيل للشبلي: ألم تعلم أنه تعالى رحمن؟ فقال: بلى ولكن منذ عرفت رحمته ما سألته أن يرحمني.

ومقام الحرية عزيز.

سمعت الشيخ أبا علي، رحمه الله، يقول: كان أبو العباس السيارى يقول: لو صحت صلاة بغير قرآن لصحت بهذا البيت:

أتمى على الزمان محالاً ... أن ترى مقلتي طلعة حُرِّ

وأما أقاويل المشايخ في الحرية؛ فقال الحسين بن منصور: من أراد الحرية فليصل العبودية.

وسئل الجنيدي عن من لم يبق عليه من الدنيا إلا مقدار مص نواة، فقال: المكاتب عبد ما بقي عليه درهم.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا عمرو الأنماطي يقول: سمعت الجنيدي يقول: إنك لا تصل إلى صريح الحرية وعليك من حقيقة عبوديته بقية.

وقال بشر الحافي: ما أراد أن ينوق طعم الحرية، يستريح من العبودية فليطهر السريرة بينه وبين الله تعالى.

وقال الحسن بن منصور: إذا استوفى العبد مقامات العبودية كلها يصير حراً من تعب العبودية، فيترسم بالعبودية بلا

عناء ولا كلفة، وذلك ما قام الأنبياء والصدّيقين، يعني يصير محمولاً، لا يلحقه بقلبه مشقة وإن كان متحلياً بها

شرعاً، أنشدنا الشيخ أبو عبد الرحمن قال: أنشدنا أبو بكر الرازي قال: أنشدني منصور الفقيه لنفسه:

ما بقي في الإنس حر ... لا، ولا في الجن حرُّ

قد مضى حر الفريقين ... فحلوا العيش مرُّ

واعلم أن معظم الحرية في خدمة الفقراء.

سمعت الشيخ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً.

وقال صلى الله عليه وسلم: " سيد القوم خادمهم " .

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله يقول: سمعت محمد بن إبراهيم بن الفضل يقول: سمعت محمد بن الرومي يقول:

سمعت يحيى بن معاذ يقول: أبناء الدنيا تخدمهم الإمام والعبيد، وأبناء الآخرة تخدمهم الأحرار والأبرار.

وسمعه يقول: سمعت عبد الله بن عثمان بن يحيى يقول: سمعت علي بن محمد المصري يقول: سمعت يوسف بن موسى

يقول: سمعت بن خبيق يقول: سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: إن الحر الكريم يخرج

من الدنيا قبل أن يُخرج منها.
وقال إبراهيم بن أدهم: لا تصحب إلا حراً كريماً؛ يسمع ولا يتكلم.

باب الذكر

قال الله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً " .

أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشر ببيعداد، قال أخبرنا أبو علي الحسين بن صفوان البرذعي قال: حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا قال: حدثنا هارون بن معروف قال: حدثنا أنس بن عياض قال: حدثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن زياد بن أبي زياد، عن أبي بحرية، عن أبي الدرداء، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والورق، وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: ما ذلك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله تعالى: أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن قال: حدثنا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم قال: حدثنا الديري، عن عبد الرزاق، عن معمر: عن الزهري، عن ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تقوم الساعة على أحد يقول: الله.. الله " .

وأخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال: حدثنا أحمد بن عبيد قال: حدثنا معاذ قال: حدثنا أبي، عن حميد، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله.. الله " .

قال الأستاذ: والذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه وتعالى، بل هو العمدة في هذا الطريق، ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر.

والذكر على ضربين: ذكر اللسان، وذكر القلب. فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب. والتأثير لذكر القلب؛ فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه، فهو الكامل في وصفه في حل سلوكه. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: الذكر منشور الولاية؛ فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور، ومن سلب الذكر فقد عزل.

وقيل: إن الشلبي كان في ابتداء أمره ينزل كل يوم سرباً ويحمل مع نفسه حزمة من القضبان، فكان إذا دخل قلبه غفلة ضرب نفسه بتلك الخشب حتى يكسرها على نفسه، فربما كانت الحزمة تفني قبل أن يمسي، فكان يضرب بيده ورجليه على الحائط.

وقيل: ذكر الله بالقلب سيف المرادين، به يقاتلون أعداءهم، وبه يدفعون الآفات التي تقصلهم، وإن البلاء إذا إذا أظلم العبد؛ فإذا فرغ بقلبه إلى الله تعالى يجيد عنه في الحال كل ما يكرهه.

وسئل الواسطي عن الذكر فقال: الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على غلبة الخوف، وشدة الحب له. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت عبد الله بن الحسين يقول: سمعت أبا محمد البلاذري يقول: سمعت عبد الرحمن بن بكر يقول: سمعت ذا النون المصري يقول: من ذكر الله تعالى ذكراً على الحقيقة نسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله تعالى عليه كل شيء، وكان له عوضاً عن كل شيء.

وسمعت يقول: سمعت عبد الله المعلم يقول: سمعت أحمد المسجدي يقول: سئل أبو عثمان؛ فقيل له: نحن نذكر الله

تعالى، ولا نجد في قلوبنا حلاوة؟ فقال: أحمدهم الله تعالى، عن أن زين جارحة من جوارحكم بطاعته. وفي الخبر المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها. فقيل له: وما رياض الجنة؟ فقال: خلق الذكر ".

أخبرنا أبو الحسن علي بن بشر ببغداد قال: حدثنا أبو علي بن صفوان قال: حدثنا ابن أبي الدنيا قال: حدثنا الهيثم بن خارجة قال: حدثنا إسماعيل ابن عياش، عن عمر بن عبد الله: أن خالد بن عبد الله بن صفوان أخبره عن جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: " يا أيها الناس؛ ارتعوا في رياض الجنة. قلنا يا رسول الله، ما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر؟ اغدوا، وروحوا، واذكروا، من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده؟ فإن الله سبحانه، ينزل العبد منه حيث أنزله عن نفسه. وسمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمداً الفراء يقول: سمعت الشبلي يقول: أليس الله تعالى يقول: أنا جليس من ذكرني؟ ما الذي استفدتم من مجالسة الحق سبحانه؟ وسمعت يقول: سمعت عبد الله بن موسى السلمي يقول: سمعت الشبلي ينشد في مجلسه:

ذكرتك، لا أني نسيتك لحة... وأيس ما في الذكر ذكرٌ لساني
وكدت بلا وجود أموت من اله... وى وهام على القلب بالحققان
فلما رأني الوجد أنك حاضري... شهدتك موجوداً بكل مكان
فخاطبت موجوداً بغير تكلم... ولا حظت معلوماً بغير عيان

ومن خصائص الذكر: أنه غير مؤقت، بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله: إما فرضاً، وإما ندباً. والصلاة، وإن كانت أشرف العبادات، فقد لا تجوز في بعض الأوقات. والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات.

قال الله تعالى: " الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم.. ".

سمعت الإمام أبا بكر بن فورك، رحمه الله، يقول: قيماً بحق الذكر، وقعوداً: عن الدعوى فيه. وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يسأل الأستاذ أبا علي الدقاق، فقال: الذكر أتم أم الفكر؟ فقال الأستاذ أبو علي: ما الذي يقول الشيخ فيه؟ قال الشيخ أبو عبد الرحمن: عندي الذكر أتم من الفكر؛ لأن الحق، سبحانه، يوصف بالذكر، ولا يوصف بالفكر، وما وصف به الحق سبحانه أتم مما اختص به الخلق. فاستحسنه الأستاذ أبو علي، رحمه الله.

وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت الكنايني يقول: لولا أن ذكره فرض عليّ لما ذكرته إجلاله، مثلي يذكره!! ولم يغسل فمه بألف توبة منقبلة عن ذكره. وسمعت الأستاذ أبا علي، رحمه الله، ينشد لبعضهم:

ما إن ذكرتك إلا هم يزجرني... قلبي وسري وروحي عند ذكراكا
حتى كأن رقيباً منك يهتف بي... إياك، ويحك والتذكار إياكا
ومن خصائص الذكر: أنه جعل في مقابلته الذكر. قال الله تعالى: " فأذكروني أذكركم ".

وفي خير: " أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى يقول: أعطيت أمتك ما لم أعط أمة من الأمم، فقال: وما ذاك يا جبريل؟ فقال: قوله تعالى: " فأذكروني أذكركم "؛ لم يقل هذا لأحد غير هذه الأمة ".

وقيل: إن الملك يستأمر الذّاكر في قبض روحه.

وفي بعض الكتب: أن موسى، عليه السلام، قال يارب: أين تسكن؟ فأوحى الله تعالى إليه، في قلب عبدي المؤمن. ومعناه: سكّون الذّاكر في القلب فإن الحق سبحانه وتعالى منزّه عن كل سكّون وحلول، وإنما هو: إثبات ذكّر وتحصيل.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت فارساً يقول: سمعت الثوري يقول: سمعت ذا النون، وقد سألته عن الذّاكر فقال: هو غيبة الذّاكر عن الذّاكر، ثم أنشأ يقول:

لا لأني أنساك أكثر ذكراً... ك، ولكن بذاك يجري لساني

وقال سهل بن عبد الله: ما من يوم إلا والليل سبحانه ينادي: يا عبدي، ما أنصفتني؛ أذكرك وتساني، وأدعوك إليّ وتذهب إلى غيري، وأذهب عنك البلبايا وأنت معتكف الخطايا، يا بن آدم، ما تقول غداً إذا جئتني؟! وقال أبو سليمان الداراني: إن في الجنة قيعاناً، فإذا أخذ الذّاكر في الذّاكر أخذت الملائكة في غرس الأشجار فيها، فربما يقف بعض الملائكة، فيقال له: لم وقفت؟ فيقول: فسّتر صاحبي.

وقال الحسن: تفقدوا الحلوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، والذّاكر، وقراءة القرآن، فإن وجدتم، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق.

وقال حامد الأسود. كنت مع إبراهيم الخواص في سفر، فجننا إلى موضع فيه حيات كثيرة.. فوضع ركوته وجلس، فلما كان برد الليل وبرد الهواء خرجت الحيات، فصحت بالشيخ، فقال: اذكر الله.. فذكرت فرجعت، ثم عادت، فصحت به، فقال مثل ذلك. فلم أزل إلى الصباح في مثل تلك الحالة.. فلما أصبحنا قام، ومشى، ومشيت معه، فسقطت من وطائه حية عظيمة وقد تطوقت به. فقلت: ما أحسست بها؟ فقال: لا، منذ زمان ما بت ليلة أطيب من الباردة.

قال أبو عثمان: من لم يذق وحشة الغفلة لم يجد طعم أنس الذّاكر.

سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الرحمن بن عبد الله الديباني يقول: سمعت الجريري يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول: مكتوب في بعض الكتب التي أنزلها الله تعالى: " إذا كان الغالب عليّ عبدي ذكري عشقي وعشقتة "

وياسناده: أنه أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: " بي فافرحوا، وبيذكري فتتعموا "

وقال الثوري: لكل شيء عقوبة، وعقوبة العارف بالله انقطاعه عن الذّاكر. وفي الإنجيل ذاكري حين تغضب أذكرك حين أغضب، وارض بنصري لك؛ فإن نصرتي لك خير لك من نصرتك لنفسك.

وقيل لراهب: أنت صائم؟ فقال: صائم بذكّره، فإذا ذكرت غيره أفطرت.

وقيل: إذا تمكّن الذّاكر من القلب، فن دنا منه الشيطان صرع، ما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فتجتمع عليه الشياطين فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسّه الإنس.

وقال سهل: ما أعرف معصية أقبح من نسين الربّ تعالى.

وقيل الذّاكر الخفي لا يرفعه الملك، لأنه لا اطلاع له عليه، فهو سر بين العبد وبين الله عز وجل.

وقال بعضهم: وصف لي ذاكر في أجمه، فأتيته، فبينما هو جالس إذا سيع عظيم ضربه ضربة، واستلب منه قطعة، فعشي عليه وعلي، فلما أفاق، قلت: ما هذا؟ فقال: قيص الله هذا السيع عليّ، فكلما دخلتني فترة عضني عضة،

كما رأيت.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت الحسين بن يحيى يقول: سمعت جعفر بن نصير يقول: سمعت الجريري يقول: كان من بين أصحابنا رجل يكثر أن يقول: الله.. الله.. فوق يوماً على رأسه جذع فانشج رأسه وسقط الدم، فاكْتُتَبَ على الأرض: الله.. الله.

باب الفتوة

قال الله تعالى: " إلهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى " .

قال الأستاذ: أصل الفتوة أن يكون العبد ساعياً أبداً في أمر غيره.

قال صلى الله عليه وسلم: " لا يزال الله تعالى في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه المسلم " .

أخبرنا به علي بن أحمد بن عبدان، قال: أخبرنا به أحمد بن عبيد قال: حدثنا به إسماعيل بن الفضل قال: حدثنا به يعقوب بن حميد بن كاسب قال: حدثنا به ابن أبي حازم، عن عبد الله بن عامر الأسلمي، عن عبد الرحمن بن حومز الأعرج، عن أبي هريرة، عن يزيد بن ثابت رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا يزال الله تعالى في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه المسلم " .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: هذا الخلق، لا يكون كماله إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: فن كل أحد في القيامة يقول: نفسي.. نفسي، وهو صلى الله عليه وسلم، يقول: أمّتي.. أمّتي.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا جعفر الفرغاني يقول: سمعت الجنيد يقول: الفتوة بالشام، واللسان بالعراق، والصدق بخراسان.

وسمعت يقول: سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول: سمعت محمد بن نصر ابن منصور الصائغ يقول: سمعت محمد بن مردويه الصائغ يقول: سمعت الفضيل يقول: الفتوة: الصفح عن عثرات الإخوان. وقيل: الفتوة: أن لا ترى لنفسك فضلاً عن غيرك.

وقال أبو بكر الوراق: الفتى من لا خصم له.

وقال محمد بن علي الترمذي: الفتوة: أن تكون خصماً لربك على نفسك ويقال: الفتى: من لا يكون خصماً لأحد. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: سمعت النصراباذي يقول: سُمي أصحاب الكهف فتية؛ لأنهم آمنوا بربهم بلا واسطة.

وقيل: الفتى: من كسر الصنم: قال الله تعالى: " سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم " وقال تعالى: " فجعلهم جذاذاً " وصنم كل إنسان نفسه؛ فمن خالف هواه فهو فتى علي الحقيقة.

وقال الحارث المحاسبي: الفتوة: أن تنصِفَ ولا تتنصِفَ.

وقال عمر بن عثمان المكيّ: الفتوة: حسن الخلق.

وسئل الجنيد عن الفتوة، فقال: أن لا تنافر فقيراً، ولا تعارض غنياً.

وقال النصراباذي: المروءة شعبة من الفتوة، وهو الإعراض عن الكونين، والأنفة منها.

وقال محمد بن علي الترمذي: الفتوة أن يسوي عندك المقيم والطارىء.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت علي بن عمر الحافظ يقول: سمعت أبا سهل بن زياد يقول: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: سئل أبي: ما الفتوة؟ فقال: ترك ما تموى لما تخشى.

وقيل لبعضهم: مال الفتوة؟ فقال: أن لا يُميز بين أن يأكل عنده ولي أو كافر.

سمعت بعض العلماء يقول: استضاف مجوسي إبراهيم الخليل عليه السلام، فقال: بشرط أن تُسلم، فمر المجوسي، فأوحى الله تعالى إليه: منذ خمسين سنة نطعمه علي كفرة، فلو ناولته لقمة من غير أن تطالبه بتغيير دينه؟! فمضى إبراهيم عليه السلام، على أثره، حتى أدركه.. واعتذر إليه، فسأله عن السبب، فذكر له ذلك؛ فأسلم المجوسي.

وقال الجنيد: الفتوة: كف الأذى، وبذل الندى.

وقال سهل بن عبد الله: الفتوة: اتباع السنّة.

وقيل: الفتوة: الوفاء والحفاظ.

وقيل: الفتوة: فضيلة تأتيها ولا ترى نفسك فيها.

وقيل: الفتوة: أن لا تقرب إذا أقبل السائل.

وقيل: أن لا تحتجب من القاصدين.

وقيل: أن لا تدخر ولا تعتذر.

وقيل: إظهار النعمة، وإسرار الحنة.

وقيل: أن تدعو عشرة أنفس فلا تتغير إن جاء تسعة أو أحد عشر.

وقيل: الفتوة: ترك التمييز.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: قال أحمد بن حنبل رحمه الله لامرأته أم علي: أريد أن أتخذ دعوة أدعو فيها عياراً شاطراً كان في بلدكم رأس الفتيان.

فقلت: امرأته: إنك لا تهدي إلى دعوة الفتيان. فقال: لا بد.

فقلت: إن فعلت فاذبح الأغنام والبقر والحُمُر، وألقها من باب دار الرجل إلى باب دارك.

فقال: أما الأغنام والبقر فأعلم. فما بال الحُمُر؟ فقلت: تدعو فتى إلى دارك، فلا أقل من أن يكون لكاب الحلة خبير.

وقيل: اتخذ بعضهم دعوة، وفيهم شيخ شيرازي، فلما أكلوا وقع عليهم النوم في حال السماع.

فقال الشيخ الشيرازي لصاحب الدعوة: ما السبب في نومنا؟ فقال: لا أدري!! اجتهدت في جميع ما أطعمتكم إلا الباذنجان، فلم أسأل عليه.

فلما أصبحوا سألوا بائع الباذنجان، فقال: لم يكن لي شيء، فسرقت الباذنجان من الموضع القلاني وبعته، فحملوه إلى

صاحب الأرض ليجعله في حل، فقال الرجل: تسألون مني ألف باذنجان؟ قد وهبته تلك الأرض ووهبته ثورين

وحماراً، وآلة الحرث؛ لنلا يعود إلى مثل ما فعل.

وقيل: تزوج رجل بامرأة.. فقبل الدخول ظهر بالمرأة الجدري، فقال الرجل: اشتكت عيني، ثم قال: عميت، فزفت

إليه المرأة.. ثم ماتت بعد عشرين سنة.. ففتح الرجل عينيه، فقبل له في ذلك فقال: لم أعم، ولكن تعاميت حذاراً،

تحزن، فقبل له: سبقت الفتيان.

وقال ذو النون المصري: من أراد الظرف فعليه سقاة الماء ببغداد.

فقبل له: كيف هو؟ فقال: لما حُملت إلى الخلفية، فيما نُسب لي من الزندقة، رأيت سقاء عليه عمامة، وهو مترد

بمديبل مصري، وبيده كيزان خزف رقاق، فقلت: هذا ساقى السلطان، فقالوا: لا، هذا ساقى العامة.
فأخذت الكوز وشربت. وقلت لمن معي: أعطه ديناراً. فلم يأخذه، وقال: أنت أسير، وليس من الفتوة أن آخذ
مكن شيئاً.

وقيل: ليس من الفتوة أن تريح علي صديقك. قاله بعض أصدقائنا، رحمه الله تعالى.
وكان فتى يسمى أحمد بن سهل التاجر، وقد اشترت منه خرقة بياض فأذ الثمن رأس ماله فقلت له: ألا تأخذ ربحاً؟
فقال: أما الثمن فأخذه، ولا أملك مئة؛ لأنه ليس له من الخطر ما أتلقى به معك، ولكن لا آخذ الربح؛ إذ ليس من
الفتوة أن تريح علي صديقك.

وقيل: خرج إنسان يدعى الفتوة من نيسابور لى نسا فاستضافه رجل، ومعه جماعة من الفتيان، فلما فرغوا من الطعام
خرجت جارية تصب الماء على أيديهم، فالتفت النيسابوري عن غسل اليد، وقال: ليس من الفتوة أن تصب
النسوان الماء على أيدي الرجال!! قال واحد منهم: أنا سنين أدخل هذه الدار لم أعلم أن امرأة تصب الماء على
أيدينا أم رجلاً.

سمعت منصوراً المغربي يقول: اراد واحد أن يمتحن نوحاً النيسابوري العيار.. فباع عنه جارية في زي غلام، وشرط
أنه غلام، وكانت وضيفة الوجه، فاشتراها نوح علي أنها غلام، ولبثت عنده شهوراً كثيرة، فقيل الجارية: هل علم
أنك جارية؟ فقالت: لا، إنه ما مسني، وتوهم أني غلام.

وقيل: إن بعض الشطار طلب منه تسليم غلام كان يخدمه إلى السلطان، فأبى. فضربه ألف سوط، فلم يسلم، فاتفق
أه احتلم تلك الليلة، وكان برداً شديداً، فلما أصبح اغتسل بالماء البارد، فقيل له: خاطرت بروحك، فقال:
استحييت من الله تعالى أن أصبر على ضرب ألف سوط لأجل مخلوق، ولا أصبر على مقاساة يرد الاغتسال لأجله.
وقيل: قدم جماعة من الفتيان لزيارة واحد يدعى الفتوة، فقال الرجل: يا غلام قدم السفارة. فلم يقدم. فقال له
الرجل ذلك ثانياً وثالثاً.. فنظر بعضهم إلى بعض، وقالوا: ليس من الفتوة أن يستخدم الرجل من يتعاصى عليه في
تقديم السفارة كل هذا!! فقال الرجل: لم أبطأت يا سفر؟ فقال الغلام كان عليها نمل، فلم يكن من الأدب تقديم
السفرة إلى الفتيان مع النمل، ولم يكن من الفتوة إلقاء النمل من السفارة، فلبثت حتى دب النمل. فقالوا له: دقت يا
غلام، مثلك من يخدم الفتيان.

وقيل: إن رجلاً نام بالمدينة من الحاج. فتوهم أن هميانة سرق، فخرج، فرأى جعفر الصادق.. فتعلق به، وقال له:
أنت أخذت همياني؟ فقال له: ماذا كان فيه؟ فقال: ألف دينار.

فأدخله داره.. ووزن له ألف دينار، فرجع إلى منزله، ودخل بيته، فرأى هميانة في بيته وقد كان توهم أنه سرق؛
فخرج إلى جعفر معتذراً، وردّ عليه الدنانير، فأبى أن يقبلها، وقال: شيء أخرجته من يدي لا أسترده.
فقال الرجل: من هذا؟! فقيل: جعفر الصادق.

وقيل: سأل شقيق البلخي جعفر بن محمد عن الفتوة، فقال: ما تقول أنت؟ فقال شقيق: إن أعطينا شكرنا، وإن
منعنا صبرنا.

فقال جعفر: الكلاب عندنا بالمدينة كذلك تفعل!! فقال شقيق: يا ابن رسول الله، ما الفتوة عنكم؟ فقال: إن
أعطينا آثرنا، وإن منعنا شكرنا.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الجريري يقول: دعانا

الشيخ أبو العباس بن مسروق ليلة إلى بيته، فاستقبلنا صديق لنا، فقلنا له: ارجع معنا، فنحن في ضيافة الشيخ، فقال: إنه لم يدعني!! فقلنا: نحن نستني. كما استثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها.

فرددناه، فلما بلغ باب الشيخ أخبرناه بما قال، وقلنا، فقال: جعلت موضعي من قلبك أن تجيء إلى منزلي من غير دعوة، على كذا وكذا إن مشيت إلى الموضع الذي تقعد فيه منه إلا على خدي، وأخ عليه. ووضع خده على الأرض، وحمل الرجل، فوضع قدمه على خده من غير أن يوجعه، وسحب الشيخ وجهه على الأرض إلى أن بلغ موضع جلوسه.

وأعلم أن من الفتوة الستر على عيوب الأصدقاء، لا سيما إذا كان لهم فيه شماتة الأعداء.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول للنصر اباذي كثيراً: إن علياً القوال يشرب بالليل ويحضر مجلسك بالنهار، وكان لا يسمع فيه ما يقال، فانفق أنه كان يمشي يوماً ومعه واحد ممن يذكر علياً بذلك عنده فوجد علياً مطروحاً في موضع، وقد ظهر عليه أثر السكر، وصار بحيث يغسل فمه، فقال الرجل: إلى كم نقول فيه للشيخ ولا يسمع؟! هذا عليٌّ على الوصف الذي نقول. فنظر إليه النصر اباذي وقال للعنول: احمله في رقتك، وانقله إلى منزله. فلم يجد بدا من طاعته فيه.

وسمعته يقول: سمعت أبا عليٍّ الفارسي يقول: سمعت المرتعش يقول: دخلنا مع أبي حفص على مريض نعوده، ونحن جماعة، فقال للمريض: أتحب أن تبرأ؟ فقال: نعم فقال لأصحابه: تحملوا عنه.. فقام العليل.. وخر معنا. وأصبحنا كلنا أصحاب فراش نعاد.

باب الفراسة

قال الله تعالى: " إن في ذلك لآيات للمتوسمين " . قيل: للمتفرصين.

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي، رحمه الله تعالى، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن الحسين الرازي قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن السكن قال: حدثنا موسى بن داود قال: حدثنا محمد بن كثير الكوفي قال: حدثنا عمرو بن قيس: عن عطية، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله عز وجل " .

والفراس: خاطر على القلب فينفي ما يصاده. وله على القلب حُكم اشتقاقاً من: فريسة السبع، وليس في مقابلة الفراسة مجوزات للنفس.

وهي علي حسب قوة الإيمان: فكل من كان أقوى إيماناً كان أد فراسة.

وقال أبو سعيد الخراز: من نظر بنور الفراسة نظر بنور الحق، وتكون مواد علمه من الحق بلا سهو ولا غفلة، بل حكم حق جرى على لسان عبد.

وقوله: " نظر بنور الحق " يعني: بنور خصه به الحق سبحانه.

وقال الواسطي: إن الفراسة: سواطع أنوار لمعت في القلوب، وتمكين معرفة حملت السرائر في الغيوب من غيب إلى غيب، حتى يشهد الأشياء من حيث أشهده الحق، سبحانه، إياها؛ فيتكلم على ضمير الخلق.

ويحكى عن أبي الحسن الديلمي أنه قال: دخلت أنطاكية لأجل أسود قيل لي: إنه يتكلم على الأسرار فأقمت فيها إلى

أن خرج من جبل لكّام ومعه شيء من المباح يبيعه، وكنت جاعاً منذ يومين لم أكل شيئاً فقلت له: بكم هذا؟ وأوهمته أني أشتري ما بين يديه فقال: اقعد ثم؛ حتى إذا بعناه نعطيك ما تشتري به شيئاً.. فتركته وسرت إلى غيره؛ أوهمه أني أساومه. ثم رجعت إليه، وقلت له: إن كنت تباع هذا فقل لي بكم؟ فقال: إنما جعت يومين، اقعد ثم، حتى إذا بعناه نعطيك ما تشتري به شيئاً.. فقعدت.. فلما باعه أعطاني شيئاً ومشى، فتبعته.. فالتفت إليّ وقال لي: إذا عرضت لك حاجة، فأثرها بالله تعالى، إلا أن يكون لنفسك فيها حظ فنحجب عن حاجتك. سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت محمد بن عبد الله يقول. سمعت الكتاني يقول: الفراسة: مكاشفة اليقين، ومعاينة الغيب، وهو من مقامات الإيمان.

وقيل: كان الشافعي، ومحمد بن الحسن، رحمهما الله تعالى، في المسجد الحرام فدخل رجل، فقال محمد بن الحسن: أتفرس أنه نجار، وقال الشافعي: أتفرس أنه حداد، فسألاه، فقال: كنت قبل هذا حداداً، والساعة أنجر. وقال أبو سعيد الخراز: المستنبط: من يلاحظ الغيب أبداً، ولا يغيب عنه، ولا يخفى عليه شيء، وهو الذي دل عليه قوله تعالى: " لعلمه الذين يستنبطونه منهم " .

والمتوسم: هو الذي يعرف الوسم، وهو العارف بما في سويداء القلوب بالاستدلال والعلامات، قال الله تعالى: " إن في ذلك لآيات للمتوسمين " . أي للعارفين بالعلامات التي يديها على الفريقين من أوليائه وأعدائه.

وللتفرس: ينظر بنور الله تعالى، وذلك: سواطع أنوار لمعت في قلبه فأدرك بها المعاني، وهو من خواص الإيمان، والذين هم أكبر منه حظاً الربانيون الحق نظراً وخلقاً، وهم فارغون عن الإخبار عن الخلق، والنظر إليهم، والاشتغال بهم. وقيل: كان أبو القاسم المنادي مريضاً، وكان كبير الشأن، من مشايخ نيسابور فعاده أبو الحسن البوشنجي، والحسن الحداد، واشترى بنصف درهم تفاحاً في الطريق نسيته، وحمله إليه، فلما قعدا قال أبو القاسم: ما هذه الظلمة؟ فخرأ. وقالوا: ماذا فعلنا؟ وتفكرأ. فقالوا: لعلنا لم نؤد ثمن التفاح، فأعطياه الثمن، وعادا إليه، فلما وقع بصره عليهما قال: هذا عجب، أيمن الإنسان أن يخرج من الظلمة بهذه السرعة؟! أخبراني عن شأنكما.. فذكر له هذه القصة، فقال: نعم، كان يعتمد كل واحد منكما على صاحبه في إعطاء الثمن، والرجل يستحي منكما في التقاضي، فكان تبقى التبعة، وأنا السبب، إنما رأيت ذلك فيكما وكان أبو القاسم المنادي هذا يدخل السوق كل يوم يُنادي، فإذا وقع بيده ما فيه كفايته من دائق إلى نصف درهم خرج منه. وعاد إلى رأس وقته، ومراعاة قلبه.

وقال الحسين بن منصور: الحق إذا استولى على سر ملكه الأسرار؛ فيعانيها، ويخبر عنها. وسئل بعضهم عن الفراسة، فقال: أرواح تتقلب في الملكوت، فتشرف على معاني الغيوب، فننطق عن أسرار الخلق نطقاً مشاهداً، لا نطق ظن وحسبان.

وقيل: كان بين زكريا الشخشي وبين امرأة سبب قيل توبته، فكان يوماً واقفاً على رأس أبي عثمان الحيري، بعلماً صار من خواص تلاميذه، ففكر في شأنها، فرفع أبو عثمان رأسه إليه وقال: أما تستحي؟! قال الأستاذ الإمام، رحمه الله: كنت في ابتداء وصليتي بالأستاذ أبي علي الدقاق، رضي الله عنه، عقد لي المجلس في مسجود المطرز فاستأذنته وقتاً للخروج إلى نساء فأذن لي فيه، فسكنت أمشي معه يوماً في طريق مجلسه، فخطر ببالي: ليتني يوب عني في مجالسي أيام غيبيتي. فالتفت إليّ، وقال لي: أنوبُ عنك أيام غيبتك في عقد المجلس.

فمشيت قليلاً.. فخطر ببالي أنه عليل يشق عليه أن يوب عني في الأسبوع يومين، فليته يقتصر علي يوم واحد في الأسبوع؛ فالتفت إليّ وقال: إن لم يمكنني في الأسبوع يومان أنوب عنك في الأسبوع مرة واحدة، فمشيت معه قليلاً؛ فخطر ببالي شيء ثالث، فالتفت إليّ وصرح بالإخبار عنه على القطع.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: سمعت جدي أبا عمرو بن نجيد يقول: كان شاه الكرمانى حاد الفراسة، لا يُخطيء، ويقول: من غض بصره عن الحارم، وأمسك نفسه عن الشهوات، وعمر باطنه بلام المراقبة، وظاهره باتباع السنة، وتعود أكل الحلال؛ لم تخطيء فراسته.

وسئل أبو الحسن النورى: من أين تولدت فراسة المتفرسين؟ فقال: من قوله تعالى: " ونفخت فيه من روحي " ، فمن كان حظه من ذلك النور أتم، كانت مشاهدته أحكم، وحكمه بالفراسة أصدق، ألا ترى كيف أوجب نفخ الروح فيه السجود له بقوله تعالى: " فأذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين " .

وهذا الكلام من أبي الحسن النورى فيه أدنى غموض وإيهام؛ بذكر نفخ الروح، لتصويب من يقول بقدم الأرواح، ولا كما يلوح لقلوب المستضعفين؛ فإن الذى يصح عليه النفخ والاتصال والانفصال فهو قابل للتأثير والتغيير، وذلك من سمات الحدوث، وأن الله، سبحانه وتعالى، خص المؤمنين ببصائر وأنوار بها يفرسون، وهي في الحقيقة معارف، وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم: " فإنه ينظر بنور الله " أي بعلم وبصيرة يخصه الله تعالى به ويفرده به من دون أشكاله. وتسمية العلوم والبصائر أنواراً: غير مستبعد، ولا يعد وصف ذلك بالنفخ، والمراد منه: الخلق.

وقال الحسين بن منصور: المتفرس هو المصيب بأول مرماه إلى مقصده، ولا يعرج على تأويل وظن وحسبان.

وقيل: فراسة المريدين تكون ظناً يوجب تحقيقاً، وفراسة العارفين تحقيق يوجب حقيقة.

وقال أحمد بن عاصم الأطاكي: إذا جلستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق؛ فإنهم جواسيس القلوب؛ يدخلون في قلوبكم ويخرجون منها من حيث لا تحسون.

سمعت محمد بن الحسين رحمه الله، يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت الخلدى يقول: سمعت أبا جعفر الحداد يقول: الفراسة أول خاطر بلا معارض؛ فإن عارض معارض من جنسه فهو خاطر وحديث نفس.

ويحكى عن أبي عبد الله الرازى نزيل نيسابور قال: كساني ابن الأنبارى صوفياً، ورأيت على رأس الشبلى قلنسوة ظريفة تليق بذلك الصوف، فتمنيت في نفسي أن يكونا جميعاً لي.. فلما قام الشبلى من مجلسه التفت إلي.. فتبعته، وكان عادته إذا أراد أن أتبعه يلنث إلي، فلما دخل داره دخلت؛ فقال لي: انزع الصوف. فنزعته.. فلفه وطرح القلنسوة عليه، ودعا بنار فأحرقهما.

وقال أبو حفص النيسابورى: ليس لأحد أن يدعى الفراسة، ولكن يتقى الفراسة من الغير؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " اتقوا فراسة المؤمن " ولم يقل: تفرسوا فكيف يصح دعوى الفراسة لمن هو في محل اتقاء الفراسة؟! وقال أبو العباس بن مسروق: دخلت على شيخ من اصحابنا أعوده.. فوجدته على حال رثة، فقلت في نفسي: من أين يترق هذا الشيخ؟ فقال لي: يا ابا العباس: دع عنك هذه الخواطر الدنيئة؛ فإن الله ألطافاً خفية.

ويحكى عن الزبيدي قال: كنت في مسجد ببغداد مع جماعة من الفقهاء، فلم يفتح علينا بشيء أياماً فأتيت الخواص لأسأله شيئاً، فلما وقع بصره عليّ قال: الحاجة التي جئت لأجلها يعلمها الله أم لا؟ فقلت: بلى؛ فقال: اسكت ولا تبدها لمخلوق، فرجعت ولم ألبث إلا قليلاً حتى فتح علينا بما فرق الكفاية. وقيل: كان سهل بن عبد الله يوماص في الجامع، فوقع حمام في المسجد من شدة ما لحقه من الحر والمشقة، فقال سهل: إن شاهاً الكرمانى مات الساعة، إن شاء الله تعالى، فكتبوا ذلك.. فكان كما قال.

وقيل: خرج أبو عبد الله التروغندي - وكان كبير الوقت - إلى طوس فلما بلغ خر وقال لصاحبه: اشتر الخبز. فاشترى ما يكفيهما، فقال: اشتر أكثر من ذلك. فاشترى صاحبه ما يكفي عشرة أنفس تعمداً، فكانه لم يجعل لقول

ذلك الشيخ تحقيقاً قال: فلما صعدنا إلى الجبل إذا بجماعة قيدتهم اللصوص، لم يأكلوا منذ مدة، فسألونا الطعام، فقال: قدم إليهم السفرة.

وقال الأستاذ الإمام: كنت بين يدي الأستاذ الإمام أبي علي رحمه الله يوماً فجرى حديث الشيخ أبي عبد الرحمن السلمي رحمه الله، وأنه يقوم في السماع موافقة للفقراء، فقال الأستاذ أبو علي: مثله في حاله؛ لعل السكون أولى به. ثم قال: في ذلك المجلس أمض إليه فستجده وهو قاعد في بيت كتبه، وعلى وجه الكتب مجلدة حمراء مربعة صغيرة فيها أشعار الحسين بن منصور. فاحمل تلك المجلدة ولا تقل له شيئاً وجئني بها. وكان وقت الهجرة.. فدخلت عليه فإذا هو في بيت كتبه والمجلدة موضوعة بحيث ذكر، فلما قعدت أخذ الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي في الحديث وقال: كان بعض الناس ينكر علي أحد من العلماء حركته في السماع، فرؤى ذلك الإنسان يوماً خالياً في بيت وهو يدور كالمتواجد، فسئل عن حاله فقال: كانت مسألة مشكلة عليّ، فتبين لي معناها، فلم أملك من السرور حتى قمت أدور، فقيل له: مثل هذا يكون حالهم.

فلما رأيت ما أمرني به الأستاذ أبو علي، وما وصف لي على الوجه الذي قال وجرى على لسان الشيخ أبي عبد الرحمن ما كان ق ذكره به، تحيرت، وقلت: كيف أفعل بينهما؟ ثم فكرت في نفسي وقلت: لا وجه إلا الصدق، فقلت: إن الأستاذ أبا علي وصف لي هذه المجلدة وقال لي احملها من غير أن تستأذن الشيخ، وأنا هو ذا أخافك، وليس يمكنني مخالفته، فأبي شيء تأمرني به؟.. فأخرج مسدساً من كلام الحسين، وفيه تصنيف له سماه: كتاب الصهيور في قرض الدهور وقال: أحمل هذا إليه، وقل له: إني أطالع تلك المجلدة وأنقل منها أبياتاً إلى مصنفاتي.. فخرجت.

ويحكى عن الحسن الحداد، رحمه الله، أنه قال: كنت عند أبي القاسم المنادي وعنده جماعة من الفقراء، فقال لي: أخرج وأقم بشيء، فسرت: حيث أذن لي في التكلف للفقراء وأن آتيهم بشيء بعد ما علم فقري، قال: فأخذت مكتلاً وخرجت.. فلما أتيت سكة سيار رأيت شيخاً جماً فسلمت عليه وقلت: جماعة من الفقراء في موضع، فهل لك أن تتخلق معهم بشيء؟ فأمر.. حتى إذا أخرج إلى شيئاً من الخبز واللحم والخبز، فلما بلغت الباب نادى أبو القاسم المنادي من وراء الباب: رده إلى الموضع إلي أخذته منه. فرجعت واعتذرت إلى الشيخ، وقلت: لم أجدهم.. وعرضت بأنهم تفرقوا، ورددت السبب عليه ثم جئت إلى السوق ففتحت عليّ بشيء، فحملته، فقال: ادخل.

فقصصت عليه القصة، فقال: نعم، ذاك ابن سيار رجل سلطاني، إذا جئت للفقراء بشيء فأقم بمنزل هذا، لا بمنزل ذاك.

قال أبو الحسين القرافي: زرت أبا الخير التتائي، فلما ودعته.. خرج معي إلى باب المسجد، وقال لي: يا أبا الحسين، أنا أعلم أنك لا تحمل معك معلوماً، ولكن أحمل معك هاتين التفاحتين.

فأخذتهما.. ووضعتهما في جيب، وسرت، فلم يفتح لي بشيء ثلاثة أيام، فأخرجت واحدة منهما، وأكلتها، ثم أردت أن أخرج الثانية، فإذا هما جميعاً في جيب، فكنت أكل منهما ويعودان.. إلى باب الموصل، فقلت في نفسي. إنهما يفسدان على حال توكلني؛ إذ صارتا معلوماً لي!! فأخرجتهما من جيب بمرّة. فنظرت فإذا فقير ملفوف في عباءة يقول: أشتهي تفاحة!! فناولتهما إياه.. فلما عبرت وقع لي: أن الشيخ إنما بعثهما إليه. وكنت في رُفقه في الطريق.. فأنصرفت إلى الفقير، فلم أجده.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت أبا عمر بن علوان يقول: كان شاب يصحب الجنيد.. وكان يتكلم علي خواطر الناس، فذكر للجنيد، فقال له الجنيد: ما هذا الذي ذكر عنك؟ فقال الجنيد:

اعتقد شيئاً فقال: اعتقدت!! فقال الشاب: اعتقدت كذا وكذا! فقال الجنيد: لا. فقال: اعتقد ثانياً، ففعل، فقال: اعتقدت كذا وكذا. فقال: لا فقال: ثالثاً. فقال: مثله. فقال الشاب هذا عجب، أنت صدوق، وأنا أعرف قلبي؟! فقال الجنيد: صدقت في الأول والثاني والثالث، ولكي أردت أن أمتحنك هل يتغير قلبك!! وسمعته يقول: سمعت أبا عبد الله الرازي يقول: أعتل ابن الرقي، فحل إليه دواء في قدح، فأخذه، ثم قال: وقع اليوم في المملكة حدث: لا أكل ولا أشرب حتى أعلم ما هور؟ فورد الخبر بعده بأيام: أن القرمطي دخل مكة ذلك اليوم، وقتل بها تلك للقتلة العظيمة.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول: سمعت أبا عثمان المغربي يقول: ذكر الكاتب هذه الحكاية، فقال: هذا عجب!! فقلت له: هذا ليس بعذب، فقال لي أبو علي بن الكاتب: ما خبر مكة اليوم؟ فقلت: هو ذا: تحارب الطلحيون وبنو الحسن، ومقدم الطلحيين أسودٌ عليه عمامة حمراء، وعلى مكة اليوم غيم على مقدار الحرم، فكتب أبو علي إلى مكة، فكان كما ذكرت له.

ويروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: دخلت على عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكنت رأيت في الطريق امرأة تأملت محاسنها، فقال عثمان رضي الله عنه: يدخل على أحدكم وآثار ظاهرة على عينيه، فقلت له: أوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! فقال: لا، ولكن تبصرة، وبرهان، وفراصة صادقة.

وقال أبو سعيد الخراز: دخلت المسجد الحرام، فرأيت فقيراً عليه خرقتان يسأل الناس شيئاً، فقلت في نفسي: مثل هذا كل على الناس!! فنظر إليّ وقال: "واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه". قال: فاستغفرت في سري، فناداني، وقال: "وهو الذي يقبل التوبة عن عباده".

وحكى عن إبراهيم الخواص أنه قال: كنت ببغداد في جامع المدينة، وهناك جماعة من الفقراء، فأقبل علينا شاب ظريف، طيب الرائحة، حسن الحرمة، حسن الوجه، فقلت لأصحابنا: يقع لي أنه يهودي!! فكلهم كرهوا ذلك، فخرجت، وخرج الشاب، ثم رجع إليهم وقال: ماذا قال الشيخ في؟! فاحتشموه. فأخ عليهم، فقالوا: قال إنك يهودي. قال: فجاءني وأكب على يدي، وأسلم. فقيل له: ما السبب؟ قال: نجد في كتبنا أن الصديق لا يخطيء فراسته. فقلت: أمتحن المسلمين؛ فتأملتهم، وقلت: إن كان فيهم صديق ففي هذه الطائفة: لأنهم يقولون حديثه سبحانه، فليست عليكم.. فلما اطلع هذا الشيخ عليّ، وتفوس في علمت أنه صديق، وصار الشاب من كبار الصوفية.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله، يقول سمعت عبد الله بن إبراهيم بن العلاء، يقول: سمعت محمد بن داود يقول: كنا عند الجريري فقال: هل فيكم من إذا أراد الحق، سبحانه، أن يحدث في المملكة حدثاً أعلمه قبل أن يُبديه؟ قلنا: لا. فقال: أبكوا على قلوب لم تجد من الله تعالى شيئاً.

وقال أبو موسى الديلمي: سألت عبد الرحمن بن يحيى عن التوكل، فقال: لو أدخلت يدك في فم التنين حتى بلغ الرسغ لا تخاف مع الله تعالى شيئاً غيره. قال: فخرجت إلى أبي يزيد لأسأله عن التوكل، فدققت عليه الباب، فقال: أليس لك في قول عبد الرحمن كفاية؟! فقلت: افصح الباب. فقال: مازرتني، أتاك الجواب من وراء الباب. ولم يفتح لي الباب؛ فمضيت، ولبثت سنة، ثم قصدته، فقال: مرحباً، جئتني زائراً. فكنت عنده شهراً، فكان لا يخطر بقلبي شيء إلا حدثني عنه. فعند وداعه لي قلت: أفدني فائدة. فقال: حدثني أمي: أنها كانت حاملاً بي، فكانت إذا قدم لها طعام من حلال امتدت يدها إليه، وإذا كان فيه شبهة انقبضت يدها عنه.

وقال إبراهيم الخواص: دخلت البادية، فأصابني شدة، فلما بلغت مكة، داخلني شيء من الإعجاب، فنادتني

عجوز: يا إبراهيم، كنت معك في البادية فلم أكلمك؛ لأني لم أرد أن أشغل شرك أخرج عنك هذا الوسواس!! وحكى أن الفرغاني كان يخرج كل سنة إلى الحج، ويمر ببسابور، ولا يدخل علي أبي عثمان الحيري قال: فدخلت عليه مرة، وسلمت، فلم يرد علي السلام، فقلت في نفسي: مُسلم يدخل عليه ويسلم عليه فلا يرد سلامه؟ فقال أبو عثمان: مثل هذا يحج ويدع أمه لا يبرها؟! قال: فرجعت إلى فرغانة ولزمتها حتى ماتت. ثم قصدت أبا عثمان، فلما دخلت استقبلني وأجلسني، ثم إن الفرغاني لازمه وسأله سياسة دابته، فولا ه ذلك حتى مات أبو عثمان. وقال خير النساج: كنت جالساً في بيتي، فوقع لي: أن الجنيد بالباب، فنفيت عن قلبي، فوقع لي ثانياً، وثالثاً، فخرجت فإذا بالجنيد، فقال: لِمَ لم تخرج مع الخاطر الأول؟! وقال محمد بن الحسين البسطامي: دخلت على أبي عثمان المغربي، فقلت في نفسي: لعله يتشهى علي شيئاً؟ فقال أبو عثمان: لا يكفي الناس أن آخذ منهم حتى يريدوا مسألتي إياهم.

وقال بعض الفقهاء: كنت ببغداد، فوقع لي: أن المرتعش يأتيني بخمسة عشر درهماً؛ لأشتري بها الركوة، والحبل، والعل، وأدخل البادية: قال: فدق عليّ الباب، ففتحت، فإذا أنا بالمرتعش معه خريقة، فقال: خلها. فقلت: يا سيدي، لا أريدها!! فقال: فلم تؤذينا؟! كم أردت؟ فقلت: خمسة عشر درهماً. فقال: هي همسة عشر درهماً. وقال بعضهم في قوله تعالى: " أو من كان ميتاً فأحييناه " أي: ميت الذهن فأحياه الله تعالى بنور الفراسة، وجعل له نور التجلي والمشاهدة، لا يكون كمن يمشي بين أهل الغفلة غافلاً. وقيل: إذا صحت الفراسة ارتقى صاحبها إلى المشاهدة.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت محمد بن الحسين البغدادي يقول: سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول: سمعت أبا العباس بن مسروق يقول: قدم علينا شيخ، فكان يتكلم علينا في هذا الشأن بكلام حسن، وكان عذب اللسان، جيد الخاطر، فقال لنا في بعض كلامه: كل ما وقع لكم في خاطركم فقولوه لي. فوقع في قلبي أنه يهودي، وكان الخاطر يقوى ولا يزال. فذكرت ذلك للجريدي، فكبر عليه ذلك، فقلت: لا بد لي أن أخبر الرجل بذلك؛ فقلت له: تقول لنا ما وقع لكم في خاطركم فقولوه لي؛ إنه يقع: إنك يهودي!! فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال: صدقت، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. وقال: قد مارست جميع المذاهب وكنت أقول: إن كان مع قوم منهم شيء فمع هؤلاء؛ فداخلكم لأختبركم، فأنتم على الحق. وحسن إسلامه. ويحكي عن الجنيد: أنه كان يقول له السري: تكلم على الناس.

فقال الجنيد: وكان في قلبي حشمة من الكلام على الناس؛ فإني كنت أتهم نفسي في استحقاق ذلك. فرأيت ليلة النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وكانت ليلة جمعة، فقال لي: تكلم علي الناس. فانتهدت.. واتييت باب السري قبل أن أصبح؛ فدفقت عليه الباب، فقيل: لم تصدقنا حتى قيل لك؟ فقعد للناس في الجامع بالغد، فانتشر في الناس أن الجنيد قعد يتكلم على الناس؛ فوقف عليه غلام نصراني متكرراً، وقال له: أيها الشيخ، ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اتقوا فراسة المؤمن، فإن المؤمن ينظر بنور الله تعالى؟ ". قال: فأطرق الجنيد... ثم رفع رأسه وقال: أسلم؛ فقد حان وقت إسلامك. فأسلم الغلام.

باب الخلق

قال الله تعالى: " وإنك لعلی خُلِقِ عظیم " .

أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أبو الحسن الصفار البصري: قال: حدثنا هشام بن محمد بن غالب قال: حدثنا معلي بن مهدي قال: حدثنا بشار بن إبراهيم النميري، قال: حدثنا غيلان بن جرير عن أنس قال: " قيل يا رسول الله: أيُّ المؤمنين أفضل إيماناً؟ قال: أحسنهم خُلُقاً " .

إذ الخُلُق الحسن أفضل مناقب العبد، وبه يظهر جواهر الرجال، والإنسان مستور بخلقه مشهود بخُلُقهِ. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: إن الله تعالى، خص نبيه صلى الله عليه وسلم بما خصه به، ثم لم يشن عليه بشيء من خصاله بمثل ما أتى بخلقه؛ فقال عزَّ ن قائل: " وإنك لعلي خُلُق عظيم " . وقال الواسطي: وَصَفَهُ بِالخُلُقِ الْعَظِيمِ؛ لِأَنَّهُ جَاد بِالكَوْنِ، وَاكْفَى بِاللَّهِ تَعَالَى. وقال الواسطي أيضاً: الخُلُقُ الْعَظِيمُ: أَنْ لَا يُخَاصِمَ وَلَا يُخَاصِمُ، مِنْ شِدَّةِ مَعْرِفَتِهِ بِاللَّهِ تَعَالَى. وقال الحسين بن منصور: معناه: ولم يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك الحق.. وقال أبو سعيد الخراز: لم يكن لك همّة غير الله تعالى.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول: سمعت الكتاني يقول: التصوف خُلُق، من زاد عليك بالخلق، فقد زاد عليك في التصوف.

ويروي عن ابن عمر، رضي الله عنهما، أنه قال: إذا سمعتموني أقول لملوك: أخزاه الله فأشهلوا أنه حر. وقال القليل: لو أن العبد أحسن الإحسان كله، وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من الحسين. وقيل: كان ابن عمر، رضي الله عنهما، إذا رأى واحداً من عبده يُحسن الصلاة يعتقه. فعرفوا ذلك من خُلُقهِ، فكانوا يحسنون الصلاة مراءاة له، وكان يعتقهم، فليل له في ذلك. فقال: من خدعنا في الله اتخذنا له. سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت أبا محمد الجريري يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت الحارث المحاسبي يقول: فقدنا ثلاثة أشياء: حسن الوجه مع الصيانة، وحسن القول مع الأمانة، وحسن الإخاء مع الوفاء.

وسمعت يقول: سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول: الخلق: استصغار ما منك إليه واستعظام ما منه إليك. وقيل للأحنف: ممن تعلمت الخلق؟ فقال: ن قيس بن عاصم للنقري قيل: وما بلغ من خُلُقهِ؟ قال: بينا هو جالس في داره إذ جاءت خادم له بنفود عليه شواء، فسقط من يدها، فوقع علي ابن له، فمات، فدهشت الجارية، فقال: لا رَوْعَةَ عَلَيْكَ، أَنْتِ حُرَّةٌ لَوْجِهَ اللَّهِ تَعَالَى.

وقال شاه الكرماني: علامة حسن الخلق: كف الأذى، واحتمال المون. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق " .

وقيل لذي النون المصري: من كثر الناس هما؟ قال: أسوأهم خلفاً. وقال وهب: ما تخلق عبد يخلق أربعين صباحاً إلا جعله الله طبيعة فيه. وقال الحسن البصري في قول الله تعالى: " وثيابك فطهر " أي: وخلقك فحسن.. وقيل: كان لبعض النساك شاة فرآها على ثلاثة قوائم. فقال: من فعل بما هذا؟ فقال غلام له: أنا. فقال: لم؟ قال: لا غمك بما!! فقال: لا، بلا لأغمن من أمرك بذلك. أذهب فأنت حر. وقيل لإبراهيم بن أدهم: هل فرحت في الدنيا قط؟. فقال: نعم، مرتين إحداهما: كنت قاعداً ذات يوم فجاء إنسان وبال علي؛ والثانية: كنت قاعداً فجاء إنسان وصفعني.

وقيل: كان أويس القرني إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة، فيقول: إن كان ولا بد فارموني بالصغار: كيلا تدقوا ساقي فتمنعوني عن الصلاة.

وشتم رجل الأحنف بن قيس... وكان يتبعه... فلما قرب من الحي وقف، وقال: يا فتى، إن بقي شيء فقله؛ كيلا يسمعك بعض سفهاء الحي فيجيبوك.

وقيل لحاتم الأصم: أيمتلك الرجل من كل أحد؟.. فقال: نعم، إلا من نفسه.

وروي أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، دعا غلاماً له، فلم يجب، فدعاه ثانياً وثالثاً فلم يجبه، فقام إليه فرآه مضطجعاً، فقال: أما تسمع يا غلام؟ فقال: نعم. قال: فما حملك على ترك جوابي؟ فقال: أميت عقوبتك فتكاسلت. فقال: أمض؛ فأنتحر لوجه الله تعالى.

وقيل: نزل معروف الكرخي الدجلة ليتوضأ، ووضع مصحفه وملحفته، فجاءت امرأة وحملتها، فتبعها معروف، وقال: يا أختي، أنا معروف ولا بأس عليك، ألك ابن يقرأ؟ قالت: لا. قال: فزوج؟ قالت: لا، قال: فهاتي المصحف وخذي الثوب.

ودخل اللصوص مرة دار الشيخ أبي عبد الرحمن السلمى بالكعبة، وحملوا وجدوا، فسمعت بعض أصحابنا يقول: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول: اجترت بالسوق، فوجدت جيتي على من يزيد، فأعرضت، ولم ألتفت إليه. سمعت الشيخ أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج الطوسي يقول: سمعت الوجهي يقول: قال الجريري: قدمت من مكة، حرسها الله تعالى، فبدأت بالجنيدي، لكيلا يتعنى ألي، فسلمت عليه، ثم مضيت إلى المنزل، فلما صليت الصبح في المسجد إذا أنا به خلفي في الصف، فقلت: إنما جئتكم أمس لتلا تتعني، فقال: ذاك فضلك، وهذا حنك.

وسئل أبو حفص عن الخلق. فقال: هو ما اختار الله - عزَّ وجلَّ - لنبيه صلى الله عليه وسلم ي قوله تعالى: "خذ العفو وأمر بالعرف.. " الآية.

وقيل: الخلق: أن تكون من الناس قريباً، وفيما بينهم غريباً.

وقيل: الخلق قبول ما يرد عليك من جفاء الخلق، وقضاء الحق بلا ضجر ولا قلق.

وقيل: كان أبو ذر على حوض يسقي إبله، فأسرع بعض الناس إليه، فانكسر الحوض، فجلس، ثم اضطجع، فقيل له في ذلك فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا إذا غضب الرجل أن يجلس فإن ذهب عنه. وإلا فليضطجع.

وقيل: مكتوب في الإنجيل: عدي.. أذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب.

وقالت امرأة لملك بن دينار: يا مرأيتي!! فقال: يا هذه، وجدت اسمي الذي أضله أهل البصرة.

وقال لقمان لابنه: لا تُعرف ثلاثة إلا عند ثلاثة: الحليم عند الغضب والشجاع عند الحرب، والأخ عند الحاجة إليه.

وقال موسى، عليه السلام: إلهي، أسألك أن لا يقال ما ليس فيه؛ فأوحى الله سبحانه إليه: ما فعلت ذلك لنفسي،

فكيف أفعله لك؟ وقيل ليحيى بن زياد الحارثي، وكان له غلام سوء: لم تمسك هذا الغلام؟ فقال: لأتعلم عليه الحلم.

وقيل في قوله تعالى: " وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة " : الظاهرة: تسوية الخلق، والباطنة: تصفية الخلق.

وقال القعزيل: لأن يصحبي فأجر حسن الخلق أحب إليّ ن أن يصحبي عابدي الخلق.

وقيل: الخلق الحسن احتمال المكروه بحسن المداراة.

وحكي أن إبراهيم بن أدهم خرج إلى بعض البراري فاستقبله جنبيدي، فقال: أين العمران؟ فأشار إلى المقبرة، فضرب

رأسه وأوضحه، فلما جاوزه، قيل له: إنه إبراهيم بن أدهم زاهد خراسان فجاءه يعتذر إليه، قال: إنك لما ضربتني سألت الله تعالى لك الجنة. فقال: لم؟ فقال علمت أبي أوجر عليه، فلم أرد أن يكون نصيبي منك الخير، ونصيبك مني الشر.

وحكي أن أبا عثمان الخيري دعاه إنسان إلى ضيافة، فلما وافى باب داره قال: يا أستاذ، ليس الآن وقت دخولك، وقد ندمت، فانصرف، فرجع أبو عثمان، فلما وافى منزله عاد إليه الرجل، وقال: يا أستاذ، ندمت!! وأخذ يعتذر إليه، وقال أحضر الساعة.. فقام أبو عثمان ومضى، فلما وافى باب داره قال: مثل ما قال في الأولى، ثم كذلك فعل في الثالثة والرابعة، وأبو عثمان ينصرف ويحضر، فلما كان يعد مرات قال: يا أستاذ، أردت اختبارك. وأخذ يعتذر ويمدحه، فقال أبو عثمان: لا تمدحني على خلق تجد مثله مع الكلاب: الكلب إذا دعي حضر، وإذا زجر انزجر.

وقيل: إن أبا عثمان اجتاز بسكة وقت الهاجرة، فألقى عليه من سطح طشت رماد، فتغير أصحابه، وبسطوا ألسنتهم في الملقى، فقال أبو عثمان: لا تقولوا شيئاً، من استحق أن يصبَّ عليه النار، فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب. وقيل: نزل بعض الفقراء على جعفر بن حنظلة، فكان جعفر يخدمه جداً، والفقير يقول: نعم الرجل أنت لو لم تكن يهودياً!! فقال جعفر: عقيدتي لا تقدر فيما تحتاج إليه من الخدمة؛ فسل لنفسك الشفاء ولي الهداية. وقيل: كان لعبد الله الحياط حرّيف مجوسي، يخيظ له ثياباً، ويدفع إليه دراهم زيوفاً، وكان عبد الله يأخذها.. فاتفق أنه قام من حانوته يوماً لشغل، فجاء بالدراهم الزيوف، فدفعها إلى تلميذه، فلم يقبلها، فدفع إليه الصحاح، فلما رجع عبد الله قال لتلميذه: أين قميص المجوسي؟ فذكر له القصة.. فقال: بنس ما عملت؟ إنه منذ مدة يعاملني بمنزلها، وأنا أصبر عليه، وألقيها في بئر، لتلا يغر بها غيري.

وقيل: الخلق السيء يضيق قلب صاحبه؛ لأنه لا يسع فيه غير مراده، كالمكان الضيق لا يسع غير صاحبه.

وقيل حسن الخلق: أن لا تتغير ممن يقف في الصفّ بجنبك.

وقيل: من سوء خلقك: وقوع بصرك على سوء خلق غيرك.

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن الشؤم، فقال: "سوء الخلق".

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الأهوازي، قال: حدثنا أبو الحسن الصغار البصري قال: حدثنا معاذ بن المثني قال: حدثنا يحيى بن معني قال: حدثنا مروان الفزاري قال: حدثنا يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قيل: يا رسول الله، ادع الله تعالى على المشركين. فقال: "إنما بعثت رحمة، ولم أبعث عذاباً".

باب الجود والسخاء

قال الله عزّ وجلّ: "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة".

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال: أخبرنا أحمد بن عبيد قال: حدثنا الحسن بن العباس قال: حدثنا سهل قال: حدثنا سعيد بن مسلم، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم، عن علقمة، عن عائشة، رضي الله عنهما، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "السخس: قريب من الله تعالى، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد عن النار.

والبخيل: بعيد من الله تعالى، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار.
والجاهل السخيّ أحب إلى الله تعالى من العابد البخيل".
قال الأستاذ: ولا فرق - على لسان القوم - بين الجود والسخاء، ولا يوصف الحق، سبحانه، بالسخاء والسماحة؛ لعدم التوقيف.

وحقبة الجود: أن لا يصعب عليه البذل.
وعند القوم، السخاء: هو الرتبة الأولى، ثم الجود بعده، ثم الإيتار؛ فمن أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء، ومن بذل الأكثر، وأبقى لنفسه شيئاً، فهو صاحب إيتار، كذلك سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق، رحمه الله، يقول: أسماء بن خارجة: ما أحبّ أن أرد أحداً عن حاجة طلبهمني؛ لأنه إن كان كريماً أصون عرضه، وإن كان لئيماً أصون عنه عرضي.

وقيل: كان مورق العجلي يتلطف في إدخال الرفق على إخوانه؛ يضع عندهم ألف درهم، فيقول: أمسكوها عنديكم حتى أعود إليكم. ثم يرسل إليهم: أتم منها في حلّ.
وقيل: لقي رجل من أهل منبج رجلاً من أهل المدينة، فقال: ممن الرجل؟ فقال: من أهل المدينة، فقال له: لقد أتانا رجل منكم يقال له الحكم ابن عبد المطلب فأغنانا. فقال له المدني: وكيف؟ وما أتاكم إلا في جبة صوف! فقال: ما أغنانا بمال، ولكنه علمنا الكرم. فعاد بعضنا على بعض حتى استغينا.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق يقول: لما سعى غلام الخليل بالصوفية إلى الخليفة أمر بضرب أعناقهم؛ فأما الجنيد فإنه تستر بالفقر، وكان بفتى علي مذهب أبي ثور، وأما الشحام، والرقام، والنوري، وجماعة، فقبض عليهم؛ فبسط النطع لضرب أعناقهم.. فتقدم النوري فقال له السياف: تدري الى ماذا تبادر؟. فقال: نعم فقال وما يعجلك؟ فقال أوثر عليّ أصحابي بحياة ساعة.

فتحير السياف، وأنهى الخبر إلى الخليفة، فردهم إلى القاضي؛ ليتعرف حالهم؛ فألقى القاضي على أبي الحسين النوري مسائل فقهية، فأجابته الكل، ثم أخذ يقول: وبعد؛ فإنه لله عبداً قاموا بالله، وإذا نطقوا نطقوا بالله، وسرد ألفاظاً أبكى بها القاضي فأرسل القاضي إلى الخليفة، وقال: إن كان هؤلاء زنادقة: فما على وجه الأرض مسلم.
وقيل: كان عليّ بن القضييل يشتري من باعة المحلة؛ فقبل له: لو دخلت السوق فاسترخصت.
فقال: هؤلاء نزلوا بقرينا رجاء منفعتنا.

وقيل: بعث رجل إلى جبلة بجارية، وكان بين أصحابه، فقال: قبيح أن اتخذها لنفسه وأنتم حضور؛ وأكره أن أحص بها واحداً، وكلكم له حق وحرمة. وهذه لا تحتل القسمة، وكانوا ثمانين؛ فأمر لكل واحد بجارية أو وصيف.
وقيل: عطش عبید الله بن أبي بكر يوماً في طريقه، فاستسقى من منزل امرأة، فأخرجت له كوزاً، وقامت خلف الباب، وقالت: تتحوا عن الباب، وليأخذه بعض غلمانكم، فإني امرأة من العرب: مات خادمي منذ أيام، فشرب عبید الله تسخري؟. فقال: أحمل إليها عشرين ألف درهم. فقالت: أسأل الله تعالى العافية. فقال: يا غلام أحمل إليها ثلاثين ألف درهم، فردت الباب وقالت: أف لك. فحمل إليها ثلاثين ألف درهم، فأخذتها فما أمسحت حتى كثر خطابها.

وقيل: الجود: إجابة خاطر الأول:

سمعت بعض أصحاب أبي الحسن البوشنجي، رحمه الله، يقول: كان أبو الحسن البوشنجي في الخلاء، فدعا تلميذاً له، وقال له: انزع عني هذا القميص، وادفعه إلى فلان؛ فقبل له: هلا صبرت حتى تخرج من الخلاء؟ فقال: لم آمن على

نفسى أن يتغير على ما وقع لي من التخلف منه بذلك القميص.

وقيل لقيس بن سعد بن عباد: هل رأيت أحداً أسخى منك؟ فقال له: نعم؛ نزلنا بالبادية على امرأة، فحضر زوجها، فقالت له: إنه نزل بك ضيفان، فجاء بناقة ونحرها، وقال: شأنكم بما.. فلما كان بالغد جاء بأخرى ونحرها، وقال: شأنكم بما، فقلنا: ما أكلنا من التي نحرنا لنا البارحة إلا اليسير: فقال: إني لأطعم أضيافي الغاب. فبقينا عنده يومين أو ثلاثة، والسماء تمطر، وهو يفعل كذلك. فلما أردنا الرحيل وضعنا له مائة دينار في بيته، وقلنا للمرأة: اعتذري لنا إليه.. ومضينا، فلما مَتَعَ النهار إذا نحن برجل يصيح خلفنا: قفوا أيها الركب اللثام: أعطيتموني ثمن قرابي... ثم إنه لحقنا وقال: لناخذنه، وإلا طعنتكم برمحي هذا. فأخذناه وانصرف، فأنشأ يقول:

وإذا أخذت ثواب ما أعطيته... فكفى بذاك لنائل تكديرا

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله يقول: دخل أبو عبد الله الروزباري دار بعض أصحابه، فوجده غائبا، وباب بيت له مقفل، فقال: صوفي وله باب بيت مقفل!! كسروا القفل، فكسروا القفل وأمر بجميع ما وجد في الدار والبيت، وأنفذه إلى السوق، وباعوه، وأصلحوا وقتاً من الثمن، وقعدوا في الدار.. فدخل صاحب المنزل ولم يمكنه أن يقول شيئاً.

فدخلت امرأته بعدهم الدار، وعليها كساء، فدخلت بيتاً، ورمت الكساء، وقالت: يا أصحابنا، هذا أيضاً من جملة المتاع فيبعوه. فقال الزوج لها: لِمَ تكلفت هذا باختيارك؟ فقالت له: اسكت، مثل هذا الشيخ يباسطنا، ويحكم علينا، ويبقى لنا شيء ندخره عنه؟ وقال بشر بن الحارث: النظر إلى البخيل يقسى القلب. وقيل مرض قيس بن سعد بن عباد، فاستبطأ إخوانه. فسأل عنهم، فقبل له: إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين؛ فقال: أخزى الله مالا يمنع الإخوان من الزيارة!! ثم أمر من ينادي من كان لقيس عليه دين فهو منه في حل، فكسرت عتبه بالعمشى، لكثرة ما عاده.

وقيل لعبد الله بن جعفر: إنك تبذل الكثير إذا سئلت، وتضنُّ في القليل إذا نُجرت.

فقال: إني أبذل مالي وأضنُّ بعقلي.

وقيل: خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له.. فنزل على نخيل قوم: وفيها غلام أسود يعمل فيها؛ إذ أتى الغلام بقوته، فدخل كلب الحائط ودنا من الغلام، فرمى إليه الغلام بقصر، فأكله، ثم رمى إليه بالثاني، والثالث، فأكله، وعبد الله بن جعفر ينظر إليه فقال له: يا غلام، كم قوتك كل يوم؟ قال: ما رأيت: قال: فلم آثرت هذا الكلب؟ قال: ما هي بأرض كلاب، نه جاء من مسافة بعيدة جائعاً، فكرهت رده. قال: فما أنت صانع اليوم؟ قال له: أطوي يومي هذا. فقال عبد الله بن جعفر: أألام على السخاء؟! إن هذا الأسخى مني، فاشترى الحائط والغلام وما فيها من آلات، فأعتق الغلام ووهبها له.

وقيل: أتى رجل صديقاً له، ودق عليه الباب، فلما خرج إليه قال: لماذا جئتني؟ قال لأربعمائة درهم دين ركبتي، فدخل الدار، ووزن له أربعمائة درهم وأخرجها إليه، ودخل الدار باكياً، فقالت له امرأته: هلا تعللت حين شق عليك الإجابة؟! فقال: إنما أبكي لأني لم أتفقد حاله حتى أحتاج إلى مفاتيحي به.

وقال مطرف بن الشخير: ذا أراد أحدكم مني حاجة فليرفها في رقعة؟ فإني أكره أن أرى في وجهه ذل الحاجة.

وقيل: أراد رجل أن يضار عبد الله بن العباس، فأتى وجوه البلد وقال لهم: يقول لكم ابن العباس تعدوا عندي اليوم. فأتوه، فملئوا الدار، فقال: ما هذا؟ فأخبر الخبر فأمر بشراء الفواكه الوقت، وأمر بالخبز، والطبخ، وأصلح

أمراً، فلما فرغوا قال لوكلائه: أموجوج لنا كل يوم هذا؟ فقالوا: نعم. فقال: فليتغد هؤلاء كلهم عندنا كل يوم. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، يقول: كان الأستاذ أبو سهل الصعلوكي يوضأ يوماً في صحن داره، فدخل إليه إنسان وسله شيئاً من الدنيا، ولم يحضر شيء، فقال: أصبر حتى أفرغ.

فصبر.. فلما فرغ قال له: خذ القمقمة واخرج. فأخذها، وخرج، ثم صبر حتى علم أنه بعد، فصاح وقال: دخل إنسان وأخذ القمقمة. فمشوا خلفه، فلم يدركوه.

وإنما فعل ذلك: لأن أهل المنزل كانوا يلومونه على كثرة البذل.

وسمعه يقول: وهب الأستاذ أبو سهل جبته من إنسان في الشتاء، وكان يلبس جبة النساء حين يخرج إلى التدريس، إذ لم تكن له جبة أخرى، فقدم الوفد المعروفون من فارس، فيهم من كل نوع: إمام من الفقهاء، والمتكلمين، والنحويين، فأرسل إليه صاحب لجيش أبو الحسن وأمره بأن يركب للاستقبال فلبس ذراعاً فوق تلك الجبة التي للنساء، وركب، فقال صاحب لجيش: إنه يستخف بي أمام البلد؛ يركب في جبة النساء!! ثم إنه ناظرهم أجمعين فظهر كلامه على كلام جميعهم في كل فن.

وسمعه يقول: لم يناول الأستاذ أبو سهل أحداً شيئاً بيده، وكان يطرحه على الأرض ليأخذه الآخذ من الأرض، وكان يقول: الدنيا أقل خطراً أن أرى لأجلها يدي فوق يد أحد. وقد قال صلى الله عليه وسلم: " اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى " .

وقيل: كان أبو مرتد، رحمه الله، أحد الكرام، فمدحه بعض الشعراء، فقال: ما عندي ما أعطيك، ولكن قدمني إلى القاضي، وادع عليّ عشرة آلاف درهم، حتى أقرّ لك بها، ثم أحبسني، فإن أهلي لا يتركوني مسجوناً. ففعل ذلك، فلم يُمس حتى دُفع إليه عشرة آلاف درهم، وخر من السجن.

وقيل: سأل رجل الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه شيئاً فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار، وقيل: أتت بحمال يحمل له. فأتى بحمال فأعطاه طيلسانه وقال: يكون كراء الحمال من قبلي.

وسألت امرأة الليث بن سعد سكرجة عسل، فأمرها بزق من عسل فقيل له في ذلك، فقال: إنما سألت علي قدر حاجتها، ونحن نعطيها على قدر نعمنا.

وقال بعضهم صليت في مسجد الأشعث بالكوفة الصبح أطلب غريماً لي، فلما سلمت وُضع بين يدي كل واحد حلة ونعلين. وكذلك وضع بين يدي، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: إن الأشعث قدم من مكة، فأمر بهذا لأهل جماعة مسجده.

فقلت: إنما جئت أطلب غريماً لي، ولست من جماعته.

فقالوا: ولكل من حضر.

وقيل: لما قربت وفاة الشافعي، رضي الله تعالى عنه، قال: مُروا فلاناً يغسلني.

وكان الرجل غائباً.. فلما قدم أخبر بذلك، فدعا بتذكرته. فوجد عليه سبعين ألف درهم ديناً، ففضها، وقال: هذا غسلني إياه.

وقيل: لما قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة كان معه عشرة آلاف دينار، فقيل له: تشتري بها قنية فضرِب خيمته خارج مكة، وصبّ الدنانير، فكل من دخل عليه كان يعطيه قبضة قبضة، فلما جاء وقت الظهر قام ونفض الثوب ولم يبق شيء.

وقيل: خرج السريّ يوم عيد، فاستقبله رجل كبير الشأن، فسلم السريّ عليه سالماً ناقصاً. فقيل له: هذا رجل

كبير الشأن. فقال: قد عرفته، ولكن روي مسنداً: أنه إذا التقى المسلمان قُسمت بينهما مائة رحمة: تسعون لأبشهما، فأردت أن يكون معه الأكثر.

وقيل: بكرى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوماً، فقيل له: ما يبيحك؟ فقال: لم يأتيني ضيف منذ سبعة أيام، وأخاف أن يكون الله تعالى قد أهانني.

وروي عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، أنه قال: زكاة الدار أن يتخذ فيها بيت للضيافة.

وقيل في قوله تعالى: " هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين.. ". قيل قيامه عليهم بنفسه، وقيل: لأن ضيف الكرم كرم.

وقال إبراهيم بن الجنيد: كان يقال: أربعة لا ينبغي للشريف أن ينف منهن، وإن كان أميراً: قيامه من مجلسه لأبيه، وخدمته لضيفه، وخدمته لعالم يتعلم منه، والسؤال عما لم يعلم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: " ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً " : إنهم كانوا يتحرجون في أن يأكل أحدهم وحده؛ فرخص لهم في ذلك.

وقيل: أضاف عبد الله بن عامر بن كريز رجلاً، فأحسن قراه، فلما أراد الرجل أن يرتحل عنه لم يُعنه غلماناه، فقيل له في ذلك. فقال عبد الله: إنهم لا يعينون من يرتحل عنا.

أنشد عبد الله بن باكوية الصوفي قال: أنشدنا المتني في معناه:

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ... أن لا يفارقهم فالراحلون هم

وقال عبد الله بن المبارك: سخاء النفس عما في أيدي الناس أفضل من سخاء النفس بالبدل.

وقال بعضهم: دخلت على بشر بن الحارث في يوم شديد البرد وقد تعرى من الثياب وهو يتنفض، فقلت: يا أبا نصر، الناس يزيدون في الثياب في مثل هذا اليوم وأنت قد نقصت؟! فقال: ذكرت الفقراء وما هم فيه، ولم يكن لي ما أواسيهم به، فأردت أن أراقم بنفسي في مقاساة البرد.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الدقاق يقول: ليس السخاء أن يعطي الواحد المعدم، إنما السخاء أن يُعطي المعدم الواحد.

باب الغيرة

قال الله تعالى: " قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن " .

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس المزكي قال: أخبرنا أبو أحمد حمزة ابن العباس البزاز ببغداد قال: حدثنا محمد بن غالب بن حرب قال: حدثنا عبد الله ابن مسلم، قال: حدثنا محمد بن الفرات، عن إبراهيم الهجري، عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما أحدٌ أغبر من الله تعالى، ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن " .

أخبرنا عليّ بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، قال: حدثنا علي بن الحسن بن بنان قال: حدثنا عبد الله بن رجاء قال: أخبرنا حرب بن شداد قال: حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة: أن أبا هريرة، رضي الله عنه، حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وغيره الله تعالى: أن يتي العبد

المؤمن ما حرّم الله عليه .

والغيرة: كراهية مشاركة الغير، وإذا وُصف الله سبحانه بالغيرة، فمعناه: أنه لا يرضى بمشاركة الغير معه فيما هو حق له تعالى من طاعة عبده له.

حكى عن السريّ السقطي: أنه قرىء بين يديه: " وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً " . فقال السريّ لأصحابه: أتدرون ما هذا الحجاب؟! هذا حجاب الغيرة، ولا أحد أغير من الله تعالى.

ومعنى قوله: " هذا حجاب الغيرة " يعني: أنه لم يجعل الكافرين أهلاً لمعرفة صدق الدين. وكان الأستاذ أبو علي الدقاق، رحمه الله، يقول: إن أصحاب الكل عن عبادته تعالى هم الذين ربط الحق بأقدامهم مثقلة الخلالان. فأختار لهم البعد عنه، وأخرهم عن محل القرب؛ ولذلك تأخروا. وأنشئوا:

أنا صبّ لمن هويتُ ولكن ... ما احتياي لسوء رأي المولي
وفي معناه أيضاً قالوا: سقيم ليس يُعادُ ومريد ولا يُراد.

سمعت الأستاذ أبا علي، رحمه الله، يقول: سمعت العباس الزوزني يقول: كان لي بداية حسنة.. وكنت أعرف كم بقي بيني وبين الوصول إلى مقصودي من الظفر بمرادي، فرأيت ليلة من الليالي في المنام: كأني أتدهده من خالق الجبل، فأردت الوصول إلى ذروته. قال: فحزنت، فأخذني النوم فرأيت قاتلاً يقول: يا عباس، الحق لم يُرد منك أن تصل إلى ما كنت تطلب، ولكنه فتح علي لسانك الحكمة، قال: فأصبحت وقد أهمت كلمات الحكمة. وسمعت الأستاذ أبا علي، رحمه الله، يقول: كان شيخ من الشيوخ له حال ووقت مع الله، فخفي مدّة لم يُر بين الفقراء، ثم إنه ظهر بعد ذلك لا علي ما كان عليه من الوقت. فسئل عنه فقال: آه. وقع حجاب. وكان الأستاذ أبو علي، رحمه الله تعالى، إذا وقع شيء في خلال المجلس يشوش قلوب الحاضرين يقول: هذا من غيرة الحق سبحانه، يريد أن لا يجري عليهم ما يجري من صفاء هذا الوقت. وأنشئوا في معناه:

همت ياتياننا حتى إذا نظرت ... إلى المرأة لهاها وجهها الحسن
وقيل لبعضهم: تريد أن تراه؟ فقال: لا، فقيل: لم؟ فقال: أتراه ذلك الجمال عن نظر مثلي.
وفي معناه أنشدوا:

إني لأحسدُ ناظري عليك ... حتى أغض إذا نظرت إليك
وأراك تخطر في شمائلك التي ... هي فتنتي فأغار منك عليك
وسئل الشبلي: متى تستريح؟ فقال: إذا لم أر له ذكراً.
سمعت الأستاذ أبا علي، رحمه الله. يقول: في قول النبي صلى الله عليه وسلم في مبايعته فرساً من أعرابي، وأنه استقاله فأقاله، فقال الأعرابي: عمرك الله تعالى، ممن أنت؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أمرؤ من قريش.
فقال بعض أصحابه من الحاضرين للأعرابي: كفاك جفاء أن لا تعرف نبيك!..

وكان رحمه الله يقول: إنما قال امرؤ من قريش غيرة، وإلا كان واجباً عليه التعرف إلى كل أحد: أنه من هو؟.. ثم إن الله؛ سبحانه، أجرى علي لسان ذلك الصحابي التعريف للأعرابي يقول: كفاك جفاء أن لا تعرف نبيك!.. من الناس من قال: إن الغيرة من صفات أهل البداية، وإن الموحد لا يشهد الغيرة، ولا يتصف بالاختيار، وليس له فيما

يجري في المملكة تحكم، بل الحق سبحانه، أولى بالأشياء فيما يقضي على ما يقضي.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت أبا عثمان الغربي يقول: الغيرة عمل المريدين، فأما أهل الحقائق فلا.

وسمعته يقول: سمعت أبا نصر الأصبهاني يقول: سمعت الشبلي يقول: الغيرة غيرتان: غيرة البشرية على النفوس، وغيرة الإلهية على القلوب.

وقال الشبلي أيضاً: غيرة الإلهية على الأنفاس أن تضيع فيما سوى الله تعالى، والواجب أن يقال: الغيرة غيرتان: غيرة الحق، سبحانه، على العبد: وهو أن لا يجعله للخلق، فيضن به عليهم وغيرة العبد للحق، وهو أن لا يجعل شيئاً من أحواله وأنفاسه لغير الحق تعالى فلا يقال: أنا أغار على الله تعالى، ولكن يقال: أنا أغار الله، فإذا الغيرة على الله تعالى جهل، وربما تؤدي إلى ترك الدين؛ والغيرة لله توجب تعظيم حقوقه وتصفية الأعمال له.

واعلموا أن من سنة الحق، تعالى، مع أوليائه: أنهم إذا ساكنوا غيراً، أو لاحظوا شيئاً، أو ضاجعوا بقلوبهم شيئاً، شوّش عليهم ذلك، فيغار على قلوبهم بأن يعيدها خالصة لنفسه، فارغة عما ساكنوه أو لاحظوه أو ضاجعوه، كآدم، عليه السلام، لما وطن نفسه على الخلود في الجنة أخرجته منها.

وإبراهيم، عليه السلام، لما أعجبه إسماعيل، عليه السلام، أمره بذبحه حتى أخرجته من قلبه فلما أسلما وتله للجين وصفا سره منه أمره بالفداء عنه.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت أبا زيد المروزي، رحمه الله، يقول: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: سمعت محمد بن حسان يقول: بينا أنا أدور في جبل لبنان، إذ خرج علينا رجل شاب قد أحرقتة السموم والرياح؛ فلما نظر إليّ ولى هارباً، فتنبعه، وقلت له تعطني بكلمة؟ فقال لي: احذر، فإنه غيور، لا يجب أن يرى في قلب عبده سواه.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن، رحمه الله، يقول: قال النصراباذي: الحق تعالى غيور، ومن غيرته: أنه لم يجعل إليه طريقاً سواه.

وقيل: أوحى الله، سبحانه، إلى بعض أنبيائه: أنّ لقان إلى حاجة، ولي أيضاً إليه حاجة، فإن قضى حاجتي قضيت حاجته؛ فقال ذلك النبي، عليه السلام في مناجاته: إلهي؛ كيف يكون ذلك حاجة؟ فقال: إنه ساكن بقلبه غيري فليفرغ قلبه عنه أفض حاجته.

وقيل: ن أبا يزيد البسطامي رأى جماعة من الحور العين في منامه.. فنظر إليهن، فسلب وقته أياماً، ثم إنه رأى في منامه جماعة منهن، فلم يلتفت إليهن وقال: إنكنّ شواغل.

وقيل: مرضت رابعة العدوية، فقيل لها: ما سبب علنك؟ فقالت: نظرت بقلبي إلى الجنة فأدبني، فله العتبي، لا أعود ويحكى عن السري أنه قال: كنت أطلب رجلاً صديقاً لي مدة من الأوقات فمررت في بعض الجبال: فإذا أنا بجماعة زمي وعميان ومرضي، فسألت عن حالهم، فقالوا: هاهنا يخرج في السنة مرة يدعو لهم فيجدون الشفاء، فصبرت حتى خرج.. ودعا لهم فوجدوا الشفاء، فقفوت أثره وتعلقت به، وقلت له بي علة باطنة!! ان فما دواؤها؟ فقال: يا سري، خلّ عني، فإنه - تعالى - غيور لا يراك تساكين غيره فتسقط من عينه.

قال الأستاذ: ومنهم من غيرته، حين يرى الناس يذكرونه، تعالى بالغفلة فلا يمكنه رؤية ذلك وتشق عليه.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق، رحمه الله، يقول: لما دخل الأعرابي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبال فيه، وتبادر إليه الصحابة لإخراجه، قال، رحمه الله، إنما أساء الأعرابي الأدب، ولكن الخجل وقع على أصحابه،

والمشقة حصلت لهم حين رأوا من وضع خشمته، كذلك العبد إذا عرف جلال قدره، سبحانه يشقُّ عليه سماع ذكر من يذكره بالغفلة، وطاعة من لا يعبد بالحرمة.

حكى أنا أبا بكر الشبلي مات له ابن كان اسمه أبا الحسن فجزعت أمه عليه، وقطعت شعر رأسها. فدخل الشبلي الحمام وتنور بلحيته، فكل من أتاه معزياً قال: ما هذا يا أبا بكر؟ فكان يقول: موافقة لأهلي. فقال له بعضهم: أخبرني يا أبا بكر لم فعلت هذا؟

فقال: علمت أنهم يعزوني على الغفلة، ويقولون: آجرك الله تعالى، ففديت ذكرهم لله تعالى بالغفلة بلحيتي. وسمع النوري رجلاً يؤذن، فقال: طعنة وسم الموت، وسمع كلباً ينبح فقال: ليك وسعديك. فقيل له: إن هذا ترك للدين.. فنه يقول للمؤمن في تشهده طعنة وسم الموت، ويلبي عند نباح الكلاب، فسئل عن ذلك فقال أما ذلك فكان ذكره لله على رأس الغفلة، وأما الكلب فقال تعالى: " وإن من شيء إلا يسبح بحمده ". وأذن الشبلي مرة، فلما انتهى إلى الشهادتين قال: لولا أنك أمرتني ما ذكرتُ معك غيرك. وسمع رجلاً رجلاً يقول: جلَّ اللهُ. فقال له: أحبُّ أن تله عن هذا. سمعت بعض الفقهاء يقول: سمعت أبا الحسن الخرفاني رحمه الله يقول: لا إله إلا الله من داخل القلب. محمد رسول الله من القرب ومن نظر إلى ظهر هذا اللفظ توهم أنه استصغر الشرع. ولا كما يخضر بالبال، إذ الإخطار للأغيار بالإضافة إلى قدر الحق سبحانه متصاغرة في التحقيق.

باب الولاية

قال الله تعالى: " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ". أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي، رحمه الله، قال: حدثنا عبد الله بن عدي الحافظ، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن هارون بن حميد، قال: حدثنا محمد بن هارون المقرئ قال: حدثنا حماد الخياط، عن عبد الواحد بن ميمون مولى عروة، عن عروة، عن عائشة، رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يقول الله تعالى: من آذى ولياً فقد استحل محاربي، وما تقرب إلى العبد بمثل أداء ما افترضت عليه، وما يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، وما ترددت في شيء أنا فاعلة كترددني في قبض روح عبدي المؤمن؛ لأنه يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه. الوالي: له معنيان: أحدهما: فاعيل بمعنى مفعول، وهو من يتولى الله سبحانه أمره؛ قال الله تعالى: " وهو يتولى الصالحين " فلا يكله إلى نفسه لحظة، بل يتولى الحق، سبحانه، رعايته.

والثاني: فاعيل مبالغة من الفاعل، وهو الذي يتولى عبادة الله وطاعته، فعبادته تجري على التواهي، من غير أن يتخللها عصيان.

وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي ولياً: يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء، ودوام حفظ الله تعالى إياه في السراء والضراء.

ومن شرط الولي: أن يكون محفوظاً، كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً، فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخدوع.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله، قصد أبو يزيد البسطامي بعض من وصف بالولاية، فلما وافى مسجده قعد

ينتظر خروجه، فخرج الرجل، وتشم في المسجد، فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه. وقال: هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة، فكيف يكون أميناً على أسرار الحق؟! واختلفوا في أن الولي: هل يجوز أن يعلم أنه ولي، أم لا؟ فمنهم من قال: لا يجوز ذلك؛ وقال: إن الولي يلاحظ نفسه بعين التصغير، وإن ظهر عليه شيء من الكرامات خاف أن يكون مكرراً، وهو يستشعر الخوف دائماً أبداً؛ لخوف سقوطه عما هو فيه، وأن تكون عاقبته بخلاف حاله، وهؤلاء يجعلون من شرط الولاية: وفاء المآل.

وقد ورد في هذا الباب حكايات كثيرة عن الشيوخ، وإليه ذهب من شيوخ هذه الطائفة جماعة لا يحصون، ولو اشتغلنا بذكر ما قالوا لخرجنا عن حد الاختصار، وإلى هذا كان يذب من شيوخنا الذين لقبناهم بالإمام أبو بكر بن فورك، رحمه الله.

ومنهم من قال: يجوز أي علم الولي أنه ولي، وليس من شرط تحقيق الولاية في الحال الوفاء في المآل. ثم إن كان ذلك من شرطه أيضاً فيجوز أن يكون هذا الوليُّ حُصَّ بكرامة هي: تعريف الحق إياه أنه مأمون العاقبة؛ إذ القول بجواز كرامات الأولياء واجب، وهو وإن قارفه خوف العقابة، فما هو عليه من الهيبة والتعظيم والإجلال في الحال أتم وأشد؛ فإن اليسير من التعظيم والهيبة أهدأ للقلوب من كثير من الخوف. ولما قال صلى الله عليه وسلم: " عشرة في الجنة من أصحابي " ، فالعشرة - لا محالة - صدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم وعرفوا سلامة عاقبتهم، ثم لم يقدح ذلك في حالهم.

ولأن من شرط صحة المعرفة بالنبوة: الوقوف على حد المعجزة، ويدخل في جملته العلمُ بحقيقة الكرامات، فإذا رأى الكرامات ظاهرة عليه لا يمكنه أن لا يميز بينها وبين غيرها، فإذا رأى شيئاً من ذلك علم أنه في الحال على الحق. ثم يجوز أن يعرف أنه في المآل يبقى على هذه الحالة، ويكون هذا التعريف كرامة له. والقول بكرامات الأولياء صحيح.

وكثير من حكايات القوم يدل على ذلك كما نذكر طرفاً من ذلك في باب كرامات الأولياء إن شاء الله تعالى. وإلى هذا القول كان يذهب من شيوخنا الذين لقبناهم، الأستاذ أبو علي الدقاق، رحمه الله. وقيل: إن إبراهيم بن أدهم قال لرجل: اتَّحِبُّ أن تكون لله ولياً؟ فقال: نعم، فقال: لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة؛ وفرغ نفسك لله تعالى، وأقبل بوجهك عليه ليُقبل عليك ويواليك. وقال يحيى بن معاذ في صفة الأولياء: هم عباد تسربلوا بالأنس بالله تعالى بعد المكابدة، واعتنقوا الروح بعد الجاهدة، بوصولهم إلى مقام الولاية.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت عمي البسطامي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا يزيد يقول: أولياء الله تعالى عرائس الله.. ولا يرى العرائس إلا الخرومون. وهم مخدرون عنده في حجاب الأنس، لا يراهم أحد في الدنيا ولا في الآخرة.

سمعت أبا بكر الصيدلاني - كان رجلاً صالحاً - قال: كنت أصلح اللوح في قبر أبي بكر الطمستاني أقر فيه اسمه في مقبرة الحيرة كثيراً، وكان يقلع ذلك اللوح ويُسرق!! ولم يقع مثله في غيره من القبور، فكنت أتعجب منه، فسألت أبا علي الدقاق، رحمه الله، يوماً عن ذلك فقال: إن ذلك الشيخ أثر الخلفاء في الدنيا، وأنت تريد أن تشهر قبره باللوح الذي تصلحه فيه، وإن الحق سبحانه يأبى إلا إخفاء قبره، كما آثر هو ستر نفسه.

وقال أبو عثمان المغربي: الوليُّ قد يكون مشهوراً، ولكن لا يكون مفتوناً..

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: سمعت النصرابادي يقول: ليس للأولياء سؤال؛ إنما هو

الذبول والحمول.

قال: وسمعتة يقول: نهایات الأولیاء بدايات الأنبياء.

وقال سهل بن عبد الله: الوليُّ هو الذي توالى أفعال علي الموافقة.

وكان يحيى بن معاذ: الولي لا يراني، ولا يناقني، وما أقل صديق من كان هذا خلقه!! وقال أبو علي الجوزجاني: الولي هو الفاني في حاله، الباقي في مشاهدة الحق سبحانه، تولى الله سياسته فتوالى عليه أنوار النبوة، لم يكن له عن نفسه إخبار ولا مع غير الله قرار.

وقال أبو يزيد: حظوظ الأولياء مع تباينها من أربعة أسماء، وقيام كل فريق منهم باسم؛ وهو: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، فمتى فني عنها بعد ملاستها فهو الكامل التام، فمن كان حظه من اسمه تعالى الظاهر لاحظ عجائب قدرته ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى في السرائر من أنواره. ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى في السرائر من أنواره. ومن كان حظه من اسمه الأول كان شغله بما سبق، ومن كان حظه من اسمه الآخر كان مرتبطاً بما يستقبله، وكل كوشف علي قدر طاقته إلا من تولاه الحق، سبحانه ببه، وقام عنه بنفسه. وهذا الذي قاله أبو يزيد يشير إلي أن الخواص من عباده ارتقوا عن هذه الأقسام، فلا العواقب هم في ذكرها، ولا السوابق هم في فكرها، ولا الطوارق هم في أسرها.. وكذا أصحاب الحقائق يكونون محوياً عن نعوت الخلائق كما قال الله تعالى: " وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود " .

وقال يحيى بن معاذ: الولي ربحان الله، تعالى، في الأرض، يشمه الصديقون فصل راتحته إلى قلوبهم فيشتاقون به إلى مولاهم، ويزدادون عبادة على تفاوت أخلاقهم.

وسئل الواسطي: كيف يُعذَى الولي في ولايته؟ فقال: في بدايته بعبادته وفي كهولته بستره بلطافته، ثم يجذبه إلى ما سبق له من نعوته وصفاته، ثم بذيقة طعم قيامه به في أوقاته.

وقيل: علامة الولي ثلاثة: شغلة بالله، وفراره إلى الله، وهمه إلى الله.

وقال الخراز: إذا أراد الله تعالى أن يوالي عبداً من عباده فتح عليه باب ذكره، فإذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب، ثم رفعه إلى مجالس الأنس به، ثم أجلسه على كرسي التوحيد، ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار الفردانية.

وكشف له عن الجلال والعظمة، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هو فحينئذ صار العبد زمناً فانياً، فوقع في حفظه سبحانه، وبرىء من دعاوى نفسه.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا علي الروزباري يقول: قاب أبو تراب النخشي: إذا ألفت القلب الإعراض عن الله صحبته الوقعة في أولياء الله تعالى.

وقالوا: من صفة الولي أن لا يكون له خوف؛ لأن الخوف ترقب مكروه يحل في المستقبل، أو انتظار محبوب يفوت في المستقبل، والولي ابن وقته، ليس له مستقبل فيخاف شيئاً.

وكما لا خوف له لا جراء له؛ لأن الرجاء انتظار محبوب يحصل أو مكروه يُكشف، وذلك في الثاني من الوقت.

وكذلك لا حزن له؛ لأن الحزن من حزونة القلب، ومن كان في ضياء الرضا وبرَد الموافقة فأنى يكون له حزن؟! قال الله تعالى: " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون " .

باب الدعاء

قال الله تعالى: " ادعوا ربكم تضرعاً وخفية " .

وأخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال: أخبرنا أبو الحسين الصفار البصري قال: حدثنا محمد بن أحمد العودي قال: حدثنا كامل، قال: حدثنا بن هبة قال حدثنا خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " الدعاء مخ العبادة " .
والدعاء: مفتاح الحاجة، وهو مستروح أصحاب اللغات، وملجأ المضطرين، ومتنفس ذوي المأرب، وقد ذم الله سبحانه وتعالى. قوماً تركوا الدعاء فقال: " ويقبضون أيديهم " قيل: لا يمدونها إلينا في السوائل.
وقال سهل بن عبد الله: خلق الله تعالى الخلق وقال ناجوي، فإن لم تفعلوا فانظروا إليّ، فإن لم تفعلوا فاسمعوا مني، فإن لم تفعلوا فكونوا ببائي، فإن لم تفعلوا فأنزلوا حاجتكم بي.
سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: قال سهل بن عبد الله: أقرب الدعاء إلى الإجابة دعاء الحال. ودعاءً لحال: أن يكون صاحبه مضطراً لا بد له مما يدعو لأجله.

أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي، رحمه الله، قال سمعت أبا عبد الله المكناسي يقول: كنت عند الجنيد؛ فأتت امرأة إليه وقالت: ادع الله أني رد عليّ ابني: فإن ابناً لي ضاع فقال لها: اذهبي واصبري، فمضت، ثم عادة فقالت له مثل ذلك، فقال لها الجنيد: اذهبي واصبري، فمضت ثم عادت، ففعلت مثل ذلك مرات والجنيد يقول لها: اصبري، فقالت له: عيل صبري، ولمي بق لي طاقة عليه، فادع لي. فقال لها الجنيد: إن كان الأمر كما قلت فاذهبي، فقد رجع ابنك، فمضت، فوجدته، ثم عادت تشكر له فقيل للجنبي: بم عرفت ذلك؟ فقال: قال الله تعالى: " أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء " .

وقد اختلف الناس في أن: الأفضل الدعاء، أم السكوت والرضا؟ فمنهم من قال: الدعاء في نفسه عبادة، قال صلى الله عليه وسلم: " الدعاء مخُّ العبادة " والإتيان بما هو عبادة أولى من تركه، ثم هو حق الله تعالى فإن لم يستجب للعبد، ولم يصل إلى حظ نفسه فلقد قام بحق ربه؛ لأن الدعاء إظهار فاقة العبودية: وقد قال أبو حازم الأعرج: لئن أحرم الدعاء أشدُّ علي من أن أحرم الإجابة. وطائفة قالوا: السكوت والخمول تحت جريان الحكم أتم، والرضا بما سبق من اختيار الحق أولى، ولهذا قال الواسطي: اختيار ما جرى لك في الأزل خير لك من معارضة الوقت، وقد قال صلى الله عليه وسلم خيراً عن الله تعالى.

" من شغلته ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين " وقال قوم: يجب أن يكون العبد صاحب داء بلسانه وصاحب رضا بقلبه: ليأتي بالأمرين جميعاً.

والأولى أن يقال: إن الأوقات مختلفة، ففي بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت، وهو الأدب، وفي بعض الأحوال السكوت أفضل من الدعاء، وهو الأدب، وإنما يعرف ذلك في الوقت، لأن علم الوقت إنما يحصل في الوقت فإذا وجد بقلبه إشارة إلى الدعاء فالدعاء له أولى. وإذا وجد إشارة إلى السكوت فالسكوت له أولى.

ويصح أن يقال: ينبغي للعبد أن لا يكون ساهياً عن شهود ربه تعالى في حال دعائه. ثم يجب عليه أن يراعي حاله، فإن وجد من الدعاء زيادة بسط في وقته فالدعاء له أولى. وإن عاد إلى قلبه في وقت الدعاء شبه زجر ومثل قبض، فالأولى له ترك الدعاء في هذا الوقت، وإن لم يجد في قلبه زيادة بسط ول حصول زجر فالدعاء وتركه هاهنا سيان، فإن كان الغالب عليه في هذا الوقت العلم، فالدعاء أولى؛ لكونه عبادة، وإن كان الغالب عليه في هذا الوقت المعرفة والحال والسكوت، فالسكوت أولى، ويصح أن يقال: ما كان للمسلمين فيه تصيب، أو للحق سبحانه فيه حق،

فالدعاء أولى وما كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم. وفي الخبر المروي " أن العبد يدعو الله سبحانه وهو يجبه، فيقول: يا جبريل أخر حاجة عبدي، فإني أحب أن أسمع صوته، وإن العبد ليدعو الله وهو يغضه فيقول: يا جبريل، إقض لعبدي حاجته، فإني أكره أن أسمع صوته ".

ويحكى عن يحيى بن سعيد القطان، رحمه الله تعالى، أنه رأى الحقَّ، سبحانه في المنام، فقال: آلهي: كم أدعوك فلا تجيبني!! فقال يا يحيى؛ لني أحبُّ أن أسمع صوتك.

وقال صلى الله عليه وسلم: " والذي نفسي بيده، إنَّ العبد ليدعو الله تعالى وهو عليه غضبان، فيعرض عنه، ثم يدعو، فيعرض عنه، ثم يدعو، فيعرض عنه ثم يدعو، فيقول الله تعالى لملائكته: أبي عبدي أن يدعو غيري فقد استجبت له ".

أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن بشران ببغداد قال: حدثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد المعروف بأبن السماك قال: أخبرنا محمد بن عبد ربه الحضرمي قال: أخبرنا بشر بن عبد الملك قال: حدثنا موسى بن الحجاج قال: قال مالك بن دينار: حدثنا الحسن عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتَّجر من بلاد الشام إلى المدينة، ومن المدينة إلى بلاد الشام، ولا يصحب القوافل توكلأً منه على الله، عز وجل، قال: بينما هو جاء من الشام يريد المدينة إذ عرض له لصٌ على فرس.. فصاح بالتاجر: قف. قف!! فوقف له التاجر، وقال له: شأنك بمالي وخلّ سبيل. فقال له اللص: المال مالي، وإنما أريد نفسك. فقال له التاجر: ما تريد بنفسي؟! شأنك والمال وخلّ سبيلي. قال: فرد عليه اللص مثل المقالة الأولى، قال له التاجر: أنظرنى حتى أتوضأ وأصلي وأدعو ربي عزَّ وجلَّ.

قال أفعل ما بدالك. قال فقام التاجر، وتوضأ، وصلى أربع ركعات، ثم رفع يديه إلى السماء، فكان من دعائه أ، قال: يا ودود.. يا ودود.. يا إذا العرش المجيد، يا مبدىء يا معيد، يا فعَّال لما يدري أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك، وأسألك بقدرتك التي قدرت بها على خلقك، وبرحمتك التي وسعت كل شيء، لا إله إلا أنت، يا مغيث أغثني ثلاث مرات. فلما فرغ من دعائه إذا بفارس على فرس أشهب.. عليه ثياب خضر، بيده حربة من نور، فلما نظر اللص إلى الفارس ترك التاجر ومر نحو الفارس. فلما دنا منه شد الفارس على اللص، فطعنه طعنة أدراه عن فرسه.. ثم جاء إلى التاجر فقال له: قم فاقتله، فقال له التاجر: من أنت؟ فما قتلت أحداً قد ولا تطيب نفس بقتله!! قال، فرجع الفارس إلى اللص وقتله، ثم جاء إلى التاجر، وقال: أعلم أنيملك من السماء الثالثة، حين دعوت الأولى سمعنا لأبواب السماء قعقة، فقلنا أمرٌ حدث!! ثم دعوت الثانية ففتحت أبواب السماء ولها شرر كشرر النار، ثم دعوت الثالثة فهبط جبريل عليه السلام علينا من قبل السماء وهو ينادي: من لهذا المكروب؟ فدعوت ربي أن يوليني قتله، واعلم - يا عبد الله - أنه من دعا بدعائك هذا في كل كربة، وكل شدة، وكل نازلة فرج الله تعالى عنه، وأعانه. قال وجاء التاجر سالماً غانماً حتى دخل المدينة وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بالقصة وأخبره بالدعاء فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " لقد لفتك الله عزَّ وجلَّ، اسماءه الحسنى التي إذا دُعِيَ بها أجاب، وإذا سئل بها أعطى ".

ومن أداب الدعاء: حضور القلب، وأن لا يكون ساهياً؛ فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إن الله تعالى، لا يستجيب دعاء عبد من قلب لاهٍ ".

ومن شرائطه: أن يكون مطعمه حلالاً؛ فلقد قال صلى الله عليه وسلم لسعد: " اطب كسبك تُستجيب دعوتك ". وقد قيل: الدعاء: مفتاح الحاجة، وأسنانها: لقم الحلال.

وكان يجيى بن معاذ يقول: إلهي، كيف أدعوك وأنا عاص؟ وكيف لا أدعوك وأنت كريم؟! وقيل: مر موسى، عليه السلام، برجل يدعو ويتضرع، فقال موسى عليه السلام: إلهي، لو كانت حاجته بيدي قضيتها؛ فأوحى الله، تعالى إليه: أنا أرحم به منك، ولكنه يدعوني، وله غنم وقلبه عند غنمه، وإني لا أستجيب لعبد يدعوني وقلبه عند غيري. فذكر موسى عليه السلام للرجل ذلك، فانقطع إلى الله تعالى بقلبه فقضيت حاجته.

وقيل لجعفر الصادق: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ فقال: لأنكم تدعون من لا تعرفونه. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: ظهر بيعقوب بن الليث علة أعيت الأطباء، فقالوا له: في ولايتك رجل صالح يسمى سهل بن عبد الله لو دعا لك لعل الله سبحانه يستجيب له؛ فاستحضر سهلاً وقال: ادع الله عز وجل لي. فقال سهل: كيف يستجاب دعائي فيك، وفي محبسك مظلومون؟ فأطلق كل من كان في حبسه، فقال سهل: اللهم كما رأيته ذل المعصية فأره عز الطاعة وفرج عنه. فعوفي، فعرض مالا على سهل فأبى أن يقبله، فقيل له: لو قبلته ودفعته إلى الفقراء.

فنظر إلى الحصباء في الصحراء فإذا هي جواهر، فقال لأصحابه: من يُعطي مثل هذا يحتاج إلى مال يعقوب بن الليث؟! وقيل: كان صالح المري يقول كثيراً: من أدمن قرع باب يوشك أن يفتح له. فقالت له رابعة: إلى متى تقول هذا؟ متى أغلق هذا الباب حتى يستفتح؟ فقال صالح: شيخ جهل وامرأة علمت. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا بكر الحري يقول: سمعت السري يقول: حضرت مجلس معروف الكرخي. فقال إليه رجل فقال: يا أبا محفوظ، ادع الله تعالى أن يرّد عليّ كيسي؛ فإنه سرق وفيه ألف دينار. فسكت، فأعاد، فقال معروف: ماذا أقول؟ أقول ما زويته عن أنبيائك وأصفيتك. فردده عليه. فقال الرجل: فادع الله تعالى لي. فقال: اللهم خر له. وحكي عن الليث أنه قال: رأيت عقبة بن نافع ضريراً، ثم رأيته بصيراً، فقلت له: بم رد عليك بصرك؟ فقال: أتيت في منامي، فقيل قل: يا قريب، يا مجيب، يا سميع الدعاء، يا لطيفاً لما يشاء، رد علي بصري. فقلت لها، فرد الله عز وجل علي بصري.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: كان بي وجع العين ابتداء ما رجعت إلى نيسابور من مرو، وكنت مدة أيام لم أجد النوم، فتعاست صباحاً، فسمعت قائلاً يقول لي: أليس الله بكاف عبده؟ فانتبهت، وقد فارقتي الرمدم، وزال في الوقت الوجع، ولم يصبني بعد ذلك وجع العين.

وحكى عن محمد بن خزيمه، أنه قال: لما مات أحمد بن حنبل كنت في الإسكندرية، فاعتممت.. فرأيت في المنام أحمد بن حنبل وهو يتختر، فقلت: يا أبا عبد الله، أي مشية هذه؟ فقال: مشية الخدام في دار السلام. فقلت: ما فعل الله عز وجل بك؟ فقال: غفر لي، وتوجني، وأبسنى نعلين من ذهب، وقال: يا أحمد هذا بقولك القرآن كلامي. ثم قال: يا أحمد ادعني بتلك الدعوات التي بلغتك عن سفیان الثوري وكنت تدعو بها في دار الدنيا. فقلت: يا رب كل شيء بقدرتك على كل شيء، اغفر لي كل شيء، ولا تسألني عن شيء. فقال: يا أحمد هذه الجنة، فادخلها، فدخلتها. وقيل: تعلق شاب بأستار الكعبة، وقال: إلهي، لا شريك له فيؤتى، ولا وزير لك فيرشى، ن أطعتك فبفضلك ولك الحمد، وإن عصيتك فبجهلي ولك الحجة عليّ، فيثبت حججك عليّ وانقطاع حجتي لديك إلا غفرت لي. فسمع هاتفاً يقول: الفتي عتيق من النار.

وقيل: فائدة الدعاء: إظهار الفاقة بين يديه تعالى، إلا فالرب يفعل ما يشاء.

وقيل: دعاء العامة بالأقوال، ودعاء الزهاد بالأفعال، ودعاء العارفين بالأحوال.

وقيل: خير الدعاء: ما هيجته الأحران.

وقال بعضهم: إذا سألت الله تعالى حاجة فتسهلت، فاسأل الله عقب ذلك الجنة؛ ففعل ذلك يوم إجابتك.

وقيل السنة المبتدئين منطلقة بالدعاء، والسنة المتحققين خرست عن ذلك.

وسئل الواسطي أن يدعو، فقال: أحشى أني إن دعوت أن يُقال لي: إن سألتنا مالك عندنا فقد أهمتنا، وإن سألتنا ما

ليس لك عندنا فقد أسأت الثناء علينا، وإن رضيت أجرينا لك من الأمور ما قضينا لك به في الدهور.

وروي عن عبد الله بن منازل أنه قال: ما دعوت منذ خمسين سنة، ولا أريد أن يدعو لي أحد.

وقيل: الدعاء سلم المذنبين.

وقيل: الدعاء: المراسلة، وما دامت المراسلة باقية فالأمر جميل بعد.

وقيل لسان المذنبين دعاؤهم.

وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: إذا بكى المذنب فقد راسل الله عز وجل.

وفي معناه أنشدوا:

دموع الفتى عما يجنُّ تترجم ... وأنفاسه يبدين ما القلب يكتم

وقال بعضهم: الدعاء ترك الذنوب.

وقيل: الدعاء لسان الاشتياق إلى الحبيب.

وقيل: الإذن في الدعاء خير للعبد من العطاء.

وقال الكتابي لم يفتح الله تعالى لسان المؤمن بالمعذرة إلا لفتح باب المغفرة.

وقيل: الدعاء يوجب الحضور، والعطاء يوجب الصرف، والمقام علي الباب أتم من الانصراف بالثاب.

وقيل: الدعاء مواجهة الحق، تعالى، بلسان الحياء.

وقيل: شرط الدعاء الوقوف مع القضا بوصف الرضا.

وقيل: كيف تنتظر إجابة الدعوة وقد سدّت طريقها بالهفوة؟! وقيل لبعضهم: ادع لي. فقال: كفالك من الأجنبية أن

تجعل بينك وبينه واسطة.

سمعت حمزة بن يوسف السهمي يقول: سمعت أبا الفتح نصر بن أحمد بن عبد الملك يقول: سمعت عبد الرحمن بن

أحمد يقول: سمعت أبي يقول: جاءت امرأة إلى تقي بن مخلد، فقالت: إن ابني قد أسره الروم، ولا أقدر على مال أكثر

من دويرة، ولا أقدر على بيعها، فلو أشرت إلى من يفديه بشيء فإنه ليس لي ليل ولا نهار، ولا نوم ولا قرار!! فقال

لها: نعم، أنصرفي حتى أنظر في أمره إن شاء الله تعالى.

قال: فأطرق الشيخ وحرك شفثيه، قال: فلبثنا مدة، فجاءت المرأة ومعها ابنها، وأخذت تدعو له وتقول: قد رجعت

سالمًا، وله حديث يحدّثك به. فقال الشاب: كنت في يدي بعض ملوك الروم مع جماعة من الأسارى، وكان له إنسان

يستخلمنا كل يوم. فكان يخرجنا إلى الصحراء للخدمة، ثم يردنا علينا قيودنا. فبينما نحن نحجى من العمل بعد المغرب

مع صاحبه الذي كان يحفظنا انفتح القيد من رجلي ووقع على الأرض، وصف اليوم والساعة، فوافق الوقت الذي

جاءت فيه المرأة، ودعا الشيخ، قال: فنهض إلى الذي كان يحفظني وصاح علي وقال لي: كسرت القيد!! قلت: لا،

إنه سقط من رجلي قال: فتحير.. وأحضر أصحابه، وأحضروا الحداد، وقيديوني.. فملا مشيت خطوات سقط القيد

من رجلي، فتحيروا في أمري!! فدعوا رهبانهم، فقالوا لي: ألك والدة؟ قلت: نعم فقالوا: وافق دعاؤها الإجابة. وقد

أطلقك الله عز وجل، فلا يمكننا تقييدك.
فرودوني، وأصحابي بمن أو صليني إلى ناحية المسلمين.

باب الفقراء

قال الله تعالى: " للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله، لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً وما تنفقوا من خير فن الله به عليم " .
أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن شجاع بن الحسين بن موسى البزاز ببغداد، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن الهيثم الأباري قال: حدثنا جعفر بن محمد الصانع قال: حدثنا قبيصة قال: حدثنا سفيان، عن محمد ابن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة؛ عن أبي هريرة، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: " يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسة عشر عاماً: نصف يوم " .
وأخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس الحيري ببغداد، قال: حدثنا أبو أحمد حمزة بن العباس البزاز ببغداد، قال: حدثنا محمد بن غالب ابن حرب قال: حدثنا عبد الله بن مسلمة قال: حدثنا محمد بن أبي الفرات. عن إبراهيم الهجري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن المسكين ليس بالطواف الذي تردُّه اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان " ، قال: قيل: من المسكين يا رسول الله؟ قال: " الذي لا يجد ما يغنيه ويستحي أن يسأل الناس ولا يفتن له فيتصدق عليه " .
قال الأستاذ: معنى قوله: يستحي أن يسأل الناس: أي يستحي من الله، تعالى. أن يسأل الناس، لا أن يستحي من الناس.

والفقر شعار الأولياء؛ وحلية الأصفياء؛ واختيار الحق، سبحانه لخواصه من الأتقياء والأنبياء.
والفقراء: صفوة الله عز وجل من عباده، ومواضع أسرارهِ بين خلقه، بهم يصون الحقُّ الخلق، وبركاتهم يسط عليهم الرزق.

والفقراء الصبر جلساء الله تعالى، يوم القيامة؛ بذلك ورد الخبر عن النبي، صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي، قال: حدثنا إبراهيم بن أحمد بن محمد ابن رجاء الفزاري، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن أحمد بن خشيش البغدادي قال: حدثنا عثمان بن معبد قال: حدثنا عمر بن راشد. عن مالك، عن نافع، عن أبي عمر، عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.
" لكل شيء مفتاحٌ ومفتاح الجنة: حبُّ المساكين، والفقراء الصبر: هم جلساء الله تعالى يوم القيامة " .
وقيل: ن رجلاً أتى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها منه وقال له: تريد أن تمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم: لا أفعل!! وقال معاذ النسفي: ما أهلك الله، تعالى، قوماً ون عملوا ما عملوا حتى أهانوا الفقراء وأذلّوهم.

وقيل: لو لم يكن للفقراء إلى الله فضيلة غير إرادته وتمنيه سعة أرزاق المسلمين ورخص أسعارهم لكفاه ذلك؛ لأنه يحتاج إلى شرائها والغني يحتاج إلى بيعها. هذا لعوام الفقراء، فكيف حال خواصهم؟ سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي. يقول: سمعت عبد الواحد بن بكر يقول: سمعت أبا بكر بن سمعان يقول: سمعت أبا بكر بن مسعود يقول:

سئل يحيى بن معاذ عن الفقر، فقال: حقيقته: أن لا يستغنى العبد إلا بالله، ورسمه عدم الأسباب كلها. وسمعته يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت إبراهيم القصار يقول: الفقر لباس يورث الرضا إذا تحقق العبد فيه.

وقدم على الأستاذ أبي علي الدقاق فقير في سنة: خمس، أو أربع وتسعين وثلاثمائة من زوزن وعليه مسح وقلنوسة مسح، فقال له بعض أصحابه: بكم اشتريت هذا المسح؟ على وجه المطايبه. فقال: اشتريته بالدنيا وطلب مني بالآخرة فلم أبعه بها!! سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: قام فقير في مجلس يطلب شيئاً، فقال: إني جائع منذ ثلاث: وكان هناك بعض المشايخ فصاح عليه وقال: كذبت!! إن الفقر سر الله وهو لا يضع سره عند من يحمله إلى من يريد.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن الفراء يقول سمعت زكريا النخشي يقول: سمعت حمدون القصار يقول: إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا بشيء كفرحهم بثلاثة أشياء: رجل مؤمن قتل مؤمناً، ورجل يموت على الكفر، وقلب فيه خوف الفقر.

وسمعته يقول: سمعت عبد الله بن عطا. يقول: سمعت أبا جعفر الفرغاني يقول: سمعت الجنيد يقول: يا معشر الفقراء: إنكم تعرفون بالله، وتكرمون الله، فانظروا كيف تكونون مع الله إذا خلوتم به؟.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، يقول: سمعت محمد بن الحسن البغدادي. يقول: سمعت محمد بن عبد الله الفرغاني يقول: سمعت الجنيد، وقد سئل عن الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى: أو أتم أم الاستغناء بالله تعالى؟ فقال: إذا صحَّ الافتقار إلى الله عز وجل، فقد صحَّ الاستغناء بالله تعالى، وإذا صحَّ الاستغناء بالله تعالى كمل الغني به، فلا يقال: أيهما أتم الافتقار أم الغنى!! لأنهما حالتان لا تتم إحداهما إلا بالأخرى. وسمعته يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت جعفرأ يقول: سمعت رويما يقول وقد سئل عن نعت الفقير، فقال:

" إرسال النفس في أحكام الله تعالى " .

وقيل: نعت الفقير ثلاثة أشياء: حفظ سره، وأداء فرضه، وصيانة فقره.

وقيل لأبي سعيد الخزاز: لم تأخر عن الفقراء رفقُ الأغنياء؟ فقال لثلاث خصال: لأن ما في أيديهم غير طيب، ولأنهم غير موفقين، ولأن الفقراء مرادون بالبلاء.

وقيل: أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى موسى، عليه السلام: إذا رأيت الفقراء فسائلهم، كما تسائل الأغنياء، فإن لم تفعل فاجمل كل شيء علمتك تحت التراب.

وروي عن أبي الدرداء، أنه قال: لأن أقع من فوق قصر فأتحطم أحبُّ إليَّ من مجالسة الغني؛ لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: " إياكم ومجالسة الموتى!! قيل: يا رسول الله، ومن الموتى؟ قال: الأغنياء؟.

وقيل للربيع بن خيثم: قد غلا السعر!! فقال: نحن أهون على الله من أن يجيعنا، إنما يجيع أوليائه.

وقال إبراهيم بن أدهم: طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى، وطلب الناس الغنى فاستقبلهم الفقر.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أحمد بن عليّ يقول: سمعت الحسن ابن علوية يقول: قيل ليحيى بن معاذ: ما الفقر؟ قال: خوف الفقر.

قيل: ما الغنى؟ قال: الأمن بالله تعالى.

وسمعه يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الجريري يقول: سمعت ابن الكربي يقول: إن الفقير الصادق، ليحترز من الغني حذراً أن يدخله الغنى فيفسد عليه فقره، كما أن الغني يحترز من الفقر حذراً أن يدخل عليه فيفسد عليه غناه.

وسئل أبو حفص: بماذا يقدم الفقير على ربه عز وجل؟ فقال: وما للفقير أن يقدم به على ربه تعالى سوى فقره. وقيل: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: أتريد أن يكون لك يوم القيامة مثل حسنات الناس اجمع؟ قال: نعم.

قال عد المريض، وكن لثياب الفقراء فالياً، فجعل موسى، عليه السلام، على نفسه في كل شهر سبعة أيام يطوف على الفقراء يفلي ثيابهم ويعود المرضى.

وقال سهل بن عبد الله: خمسة أشياء من جوهر النفس: فقير يظهر الغنى، وجائع يظهر الشبع، ومحزون يظهر القح؛ ورجل بينه وبين رجل عداوة يظهر المحبة، ورجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يظهر ضعفاً. وقال بشر بن الحارث: أفضل المقامات: اعتقاد الصبر على الفقر إلى القبر.

وقال ذو النون: علامة سخط الله على العبد: خوفه من الفقر. وقال الشبلي: أدنى علامات الفقر: أن لو كانت الدنيا بأسرها لأحد فأنفقها في يوم ثم خطر بباله، أن لو أمسك منها قوت يوم ما صدق في فقره.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا عبد الله الرازي يقول: سمعت أبا محمد بن ياسين يقول: سمعت ابن الجلاء يقول: وقد سألته عن الفقر، فسكت، حتى خلا، ثم ذهب ورجع عن قريب، ثم قال: كان عندي أربعة دوانيق فاستحييت من الله عز وجل، أن أتكلم في الفقر وأخرجتها ثم قعد وتكلم في الفقر.

وسمعه يقول: سمعت عبد الله بن محمد الدمشقي، يقول: سمعت إبراهيم ابن المولد يقول: سألت ابن الجلاء: متى يستحق الفقير اسم الفقر؟ فقال: إذا لم يبق عليه بقية منه.

فقلت: كيف ذاك؟ فقال: إذا كان له فليس له، وإذا لم يكن له فهو له.

وقيل: صحة الفقر: أن لا يستغني الفقير في فقره بشيء إلا بمن إليه فقره.

وقال عبد الله بن المبارك: إظهار الغنى في الفقر أحسن من الفقر.

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي، يقول: سمعت هلال بن محمد يقول: سمعت النقاش يقول: سمعت بنانا المصري يقول: كنت بمكة قاعداً وشاب بين يدي، فجاءه إنسان وحمل إليه كيساً فيه دراهم ووضع بين يديه، فقال: لا حاجة لي فيه، فقال: فرقه على المساكين، فلما كان العشاء رأيت في الوادي يطلب شيئاً لنفسه.

فقلت لو تركت لنفسك مما كان معك شيئاً؟

قال: لم أعلم أني أعيش إلى هذا الوقت!! سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت علي بن بندار الصيرفي، يقول: سمعت محفوظاً يقول: سمعت أبا حفص يقول: أحسن ما يتوسل به العبد إلى مولاه دوام الفقر إليه على جميع الأحوال، وملازمة السنة في جميع الأفعال، وطلب القوت من وجه حلال.

وسمعه يقول: سمعت أبا الفرج الورثاني يقول: سمعت فاطمة أخت أبي علي الروذباري تقول: سمعت أبا علي

الروذباري يقول: كان أربعة في زملهم: واحد: كان لا يقبل من الإخوان ولا من السلطان شيئاً، وهو: يوسف ابن أسباط، ورث من أبيه سبعين ألف درهم ولم يأخذ منها شيئاً وكان يعمل الخوص بيده.

وآخر: كان يقبل من الإخوان والسلطان جميعاً، وهو: أبو إسحاق الفزازي فكان ما يأخذه من الإخوان ينفقه في

المستة رين الذي لا يتحركون، والذي يأخذه من السلطان كان يخرج به إلى مستحقه من أهل طرسوس .
والثالث كان يأخذ من الإخوان ولا يأخذ من السلطان وهو عبد الله ابن المبارك، وكان يأخذ من الإخوان ويكافئ
عليه.

والرابع: كان يأخذ من السلطان ولا يأخذ من الإخوان وهو: مخلد بن الحسين كان يقول: السلطان لا يمن الإخوان
يمنون.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: جاء في الخبر: " من تواضع لغني لأجل غناه ذهب ثلثا دينه " .
إنما كان ذلك؛ لأن المرء بقلبه ولسانه ونفسه؛ فإذا تواضع لغني بنفسه ولسانه ذهب ثلثا دينه، فلوا اعتقد فضله
بقلبه كما تواضع له بلسانه ونفسه ذهب دينه كله.

وقيل: أقل ما يلزم الفقير في فقره أربعة أشياء: علم يسوسه؛ وورع يحجزه؛ ويقين يحمله؛ وذكر يؤنسه.
وقيل: من أراد الفقر لشرف الفقر مات فقيراً؛ ومن أراد الفقر لثلا يشتغل عن الله تعالى مات غنياً.

وقال المزين: كانت الطرق الموصلة إلى الله أكثر من نجوم السماء، فما بقي منها طريق إلا طريق الفقر وهو أصح
الطرق.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت الحسين بن يوسف القزويني يقول: سمعت إبراهيم بن المولد يقول: سمعت
الحسن بن علي يقول: سمعت النوري يقول: نعت الفقير: السكون عند العدم، والإيتار عند الوجود.

سئل الشبلي عن حقيقة الفقر فقال: ألا يستغني العبد بشيء دون الله عز وجل.
وسمعه يقول: سمعت منصور بن خلف المغربي يقول: قال لي أبو سهل الخشاب الكبير: الفقر: فقر وذلّ، فقلت: لا
بل فقر وعزّ، فقال فقر وثرى، فقلت: لا، بل فقر وعرش.

سعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: سئلت عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم: " الفقر أن يكون كفراً " .
قال: فقلت: آفة الشيء وضده على حسب فضيلته وقدره؛ فكلمة كان في نفسه أفضل فضده وآفته أقص:
كالإيمان، لما كان أشرف الخصال كان ضده الكفر، فلما كان الخطر على الفقر الكفر بالله دلّ على أنه أشرف
الأوصاف.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت أبا نصر المروى يقول: سمعت المرتعش يقول: سمعت الجعيد
يقول: إذا لقيت الفقير فالتقه بالرفق، ولا تلقه بالعلم؛ فإن الرفق يؤنسه، والعلم يوحشه، فقلت له: يا أبا القاسم
وهل يكون فقير يوحشه العلم؟ فقال: نعم، الفقير إذا كان صادقاً في فقره فطرحت عليه علمك ذاب كما ذوب
الرصاص على النار.

وسمعه يقول: سمعت أبا عبد الله الرازي، يقول: سمعت مظفر القرمسيني يقول: الفقير: هو الذي لا يكون له إلى الله
حاجة.

قال الأستاذ أبو القاسم: وهذا اللفظ فيه غموض لمن سمعه على وجه الغفلة عن مرمى القوم، وإنما شار قاتله إلى
سقوط المطالبات وانقضاء الإختيار، والرضا بما يجريه الحق سبحانه.

وقال ابن خفيف: الفقر: عدم الإملاك والخروج من أحكام الصفات.

وقال أبو حفص: لا يصح لأحد الفقر حتى يكون العطاء أحب إليه من الأخذ، وليس السخاء أن يعطي الواحد
المعدم: إنما السخاء أن يعطي المعدم الواحد.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الواحد بن بكر يقول: سمعت اللقي يقول: سمعت ابن الجلاء يقول: لو لا

شرف التواضع لله لكان حكم الفقير إذا مشى أن يتبختر.

وقال يوسف بن اسباط: منذ أربعين سنة ما ملكت قميصين.

وقال بعضهم: رأيت كأن القيامة قد قامت، وقيل: أدخلوا مالك بن دينار، ومحمد بن واسع الجنة، فنظرت أيهما يتقدم: فتقدم محمد بن واسع، فسألت عن سبب تقدمه، فقيل لي: إنه كان له قميص واحد ومالك قميصان.

وقال محمد المسوحي: الفقير: الذي لا يرى لنفسه حاجة إلى شيء من الأسباب.

وسئل سهل بن عبد الله متى يستريح الفقير؟ فقال: إذا لم ير لنفسه غير الوقت الذي هو فيه.

وتذاكروا عند يحيى بن معاذ الفقر والغنى، فقال: لا يوزن غداً لا الفقير ولا الغني، وإنما يوزن الصبر والشكر؛ فيقال: يشكر ويصبر.

وقيل: أوحى الله تعالى، إلى بعض الأنبياء عليهم السلام؛ إن أردت أن تعرف رضي عنك فانظر كيف رضا الفقراء عنك؟ وقال أبو بكر الرقاق: من لم يصحبه التقي في فقره أكل الحرام الخض.

وقيل: كان الفقراء في مجلس سفيان الثوري: كأنهم الأمراء.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت محمد بن أحمد الفراء يقول: سمعت أبا بكر بن طاهر يقول: من حكم الفقير أن لا يكون له رغبة في الدنيا، فإن كان ولا بد فلا تجاوز رغبته كفايته.

وأنشد الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي، قال: أنشدني عبد الله بن إبراهيم ابن العلاء قال: أنشدني أحمد بن عطاء لبعضهم؛ قال:

قالوا: غداً العيد ماذا أنت لا بسه؟ ... فقلت: خلقة سلق حبه جرعا
فقر وصبر، هما ثوباى تحتهما ... قلب يرى إلفه الأعياد والجمعا
أحرى الملابس، تلقى الحبيب به ... يوم التزاور في الوثب الذي خلعا
الدهر لي مآتم إن غبت يا أملي ... والعيد ما كنت لي مرأى ومستمعا
وقيل: إن هذه الأبيات لأبي علي الروذباري.

وقال أبو بكر المصري، وقد سئل عن الفقير الصادق، فقال: الذي لا يملك ولا يميل.

وقال ذو النون المصري: دوام الفقر إلى الله تعالى، من التخليط أحب إلى من دوام الصفا مع العجب.

سمعت أبا عبد الله الشيرازي، يقول: سمعت عبد الواحد بن أمد، يقول: سمعت أبا بكر الجوال، يقول: سمعت أبا عبد الله الحصري، يقول: مكث أبو جعفر الحداد عشرين سنة يعمل كل يوم بدينار، وينفقه على الفقراء، ويصوم ويخرج بين المسلمين فيصدق عليه من الأبواب.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا علي الحسين بن يوسف الفزويني. يقول: سمعت إبراهيم بن المولد، يقول: سمعت الحسن بن علي، يقول: سمعت النوري، يقول: نعت الفقير السكون عند العدم، والبذل والإيثار عند الوجود.

وسمعت يقول: سمعت منصور بن عبد الله، يقول: سمعت محمد بن علي الكناني، يقول: كان عندنا بمكة فتى عليه أطمار رثة، وكان لا يداخلنا ولا يجالسنا، فوقعته محبته في قلبي، ففتح لي بمائتي درهم من وجهه حلال، فحملتها إليه، ووضعناها على طرف سجادته وقلت له: إنه فتح لي ذلك من وجهه حلال، تصرفه في بعض أمورك، فنظر إلى شزراً، ثم كشف عما هو مستور غني، وقال: اشتريت هذه الجلسة مع الله تعالى، على الفراغ بسبعين ألف دينار غير الضياع. والمتنغلات، تريد أن تخدعني عنها بهذه!! وقام وبددها وقعدت التقطها فما رأيت كعزه حين مر، ولا كذلي حين كنت ألتقطها.

وقال أبو عبد الله بن خفيف: ما وجبت على زكاة الفطر أربعين سنة ولي قبولٌ عظيم بين الخاص والعام. سمعت الشيخ أبا عبد الله بن باكويه الصوفي، يقول: سمعت أبا عبد الله. ابن خفيف يقول ذلك. وسمعت يقول: سمعت أبا أحمد الصغير، يقول: سألت أبا عبد الله بن خفيف عن فقير يجوع ثلاثة أيام وبعد ثلاثة أيام. يخرج ويسأل مقدار كفايته: إيش يقال فيه؟! فقال: يقال فيه: مُكْدٌ. كلوا واسكوا، فلو دخل فقير من هذا الباب لفضحككم كلكم.

سمت محمد بن الحسين، يقول: سمعت عبد الله بن علي الصوفي، يقول: سمعت اللقي يقول - وقد سئل عن سوء أدب الفقراء مع الله تعالى، في أحوالهم - فقال: هو انحطاطهم من الحقيقة إلى العلم. وسمعت يقول: سمعت محمد بن عبد الله الطبري، يقول: سمعت خيراً النساج يقول: دخلت بعض المساجد وإذا فيه فقير، فلما رأيته تعلق بي..

وقال: أيها الشيخ تعطف عليّ؛ فإن محنتي عظيمة!! فقلت: وما هي؟ فقال: فقدت البلاء وقويت بالعافية. فنظرت فإذا قد فتح عليه بشيء من الدنيا.

وسمعت يقول: سمعت محمد بن محمد بن أحمد يقول: سمعت أبا بكر الوراق، يقول: طوبى للفقير في الدنيا والآخرة. فسألوه عنه، فقال: لا يطلب للسلطان منه في الدنيا: الخراج، ولا الجبار في الآخرة: الحساب.

باب التصوف

الصفاء محمود بكل لسان، وضده: الكدورة؛ وهي مذمومة. أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني قال: أخبرنا عبد الله بن يحيى الطلحي قال: حدثنا الحسين بن جعفر قال: حدثنا عبد الله بن نوفل قال: حدثنا أبو بكر ابن عياش، عن يزيد بن أبي زياد، عن أبي جحيفة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متغير اللون فقال: " ذهب صفو الدنيا وبقي الكدر، فالمت يوم تحفة لكل مسلم ". ثم هذه التسمية غلبت علي هذه الطائفة؛ فيقال: رجلٌ صوفي، وللجماعة صوفيّة، ومن يتوصل إلى ذلك يقال له: متصوف، وللجماعة: المتصوفة.

وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق. والأظهر فيه: أنه كاللقب، فأما قول من قال: إنه من الصوف، ولهذا يقال: تصوّف إذا لبس الصوف كما يقال: تقمص إذا لبس القميص، فذلك وجهه. ولكن القوم لم يختصوا بلبس: الصوف!! ومن قال: إنه مشتق من الصفاء، فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيدٌ في مقتضى الله. وقول من قال: إنه مشتق من الصف، فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم فالمعنى صحيح، ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف.

ثم إن هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج في تعيينهم إلى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق. وتكلم الناس في التصوف: ما معناه؟ وفي الصوفي: من هو؟ فكلٌ عبر بما وقع له. واستقصاء جميعه يخرجننا عن المقصود من الإيجاز وسنذكر هنا بعض مقالاتهم فيه على حدّ التلويح، إن شاء الله تعالى. سمعت محمد بن أحمد بن يحيى الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن علي التميمي يقول: سئل أبو محمد الجربري عن التصوف، فقال: الدخول في كل خلق مني والخروج من كل خلق ديني.

سمعت عبد الرحمن بن يسوف الأصبهاني يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن عمار الهمداني يقول: سمعت أبا محمد المرعشي يقول: سئل شيخي عن التصوف، فقال: سميت الجنييد وقد سئل عنه فقال: هو أن يمينك الخلق عنك، ويجيبك به.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت عبد الرحمن بن محمد الفارسي يقول: سمعت أبا القانك يقول: سمعت الحسين بن منصور، وقد سئل عن الصوفي، فقال: وحداني الذات لا يقبله أحد، ولا يقبل أحداً. وسمعته يقول: سميت عبد الله بن محمد يقول: سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول: سمعت أبا علي الوراق يقول: سمعت أبا حمزة البغدادي يقول: علامة الصوفي الصادق: أن يفتقر بعد الغني، ويدلّ بعد العز، ويخفى بعد الشهرة، وعلامة الصوفي الكاذب: أن يستغني بالدنيا بعد الفقر، ويعز بعد الذلّ، ويشتهر بعد الخلفاء.

وسئل عمرو بن عثمان المكيّ عن التصوف، فقال: أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى به في الوقت. وقال محمد بن علي القصاب: التصوف: أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام. وسئل سمون عن التصوف فقال: أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء.

وسئل روم عن التصوف فقال: استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد. وسئل الجنييد عن التصوف فقال: هو أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة.

سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول: سمعت أبا نصر السراج الطوسي يقول: أخبرني محمد بن الفضل قال: سمعت علي بن عبد الرحيم الواسطي يقول: سمعت روم بن أحمد البغدادي يقول: التصوف مبني على ثلاث خصال: التمسك بالفقر والافتقار إلى الله، والتحقق بالبدل والإيثار، وترك التعرض والاختيار. وقال معروف الكرخي: التصوف: الأخذ بالحقائق، والياس مما في أيدي الخلاق. قال حمدون القصار: اصحب الصوفية؛ فإن للقيح عندهم وجوهاً من المعاذير. وسئل الخراز عن أهل التصوف فقال: قوم أعطوا حتى بسطوا، ومنعوا حتى فقلوا، ثم نودوا من أسرار قريبة ألا فابكوا علينا.

وقال الجنييد: التصوف: عنوة لا صلح فيها.

وقال أيضاً: هم أهل بيت واحد، لا يدخل فيهم غيرهم.

وقال أيضاً: التصوف: ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع.

وقال أيضاً: الصوفي كالأرض، يطرح عليها كل قيح، ولا يخرج منها إلا كل مليح.

وقال أيضاً: إله كالأرض؛ يطؤها البر والفاجر، وكالسحاب يظل كل شيء، وكالقطر يسقى كل شيء.

وقال: إذا رأيت الصوفي يعني بظاهره، فاعلم أن باطنه خراب.

وقال سهل بن عبد الله: الصوفي: من يرى دمه هدراً، وملكه مباحاً.

وقال الثوري: نعت الصوفي السكون عند العدم، والإيثار عند الوجود.

وقال الكنائي: التصوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الصفاء.

وقال أبو علي الروذباري التصوف: الإناخة على باب الحبيب ون طرد عنه.

وقال أيضاً: صفوة القرب بعد كلورة البعد.

وقيل أقبح من كل قيح صوفي شحسح.

وقيل: التصوف: كف فارغ، وقلب طيب.

وقال الشبلي: التصوف الجلوس مع الله بلاهم.

وقال أبو منصور: الصوفي: هو المشير عن الله تعالى؛ فإن الخلق أشاروا إلى الله تعالى.

وقال الشبلي: التصوف الجلوس مع الله بلاهم.

وقال أبو منصور: الصوفي: هو المشير عن الله تعالى؛ فإن الخلق أشاروا إلى الله تعالى.

وقال الشبلي: الصوفي منقطع عن الخلق، متصل بالحق؛ كقوله تعالى: " واصطعتك لنفسي " قطعه عن كل غير، ثم قال له: " لن تراني " .

وقال: الصوفية أطفالٌ في حجر الحق.

وقال أيضاً: التصوف برقة محرقة.

وقال أيضاً: هو العصمة عن رؤية الكون.

وقال رويم: ما تزال الصوفية بخير ما تنافروا، فإذا اصطلحوا فلا خير فيهم.

وقال الجريري: التصوف مراقبة الأحوال، ورومُ الأدب.

وقال المزين: التصوف: الاتقياد للحق.

وقال أبو تراب النخشي: الصوفي لا يكدره شيء، ويصفو به كل شيء.

وقيل: الصوفي لا يتعبه طلب، ولا يزعجه سبب.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سئل ذو النون المصري عن أهل التصوف فقال: هم قوم آثروا الله، عز وجل، على كل شيء فآثرهم الله، عز وجل، على كل شيء.

وقال الواسطي رحمه الله: كان للقوم إشارات.. ثم صارت حركات.. ثم لم يبق إلا حسرات!! وسئل التوري عن الصوفي، فقال: من سمع السماع وآثر الأسباب.

سمعت أبا حاتم السجستاني، رحمه الله، يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: قلت للحصري: من الصوفي عندك؟ فقال: الذي لا نقله الأرض، ولا تظله السماء.

قال الأستاذ أبو القاسم: إنما أشار إلى حل المحو.

وقيل: الصوفي من إذا استقبله حالان، أو خُلقان كلاهما حسن، كان مع الأحسن منهما.

وسئل الشبلي: لم سميت الصوفية بهذه التسمية؟

فقال: لبقية بقيت عليهم من نفوسهم؛ ولولا ذلك لما تعلقت بهم تسمية.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سئل ابن الجلاء: ما معنى قولهم صوفي؟ فقال: ليس نعرفه في شرط العلم، ولكن نعرف أن من كان فقيراً مجرداً من الأسباب، وكان مع الله تعالى بلا مكان، ولا يمنعه الحق سبحانه عن علم كل مكان يسمى صوفياً.

وقال بعضهم: التصوف: إسقاط الجاه، وسواد الوجه في الدنيا والآخرة.

وقال أبو يعقوب المزالي: التصوف: حال تضحل فيها معالم الإنسانية.

وقال أبو الحسن السبرواني: الصوفي: من يكون مع الواردات لا مع الأوراد.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: أحسن ما قيل في هذا باب قول من قال: هذا طريق لا يصلح إلا لأقوام قد كنس الله بأرواحهم مزابل؛ ولهذا قال رحمه الله يوماً: لو لم يكن للفقير إلا روح فعرضها على كلاب هذا الباب لم ينظر كلب إليها.

وقال الأستاذ أبو سهل الصعلوكي: التصوف: الإعراض عن الاعتراض.
وقال الحصري: الصوفي لا يود بعد علمه؛ ولا يُعَدَم بعد وجوده.
قال الأستاذ القشيري: وهذا فيه إشكال. ومعنى قوله: لا يوجد بعد عدمه أي إذا فويت آفاته لا نعود تلك الآفات.
وقوله: ولا يعدم بعد وجوده، معنى: إذا اشتغل بالحق لم يسقط بسقوط الخلق، فالحادثات لا تؤثر فيه.
ويقال: الصوفي: المصطلم عنه بما لاح له من الحق.
ويقال: الصوفي: مقهور بتصريف الروبوبة. مستور بتصريف العبودية.
ويقال: الصوفي لا يتغير، فإن تغير لا يتكدر.
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: سمعت الحسين بن أحمد الرازي يقول: سمعت أبا بكر المصري يقول: سمعت الحرّاز يقول: كنت في جامع قيروان يوم الجمعة، فرأيت رجلاً يلور في الصف ويقول.
تصدّقوا عليّ؛ فقد كنت صوفياً فضعت..
فرفته بشيء. فقال لي. مر، ويلك!! ليس هذا من ذلك!! ولم يقبل الرفق.

باب الأدب

قال الله عزّ وجلّ: " ما زاغ البصر وما طغى ".
قيل: حفظ آداب الحضرة.
وقال تعالى: " قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ". جاء في التفسير عن ابن عباس: فقهوهم، وأدبوهم.
أخبرنا: عليّ بن أحمد الأهوازي، قال: أخبرنا أبو الحسن الصفار البصري قال: حدثنا غنام قال: حدثنا عبد الصمد بن النعمان قال: حدثنا عبد الملك ابن الحسين، عن عبد الملك بن عمير، عن مصعب بن شيبة، عن عائشة، رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " حقّ الولد على والده: أن يسحن اسمه، ويحسن مرضعه، ويحسن أدبه " .
ويحكى عن سعيد بن المسيب أنه قال: من ل يعرف ما لله عزّ وجلّ، عليه في نفسه، ولم يتأدب بأمره ونهيّه كان من الأدب في عزلة.
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم. أنه قال: " إن الله، عزّ وجلّ، أدبني فأحسن تأديبي ".
وحقيقة الأدب: اجتماع جميع خصال الخير؛ فالأديب: هو الذي اجتمع فيه خصال الخير ومنه أخذت المأدبة اسم للمجتمع.
سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق، رحمه الله، يقول: العبد يصل بطاعته إلى الجنة، وبأدبه في طاعته إلى الله.
وسمعت أيضاً يقول: رأيت من أراد أن يمد يده في الصلاة بين يدي الله إلى أنفه، ليزيل ما به، فقبض على يده.
وكان الأستاذ أبو علي، رحمه الله، لا يستند إلى شيء، وكان يوماً في مجمع، فأردت أن أضع وسادة خلف ظهره؛
لأني رأيت غير مستند.. فتسحى عن الوسادة قليلاً.. فتوهمت أنه توفى الوسادة، لأنه لم يكن عليها خرقة أبو سجادة،
فقال لا أريد الاستناد.
فتأملت بعده حاله؛ فكان لا يستند إلى شيء.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج، يقول: سمعت أحمد بن محمد البصري يقول: سمعت

الجلالي البصري يقول: التوحيد موجب لوجوب الإيمان؛ فمن لا إيمان له فلا توحيد له، والإيمان موجب لوجوب الشريعة؛ فمن لا شريعة له فلا إيمان له ولا توحيد، والشريعة موجب لوجوب الأدب؛ فمن لا أدب له لا شريعة له ولا إيمان ولا توحيد.

وقال ابن عطاء: الأدب: الوقوف مع المحسنات، فقييل: وما معناه؟ قال: أن تعامل الله بالأدب سرّاً وعلناً؛ فغذا كنت كذلك كنت أديباً وإن كنت أعجمياً.

ثم أنشد:

إذا نطقت جاءت بكل ملاحية... وإن سكنت جاءت بكل مليح

أخبرنا. محمد بن الحسين، قال: سمعت عبد الله الرازي يقول: سمعت عبد الله الجريري يقول: منذ عشرين سنة ما مددت رجلي وقت جلوسي في الخلوة فإن حُسن الأدب مع الله أولى.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: من صاحب الملوك بغير أحب أسلمه الجهل إلى القتل. وروي عن ابن سيرين أنه سئل: أي الآداب أقرب إلى الله تعالى؟ فقال: معرفة ربو بيته، وعمل بطاعته، والحمد لله على السراء، والصبر على الضراء.

وقال يحيى بن معاذ: إذا ترك العارف أدبه مع معرفته فقد هلك مع الهالكين.

سمعت الأستاذ أبا علي رحمه الله، يقول: ترك الأدب موجب لوجوب الطرد؛ فمن أساء الأدب على البساط ر إلى الباب، ومن أساء الأدب علي الباب ردّ إلى سياسة الدواب.

وقيل للحسن البصري: قد أكثر الناس فيعلم الأدب، فما أنفعها عاجلاً وأوصلها آجلاً؟ فقال: التفقه في الدين، والزهد في الدنيا، والمعرفة بما لله، عز وجل عليك.

وقال يحيى بن معاذ: من تأدب بأدب الله تعالى صار من أهل محبة الله تعالى.

وقال سهل: القوم الذين استعانوا بالله، على أمر الله، وصبروا على آداب الله.

وروي عن ابن المبارك أنه قال: نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سعيد يقول: سمعت العباس بن حمزة يقول: حدثنا أحمد بن أبي الخواريزي قال: قال الوليد بن عتبة: قال: ابن المبارك: طلبنا الأدب حين فاتنا المؤديون: وقيل: ثلاث خصال ليس معهن غربة: مجانبة أهل الرّيب، وحسن الأدب. وكف الأذى: وأنشدنا الشيخ أبو عبد الله المغربي، رضي الله عنه، في هذا المعنى:

يزين الغريب إذا ما اغترب... ثلاث: فمنهن حسنُ الأدب

وثانيه: حسن أخلاقه... وثالثه. اجتناب الرّيب

ولما دخل أبو حفص بغداد قال له الجنيد: لقد أذبت أصحابك أدب السلاطين.

فقال له أبو حفص: حسن الأدب في الظاهر عنوان حسن الأدب في الباطن.

وعن عبد الله بن المبارك أنه قال: الأدب للعارف كالقوبة للمستأنف.

سمعت منصور بن خلف المغربي يقول: قيل لبعضهم: ياسيء الأدب.

فقال: لست بسيء الأدب، فقييل له: من أدبك؟ فقال: أدبني الصوفية سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا

النصر الطوسي السراج يقول: الناس في الأدب علي ثلاث طبقات: أما أهل الدنيا فأكثر آدابهم في القصاحة

والبلاغة وحفظ العلوم وأسماء الملوك وأشعار العرب.

وأما أهل الدين فأكثرهم آدابهم في رياضة النفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات.
وأما أهل الخصوصية فأكثر آدابهم في طهارة القلوب ومراعات الأسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت، وقلة الالتفات إلى الخواطر، وحسن الأدب في مواقف الطلب وأوقات الحضور ومقامات القرب.
وحكي عن سهل بن عبد الله أنه قال: من قهر نفسه بالآداب فهو يعبد الله بالإخلاص.
وقيل: كمال الأدب لا يصفو إلا للأنبياء والصديقين.
وقال عبد الله بن المبارك: قد أكثر الناس في الأدب، ونحن نقول: هو معرفة النفس.
وقال الشبلي: الانبساط بالقول مع الحق سبحانه ترك الأدب.
وقال ذو النون المصري: أدب العارف فوق كل أدب؛ لأن معرفة مؤدب قلبه.
وقال بعضهم: يقول الحق، سبحانه: من ألزمته القيام مع أسمائي وصفاتي ألزمته الأدب، ومن كشفت له عن حقيقة ذاتي ألزمته العطب، فأحتر أيهما شئت: الأدب أو العطب.
وقيل: مدّ ابن عطاء رجله يوماً بين أصحابه وقال: ترك الأدب بين أهل الأدب أدب.
ويشهد لهذه الحكاية الخبر الذي روي " أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عنده أبو بكر، وعمر، فدخل عثمان فغطى فخذه وقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة " نبه صلى الله عليه وسلم: أن حشمة عثمان، رضي الله عنه، وإن عظمت عنده، فالحالة التي بينه وبين أبي بكر وعمر كانت أصفى.
وفي قريب من معناه أنشدوا:

في أفاض وحشمة فإذا ... جالست أهل الوفاء والكرم
أرسلت نفسي على سجيتها ... وقلت ما قلت غير محتشم

وقال الجنيد: إذا صحت الحجة سقطت شروط الأدب.
وقال أبو عثمان: إذا صحت الحجة تأكد علي الحب ملازمة الأدب.
وقال النوري: من لم يتأدب للوقت فوقته المقت.
وقال ذو النون المصري: إذا خرج المريح عن استعمال الأدب، فإنه يرجع عن حيث جاء.
سمعت الأستاذ أبا علي. رحمه الله، يقول في قوله عز وجل: وأيوب إذ نادى ربه أي مسني الضر وأنت أرحم الراحمين " قال: لم يقل ارحمني لانه حفظ آداب الخطاب.
وكذلك عيسى عليه السلام حيث قال: " إن تعذبهم فإنهم عبادك " ، وقال: " إن كنت قلته فقد علمته " ولم يقل: لم أقل؛ رعاية لآداب الحضرة.

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي، رحمه الله، يقول: سمعت أبا الطيب بن الفرحان يقول: سمعت الجنيد يقول: جاءني بعض الصالحين يوم جمعة فقال لي: أبعث معي فقيراً يُدخل عليّ سروراً، ويأكل معي شيئاً؛ فالتفت، فإذا أنا بفقير شهدت فيه الفاقة.. فدعوته.. وقلت له: امض مع هذا الشيخ وأدخل عليه سروراً، فلم ألبث أن جاءني الرجل فقال لي: يا أبا القاسم لم يأكل ذلك الرجل الفقير إلا لقمة، وخرج!! فقتل: لعلك قلت كلمة جفاء عليه، فقال لي: لم أقل شيئاً.

فالتفت فإذا أنا بالفقير جالس، فقلت له: لم تمّ تتسم عليه السرور؟ فقال: يا سيدي، خرجت من الكوفة وقدمت بغداد ولم أكل شيئاً.. وكرهت أن يبدو سوء أدب مني من جهة الفاقة في حضرتك.. فلما دعوتني سررت إذ جرى ذلك ابتداء منك، فمضيت وأنا لا أرضى له الجنان... فلما جلست على مائدته سوى لقمة وقال لي: كل، فهذا أحب إليّ

من عشرة آلاف درهم. فلما سمعت هذا منه علمت أنه دينء الهمة، فتطرفت أن آكل طعامه، فقال الجنيد: ألم أقل لك إنك أسأت أدبك معه، فقال: يا أبا القاسم.. التوبة، فسأله أي مضي معه ويفرحه.

باب أحكامهم في السفر

قال الله عزّ وجلّ: " هو الذي يسيركم في البر والبحر.. " الآية. أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، قال: أخبرنا أحمد بن عبيد البصري قال: حدثنا محمد بن الفرّج الأزرق قال: حدثنا حجاج قال: قال ابن جريج: أخبرني أبو أزيير: أن علياً الأزدي أخبره: أن ابن عمر أعلمهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استوى على البعير خارجاً إلى سفر كبير ثلاثاً، ثم قال: " سبحان الذي سخر لنا هذا. وما كنا له مقرنين. وإنا إلى ربنا لمنقلبون " ثم يقول: اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا.

اللهم أنت الصاحب في السفر والخيفة في الأهل.. اللهم إني أعوذ بك من وعشاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في المال والأهل، وإذا رجعت قاهن، وزاد فيهن: " آيون.. تائون.. لرَبنا حامدون ". ولما كان رأى كثير من أهل هذه الطائفة اختياراً السفر أردنا لذكر السّفر في هذه الرسالة باباً؛ لكونه من أعظم شأنهم، وهذه الطائفة مختلفون: فمنهم من آثر الإقامة على السفر، ولم يسافر غلا لفرض، كحجة الإسلام، والغالب عليهم الإقامة، مثل: الجنيد، وسهل بن عبد الله، وأبي يزيد البسطامي، وأبي حفص، وغيرهم. ومنهم من آثر السفر، وكانوا على ذلك، إلى أن أخرجوا من الدنيا، مثل: أبي عبد الله المغربي، وإبراهيم بن أدهم، وغيرهم.

وكثير منهم سافروا، وكانوا على ذلك، إلى أن أخرجوا من الدنيا، مثل: أبي عبد الله المغربي، وإبراهيم بن أدهم، وغيرهم.

وكثير منهم سافروا في ابتداء أمورهم في حال شباهم أسفاراً كثيرة ثم قعدوا عن السفر في آخر أحوالهم، مثل: أبي عثمان الحيري، والشبلي، وغيرهم، ولكل منهم أصول بنوا عليها طريقتهم.

واعلم أن السفر على قسمين: سفر بالبدن: وهو الانتقال من بقعة إلى بقعة. وسفر بالقلب: وهو الارتقاء من صفة إلى صفة؛ فترى ألقاً يسافر بنفسه وقليل من يسافر بقلبه.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول: كان بفرحك. قرية بظاهر نيسابور شيخ من شيوخ هذه الطائفة، وله على هذا اللسان تصانيف، سأله بعض الناس: هل سافرت أيها الشيخ؟ فقال: سفر الأرض أم سفر السماء؟ سفر الأرض لا. وسفر السماء، بلى.

وسمعت، رحمه الله، يقول: جاءني بعض الفقراء يوماً، وأنا بمرو، فقال لي: قطعت إليك شقة بعيدة، والمقصود لقاؤك فقتل له: كان يكفيك خطوة واحدة لو سافرت عن نفسك.

وحكاياتهم في السفر تختلف عن ما ذكرنا من أقسامهم وأحوالهم.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: سمعت محمد بن علي العلوي يقول: سمعت جعفر بن محمد يقول: سمعت أحنف الهمداني يقول: كنت في البادية وحدي، فأعيبتُ، فرفعت يدي وقلت: يارب، إني ضعيف زمن،

وقد جئت إلى ضيافتك، فوقع في قلبي أن يقال لي: من دعائك؟ فقلت يا رب هي مملكة تحتل الطفيلي.. فإذا أنا
بهااتف من ورائي.. فالتفت إليه فإذا أعرابي على راحلة، فقال: يا أعجمي، إلى أين؟.. قلت: إلى مكة، قال: أو
دعائك؟ قلت: لا أدري، فقال: أليس قال: " من أستطاع إليه سبيلاً "؟ فقلت: المملكة واسعة تحتل الطفيلي، فقال:
نعم الطفيلي أنت، يمكنك أن تخدم الجمل؟ قلت: نعم، فنزل عن راحلته وأعطانيها، وقال: سر عليها.
سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت محمد بن أحمد النجار يقول: سمعت الكتاني يقول؛ وقد قال له بعض
الفقراء: أوصني: أوصني، فقال: اجتهد أن تكون كل ليلة ضيف مسجد، وأن لا تموت إلا بين منزلين.
ويحكى عن الحصري أنه كان يقول: جلسة خير من ألف حجة.

وإنما أراد جلسة تجمع الهم على نعت الشهود.

ولمري، إنها أتم من ألف حجة، على وصف الغيبة عنه.

سمعت محمد بن أحمد الصوفي، رحمه الله، يقول: سمعت علي بن عبد الله التميمي يقول: حكى عن محمد بن إسماعيل
الفرغاني أنه قال: كنا نسافر مقدار عشرين سنة أنا وأبو بكر الزقاق، والكتاني، لا نختلط بأحد، ولا نعاشر أحداً،
فإذا قدمنا بلداً؛ فإن كان فيه شيخ سلمنا عليه، وجالسناه إلى الليل.. ثم نرجع إلى مسجد، فيصلى الكتاني من أول
الليل إلى آخره ويختم القرآن؛ ويجلس الزقاق مستقبل القبلة؛ وكت استلقي متفكراً، ثم نصبح ونصلي صلاة الفجر
على وضوء العتمة، فإذا وقع معنا إنسان نيام كنا نراه أفضلنا.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله، يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت عيسى القصار يقول: سئل رويم عن
أدب السفر. فقال: أن لا يجاوز همه قدمه؛ وحيثما وقف قلبه يكون منزله.

وحكى عنمالك بن دينار أنه قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: أتخذ نعلين من حديد، وعصاً من حديد،
ثم سح في الأرض، فاطلب الآثار والعبر، حتى تتخرق النعلان وتتسكر العصا.
وقيل: كان أبو عبد الله المغربي يسافر أبداً ومعه أصحابه، وكان يكون محرماً؛ فإذا تحلل من إحرامه ثانياً، ولم يتسخ
له ثوب، ولا طال له ظفر ولا شعر.

وكان يمشي معه أصحابه بالليل وراءه. فكان إذا حاد أحدهم عن الطريق، يقول: يمينك يا فلان. يسارك يا فلان،
وكان لا يمد يده إلى ما وصلت إليه يد الآدميين، وكان طعامه أصل شيء من النبات يؤخذ فيقلع لأجله.
وفي معناه أنشدوا:

إذا استسجدوا لم يسألوا عن دعاهم... لأية حرب أم لأية مكان

وحكي عن أبي علي الرباطي قال: صحبت عبد الله المروزي، وكان يدخل البادية قبل أن أصحابه بلا زاد ولا راحلة.
فلما صحبتته، قال لي: أيما أحب إليك، أن تكون أنت الأمر أم أنا؟ فقلت: لا، بل أنت؛ فقال: وعليك الطاعة؟
فقلت: نعم.

فأخذ مخلاة، ووضع فيها زادا، وحملها على ظهره، فإذا قلت: أعطني حتى أحملها.

قال: الأمير أنا وعليك الطاعة.

قال: فأخذنا المطر ليلة.. فوقف إلى الصباح على رأسي وعليه كساء يمنع عني المطر، فكنت أقول في نفسي: يا ليتني
متُّ ولم أقل له أنت الأمير.

ثم قال لي: إذا صحبت إنساناً فاصحبه كما رأيته صحبتك.

وقد شاب علي أبي علي الروذباري، فلما أراد الخروج، قال: يقول الشيخ شيئاً، فقال: يا فتى كانوا لا يجتمعون عن

موعد، ولا يتفرقون عن مشورة.

وعن المزين الكبير قال: كنت يوماً مع إبراهيم الخواص في بعض أسفاره، فإذا عقرب تسعى على فخذه، فقممت لأقتلها، فمنعني وقال: دعها. كل شيء مفتقر إلينا. ولسنا مفتقرين إلى شيء.

وقال أبو عبد الله النصيبني: سافرت ثلاثين سنة ما خطت قط خرقه على مرقعتي، ولا عدلت إلى موضع علمت أن لي فيه رقيقاً، ولا تركت أحداً يحمل معي شيئاً.

واعلموا أن القوم استوفوا آداب الحضور من المجاهدات، ثم أرادوا أن يضيفوا إليها شيئاً، فاضافوا أحكام السفر إلى ذلك؛ رياضة لنفوسهم، حتى أخرجوها عن المعلومات، وجرروها على مفارقة المعارف، كي يعيشوا مع الله بلا علاقة ولا واسطة، فلم يتركوا شيئاً من أورادهم في أسفارهم.

وقالو: الرخص لمن كان سفره ضرورة، ونحن لا شغل لنا ولا ضرورة في أسفارنا علينا.

سمعت أبا صادق بن حبيب قال: سمعت النصراباذي يقول: ضعفت في البادية مرة، فأيست من نفسي، فوقع بصري على القمر، وكان ذلك بالنهار، فرأيت مكتوباً عليه: فسيكفيكمهم الله فاستقللت، وفتح عليّ من ذلك الوقت هذا الحديث.

وقال أبو يعقوب السوسي: يحتاج المسافر إلى أربعة أشياء في سفره: علم يسوسه: وورع يحجزه، ووجد يحمله، وخلق يصونه.

وقيل: سُمي السفر سفراً؛ لأنه يُسفر عن أخلاق الرجال.

وكان الكتاني إذا سافر الفقير إلى اليمن ثم رجع فاستقللت، وفتح عليّ من ذلك الوقت هذا الحديث.

وقال أبو يعقوب السوسي: يحتاج المسافر إلى أربعة أشياء في سفره: علم يسوسه: وورع يحجزه، ووجد يحمله، وخلق يصونه.

وقيل: سُمي السفر سفراً؛ لأنه يُسفر عن أخلاق الرجال.

وكان الكتاني إذا سافر الفقير إلى اليمن ثم رجع إليه مرة أخرى يأمر بهجرانه؛ وإنما كان يفعل ذلك؛ لأنهم كانوا يسافرون إلى اليمن ذلك الوقت لأجل الرقيق.

وقيل: كان إبراهيم الخواص لا يحمل شيئاً في السفر، وكان لا يفارق الإبرة والركوة أما الإبرة فلخياطة ثوبه إن تمزق ستراً للعودة، وأما الركوة فللطهارة، وكان لا يرى ذلك علاقة ولا معلوماً.

وحكي عن أبي عبد الله الرازي قال: خرجت من طرسوس حافياً، وكان معي رفيق، فدخلنا بعض قرى الشام، فجاءني فقير بجذاء فامتنعت من قبوله؛ فقال لي رفيق: البس هذا، فقد عيبت، فإنه قد فتح عليك بهذا النعل بسبي. فقلت: مالك؟ فقال: نزعت نعلي موافقة لك، ورعاية لحق الصحبة.

وقيل: كان الخواص في سفر، ومعه ثلاثة نفر، فبلغوا مسجداً في بعض المفارز وباتوا فيه، ولم يكن عليه باب. وكان برد شديد فناموا، فلما أصبحوا رأوه واقفاً على الباب، فقالوا: له في ذلك فقال: خشيت أن تجلوا البرد. وكان قد وقف طول ليلته.

وقيل: إن الكتاني استأذن أمه في الحج مرة فأذنت له، فخرج، فأصاب ثوبه البول في البادية، فقال: إن هذا للخلل في حالي، فانصرف. فلما دق باب داره أجابته أمه، ففتحت.. فرآها جالسة خلف الباب.. فسأها عن سبب جلوسها فقالت: مذ خرجت أعتقدت أن لا أبرح من هذا الموضع حتى أراك.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله بن محمد اللمشقي يقول: سمعت إبراهيم بن المولد يقول: سمعت

إبراهيم القصار يقول: سافرت ثلاثين سنة أصلح قلوب الناس للفقراء.

وقيل: زار رجل داود الطائي فقال: يا أبا سليمان، كانت نفسي تنازعين إلى لقائك منذ زمان، فقال: لا بأس إذا كانت الأبدان هادئة والقلوب ساكنة فالتلاقي أيسر.

سمعت أبا نصر الصوفي، وكان من أصحاب النصرأباضي، يقول: خرجت من البحر بعمان وقد أثر في الجوع، فكنت أمرّ في السوق.. فبلغت حانوت حلاوي.. فرأيت فيه حملاناً مشوية، وحلواء.. فتعلقت برجل وقلت: اشتر لي من هذه الأشياء.

فقال: لماذا؟ ألك عليّ شيء، أو عليّ دين؟ فقلت: لا بد أن تشتري لي من هذا.

فرآني رجل فقال: خله يا فتى إن الذي يجب عليه أن يشتري لك ما تريد أنا لا هو، اقترح علي، وأحكم بما تريد. ثم اشترى لي ما أردت، ومضى.

وحكي عن أبي الحسين المصري قال: انفقت مع الشجري في السفر من طرابلس. فسرنا أياماً لم نأكل شيئاً، فرأيت قرعاً مطروحاً.. فأخذت أكله، فالفتت إليّ الشيخ ولم يقل شيئاً، فرميت به، وعلمت أنه كره ذلك.. ثم فتح علينا بخمسة دنانير.. فدخلنا قرية، فقتل: يشتري الشيخ لنا شيئاً لا محالة.

فمر.. ولم يفعل.. ثم قال: لهلك تقول نمشي جياً ولم يشتري لنا شيئاً، هو ذا. فوافي اليهودية قرية على الطريق، وثم رجلٌ صاحب عيال إذا دخلناها يشتغل بنا، فادفعها إليه؛ لينفقها علينا وعلى عياله. فوصلنا إليه، ودفع الدنانير إلى الرجل فأنفقها، فلما خرجنا قال لي: إلى أين يا أبا الحسين؟ فقلت: أسير معك. فقال: لا، إنك تخونني في قرعة وتصحبي، لا تفعل وأبي أن أصحابه.

سمعت محمد بن عبد الله الشيرازي، رحمه الله، يقول: سمعت أبا أحمد الصغير يقول: سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول: كنت في حال حدثي استقبلني بعض الفقراء.. فرأى في أثر الضرّ والجوع، فأدخلني داره وقد لي لما طبخ بالكشك واللحم متغير. فكنت أكل الثريد وأتجنب اللحم لغيره فلقمني لقمة، فأكلتها بجهد.. ثم لقمني ثانية فبلغتني مشقة.. فرأى ذلك فيّ، وخجل، وخجلت لأجله، فخرجت وانزعجت في الحال للسفر. فأرسلت إلى والدي من يجبرها ويحمل إلي مرقعي. فلم تعارضني الوالدة.. ورضيت بخروحي، فارتحلت من القادسية مع جماعة من الفقراء.. فهنا.. ونفذ ما كان معناه.. وأشرفنا على التلف، فوصلنا إلى حي من أحياء العرب، ولم نجد شيئاً فاضطررنا إلى أن أشترينا منهم كلباً بدنانير، وشووه، وأعطوني قطعة من لحمه.. فلما أردت أكله فكرت في حالي، فوقع لي أنه عقوبة خجل ذلك الفقير. فبتت في نفسي.. فدلونا على الطريق.. فمضيت.. وحججت.. ثم رجعت معترراً إلى الفقير.

باب الصحبة

قال الله عزّ وجلّ: " ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا " .
لما أثبت الله سبحانه للصديق الصحبة بين أنه أظهر عليه الشفقة: فقال تعالى: " إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا "

فالحر شفيقٌ على من يصحبه.

أخبرنا عليّ بن أحمد الإهوازي، رحمه الله، قال: أخبرنا أحمد بن عبيد البصري، قال: حدثنا يحيى بن محمد الجبائي قال: حدثنا عثمان بن عبد الله القرشي، عن نعيم بن سالم، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " متى ألقى أحبابي؟ فقال أصحابه: بأبينا أنت وأمانا. أو لسنا أحبابك؟ فقال: أنتم أصحابي، أحبابي: قوم لم يروني، وآمنوا بي، وأنا إليهم بالأشواق أكثر " .

والصحة على ثلاثة أقسام: صحة منع من فوقك: وهي في الحقيقة خدمة، وصحة مع من دونك وهي تقضي على المتبوع بالشفقة والرحمة، وعلى التابع بالوفاق والحرمة.

وصحة الأكفاء والنظراء: وهي مبنية على الإيتار والفتوة؛ فمن صحب شيخاً فوقه في الرتبة، فأدبه ترك الاعتراض، وحمل ما يبدو منه على وجه جميل، وتلقى أحوال بالإيمان به.

سمعت منصور بن خلف المغربي وسأله بعض أصحابنا: كم سنة صحبت أبا عثمان المغربي؟ فنظر إليه شزراً وقال: إني لم أصحبه، بل خلمته مدة.

وأما إذا صحبك من هو دونك، فالخيانة منك في حق صحبته أن لا تنبهه على ما فيه م نقصان في حالته؛ ولهذا كتب أبو الخير التيناني إلى جعفر بن محمد بن نصير: وزر جهل الفقراء عليكم؛ لأنكم اشتغلتم بنفوسكم عن تأديبهم، فبقوا جهلة.

وأما إذا صحبت من هو في درجتك، فسييلك النعامي عن عيوبه، وحمل ما ترى منه على وجه من التأويل جميل، ما أمكنك، فإن لم تجد تأويلاً عدت إلى نفسك بالتهمة وإلى التزام اللاتمة.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق. رحمه الله، يقول: قال أحمد بن أبي الحواري: قلت لأبي سليمان الداراني: إن فلاناً لا يقع من قلبي!! فقال أبو سليمان: وليس يقع أيضاً من قلبي، ولكن يا أحمد، لعلنا أتينا من قبلنا، لسنا من جملة الصالحين؛ فلسنا نحبهم.

وقيل: صحب رجل إبراهيم بن أدهم، فلما أراد أن يفارقه قال له الرجل: إن رأيت في عيياً فنبني عليه. فقال إبراهيم: إني لم أربك عيياً؛ لأني لاحتك بعين الوداد؛ فاستحسننت منك ما رأيت، فسل غيري عن عيبك. وفي معناه أنشدوا:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة... ولكن عن السخط تبدي المساويا
وحكى عن إبراهيم بن شيبان أنه قال: كنا لا نصحب من يقول نعلي.

سمعت أبا حاتم الصوفي، يقول: سمعت أبا نصر السراج، يقول: قال أبو أحمد القلانسي، وكان من أستاذه الجليل: صحبت أقواماً بالبصرة فأكرموني.. فقلت مرة لبعضهم: أين إزارني؟ فسقطت من أعينهم.

وسمعت أبا حاتم يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت اللقي يقول: سمعت الزقاق يقول: منذ أربعين سنة أصحب هؤلاء: فما رأيت رفقا لأصحابنا إلا من بعضهم لبعض، أو ممن يحبهم، ومن لم يصحبه التقوى والورع في هذا الأمر أكل الحرام النص.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: قال رجل لسهل بن عبد الله: أريد أن أصحبك يا أبا محمد. فقال: إذا مات أحدنا فمن يصحبه الباقي؟ فقال: الله. فقال له: فليصحبه الآن.

وصحب رجل رجلاً مدة، ثم بدا لأحدهما المفارقة، فاستأذن صاحبه، فقال: بشرط ألا تصحب أحداً إلا إذا كان فوقنا وإن كان أيضاً فوقنا فلا تصحبه؛ لأنك صحبتنا أولاً، فقال الرجل: زال من قلبي إرادة المفارقة.

سمعت أبا حاتم الصوفي، يقول: سمعت أبا نصر السراج، يقول: سمعت الدقي يقول: سمعت الكناني يقول: صحبني

رجل، وكان على قلبي ثقيلًا، فوهبت ل شينًا، ليزول ما في قلبي، فلم يزل!!.. فحملته إلى بيتي، وقلت له: ضع رجلك على خدي. فأبي، فقلت: لا بدّ. ففعل، واعتقدت أن لا يرفع رجله من خدي حتى يرفع الله من قلبي ما كنت أجده، فلما زال عن قلبي ما كنت أجده، قلت له: أرفع رجلك الآن.

وكان إبراهيم بن أدهم يعمل في الحصاد وحفظ البساتين وغيره، وينفق على أصحابه.

وقيل: كان مع جماعة من أصحابه، فكان يعمل بالنهار وينفق عليهم، ويجتمعون بالليل في موضع وهم صيام، فكان يبطيء في الرجوع من العمل، فقالوا ليلة: تعالوا نأكل فطورنا دونه، حتى يعود بعد هذا أسرع، فأفطروا، وناموا، فلما رجع إبراهيم وجلهم نيامًا، فقال: مساكين، لعلهم لم يكن لهم طعام؛ فعمد إلى شيء من الدقيق كان هناك، فعجنه، وأوقد على النار، وطرح الملة، فانتبهوا، وهو ينفخ في النار واضعاً محاسنه على التراب، فقالوا له في ذلك، فقال: قلت لعلكم لم تجدوا فطوراً.. فنتمم.. فأحببت أن تستيقظوا والملة قد أدركت.

فقال بعضهم لبعض: انظروا ما الذي عملنا، وما الذي به يعاملنا.

وقيل: كان إبراهيم بن أدهم إذا صحبه أحد شارطه على ثلاثة أشياء: أن تكون الخدمة والأذان له، وأن تكون يده في جميع ما يفتح الله عليهم من الدنيا كيدهم.

فقال له يوماً رجل من أصحابه: أنا لا أقدر على هذا؟ فقال: أعجبني صدقك.

وقال يوسف بن الحسين: قلت لذي النون: مع من أصحب؟ فقال: مع من لا تكتمه شيئاً يعلمه الله تعالى منك.

وقال سهل بن عبد الله لرجل: إن كنت ممن يخاف السباع فلا تصحني.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن الحسن العلوي يقول: حدثنا عبد الرحمن بن حمدان قال: حدثنا أبو

القاسم بن منبه قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار.

وحكى الجنيد قال: لما دخل أبو حفص بغداد كان معه إنسان أصلع لا يتكلم بشيء.. فسألت أصحاب أبي حفص عن حاله، فقالوا: هذا رجل أنفق عليه مائة ألف درهم، واستدان مائة ألف درهم أنفقها عليه، ولا يُرخص له أبو حفص أن يتكلم بحرف.

وقال ذو النون: لا تصحب مع الله إلا بالموافقة، ولا مع الخلق إلا بالمناصحة، ولا مع النفس إلا بالمخالفة، ولا مع الشيطان إلا بالعداوة.

وقال رجل لذي النون: مع من أصحب؟ فقال: مع من إذا مرضت عادك، وإذا أذنبت تاب عليك.

سمعت الأستاذ أبا عليّ، رحمه الله، يقول: الشجر إذا نبت بنفسه ولم يستنبت أحد يورق ولكنه لا يثمر، كذلك المرید إذا لم يكن له أستاذ يتخرج به لا يجيء منه شيء.

وكان الأستاذ أبو عليّ، يقول: أخذت هذا الطريق عن النصرأبادي، والنصرأبادي عن الشبلي، والشبلي عن الجنيد، والجنيد عن السريّ، والسريّ عن معروف الكرخي، ومعروف الكرخي عن داود الطائي، وداود الطائي لقي التابعين.

وسمعته يقول: لم أختلف إلى مجلس النصرأبادي قط إلا اغتسلت قبله.

قال الأستاذ أبو القاسم القشيري: ولم أدخل أنا على الأستاذ أبي عليّ في وقت بدايتي إلا صائماً، وكنت أغتسل قبله، وكنت أحضر باب مدرسته غير مرة فأرجع من الباب؛ احتشاماً منه أن أدخل عليه، فإذا تجاسرت مرة ودخلت المدرسة كنت إذا بلغت وسط المدرسة يصحبي شبه خدرٍ، حتى لو غرزني إبرة - مثلاً - لعلي كنت لا أحسن بها، ثم إذا قعدت لواقعة وقعت لي لم أحتج أن أسأله بلساني عن المسألة، فكما كنت أجلس كان يبتدئ

بشرح واقعي، وغير مرة رأيت منه هذا عياناً، وكنت أفكر في نفسي كثيراً أنه لو بعث الله في وقتي رسولاً إلى الخلق هل يمكنني أن أزيد من حشمته على قلبي فوق ما كان منه، رحمه الله، فكان لا يتصور لي أن ذلك ممكن، ولا أذكر أنني في طول اختلافي إلى مجلسه، ثم كوني معه بعد حصول الوصلة، أن جرى في قلبي أو خطر بيالي عليه قط اعتراض، إلى أن خرج رحمه الله من الدنيا.

أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني، رحمه الله، قال: أخبرنا محمد بن أحمد العبيدي، قال: أخبرنا أبو عوانة، قال: حدثنا يونس، قال: حدثنا خلف بن تميم أبو الأحوص، عن محمد بن النضر الحارثي، قال: أوحى الله سبحانه، إلى موسى عليه السلام: كن يقظاً.. مراتداً لنفسك أهداناً. وكل خدن لا يؤاثيرك على. مسرة فاقصه. ولا تصحبه؛ فإنه يقسى قلبك، وهو لك عدو، وأكثر من ذكرى تسوجب على شكري والمزيد من فضلي. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: سمعت عبد الله.. ابن المعلم يقول: سمعت أبا بكر الطمستاني يقول: اصحبوا مع الله، فإن لم تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله، لتوصكم بركات صحبتهم إلى صحبة الله عز وجل.

باب التوحيد

قال الله عز وجل: " وإلهكم إله واحد " .

أخبرنا الإمام أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك، رضي الله عنه، قال حدثنا أحمد بن محمود بن خرزاذ قال: حدثنا مسيح بن حاتم العكلي قال: حدثنا الحجيبي عبد الله بن عبد الوهاب قال: حدثنا حماد بن زيد، عن سعيد بن سعد ابن حاتم العتكي، عن ابن أبي صدقة: عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. " بينا رجل فيمن كان قبلكم لم يعمل خيراً قط إلا التوحيد، فقال لأهله: إذا مت فاحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ذروا نصفي في البرّ ونصفي في البحر في يوم ريح. ففعلوا.. فقال الله عز وجل للريح: أدّى ما أخذت، فإذا هو بين يديه، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: أستحياء منك، فغفر له " ..

التوحيد: هو الحكم بأن المله واحد، والعلم بأن الشيء واحد أيضاً توحيد، ويقال: وحدته: إذا وصفته بالوحدانية، كما يقال: شجعت فلاناً إذا نسبته إلى الشجاعة، يقال في اللغة: وحد يحد فهو واحد ووَحدٌ، ووحد؛ كما يقال: فرد فهو فارد، وفرد، وفريد.

وأصل أحد وحد فقلبت الواو همزة، والواو المفتوحة قد تقلب همزة، كما تقلب للكسورة والمضمومة، ومنه امرأة أسماء، بمعنى أسماء، من الوسامة، ومعنى كونه، سبحانه، واحداً على لسان العلم، قيل: هو الذي لا يصحّ في وصفه الوضع والرفع، بخلاف قولك: إنسان واحد؛ لأنك تقول إنسان بلا يد ولا رجل، فيصح رفع شيء منه، واسحق، سبحانه، إحدى الذات، بخلاف الأسم الجملة الحاملة.

وقال بعض أهل التحقيق في معنى أنه واحد: نفى التقسيم لذاته، ونفى التشبيه عن حقه وصفاته، ونفى الشريك معه في أفعاله ومصنوعاته.

والتوحيد ثلاثة: توحيد الحق للحق، وهو علمه بأنه واحد وخيبره عنه بأنه واحد.

والثاني: توحيد الحق، سبحانه، للخلق، وهو حكمه، سبحانه، بأن العبد موحد، وخلقته توحيد العبد.

والثالث: توحيد الخلق للحق، سبحانه، وهو علم العبد بأن الله، عز وجل، واحد، وحكمه وإخباره عنه بأنه واحد. فهذه جهة في معنى التوحيد علي شرط الإيجاز والتحديد.

واختلفت عبارات الشيوخ عن معنى التوحيد: سمعنا الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله، يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت يوسف ابن الحسين يقول: سمعت ذا النون المصري يقول: وقد سئل عن التوحيد فقال: أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج، وصنعه للأشياء بلا علاج، وعلّة كل شيء صنّعه ولا علة لصنّعه، ومهما تصور في نفسك شيء فالله بخلافه.

وسمعته يقول: سمعت أحمد بن محمد بن زكريا يقول: سمعت أحمد بن عطاء يقول: سمعت عبد الله بن صالح يقول: قال الجريبي: ليس لعلم التوحيد إلا لسان التوحيد.

وسئل الجنيدي عن التوحيد فقال: أفراد الموحّد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أنه الواحد الذي لم يلد ولم يولد، بنفي الأضداد والأنداد والأشياء بلا تشبيه ولا تكيف ولا تصوير ولا تمثيل: " ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ".

وقال الجنيدي: إذا تناهت عقول العقلاء في التوحيد تناهت إلى الحيرة.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا الحسين بن مقسم يقول: سمعت جعفر بن محمد يقول: سمعت الجنيدي يقول ذلك، وسئل الجنيدي عن التوحيد، فقال: معنى تضمحل فيه الرسوم، وتندرج فيه العلوم ويكون الله تعالى كما لم يزل وقال الحصري: أصولنا في التوحيد خمسة أشياء.

رفع الحدث وإفراد القدم، وهجر الإخوان، ومفارقة الأوطان، ونسيان ما عُلم على وجهه.

سمعت منصور بن خلف المغربي يقول: كنت في صحن الجامع ببغداد يعني جامع المنصور والحصري يتكلم في التوحيد، فرأيت ملكين يعرجان إلى السماء، فقال أحدهما لصاحبه: الذي يقول هذا الرجل علم التوحيد والتوحيد غيرُه، يعني كنت بين اليقظة والنوم.

وقال فارس التوحيد هو إسقاط الوسائط عند غلبة الحال والرجوع إليها عند الأحكام، وأن الحسنات لا تغير الأقسام من الشقاوة والسعادة.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر بن شاذان يقول: سمعت الشيلي يقول: التوحيد: صفة الموحّد حقيقة وحلية الموحّد رسماً.

وسئل الجنيدي عن توحيد الخاص فقال: أن يكون العبد شبحاً بين يدي الله، سبحانه، تجري عليه تصاريف تديره في مجاري أحكام قدرته، في لجج بحار توحيده، بالقناء عن نفسه وعن دعوة الخلق له وعن استجابته بحقائق وجوده ووحدانيته، في حقيقة قربه بذهاب حسنه وحركته. لقيام الحق، سبحانه له فيما أراد منه، وهو أن يرجع آخر العبد إلى أوله، فيكون كما كان قبل أن يكون.

وسئل البوشنجي عن التوحيد فقال: غير مشبه النوات ولا منفي الصفات.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا الحسين العنبري يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول، وقد سئل عن ذات الله، عز وجل. فقال: ذات الله تعالى موصوفة بالعلم، غير مدركة بالإحاطة، ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا، وهي موجودة بحقائق الإيمان من غير حد ولا إحاطة ولا حلول، وتراه العيون في العقي ظاهراً في ملكه وقدرته، قد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته، ودلهم عليه بآياته؛ فالقلوب تعرفه، والعقول لا تدركه، ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهایة.

وقال الجنيد: أشرف كلمة في التوحيد: ما قاله أبو بكر الصديق، رضي الله عنه. سبحان من لم يجعل خلقه سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته.

قال الأستاذ أبو القاسم: ليس يريد الصديق، رضي الله عنه، أنه لا يعرف؛ لأن عند الحقيقين: العجز عجز عن الموجود، دون المعدوم، كالمقعد عاجزٌ عن قعوده؛ إذ ليس بكسب له ولا فعل، والقعود موجود فيه، كذلك العارف عاجز عن معرفته، والمعرفة موجودة فيه؛ لأنها ضرورية.

وعند هذه الطائفة المعرفة به سبحانه في الانتهاء ضرورية.

فالمعرفة الكسبية في الابتداء، وإن كانت معرفة على التحقيق، فلم يعانها الصديق رضي الله عنه شيئاً بالإضافة إلى المعرفة الضرورية، كالسراج عند طلوع الشمس وانبساط شعاعها عليه.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أحمد بن سعيد البصري بالكوفة يقول: سمعت ابن الأعرابي يقول: قال الجنيد: التوحيد الذي انفرد به الصوفي هو: أفراد القدم عن الحدث والخروج عن الأوطان، وقطع الخاب وترك ما علم وجهل، وأن يكون الحق، سبحانه، مكان الجميع.

وقال يوسف بن الحسين: من وقع في بحار التوحيد لا يزداد على ممر الأوقات إلا عطشاً.

وقال الجنيد: علم التوحيد مبين لوجوده، ووجوده مفارق لعلمه.

وقال الجنيد أيضاً: علم التوحيد طوى بساطه منذ عشرين سنة، والناس يتكلمون في حواشيه!! سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن أحمد الأصبهاني يقول: وقف رجل علي الحسين بن منصور، فقال: من الحق الذي يشيرون إليه؟ فقال: معل الأنام ولا يعجل.

وسمعت يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت الشبلي يقول: من اطلع على ذرة من علم التوحيد ضعف عن حمل بقعة لثقل ما حمله.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سئل الشبلي؛ فقيل له أخبرنا عن توحيد مجرد ويلسان حق مفرد.

فقال: ويحك!! من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد، ومن أشار إليه فهو ثنوي، ومن أومأ إليه فهو عابد وثن، ومن نصدق فيه فهو غافل، ومن سكت عنه فهو جاهل، ومن توهم أنه واصل فليس له حاصل، ومن رأى أ،ه قريب فهو بعيد، ومن تواجد فهو فاقد، وكل ما ميزتموه بأوهامكم وأدركوه بعقولكم في أتم معانيكم فهو مصروف مردود إليكم، محدث مصنوع مثلكم.

وقال يوسف بن الحسين: توحيد الخاصة أن يكون بسره ووجده وقلبه كأنه قائم بين يدي الله تعالى يجري علي تصاريه تدبيره وأحكام قدرته في بحار توحيده بالفناء عن نفسه وذهاب حسه، بقيام الحق سبحانه له في مرآه منه، فيكون كما هو قيل أن يكون في جريان حكمه سبحانه عليه.

وقيل: التوحيد للحق سبحانه، والخلق طفيلي.

وقيل: التوحيد: إسقاط الیاءات؛ لا تقول لي وبي ومني وليّ.

وقيل: لأبي بكر الطمستاني: ما التوحيد؟ فقال: توحيد، وموحد، وموحد، هذه ثلاثة.

قال رويم: التوحيد هو آثار البشرية وتجرد الألوهية.

سمت أبا علي الدقاق يقول في آخر عمه، وكان قد اشتدت به العلة، فقال: من أمارات التأيد حفظ التوحيد فيأوقات الحكم، ثم قال؛ كالمفسر لقوله مشيراً إلى ما كان من حاله، هو: أن يقرضك بمقاريض القدرة في إمضاء

الأحكام قطعةً وأنت شاكر حامد.

وقال الشبلي: ما شم روائح التوحيد من تصور عنده التوحيد.

وقال أبو سعيد الخراز: أول مقام لمن وجد علم التوحيد، وتحقق بذلك، فناء ذكر الأشياء عن قلبه، وانفراده بالله عزَّ وجلَّ.

وقال الشبلي لرجل: أتدري لم لا يصح توحيدك؟ فقال: لا!! فقال: لأنك تطلبه بك.

وقال ابن عطاء: علامة حقيقة التوحيد نسيان التوحيد، وهو أن يكون القائم به واحداً.

ويقال من الناس من يكون مكاشفاً بالأفعال، يرى الحادثات بالله تعالى، ومنهم من هو مكاشف بالحقيقة، فيضمحل إحساسه بما سواه، فهو يشاهد الجمع سرّاً بسرّ، وظاهره بوصف التفرقة.

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت علي بن محمد القزويني يقول: سمعت القفد يقول: سئل الجنيد عن التوحيد، فقال سمعت قاتلاً يقول:

وغنى لي من قلبي

وغنيت كما غنّيتي

وكنا حينما كانوا

وكانوا حينما كنا

فقال السائل: أهلك القرآن والأخبار؟! فقال: لا، ولكن الموحد يأخذ أعلى التوحيد من أدنى الخطاب وأيسره.

باب الخروج من الدنيا

باب أحوالهم عند الخروج من الدنيا قال الله تعالى: "الذين تتوفاهم للملائكة طيبين".

يعنى: طيبة نفوسهم، بينهم مذهبهم لا يتقل عليهم رجوعهم إلى مولاهم.

أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد ابن عقبة الشيباني بالكوفة قال: حدثنا الخضر بن أيان الهاشمي قال: حدثنا أبو هديبة، عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت، وإن مفاصله ليسلم بعضها علي بعض؛ تقول: عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة".

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا أبو العباس الأصم قال: حدثنا الخضر بن أبان الهاشمي قال: حدثنا

سوار قال: حدثنا جعفر. عن ثابت، عن أنس: "أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت،

فقال كيف تجددك؟ فقال: أرجو الله تعالى وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئان لا يجتمعان في

قلب عبد مؤمن في هذا الوطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمنه مما يخاف".

واعلم أن أحوالهم في حال النزح مختلفة؛ فبعضهم الغالب عليه الهيبة، وبعضهم الغالب عليه الرجاء، ومنهم من

كشف له في تلك الحالة ما أوجب له السكون، وهجمل الثقة.

حكى أبو محمد الجري قال: كنت عند الجنيد في حال نزعه، وكان يوم الجمعة، ويوم نيروز، وهو يقرأ القرآن،

فختمه، فقلت: في هذه الحالة يا أبا القاسم؟ فقال: ومن أولى بذلك مني وهو ذا تطوى صحيفتي.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول بلغني عن أبي محمد الهروي أنه قال: مكثت عند

الشبلي الليلة التي مات فيها فكان يقول طول ليلته هذين البيتين:

كلُّ بيت أنت ساكنه ... غير محتاج إلى السُّرُج

وجْهك المأمول حجتنا ... يوم يأتي الناس بالحجج

وحكى عن عبد الله بن منازل أنه قال: إن حمدون القصار أوصى إلى أصحابه أن لا يتركوه في حال الموت بين النسوان.

وقيل لبشر الحافي، وقد احتضر كأنك يا أبا نصر تحبّ الحياة؟ فقال: القدوم علي الله، عزّ وجلّ، شديد.

وقيل: كان سفيان الثوري إذا قال له بعض أصحابه إذا سافر: تأمر بشغل؟؟..

يقول: إن وجدت الموت فاشتره لي! فلما قربت وفاته كان يقول: كنا نتمناه.. فإذا هو شديداً!! وقيل: لما حضرت

الحسن بن علي بن أبي طالب الوفاة بكى فقبل له: ما يبكيك؟ فقال: أقدم على سيد لم أراه.

ولما حضرت بلالاً الوفاة قالت امرأته: واحزنناه!! فقال: بل واطرباه.. غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه.

وقيل: فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاة وضحك. وقال: لمثل هذا فليعمل العاملون.

وقيل: كان مكحول الشامي الغالب عليه الحزن، فدخلوا عليه في مرض موته وهو يضحك، فقبل له في ذلك، فقال:

ولام لا أضحك وقد دنا فراق ما كنت أحذره، وسرعة القدوم على ما كنت أرجوه وآمله.

وقال رويم: حضرت وفاة أبي سعيد الخزاز، وهو يقول في آخر نفسه:

حينئذٍ قلوب العارفين إلى الذكر ... وتذكّارهم وقت المناجاة للسّرِّ

أديرت كؤوس للمنايا عليهم ... فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذي السكر

هُمُوهُم جِوَالَة بِمَعْسَكِرٍ ... به أهل ودّ الله كالأنجم الزهر

فأجسامهم في الأرض قتلى بجمه ... وأرواحهم في الحجب نحو العلات تسري

فما عرسوا إلا بقرب حبيهم ... وما عرّجوا عن مسرّ بؤس ولا ضر

وقيل للجعيد: إن أبا سعيد الخزاز كان كثير التواجد عند الموت. فقال: لم يكن بعجيب أن تظير روحه اشتياًقاً.

وقال بعضهم وقد قربت وفاته: يا غلام اشدد كتافي وعفر خدي، ثم قال: دنا الرحيل ولا براءة لي من ذنب، ولا

عذر أعتذر به، ولا قوة أنتصر بها.. أنت لي، أنت لي..

ثم صاح صيحة ومات، فسمعوا صوتاً: " استكان العبد لمولاه، فقبله ".

وقيل لذي النون المصري عند موته: ما تشتهي؟ قال أن أعرفه قبل موتي بلحظة.

وقيل لبعضهم وهو في النزع: قل الله، فقال: إلى متى تقولون: قل الله، وأنا محترق بالله!! وقال بعضهم: كنت عند

ممشاد الدينوري، فقدم فقير وقال السلام عليكم، فردوا عليه السلام، فقال: هل هنا موضع نظيف يمكن الإنسان أن

يموت فيه؟ فأشاروا عليه بمكان، وكان ثمّ عين ماء.. فجدد الفقير الوضوء وركع ما شاء الله تعالى، ومضى إلى المكان

الذي أشاروا إليه.. ومد رجليه، ومات.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ يقول: كان أبو العباس الدينوري يتكلم يوماً في مجلسه.. فصاحت امرأة

تواجدت، فقال لها: موتي.. فقامت المرأة فلما بلغت باب الدار التفتت إليه وقالت: قدّمتُ. ووقعت ميتة.

وقال بعضهم: كنت عند ممشاد الدينوري عند وفاته، فقبل له: كيف تجد العلة؟! فقال سلوا العلة عني كيف تجدني،

فقبل له. قل لا إله إلا الله، فحول وجهه إلى الجدار وقال: أفنيت كلّك بكلك هذا جزاء من يجبك.

وقيل لأبي محمد الديبلي، وقد حضرته الوفاة، قل: لا إله إلا الله.

فقال هذا شيء قد عرفناه، وبه نفنى، ثم أنشأ يقول:

تسريل ثوب النية لما هويته ... وصدد ولم يرض بأن أك عبده

وقيل للشبلي عند وفاته: قل لا إله إلا الله. فقال:

قال سلطان حبه ... أنا لا أقبل الرشا

فسلوه بحقه ... لم يقتلي تحرّشا

سمعت محمد بن أحمد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن علي التميمي يقول: سمعت أحمد بن عطاء يقول: سمعت بعض

الفقراء يقول: لما مات يحيى الاصطخري جلسنا حوله، فقال له رجل منا: قل أشهد أن لا إله إلا الله، فجلس

مستويًا.. ثم أخذ بيد واحد منا، وقال له: قل أشهد أن لا إله إلا الله.. ثم أخذ بيد آخر.. حتى عرض الشهادة على

جميع الحاضرين، ثم مات.

ويحكى عن فاطمة أخت أبي علي الروذباري، أنها قالت: لما قرب أجل أخي أبي الروذباري، وكان رأسه في حجري،

فشح عينيه، وقال: هذه أبواب السماء قد فتحت.. وهذه الجنان قد زُينت، وهذا قاتل يقول لي: يا أبا علي قد بلغناك

الرتبة القصوى وإن لم تردها.. ثم أنشأ يقول:

وحقك لا نظرتُ إلى سواكاً ... بعين مودة حتى أراكا

أراك معذبي بفتورٍ لحظري ... وبالخذ المورد من جناكا

ثم قال: يا فاطمة، الأول ظاهر، والثاني فيه إشكال.

سمعت بعض الفقراء يقول: لما قربت وفاة أحمد بن نصر، رحمه الله تعالى، قال له واحد: قل أشهد أن لا إله إلا الله

فنظر إليه وقال له: لا تترك الحرمة بالقراسية بي حرمني ممكن.

وقال بعضهم: رأيت فقيراً يجود بنفسه غريباً.. والذباب على وجهه، فجلست أذب الذباب عن وجهه.. ففتح

عينيه، وقال: من هذا؟ أنا منذ كذا سنة في طلب وقت يصفو لي فلم يتفق إلا الآن.. جئت أنت توقع نفسك فيه،

مرّ عافاك الله.

وقال أبو عمران الاصطخري: رأيت أبا تراب في البادية قائماً ميتاً لا يمسه شيء.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: كان سبب وفاة أبي الحسين النوري أنه سمع هذا

البيت.

لا زلت أنزل في وداك منزلاً ... تتحير الألباب عند نزوله

فتواجد النودي وهام في الصحراء ... فوقع في أجمه قصب قد قطعت وبقي

أصولها مثل السيوف، فكان يمشي عليها ويعيد عليها ويعيد هذا البيت إلى الغداة والدم يسيل من رجليه. ثم وقع

مثل السكران، فتورمت قدماه. ومات.

وحكي أنه قيل له عند النزاع: قل لا إله إلا الله، فقال أليس إليه أعود.

وقيل: مرض إبراهيم الخواص في المسجد الجامع: بالري وكت به علة بالإسهال، فكان إذا قام مجلساً يدخل الماء..

ويتوضأ، فدخل الماء مرة فخرجت روحه.

سمعت منصوراً المغربي يقول دخل عليه يوسف بن الحسين عائداً له بعد ما أتى عليه أيام لم يعده، ولم يتبعه، فلما

راه، قال للخواص: أتشتهي شيئاً؟ قال: نعم، قطعت كبد مشوي.

قال الأستاذ أبو القاسم: لعل الإشارة فيه أنه أراد: أشتهي قلباً يرقى لفقر، وكبداً تشتوي وتحترق لغريب؛ لأنه

كالمستجفى ليوسف بن الحسين؛ حيث لم يتعهده.

وقيل: كان سبب موت بن عطاء أنه أدخل مرة على الوزير، فكلمه الوزير بكلام غليظ.

فقال له ابن عطاء: أهدأ يا رجل!! فأمر.. فضُربَ بجففه على رأسه فمات منه.

سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن علي التميمي يقول: سمعت أبا بكر الدقي يقول: كنا

عند أبي بكر الزقاق بالعادة، فقال: إلهي: كم تبقىني ها هنا فما بلغ الغداة الأولى حتى مات.

وحكي عن أبي علي الروذباري أنه قال: رأيت في البادية حَدَثًا، فلما رأيته. قال: أما يكفيك، شغفني بحبه حتى علي،

ثم رأيتته يجود بروحه، فقلت له: قل لا إله إلا الله، فأنشأ يقول:

أيا من ليس لي عنه ... وإن عذبي بد

ويا من نال من قلبي ... منالاً ما له حد

وقيل للجنييد: قل لا إله إلا الله، فقال: ما نسيته فأذكره!! وقال:

حاضر في القلب يعمره ... لست أنساه فأذكره

فهو مولاي ومعتدي ... ونصيبي منه أوفر

سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن علي التميمي يقول: سألت جعفر بن نصير بكران

الديوري، وكان يخدم الشبلي، ما الذي رأيت منه؟ فقال: قال لي عليٌّ درهم مظلمة، وقد تصدّقت عن صاحبه

بالوف، فما على قلبي شغل أعظم منه، ثم قال: وضعتي للصلاة، ففعلت، فنسيت تحليل لحيتي، وقد أمسك علي

لسانه، فقبض على يدي وأدخلها في لحيتي، ثم مات، فبكى جعفر وقال: ما تقولون في رجل لم يفته حتى في آخر

عمره أدب من آداب الشريعة.

سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول: سمعت أبا الحسن بن عبد الله الطرسوسي يقول: سمعت علوشاً الديوري

يقول: سمعت الزين الكبير يقول: كنت بمكة - حرصها الله تعالى - فوقع بي انزعاج، فخرجت أريد المدينة. فلما

وصلت إلى بئر ميمونة إذا أنا بشاب مطروح؛ فعدلت إليه وهو يتزع؛ فقلت له: قل لا إله إلا الله.. ففتح عينيه؛

مانشأ يقول:

أنا إن مت فاهوى حشو قلبي ... وبداء الهوى تموت الكرام

فشهق شهقة، ثم مات، فغسلته، وكفنته، وصليت عليه، فلما فرغت من دفنه سكن ما كان بي من إرادة السفر،

فرجعت إلى مكة.

وقيل لبعضهم: أتحب الموت؟ فقال: القدوم على من يرجى خيره خير من البقاء مع من يؤمن شره.

وحكي عن الجنييد أنه قال: كنت عند أستاذي ابن الكرنبي، وهو يجود بنفسه، فنظرت إلى السماء فقال: بعد، ثم

نظرت إلى الأرض فقال: بعد، يعني: أنه أقرب إليك من أن تنظر إلى السماء أو إلى الأرض، بل هو وراء المكان.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت الوجيهي يقول: سمعت أبا علي الروذباري

يقول: دخلت مصر فرأيت الناس مجتمعين، فقالوا: كنا في جنازة فتى سمع قاتلاً يقول:

كبرت همّة عبد ... طمعت في أن تراكا

فشهق شهقة ومات.

وقيل: دخل جماعة على ممشاد الديوري في مرض موته، فقالوا: ما فعل الله بك وما صنع؟ فقال: منذ ثلاثين سنة

تعرض علي الجنة بما فيها فما أعرتما طرفي، وقالوا له عند النزح: كيف تجد قلبك؟ فقال: منذ ثلاثين سنة فقدت قلبي.

سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن التميمي يقول: قال الوجيهي: كان سبب موت ابن بنان أنه ورد على قلبه شيء، فهام على وجهه، فلحقوه في وسط متاهة بني إسرائيل في الرمل، ففتح عينيه وقال: ارتع، فهذا مرتع الأحاب. وخرجت روحه.

وقال أبو يعقوب النهرجوري: كنت بمكة، فجاءني فقير معه دينار، فقال: إذا كان غداً فأنا أموت، فأصلح لي بنصف هذا قبراً، والنصف الثاني لجهازي. فقلت في نفسي: دوخل الشاب؛ فإنه قد أصابته فاقة الحجاز، فلما كان الغد جاء؛ ودخل الطواف، ثم مضى وامتد على الأرض، فقلت: هو ذا يتموات، فذهبت إليه، فحركته فإذا هو ميت. فدفتته كما أمر.

وقيل: لما تغيرت الحال على أبي عثمان الحيري مزق ابنه أبو بكر قميصاً ففتح أبو عثمان عينيه وقال: يا بني إن خلاف السنة في الظاهر من رياء في الباطن.

وقيل: دخل ابن عطاء على الجنيد، وهو يوجد بنفسه؛ فسلم. فأبطأ في الجواب، ثم رد، وقال: اعذرني، فلقد كنت في وردي ثم مات.

وحكى أبو علي الروذباري قال: قدم علينا فقير، فمات، فدفتته وكشفت عن وجهه لأضعه في التراب ليرحم الله عز وجل غربته. ففتح عينيه وقال: يا أبا علي، أتدللني بين يدي من دللي؟! فقلت: يا سيدي أحياء بعد موت؟ فقال لي: بلى أنا حي، وكل محب لله، عز وجل، حتى لأنصرك غداً بجاهي يا روذباري.

ويحكى عن ابن سهل الأصفهاني أنه قال: أترون أي أموت كما يموت الناس، مرض وعبادة، وإنما ادعى، فيقال: يا علي، فأجيب.

فكان يمشي يوماً، فقال: " ليك " . ومات.

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول: سمعت أبا الحسن المرين قال: لما مرض أبو يعقوب النهرجوري مرض وفاته، قلت له، وهو في النزح: قل لا إله إلا الله، فتبسم إلي وقال: إياي تمني؟ وعزة من لا يذوق الموت ما بيني وبينه إلا حجاب العزة. وانطلقاً من ساعته، فكان المرين يأخذ بلحيته ويقول: حجام مثلي يلقي أولياء الله الشهادة، واخجلتاه منه!! وكان يبكي إذا ذكر هذه الحكاية.

وقال أبو حسين المالكي: كنت أصحب خيراً النساج سنين كثيرة، فقال لي قبل موته بثمانية أيام: أنا أموت يوم الخميس وقت المغرب، وأدفن يوم الجمعة قبل الصلاة، وستسى هذا، فلا تنس.

قال أبو الحسين: فأنسيته إلى يوم الجمعة فلقيني من أخبرني بموته، فخرجت لأحضر جنازته، فوجدت الناس راجعين يقولون: يدفن بعد الصلاة.

فلم أنصرف، وحضرت، فوجدت الجنازة قد أخرجت قبل الصلاة كما قال، فسألت من حضر وفاته، فقال: إنه غشي عليه، ثم أفاق، ثم التفت إلى ناحية البيت وقال: قف عافاك الله، فإنما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور، الذي أمرت به لا يفوتك، والذي أمرت به يفوتني؛ فدعا بماء فجدد وضوءه وصلى، ثم تمدد، وغمض عينيه، فرؤي في المنام بعد موته، فقيل له: كيف حالك؟ فقال: لا تسل، ولكني تخلصت من دنيا الوضرة.

وذكر أبو الحسين الحمصي مصنف كتاب بهجة الأسرار أنه لما مات سهل بن عبد الله انكب الناس على جنازته، وكان في البلد يهودي نيف على السبعين، فسمع الضجة، فخرج لينظر ما كان، فلما نظر إلى الجنازة صاح وقال:

أترون ما أرى؟ فقالوا: لا، ماذا ترى؟ فقال أرى أقواماً ينزلون من السماء يتسحون بالجنابة، ثم إنه تشهد، وأسلم، وحسن إسلامه.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا جعفر بن قيس - بمصر - يقول: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: كنت بمكة فجزت يوماً بابيني شبيبة فرأيت شاباً حسن الوجه ميتاً، فنظرت في وجهه فتبسم في وجهي وقال لي: يا أبا سعيد، أما علمت أن الأحياء أحياء وإن ماتوا، وإنما ينقلون من دار إلى دار. وسمعت يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الجريري يقول: بلغني أنه قيل لذي النون المصري عند النزاع: أوصنا. فقال: لا تشغلوني فإني متعجب من محاسن لطفه.

وسمعت يقول: سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول: سمعت أبا عثمان الخيري يقول: سئل أبو حفص في حال وفاته: ما الذي تعظنا به؟ فقال: لست أقوى على القول، ثم رأى من نفسه قوة، فقلت له: قل حتى أحكي عنك. فقال: موعظتي: الانكسار بكل القلب على التقصير.

باب المعرفة بالله

قال الله تعالى: " وما قدروا الله حق قدره " . جاء في التفسير: وما عرفوا الله حق معرفته.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله العدل، قال: حدثنا محمد بن القاسم العتكي، قال: حدثني محمد بن أشرس، قال: حدثنا سليمان بن عيسى الشجري عن عبا بن كثير، عن حنظلة بن أبي سفيان، عن القاسم بن محمد، عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن دعامة البيت أساسه، ودعامة الدين المعرفة بالله تعالى، واليقين والعقل القامع فقلت: بأبي أنت وأمي ما العقل القامع؟ قال الكف عن معاصي الله، والحرص على طاعة الله " .

قال الأستاذ: المعرفة على لسان العلماء هو: العلم؛ فكل علم معرفة؛ وكل معرفة علم؛ وكل عالم بالله عارف؛ وكل عارف عالم وعند هؤلاء القوم المعرفة: صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته؛ ثم صدق الله تعالى في معاملاته: ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وأفاهه؛ ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكاف فحظي من الله تعالى بجميل إقباله وصدق الله في جميع أحواله؛ وانقطع عنه هواجس نفسه؛ ولم يضع بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره؛ فإذا صار من الخلق أجنياً ومن آفات نفسه برياً؛ ومن المساكنات والملاحظات تقياً؛ ودام في السر مع الله تعالى مناجاته، وحق في كل لحظة إليه رجوعه وصار محدثاً من قبل الحق سبحانه بتعريف أسرارهِ فيما يجريه من تصاريف أقداره يسمى عند ذلك عارفاً وتسمى حالته معرفة.

وبالجملة فبمقدار أجنيته عن نفسه تحصل معرفته بربه.

وقد تكلم المشايخ في المعرفة، فكل نطق بما وقع له؛ وأشار إلى ما وجدته في وقته.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله يقول: من أمارات المعرفة بالله حصول الهيبة من الله، فمن ازدادت معرفته ازدادت هيئته.

وسمعت يقول: المعرفة توجب السكينة في القلب كما أ، العلم يوجب السكون فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أحمد بن محمد بن زيد يقول: سمعت الشبلي يقول: ليس لعارف علاقة ولا لحب شكوى، ولا لعبد دعوى، ولا لخائف قرار، ولا لأحد من الله فرار.

وسمعت يقول: سمعت محمد بن محمد بن عبد الوهاب يقول: سمعت الشبلي يقول، وقد سئل عن المعرفة، فقال: أولها الله تعالى، وآخرها ما لا نهاية له.

وسمعت يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا العباس الدينوري يقول: قال أبو حفص: مذ عرفت الله تعالى ما دخل قلبي حق ولا باطل.

قال الأستاذ أبو القاسم: وهذا الذي أطلقه أبو حفص فيه طرف من الإشكال، وأجل ما يحتمله: أن عند القوم المعرفة توجب غيبة العبد عن نفس، لاستيلاء ذكر الحق؛ سبحانه، عليه، فلا يشهد غير الله، عزّ وجلّ، ولا يرجع إلى غيره، فكما أن العقل يرجع إلى قلبه وتفكره وتذكره فيما يسبح له من أمر، أو يستقبله من حال؛ فالعارف رجوعه إلى ربه. فإذا لم يكن مشغولاً إلا بربه لم يكن راجعاً إلى قلبه. وكيف يدخل المعنى قلب من لا قلب له. وفرق بين من عاش بقلبه وبين من عاش بربه عز وجل.

وسئل أبو يزيد عن المعرفة، فقال: " إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ". قال الأستاذ: هذا معنى ما أشار إليه أبو حفص.

وقال أبو يزيد: للخلق أحوال، ولا حال للعارف؛ لأنه محيى رسومه. فنيت هويته بهوية غيره، وغيب آثاره بآثار غيره.

وقال الواسطي: لا تصح المعرفة وفي العبد استغناء بالله وافتقار إليه.

قال الأستاذ: أراد الواسطي بهذا: أن الافتقار والاستغناء من أمارات صحو العبد وبقاء رسومه؛ لأنهما من صفاته، والعارف محو في معرفة، فكيف يصح له ذلك، وهو لاستهلاكه في وجوده، أو لاستغراقه في شهوده إن لم يبلغ الوجود محتطف عن إحساسه بكل وصف هو له.

لهذا قال الواسطي أيضاً: من عرف الله تعالى انقطع، بل خرس وانقمع. قال صلى الله عليه وسلم: " لا أحصي ثناء عليك ".

هذه صفات الذين بعد مرماهم، فأما من نزلوا عن هذا الحد فقد تكلموا في المعرفة وأكثروا.

أخبرنا محمد بن الحسين قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن سعيد الرازي قال: حدثنا عياش بن حمزة قال: سمعت أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أحمد بن عاصم الأنطاكي يقول: من كان بالله أعرف كان له أخوف.

وقال بعضهم: من عرف الله تعالى تبرم بالبقاء، وضائق عليه الدنيا بسعتها.

وقيل: من عرف الله صفا له العيش، وطابت له الحياة، وهابه كل شيء، وذهب عنه خوف المخلوقين، وأنس بالله تعالى.

وقيل: من عرف الله ذهب عنه رغبة الأشياء، وكان بلا فصل ولا وصل.

وقيل: المعرفة توجب الحياء والتعظيم، كما أن التوحيد يوجب الرضا والتسليم.

وقال رويم: المعرفة للعارف مرآة إذا نظر فيها تجلّى له مولاه.

وقال ذو النون المصري: ركضت أرواح الأنبياء في ميدان المعرفة فسبقت روح نبينا، صلى الله عليه وسلم، أرواح الأنبياء عليهم السلام إلى روضة الوصال.

وقال ذو النون المصري: معاشر العارف كمعاشرة الله تعالى يحتملك ويحلم عنك، تخلقاً بأخلاق الله.

وشئل بن يزدانيار: متى يشهد العارف الحقَّ سبحانه؟ فقال: إذا بدا الشاهد وفي الشواهد وذهب الحواس واضمحل الإخلاص.

وقال الحسين بن منصور: إذا بلغ العبد إلى مقام المعرفة أوحى الله إليه بخواطره، وحرس سرّه أن يسبح فيه غير خاطر الحق.

وقال علامة العارف أن يكون فارغاً من الدنيا والآخرة.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سعيد يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول: سمعت سعيد بن عثمان يقول: سمعت ذا النون المصري يقول: أعرف الناس بالله تعالى أشلهم تحيراً فيه.

وسمعتة يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا عمر الأنطاكي يقول: قال رجل للجنييد: من أهل المعرفة أقوام يقولون إن ترك الحركات من باب البر والتقوى!! فقال الجنييد: إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهو عندي عظيم، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا؛ فإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله تعالى، وإلى الله رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة.

وقيل لأبي يزيد: بماذا وجدت هذه المعرفة؟ فقال: ببطن جائع وبدن عار.

وقال أبو يعقوب النهرجوري: قلت لأبي يعقوب السوسي هل يتأسف العارف على شيء غير الله عز وجل؟ فقال: وهل يرى غيره فيتأسف عليه؟! قلت: فبأي عين ينظر إلى الأشياء؟ فقال: بعين الفناء والزوال.

وقال أبو يزيد: العارف طيار، والزاهد سيار.

وقيل: العارف تبكي عينه ويضحك قلبه.

وقال الجنييد: لا يكون العارف عارفاً حتى يكون كالأرض يطؤه البرُّ والقاجر، وكالسحاب بطل كل شيء، وكالمطر، يسقى ما يجب، وما لا يجب.

وقال يحيى بن معاذ: يخرج العارف من الدنيا ولا يقضي وطره من شيتين: بكاؤه على نفسه، وثنائه على ربه، عز وجل.

وقال أبو يزيد: إنما نالوا المعرفة بتضييع ما لهم والوقوف مع ماله.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت أبا الحسين الفارسي يقول: سمعت يوسف بن علي يقول: لا يكون العارف عارفاً حقاً حتى لو أعطي مثل ملك سليمان عليه السلام لم يشغله عن الله طرفة عين.

وسمعتة يقول: سمعت أبا الحسين الفارسي يقول: سمعت ابن عطاء يقول: المعرفة على ثلاثة أركان: الهيبة، والحياء، والأنس.

وسمعتة يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت يوسف ابن الحسين يقول: قيل لذي النون المصري: بم عرفت ربك؟ قال: عرفت ربي بربي، ولولا ربي لما عرفت ربي.

وقيل: العالم يقتدي به، والعارف يهتدي به.

وقال الشبلي: العارف لا يكون لغيره لاحظاً، ولا بكلام غيره لا فظاً، ولا يرى لنفسه غير الله تعالى حافظاً.

وقيل: العارف أنس بذكر الله فأوحشه من خلقه، وافقر إلى الله فأغناه عن خلقه، وذل له تعالى فأعزه في خلقه.

وقال أبو الطيب السامري: المعرفة طلوع الحق على الأسرار بمواصلة الأنوار.

وقيل: العارف فوق ما يقول، والعالم دون ما يقول.

وقال أبو سليمان الداراني: إن الله تعالى يفتح للعارف وهو على فراشه ما لا يفتح لغيره وهو قائم يصلي.

وقال الجنيد: العارف من نطق الحق عن سره وهو ساكت.
وقال ذو النون: لكل شيء عقوبة، وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله تعالى.
سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت الوجهي يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: سمعت رويماً يقول: رياء العارفين أفضل من إخلاص المرئيين.
وقال أبو بكر الوراق: سكوت العارف أنفع، وكلامه أشهى وأطيب.
وقال ذو النون: الزهاد ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين.
وسئل الجنيد عن العارف، فقال: لون الماء لون إنائه يعني أنه يحكم وقته.
وسئل أبو يزيد عن العارف، فقال: لا يرى في نومه غير الله، ولا في يقظته غير الله، ولا يوافق غير ألمه، ولا يطالع غير الله تعالى.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله بن محمد اللمشقي يقول: سئل بعض المشايخ: بم عرفتم الله تعالى؟ فقال: بلمعة لمعت بلسان مأخوذ عن التمييز المعهود، ولفظة جرت على لسان هالك مفقود يشير إلى وجد ظاهر ويجز عن سر سائر هو بما أظهره، وغيره بما اشكله ثم أنشد:
نطقتُ بلا نطق هو النطق إنه ... لك النطق لفظاً أو يبين عن النطق
ترأيت كي أخفى وقد كنت خافياً ... وأمعت لي برقاً فانضفت بالبرق
وسمعت يقول: سمعت علي بن بندار الصيرفي يقول: سمعت الجريري يقول: سئل أبو تراب عن صفة العارف، قال: الذي لا يكدره شيء، ويصفو به كل شيء.
وسمعت يقول: سمعت أبا عثمان المغربي يقول: العارف تضيء له أنوار العلم فيبصر به عجائب الغيب.
سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: العارف مستهلك في بحار التحقيق؛ كما قال قائلهم: المعرفة أمواج تغط. ترفع وتخط.

وسئل يحيى بن معاذ عن العارف، فقال: رجل كائن بائن، ومرة قال: كان فيان.
وقال ذو النون: علامة العارف ثلاثة: لا يطفىء نور معرفته نور ورعه، ولا يعتقد باطناً من العلم ينقض عليه ظاهراً من الحكم، ولا تحمله كثرة نعم الله عز وجل، عليه على هنك أستار محارم الله.
وقيل: ليس بعارف من وصف المعرفة عند أبناء الآخرة، فكيف عند أبناء الدنيا؟؟ وقال أبو سعيد الخزاز: المعرفة تأتي من عين الجود وبذل الجهود.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت بن عبد الله يقول: سمعت جعفرأ يقول: سئل الجنيد عن قول ذي النون المصري في صفة العارف.

كان ها هنا فذهب فقال الجنيد: العارف: لا يحصره حال عن حال، ولا يحجبه منزل ن التنقل في المنازل، فهو مع أهل كل مكان يمثل الذي هو فيه يجد مثل الذي يجدون، وينطق فيها بمعالها لينتفعوا بها.
وسمعت يقول: سمعت عبد الله الرازي يقول: سمعت محم بن الفضل يقول: المعرفة حياة القلب مع الله تعالى.
وسمعت يقول: سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول: سمعت الكتاني يقول: سئل أبو سعيد الخزاز: هل يصير العارف إلى حال يجفو عليه البكاء؟ فقال: نعم، إنما البكاء في أوقات سيرهم إلى الله تعالى، فإذا نزلوا إلى حقائق القرب وذاقوا طعم الوصول من بره زال عنهم ذلك.

باب الحجة قال الله عز وجل: " يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ".

أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسين قال: حدثنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق قال: حدثنا السلمي قال: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من أحب لقاء الله أحب لقاء الله، ومن لم يحب لقاء الله لم يحب لقاءه " أخبرنا أبو الحسين علي بن أحمد بن عبدان قال: حدثنا أحمد بن عبيد الصفار البصري قال: حدثنا عبد الله بن أيوب قال: حدثنا الحسين بن موسى قال: حدثنا الهيثم بن خارجة قال: حدثنا الحسن بن يحيى عن صدقة الدمشقي، عن هشام الكتاني، عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم، عن جبريل عليه السلام، عن ربه سبحانه وتعالى قال: " من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمخاربة، وما ترددت في شيء كترددتي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى من أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، ومن أحبته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً " .

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال: أخبرنا أحمد بن عبيد قال: حدثنا عبيد ابن شريك قال: أخبرنا يحيى، قال: حدثنا مالك، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذا أحب الله، عز وجل، العبد قال لجبريل: يا جبريل، إني أحب فلاناً فأحبه؛ فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في أهل السماء إن الله تعالى قد أحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض الله العبد قال مالك لا أحسبه إلا قال في البغض مثل ذلك " .

والحجة: حالة شريفة تشهد الحق، سبحانه، بما للعبد، وأخبر عن محبته للعبد، فالحق: سبحانه، بوصف بأنه يحب العبد، والعبد يوصف بأنه يحب الحق سبحانه.

والحجة على لسان العلماء: هي الإرادة، وليس مراد القوم بالحببة الإرادة؛ فإن الإرادة لا تتعلق بالقديم، اللهم إلا أن تُحمل على إرادة التقرب إليه والتعظيم له.

ونحن نذكر من تحقيق هذه المسألة طرفاً إن شاء الله تعالى؛ فمحببة الحق سبحانه، للعبد إرادته لإتمام مخصوص عليه، كما أن رحمته له إرادة الإنعام، فالرحمة أخص من الإرادة، والحببة أخص من الرحمة، فإرادة الله تعالى لأن يوصل إلى العبد الثواب والإنعام تسمى رحمة وإرادته لأن يخصه بالقربة والأحوال العلية تسمى محبة.

وإرادته، سبحانه، صفة واحدة، فيحسب تفاوت متعلقاتها تختلف أسماؤها، فإذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضباً، وإذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة وإذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة.

وقوم قالوا: محبة الله، سبحانه، للعبد، مدحه ل، وثناؤه عليه بالجميل، فيعود معنى محبته له، على هذا القول، إلى كلامه، وكلامه قديم.

وقال قوم: محبته للعبد: من صفات فعله، فهو إحسان مخصوص يلقي الله العبد به، وحالة مخصوصة برقية إليها، كما قال بعضهم: إن رحمته بالعبد نعمة معه، وقوم من السلف قالوا: محبته من الصفات الخبرية، فأطلقوا اللفظ وتوقفوا عن التفسير.

فأما ما عدا هذه الجملة مما هو المعقول من صفت محبة الخلق؛ كالميل إلى الشيء، والاستئناس بالشيء، وكحالة يجدها الحب مع محبوبه من المخلوقين، فالقديم، سبحانه. يتعالى عن ذلك.

وأما محبة العبد لله: فحالة يجدها من قلبه. تلتف عن العبارة.

وقد تحملته تلك الحالة على التعظيم له، وإيثار رضاه، وقلة الصبر عنه. والاهتياج إليه، وعدم القرار من ونه، ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه. وليست محبة العبد ل. سبحانه. متضمنة سبباً، ولا أختطاطاً. كيف. وحقيقة

الصمدية مقدسة عن اللحوق والدرك والإحاطة. والحب بوصف الاستهلاك في الخيوب، أولى منه بأن يوصف بالاختطاط. ولا توصف الحبة بوصف ولا تحد بحد أوضح ولا أقرب إلى الفهم والاستقصاء في المقال عند حصول الإشكال؛ فإذا زاد الاستعجاب والاستبهام سقطت الحاجة إلى الاستغراق في شرح الكلام. وعبارات الناس عن الحبة كثيرة. وتكلموا في أصلها في اللغة؛ فبعضهم قال: الحب اسم لصفاء الموجه؛ لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها: حيب الأسنان. وقيل: الحباب: ما يعلو الماء عند المطر الشديد؛ فعلى هذا الحبة: غليان القلب وثورانه عند العطش والاهتياج إلى لقاء الخيوب.

وقيل: إنه مشتق من حباب الماء بفتح الحاء وهو: معظمه. فسمي بذلك: لأن الحبة غاية معظم ما في القلب من المهمات.

وقيل: اشتقاق من اللزوم والنبات، يقال: أحب البعير. وهو: أن يترك فلا يقوم فكأن الحب لا يبرح بقلبه عن ذكر محبوه.

وقيل: الحب مأخوذ من الحب. وهو القرط قال الشاعر:

تبينت الحية النضناض منه ... مكانّ الحب تستمع السرارا

وسمي القرط حبا؛ إما للزومه للأذن، أو لقلقه. وكلا المعنيين صحيح في الحب.

وقيل: هو مأخوذ من الحبّ جمع حبة وحبة القلب: ما به قوامه؛ فسمي الحب حباّ باسم محله.

وقيل: الحب، والحبّ كالعمر والعمر.

وقيل: هو مأخوذ من الحبة بكسر الحاء وهي بذور الصحراء: فسمي الحب حبا، لأنه لباب الحياة، كما أن الحب لباب النبات.

وقيل: الحب: هي الخشبات الأربع التي توضع عليها الجرة:، فسميت الحبة حباّ لأنه يتحمل عن محبوه كل عز وذلّ.

وقيل: هو من الحب الذي فيه الماء، لأنه يمسك ما فيه، فلا يسع فيه غير ما امتلأ به، كذلك إذا امتلأ القلب بالحب فلا مساغ فيه لغير محبوه.

وأما أقويل الشيوخ فيه، فقال بعضهم: الحبة: الميل الدائم بالقلب الهائم.

وقيل: الحبة: إيتار الخيوب على جميع المصحوب.

وقيل: موافقة الحبيب في المشهد والمغيب.

وقيل: نحو الحب لصفاته، وإثبات الخيوب بذته.

وقيل: مواطاة القلب لمرادات الرب.

وقيل: خوف ترك الحرمة مع إقامة الخدمة.

وقال أبو يزيد البسطامي: الحبة: استقلال الكثير من نفسك، واستكثار قليل من حبيبك.

وقال سهل: الحبّ: معانقة الطاعة ومباينة المخالفة.

وسئل الجعيد عن الحبة، فقال: دخول صفات الخيوب على البديل من صفات الحب.

أشار بهذا إلى استيلاء ذكر المحبوب، حتى لا يكون الغالب على قلب المحب إلا ذكر صفت المحبوب، والتغافل بالكلية عن صفات نفسه والإحساس بها.

وقال أبو علي الروذباري: الحبة: الموافقة.

وقال أبو عبد الله القرشي: حقيقة الحبة أن تمب كنتلك لمن أحببت، فلا يبقى لك منك شيء.

وقال الشبلي: سميت الحبة محبة؛ لأنها تمحو من القلب ما سوى المحبوب.

وقال ابن عطاء: الحبة: إقامة العتاب على الدوام.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله يقول: الحبة: لذة، ومواضع الحقيقة دهش.

وسمعه يقول: العشق: مجاوزة الحد في الحبة، والحق، سبحانه؛ لا يوصف بأنه يجاوز الحد، فلا يوصف بالعشق، ولو جمع محاب الخلق كلهم لشخص واحد لم يبلغ ذلك استحقاق قدر الحق سبحانه، فلا يقال: إن عبداً جاوز الحد في محبة الله. فلا يوصف الحق. سبحانه بأنه يعشق، ولا العبد في صفته سبحانه بأنه يعشق، فنفي العشق، ولا سبيل له إلى وصف الحق، سبحانه، لا من الحق للعبد، ولا من العبد للحق، سبحانه.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت الشبلي يقول: الحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك.

وسمعه يقول: سمعت أبا الحسين الفارسي يقول: سمعت ابن عطاء يقول، وقد سئل عن الحبة. فقال: أغصان تغرس في القلب فتثمر على قدر العقول.

وسمعه يقول: سمعت النصرابادي يقول: محبة توجب حقن الدماء، ومحبة توجب سفك الدماء.

وسمعه يقول: سمعت محمد بن علي العلوي يقول: سمعت جعفرأ يقول: سمعت سمنوناً يقول: ذهب الحبون لله تعالى بشرف الدنيا والآخرة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " المرء مع من أحب "؛ فهم مع الله تعالى: وقال يحيى بن معاذ: حقيقة الحبة مالا ينقص بالجفاء، ولا يزيد بالبر، وقال ليس بصادق من ادعى محبته ولم يحفظ حدوده.

وقال الجنيد: إذا صحت الحبة سقطت شروط الأدب، وفي معناه نشد الأستاذ أبو علي:

إذا صفت المودة بين قوم ... ودام ودادهم سمح الثناء

وكان يقول: لا ترى أباً شقيقاً يجعل ابنه في الخطاب والناس يتكلفون في مخاطبته والأب يقول: يا فلان.

وقال الكتاني: الحبة: الإيثار للمحبوب.

وسمعت محمد بن الحسيني قول: سمعت ابا سعيد الأرجاني يقول: سمعت بندار بن الحسين يقول: روى مجنون بني عامر في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، وجعلني حجة على الحبيبين.

وقال أبو يعقوب السوسي: حقيقة الحبة: أن ينسى العبد حظه من الله وينسى حوائجه إليه.

وقال الحسين بن منصور: حقيقة الحبة: قيامك مع محبوبك بخلع وصافك.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: قيل النصرابادي: ليس لك من الحبة شيء؟ فقال: صدقوا؛ ولكن لي حسراتكم، فهو ذا احترق فيه.

وسمعه يقول: قال النصرابادي: الحبة: مجانبة السلو على كل حال. ثم أنشد:

ومن كان في طول الهوى ذاق سلوة ... فإني من ليلي لها غير ذائق

وأكثر شيء نلته من وصالها ... أماني لم تصدق كلمحة بارق

وقال محمد بن الفضل: الحبة: سقوط كل محبة من القلب إلا محبة الحبيب.

وقال الجنيد: الحبة: إفراط المسيل بلا نيل.

ويقال: الحبة: تشويش في القلوب يقع من المحبوب.

ويقال: الحبة: فتنه تقع في الفؤاد من المراد.

وأنشد ابن عطاء:

غرست لهل الحبّ غصناً من الهوى ... ولم يك يدري ما الهوى أحدٌ قبلي
فأورق أغصاناً، وأينع صبوة ... وأعقب لي مرأً من الثمر الخلى
كل جميع العاشقين هواهم إذا نسوه كان من ذلك الأصلي
وقيل: الحب أوله ختل وآخره قتل.

سمعت الأستاذ أبا علي، رحمه الله، يقول في معنى قوله صلى الله عليه وسلم: " حبك للشيء يعمى ويُصم " .

فقال يعمى عن الغير غيرة وعن الحبوب هيبة، ثم أنشد:

إذا ما بد لي تعاطمته ... فأصدر في حال من لم يرد

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت أحمد بن علي يقول: سمعت إبراهيم بن فاتك يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت الحارس الحاسبي يقول: الحبة ميلك إلى الشيء بكليتك، ثم إيثارك له على نفسك وروحك وما لك، ثم موافقتك له سرّاً وجهراً، ثم علم بتقصيرك في حبه.

وسمعتة يقول: سمعت أحمد بن علي يقول: سمعت عباس بن عصام يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول: لا تصلح الحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر: يا أنا.

وقال الشبلي. الحب إذا سكت هلك، والعارف إن لم يسكت هلك.

وقيل: الحبة: نار في القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب.

وقيل: الحبة: بذل الجهود والحبيب يفعل ما يشاء.

وقال النوري: الحبة: هتك الأستار وكشف الأسرار.

وقال أبو يعقوب السوسى: لا تصح الحبة إلا بالخروج عن رؤية الحبة إلى رؤية الحبوب بفناء علم الحبة.

وقال جعفر: قال الجنى: دفع السريّ إلى رقعة، وقال: هذه لك خير من سبعمائة قصة أو حديث يعلو، فإذا فيها:

ولما ادّعيْتُ الحبَّ قلت: كذبتني ... فمالي أرى الأعضاء منك كواسيا

فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا ... وتذبل حتى لا تجيب المناديا

وتنحل حتى لا يبقى لك الهوى ... سوى مقلة تبكي بها وتناجيا

وقال ابن مسروق: رأيت سمنونا يتكلم في الحبة فتكسرت قناديل المسجد كلها.

سمعت محمد بن الحسن يقول: سمعت أحمد بن علي يقول: سمعت إبراهيم ابن فانك يقول: سمعت سمنوناً، وهو جالس

في المسجد يتكلم في الحبة إذ جاء طير صغير فقرب منه، ثم قرب.. فلم يزل يدنو حتى جلس على يده.. ثم ضرب

بمنقاره الأرض حتى سال منه الدم، ثم مات.

وقال الجنيد: كل محبة كانت لغرض إذا زال الغرض زالت تلك المحبة.

وقيل: حبس الشبليّ في المارستان فدخل عليه جماعة: فقال: من أنتم؟ قالوا: إنا محبوبك يا أبا بكر، فأقبل يرميهم

بالحجارة، ففروا، فقال: إن ادعيتم محبتي فاصبروا على بلائي.

وأنشد الشبلي:

أيها السيد الكريم ... حبك بين الحشا مقيم

يا رافع النوم عن جفوني ... أنت بما مر بي عليم

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت النهري يقول: سمعت علي بن عبيد يقول: كتب يحيى بن معاذ إلى أبي يزيد: سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته. فكتب إليه أبو يزيد: غيرك شرب بحور السموات والأرض وما روي بعد، ولسانه خارج ويقول: هل من مزيد. وأنشوا:

عجبت لمن يقول ذكرت إلهي ... وهل أنسى فأذكر ما نسيت

أموت إذا ذكرتك ثم أحيا ... ولولا حسن ظني ما حيت

فأحيا بالمني وأموت شوقاً ... فكم أحيا عليك وكم أموت

شربت الحب كأساً بعد كأس ... فما نقد الشراب وما رويت

وقيل: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: إني إذا اطلعت علي قلب عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة مألته من حبي.

ورأيت بخط الأستاذ أبي علي الدقاق، رحمه الله: في بعض الكتب المنزلة "عدي، أنا وحقك لك محب، فبحقي كن لي محباً".

وقال عبد الله بن المبارك: من أعطى شيئاً من المحبة ولم يعط مثله من الحشية فهو مخدوع.

وقيل: المحبة: ما يمحو أترك.

وقيل: المحبة: سُكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه.

ثم السكر الذي يحصل عند الشهود لا يوصف، وأنشوا:

فأسكر القوم دُورُ كأس ... وكان سكري من المدير

وكان الأستاذ أبو علي الدقاق ينشد كثيراً:

لي سكرتان، ولندمان واحدة ... شيء خصصت به من بينهم وحدي

وقال ابن عطاء: المحبة: إقامة العتاب على الدوام.

وكان للأستاذ أبي عليّ جارية تسمى فيروز وكان يحبها؛ إذ كانت قد خدمته كثيراً، فسمعتة يقول: كانت فيروز

تؤذني يوماً وتستطيل عليّ بلسانها، فقال لها أبو الحسن القاريء لم تؤذني هذا الشيخ؟ فقالت: لأني أحبه.

وقال يحيى بن معاذ: منقال خردلة من الحب أحب إلي من عبادة سبعين سنة بلا حب.

وقيل: إن شاباً أشرف على الناس في يوم عيد وقال:

من مات عشقاً فليمت هكذا ... لا خير في عشق بلا موت

وألقى نفسه من سطح عال فوق مبيتاً.

وحكي أن بعض أهل الهند عشق جارية، فرحلت الجارية، فخرج الرجل في وداعها، فدمعت إحدى عينيه دون

الأخرى، فغمض التي لم تدمع أربعاً وثمانين سنة. ولم يفتحها، عقوبة لها؛ لأنها لم تبك على فراق حبيبته، وفي معناه

أنشوا:

بكت عيني غداة البين دمعاً ... وأخرى بالبكا بخلت علينا

فعاقت التي بخلت بدمع ... بأن غمضتها يوم التقينا

وقال بعضهم: كنا عند ذي النون المصري: فتذاكرنا المحبة، فقال ذو النون: كفوا عن هذه المسألة، لا تسمعها

النفوس فتدعيها. ثم أنشأ يقول:
الخوف أولى بالمسي ... إذا تأله والحزن

والحبُّ يجمل بالقي ... وبالقي من الدرّ

وقال يحيى بن معاذ: من نشر المحبة عند غير أهلها فهو في دعواه دعيّ.

وقيل: ادّعى رجل الاستهلاك في محبة شخص، فقال له الشاب: كيف هذا، وأخي أحسن مني وجهاً وأتمّ جمالاً؟ فرجع الرجل رأسه يلتفت، وكانا على سطح فالتقاها من السطح وقال: هذا أجر من يدعي هواناً وينظر إلى سوانا.

وكان ممنون يقدم المحبة على المعرفة، والأكثرون يقدمون المعرفة على المحبة.

وعند المحققين: المحبة: استهلاك في لذة، والمعرفة: شهود في حيرة، وفناء في هيبة.

وقال أبو بكر الكتاني: جرت مسألة في المحبة، بمكة، أيام الموسم، فنكلم الشيخ فيها، وكان الجنيد أصغرهم سناً، فقالوا له: هات ما عندك يا عراقي، فأطرق رأسه ودمعت عيناه، ثم قال: عبدٌ ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرق قلبه أنوار هويته، وصفا شربه من كأس دمه، وانكشف له الجبار من أستار غيب؛ فإن تكلم فبالله، وإن نطق فمن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله والله ومع الله فبكر الشيخ وقالوا: ما على هذا مزيد، جبرك الله يا تاج العارفين.

وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود، إني حرّمت على القلوب أن يدخلها حيي وحب غيري فيها. أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن القاسم قال: حدثنا هيثم بن همام قال: أخبرنا إبراهيم بن الحارث قال: حدثني عبد الرحمن ابن عفان قال: حدثني محمد بن أيوب قال: حدثني أبو العباس خادم الفضيل ابن عياض قال: احتبس بول الفضيل، فرفع يديه وقال: اللهم بحبي لك إلا أطلتته عني، فمابرحنا حتى شفي. وقيل المحبة: الإيثار كأمرة العزيز لما تناهت في أمرها قالت: "أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين". وفي الابتداء قالت: "ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلى أن يسجن أو عذاب أليم"، فوركت الذنب في الابتداء عليه، وفي الانتهاء نادى على نفسها بالخيانة.

سمعت الأستاذ أبا علي يقول ذلك.

وحكي عن أبي سعيد الخراز أنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقلت: يا رسول الله أعذرتني، فإن محبة الله شغلتنني عن محبتك.. فقال: يا مبارك، من أحب الله تعالى فقد أحبني.

وقيل: قالت رابعة في مناجاتها: لي، أتحرق بالنار قلباً يحبك؟ فهتفت بما هاتفت: ما كنا نفعل هكذا، فلا تطني بنا ظن السوء!! وقيل: الحب، حرفان: حاء وباء، والإشارة فيه: أن من أحب فليخرج عن روحه وبدنه.

وكالإجماع من إطلاقات القوم: أن المحبة: هي الموافقة، وأشد الموافقات: الموافقة بالقلب، والمحبة توجب انقضاء المباينة؛ فإن الحب أبداً مع محبوبه، وبذلك ورد الخبر: "حدثنا الإمام أبو بكر بن فورك، رحمه الله تعالى، قال: أخبرنا القاضي أحمد بن محمود بن حرزاذ قال: حدثنا الحسين بن حماد بن فاضلة قال: حدثنا يحيى بن حبيب قال: حدثنا مرحوم بن عبد العزيز، عن سفيان الثوري، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن أبي موسى الأشعري: أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له: "إن الرجل ليحب القوم ولما يلحق بهم؟ فقال: المرء مع من أحب".

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت عبد الله الرازي يقول: سمعت أبا عثمان الحيري يقول. سمعت أبا حفص يقول: أكثر فساد الأحوال من ثلاثة، فسق العارفين، وخيانة الخيين، وكذب المريدين. قال أبو عثمان: فسق العارفين: إطلاق الطرف واللسان والسمع إلى أسباب الدنيا ومنافعها.

وخيانتة الخبين: اختيار هواهم على رضا الله عزَّ وجل فيما يستقبلهم.
وكذب المريدين: أن يكون ذكر الخلق ورؤيتهم تغلب عليهم على ذكر الله عزَّ وجلَّ.
وسمعه يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا القاسم الجوهري يقول: سمعت أبا عليٍّ ممشاد بن سعيد
العكبري يقول: رواد خطاف خطابة في قبة سلميان، عليه السلام، فامتنعت عليه، فقال لها: لِمَ تمتنعين عليَّ وإن
شئتِ قلبت القبة على سليمان!! فدعاه سليمان، عليه السلام، وقال له: ما حملك على ما قلت؟ فقال: يا نبي الله،
إن العشاق لا يؤخذون بأقوالهم! فقال: صدقت.

باب الشوق

قال الله عز وجل: " من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت " .

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان الأهوازي، قال: أخبرنا أحمد بن عبيد البصري قال: أخبرنا ابن أبي قماش قال: أخبرنا
إسماعيل بن زرارة، عن حماد ابن يزيد، قال: أخبرنا عطاء بن السائب، عن أبيه، قال: صلى بنا عمار بن ياسر صلاة،
فأوجز فيها، فقلت: ففت أبا اليقظان!! فقال: وما عليَّ من ذلك، ولقد دعوت الله بدعوات سمعتها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم، فلما قام تبعه رجل من القوم فسأله عن الدعوات، فقال: " اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك
على الخلق أحبني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني ما علمت الوفاة خيراً لي.

اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الغنى
والفقر، وأسألك نعيماً لا ينفد، وقرّة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وبرّد العيش بعد الموت، وأسألك
النظر إلى وجهك الكريم، وشوقاً إلى لقائك في غير ضواء مضر ولا فتنة مضلة.
" اللهم زينا بزينة الإيمان.. اللهم اجعلنا هداة مهتدين " ..

قال الأستاذ الشوق: اهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب، وعلى قدر المحبة يكون الشوق.

سمعت الأستاذ أبا عليٍّ الدقاق يفرق بين الشوق والاشتياق، ويقول: الشوق يسكن باللقاء والرؤية، والاشتياق لا
يزول باللقاء. وفي معناه أنشدوا:

ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته ... حتى يعود إليه الطرف مشتاقاً

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت النصراباذي يقول: للخلق كلهم مقام الشوق، وليس لهم مقام
الاشتياق. ومن دخل في حال الاشتياق هام فيه حتى لا يُرى له أثر ولا قرار.

وقيل: جاء أحمد بن حامد الأسود إلى عبد الله بن منازل فقال: رأيت في المنام أنك تموت إلى سنة، فلو استعددت
للخروج؟ فقال له عبد الله بن منازل: لقد أجلتنا إلى أمد بعيد أأعيش أنا إلى سنة!! لقد كان لي أنس بهذا البيت
الذي سمعته من هذا الثقيفي يعني أبا علي:

يا من شكنا شوقه من طول فرقته ... اصبر لهلك تلقى من تحب غدا
وقال أبو عثمان: علامة الشوق: حب الموت مع الراحة.

وقال يحيى بن معاذ: علامة الشوق: فطام الجوارح عن الشهوات.

سمعت الأستاذ أبا عليٍّ الدقاق يقول: خرج داود عليه السلام يوماً إلى بعض الصحارى منفرداً، فأوحى الله تعالى

إليه: مالي أراك يا داو وحدانياً؟ فقال يا إلهي، استأثر الشوق إلى لقائك على قلبي فحال بيني وبين صحبة الخلق.
فأوحى الله تعالى إليه: أرجع إليهم؛ فإنك إن أتيتني بعد آبق أثبتك في اللوح المحفوظ جهيداً.
وقيل: كانت عجوز قدم بعض أقاربها من السفر فأظهر قومها السرور، والعجوز تبكي، فقيل لها: ما يبكيك؟
فقالت: ذكرني قدوم هذا الفتى يوم القدوم على الله تعالى.

وسئل ابن عطاء عن الشوق فقال: أحترق الأحشاء وتلهب القلوب وتقطع الأكباد.
وسئل أيضاً عن الشوق، فقيل له: الشوق أعلى أم المحبة؟ فقال: المحبة؛ لأن الشوق منها يتولد.
وقال بعضهم: الشوق لبيب ينشأ بين أثناء الحشى، يسبح عن الفرقة، فإذا وقع اللقاء طفىء، وإذا كان الغالب على
الأسرار مشاهدة المحبوب لم يطرقها الشوق.

وقيل لبعضهم: هل تشتتقا؟ فقال: لا، إنما الشوق إلى غائب، وهو حاضر.
سمعت الأستاذ أبي علي الدقاق يقول: في قوله عز وجل: وعجلت إليك رب لترضي قال: معناه: شوقاً إليك، فستره
يلفظ الرضا.

وسمعت رحمة الله تعالى يقول: من علامات الشوق: تمنى الموت على بساط العوافي، كيوسف عليه السلام لما القى في
الجب لم يقل توفي؛ ولما أدخل السجن لم يقل توفي؛ ولما دخل عليه أبواه وحرّ له الإخوة سُحداً وتم له الملك والنعم
قال: توفي مسلماً. وفي معناه أنشلوا:

من سرّه العيد الجيد ... فقد عدمت به السرورا

كان السرور يتم لي ... لو كان أحبابي حضورا

وقال ابن خفيف: الشوق: ارتياح القلوب بالوجد، ومحبة اللقاء بالقرب.

وقال أبو يزيد: إن لله عبداً لو حجبه في الجنة عن رؤيته لا ستغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار.

أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفي قال: أخبرنا أبو العباس الهاشمي بالبيضاء قال: حدثنا محمد بن عبد الله الخراعي قال:
حدثنا عبد الله الأنصاري قال: سمعت الحسين الأنصاري يقول: رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وشخص قائم
تحت العرش فيقول الحق، سبحانه: يا ملائكتي، من هذا؟ فقالوا: الله أعلم فقال هذا معروف الكرخي سكر من حبي
فلا يفيق بلقائي.

وفي بعض الحكايات في مثل هذا المنام أنه قيل: هذا معروف الكرخي خرج من الدنيا مشتاقاً إلى الله، فأباح الله عز
وجلّ له النظر إليه.

وقال فارس: قلوب المشتاقين منورة بنور الله تعالى، فإذا تحرك اشتياقهم أضاء النور ما بين السماء والأرض،

فيعرضهم الله على الملائكة فيقول: عزلاً المشتاقون إلى... أشهدكم أنني إليهم أشوق..

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول في قوله صلى الله عليه وسلم: " أسألك الشوق إلى لقائك " قال: كان الشوق
مائة جزء، تسعة وتسعون له، وجزء متفرق في الناس، فأراد أن يكون ذلك الجزء له أيضاً، فغار أن يكون شطية من
الشوق لغيره.

وقيل: شوق أهل القرب أتم من شوق المحجوبين؛ ولهذا قيل:

وأبرح ما يكون الشوق يوماً ... إذا دنت الخيام من الخيام

وقيل: إن المشتاقين يتحسون حلوة الموت عند وروده؛ لما قد كشف لهم من روح اوصول أحلى من الشهيد.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت جعفرأ يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت

السري يقول: الشوق أجل مقام المعارف إذا تحقق فيه، وإذا تحقق في الشوق لها عن كل شيء يشغله عن يشتاق إليه.

وقال أبو عثمان الحيري في قوله تعالى: " فإن أجل الله لآت " : هذا تعرية المشتاقين، معناه: أني أعلم أن اشتياقكم إلى غالب. وأنا أجلت للقاتكم أجلاً، وعن قريب يكون وصولكم إلى من تشتاقون إليه.

وقيل: أوحى الله تعالى لداود عليه السلام: قل لشبان بني إسرائيل لم تشغلون أنفسكم بغيري وأنا مشتاق إليكم، ما هذا الجفاء!! وقيل: أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام: لو يعلم المديرين على كيف انتظاري لهم ورقتي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لما اتوا شوقاً إليّ، وانقطعت أوصالهم من محبتي، يداود هذه برادتي للمديرين علي، فبكيف إرادتي للمقبلين إليّ؟ وقيل: مكتوب في التوراة: شوقناكم فلم تشتاقوا، وخوفناكم فلم تخافوا، نحن لكم في توحوا. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: بكى شعيب حتى عمي، فرد الله عز وجل بصره عليه، ثم بكى حتى عمي، فرد الله عز وجل بصره عليه. ثم بكى حتى عمي، فأوحى الله تعالى إليه: إن كان هذا البكاء لأجل الجنة فقد أجتهد لك، وإن كان لأجل النار فقد أجتهد منها، فقال لا، بل شوقاً إليك. فأوحى الله إليه: لأجل ذلك أخدمتك نبي وكليمي عشر سنين.

وقيل: من اشتاق إلى الله اشتاق إليه كل شيء.

وفي الخبر: " اشتاقت الجنة إلى ثلاثة: علي، وعمار، وسلمان " .

سمعت الأستاذ أبا علي يقول: قال بعض المشايخ: أنا أدخل السوق والأشياء تشتاق إليّ، وأنا عن جميعها حُر.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت عبد الله بن جعفر يقول: سمعت محمد بن عمر الرملي يقول:

حدثنا محمد بن جعفر الإمام قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: حدثنا مرحوم قال: سمعت مالك بن دينار يقول:

قرأت في التوراة: شوقناكم فلم تشتاقوا، وزمّرنا لكم فلم ترقصوا.

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت محمد بن فرحان يقول: سمعت الجنيد، وقد سئل من أي شيء يكون

بكاء المحب إذا لقي الخبؤ؟ فقال: إنما يكون ذلك سروراً به، ووجداً من شدة الشوق إليه، ولقد بلغني أن آخرين

تعانقوا، فقال أحدهما: وأشوقاه، وقال الآخر: واوجدها!!

باب حفظ قلوب المشايخ

وترك الخلاف عليهم

قال الله تعالى في قصة موسى مع الخضر، عليهما السلام: " هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً " .

قال الإمام: لما أراد صحبة الخضر حفظ شرط الأدب، فاستأذن أولاً في الصحبة، ثم شرط عليه الخضر أن لا يعارضه

في شيء ولا يعترض عليه في حكم، ثم لما خالفه موسى عليه السلام تجاوز عنه المرة الأولى والثانية، فلما صار إلى

الثالثة، والثلاث آخر حد القلة وأول حد الكثرة، سلمته العرقة؛ فقال: هذا فراق بيني وبينك.

أخبرنا أبو الحسين الإهوازي قال: حدثنا أحمد بن عبيد البصري قال: حدثنا أبو سالم القزاز قال: حدثنا يزيد عن بيان قال: حدثنا أبو الرجال، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قبض الله تعالى له من يكرمه عند سنه " .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله يقول: بدء كل فرقة المخالفه. يعني به: أن من خالف شيخه لم يبق على طريقته وانقطعت العلقه بينهما وإن جمعتهما البقعة؛ فمن صحب شيخاً من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة، ووجبت عليه التوبة، على أن الشيوخ قالوا: عُقوق الأستاذين لا توبة عنها.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: خرجت إلى مرو في حياة شيخي الأستاذ أبي سهل الصعلوكي، وكان له قبل خروجي أيام الجمعة بالغلوات مجلس دُور القرآن والختم، فوجدته عند رجوعي قد رفع ذلك المسجد، وعقد لأبي الغفاني في ذلك الوقت مجلس القول، فأدخلني من ذلك شيء؛ فكنت أقول في نفسي: قد استبدل مجلس الختم بمجلس القول، فقال لي فكنت أقول في نفسي: قد استبدل مجلس الختم بمجلس القول: فقال لي يوماً: يا أبا عبد الرحمن، ما يقول الناسُ في؟ فقلت: يقولون رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القول!! فقال: من قال لأستاذهِ لم؟ لا يفلح أبداً، ومن المعروف أن الجنيد قال: دخلت على السري يوماً، فأمرني شيئاً، فقضيت حاجته سريعاً، فلما رجعت ناولني رقعة وقال: هذا المكان قضائك لحاجتي سريعاً، فقرأت الرقعة، فإذا فيها مكتوب سمعت حادياً يحدو في البادية:

أبكي، وهل يدريك ما يبكي ... أبكي جداراً أن تفارقني

وتقطعي حلي وتمجيني ويحكى عن أبي الحسن الهمداني العلوي قال: كنت ليلة عند جعفر الخلدي، وكنت أمرت في بيتي أن يُعلّق طير في التنور، وكان قلبي معه، فقال لي جعفر: أقم عندنا الليلة، فتعللت بشيء، ورجعت إلى منزلي، فأخرج الطير من التنور، ووضع بين يدي، فدخل كلب من الباب، وحمل الطير عند تغافل الحاضرين، فأتى بالجواذب الذي تحته، فتعلق به ذيل الخادمة، فانصب.. فلما أصبحت دخلت على جعفر، فحين وقع بصره عليّ قال: من لم يحفظ قلوب المشايخ سلط عليه كلب يؤذيه.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول: سمعت أبا عبد الله الديوري يقول: سمعت الحسن الدامغاني يقول: سمعت عمي البسطامي يحكي عن أبيه: أن شقيقاً البلخي، وأبا تراب النخشي، قدما على أبي يزيد، فقدّمت السفارة، وشاب يخدم أبا يزيد، فقالا له: كل معنا يا فتى. فقال: أنا صائم. فقال أبو تراب: كل ولك أجر صوم شهر. فأبى. فقال شقيق: كل ولك أجر صوم سنة. فأبى. فقال أبو يزيد: تدعوا من سقط من عين الله تعالى!! فأخذ ذلك الشاب في السرقة بعد سنة، ففقطعه يده!! سمعت الأستاذ أبا عليّ يقول: وصف سهل بن عبد الله رجلاً بالولاية خبازاً بالبصرة.. فسمع رجل من أصحاب سهل بن عبد الله ذلك، فاشتاق إليه؛ فخرج إلى البصرة، فأتى حانوت الخباز.. فرآه يجز وقد تنقب لحاسنه على عادة الخبازين، فقال في نفسه. لو كان هذا ولياً لم يحترق شعره بغير تقاب. ثم إنه سلم عليه وسأله شيئاً، فقال الرجل: إنك استصغرتني، فلا تنتفع بكلامي، وأبى أن يكلمه.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت عبد الرحمن الرازي أبا عثمان الحيري يصف محمد بن الفضل البلخي وممدحه، فاشتاق إليه، فخرج إلى زيارته، فلم يقع بقلبه من محمد بن الفضل ما اعتقد، فرجع إلى أبي عثمان وسأله، فقال: كيف وجدته؟ فقال: لم أجد أحداً إلا حُرْم فائدته، ارجع إليه بالحرمة. فرجع إليه عبد الله، فانتفع بزيارته.

ومن المشهور أن عمر بن عثمان المكي رأى الحسين بن منصور يكتب شيئاً، فقال: ما هذا؟ فقال: هو ذا أعارض القرآن، فدعا عليه وهجره؛ قال الشيوخ إن ما حل به بعد طول المدة كان لدعاء ذلك الشيخ عليه. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله تعالى، يقول: لما نفى أهل بلخ محمد بن الفضل من البلد؛ دعا عليهم وقال: اللهم امنعهم الصدق. فلم يخرج من بلخ بعد صدق.

سمعت أحمد بن يحيى الأبيوري يقول: من رضي عنه شيخه لا يكافأ في حال حياته: لئلا يزول عن قلبه تعظيم ذلك الشيخ. فإذا مات الشيخ أظهر الله عز وجل عليه ما هو جزاء رضاه ومن تغير عليه قلب شيخه لا يكافأ في حال حياة ذلك الشيخ، لئلا يرق له، فيهم محبوبون على الكرم، فإذا مات ذلك الشيخ، فحينئذ يجد المكافأة بعده. باب السماع قال الله عز وجل: " فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ". اللام في قوله القول تقتضي التعميم والاستغراق، والدليل عليه: أنه مدحهم باتباع الأحسن. وقال تعالى: " فهم في روضة يحبرون " ، جاء في التفسير: أنه السماع وأعلم أن سماع الأشعار بالأمان الطيبة والنغم المستلذة إذا لم يعتقد المستمع محظوراً، ولم يسمع على مذموم في الشرع، ولم ينجز في زمام هواه، ولم ينخرط في سلك هواه، مباح في الجملة.

ولا خلاف أن الأشعار أنشدت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه سمعها ولم ينكر عليهم في إنشادها، فإذا جاز استماعها بغير الأحن الطيبة فلا يتغير الحكم بأن يسمع بالأحسان.

هذا ظاهر من الأمر. ثم ما يوجب المستمع توفر الرغبة على الطاعات، وتذكر ما أعد الله تعالى لعباده المتقين من الدرجات ويجمله على التحرر من الزلات، ويؤدي إلى قلبه في أعمال صفاء الواردات مستحب في الدين ومختار في الشرع، وقد جرى على لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو قريب من الشعر، وإن لم يقصد أن يكون شعراً.

أخبرنا: أبو الحسن علي بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال: حدثنا الحارث بن أبي أسلمة قال: حدثنا أبو النصر قال: حدثنا شعبة عن حميد قال: سمعت أنساً يقول: كانت الأنصار يحفرون الخندق فجعلوا يقولون: نحن الذين بايعوا محمداً... على الجهاد ما بقينا أبداً

فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فأكرم الأنصار والمهاجرة " وليس هذا اللفظ منه، صلى الله عليه وسلم، على وزن الشعر، لكنه قريب منه.

وقد سمع السلف الأكابر الأبيات بالأحسان؛ فمن قال بإباحته من السلف: مالك بن أنس: وأهل الحجاز كلهم يبيحون الغناء، وأما الحداء فإجماع منهم على إجازته.

وقد وردت الأخبار واستفاضت الآثار في ذلك، وروي عن ابن جريح أنه كان يرخص في السماع، فقييل له: إذا أتى بك يوم القيامة، ويؤتى بحسناتك ولا في السيئات. يعني أنه من المباحات: وليس كلامنا في هذا النوع من السماع: فن هذه الطائفة جلت رتبته عن أن يستمعوا بلهواً، أو يقعدوا للسماع بسهو، أو يكونوا بقلوبهم مفكرين في مضمون لغو. أو يستمعوا على صفة غير كفاء.

وقد روي عن ابن عمر آثار في إباحة السماع، وكذلك عن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب. وكذلك عن مرضي الله عنهم أجمعين، في الحداء وغيره.

وأشدد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم الأشعار فلم ينهاها، وروي أنه صلى الله عليه وسلم استشهد الأشعار. ومن المشهور الظاهر أنه دخل بيت عائشة رضي الله عنها، وفيه جاريتان تغنيان، فلم ينههما.

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال: أخبرنا محمد بن جعفر بن محمد ابن مطر قال: حدثنا الحباب بن محمد التستري قال: أخبرنا أبو الأشعث قال: حدثنا محمد بن بكر البرساني قال: حدثنا شعبة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: " أن أبا بكر الصديق، رضي الله عنه، دخل عليها وعندها قيتان تغنيان بما تقاذفت به الأنصار يوم بعث، فقال أبو بكر: مزمار الشيطان مرتين فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعهما يا أبا بكر؛ فإن لكل قوم عبداً وعيدنا هذا اليوم ".

أخبرنا: علي بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عبيد، قال: حدثنا عثمان بن الضبي قال: حدثنا أبو كمال، قال: حدثنا أبو عوانة، عن الأجلح، عن أبي الزبير، عن جابر، عن عائشة رضي الله عنها: " أنها أنسكت ذات قرابتها من الأنصار. فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أهديتم الفتاة؟ فقالت: نعم. قال: فأرسلت من يغني؟ قالت: لا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ن النصران فيهم غزل، فلو أرسلتم من يقول: أتيناكم أتيناكم فحيونا لحبيكم "

أخبرنا الأستاذ الإمام أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك، رضي الله عنه، قال: حدثنا أحمد بن محمود بن خرزاذ قال: حدثنا الحسين بن الحارث الأهوازي قال: حدثنا سلمة بن سعيد، عن صدقة بنت أبي عمران، قالت: حدثنا علقمة ابن مرثد، عن زاذان، عن البراءة بن عازب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " حسنوا القرآن بأصواتكم؛ فإن الصوت الحسن يريد القرآن حسناً " دل هذا الخبر على فضيلة الصوت الحسن.

وأخبرنا علي بن أحمد بن عبدان الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عبيد قال: حدثنا عثمان بن عمر الضبي قال: حدثنا أبو الربيع قال: حدثنا عبد السلام ابن هاشم قال: حدثنا عبد الله بن محرز، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن ".

أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي، قال: أخبرنا أحمد بن عبيد قال: حدثنا محمد بن يونس الكرمي يقال: حدثنا الضحاک بن مخلد أبو عاصم قال: حدثنا شبيب بن بشر بن البجلي، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " صوتان ملعونان: صوت ويل عند مصيبة، وصوت مزمار عند نعمة ".

مفهوم الخطاب يقتضي إباحة غير هذا في غير هذه الأحوال، وإلا بطل التخصيص.

والأخبار في هذا الباب تكثر، والزياة على هذا القدر من ذكر الروايات تخرجنا عن المقصود من الاختصار، وقد روي أن رجلاً أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أقبلت فلاح لها ... عارضان كالسبح

أدبرت فقلت لها ... والفؤاد في وهج

هل على ويحكما ... إن عشقت من حرج

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا.

وإن حُسن الصوت مما أنعم الله تعالى به على صاحبه من الناس: قال الله عز وجل: " يزيد في الخلق ما يشاء ". قيل في التفسير: من ذلك، الصوت الحسن وذم الله سبحانه الصوت الفظيع؛ فقال تعالى: " إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ".

واستلذاذ القلوب واشتياقها إلى الأصوات الطيبة واسترواحها إليها مما لا يمكن جحوده؛ فإن الطفل يسكن إلى الصوت الطيب، والجمل يقاسي تعب السير ومشقة الحمولة فيهون عليه بالحاء. قال الله تعالى: " أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ".

وحكى إسماعيل بن عالية قال: كنت أمشي مع الشافعي، رحمه الله تعالى، وقت الهاجرة فجزنا بموضع يقول فيه أحد

شيئاً، فقال: مل بنا إليه، ثم قال: أيطربك هذا؟ فقلت: لا. فقال: مالك حسن!! وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما أذن الله تعالى لشيء كآذنه لنبي يتغنى بالقرآن ".

أخبرنا علي بن أحمد الإهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عبيد قال: حدثنا ابن ملحان قال: حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث عن عقيل، عن ابن شهاب أنه قال: حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث عن عقيل، عن ابن شهاب أنه قال: أخبرني أبو سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به ".

وقيل: إن داود عليه السلام كان يستمع لقراءته الجن والإنس والطير والوحش إذا قرأ الزبور، وكان يحمل مجلسه أربعمائة جنازة ممن قد مات ممن سمعوا قراءته.

وقال صلى الله عليه وسلم لأبي موسى الأشعري: " لقد أوتيت مزمراً من مزامير آل داود " متفق عليه.

وقال معاذ بن جبل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: " لو علمت أنك تسمع خبرته لك تحيراً ".

أخبرنا أبو حاتم السجستاني قال: أخبرنا عبد الله بن علي السراج قال: حكى أبو بكر محمد بن داود الدينوري الرقي قال: كنت في البادية، فوافيت قبيلة من قبائل العرب، وأضافني رجل منهم، فرأيت غلاماً أسود مقيداً هناك. ورأيت جمالاً قد ماتت بفناء البيت، فقال لي الغلام: أنت الليلة ضيف، وأنت على مولاي كريم، فشفع لي؛ فإنه لا يردك. فقلت لصاحب البيت: لا أكل طعامك حتى تحل هذا العبد.

فقال: هذا الغلام قد أفقرني وأتلف مالي!! فقلت: فما فعل؟

فقال: له صوت طيب، وكنت أعيش من ظهر هذه الجمال، فحملها أحمالاً ثقيلة، وحدا لها حتى قطعت مسيرة ثلاثة في يوم واحد، فلما حط عنها ماتت كلها، ولكن قدوهيته لك وحل عنه القيد، فلما أصبحنا أحبيت أن أسمع صوته، فسألته عن ذلك، فأمر الغلام أن يحدو على جمل كان على بئر هناك يستقي عليه، فحدا الغلام.. فهام الجمل على وجهه وقطع حباله، ولم أظن أنني سمعت صوتاً أطيّب منه، فوقعت لوجهي.. حتى أشار إليه بالسكوت.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن عبد العزيز يقول: سمعت أبا عمرو الأنماطي يقول: سمعت الجنيد يقول، وقد سئل: ما بال الإنسان يكون هادئاً، فذ سمع السماع اضطرب؟ فقال: إن الله تعالى لما خاطب الدرّ في الميثاق الأول بقوله: " أأنت بربك قالوا بلى " استفرغت عنوبة سماع الكلام الأرواح، فلما سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق يقول: السماع حرام على العوام؛ لبقاء نفوسهم، مباح للزهاد؛ لحصول مجاهداتهم، مستحب لأصحابنا؛ لحياة قلوبهم.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر الصوفي يقول: سمعت الوجيهي يقول: سمعت أبا عليّ الروذباري يقول: كان الحارث بن أسد الحاسبي ثلاث إذا وجدن متسع بهنّ، وقد فقدناها: حسن الوجه مع الصيانة، وحسن الصوت مع الديانة، وحسن الإخاء مع الوفاء.

وسئل ذو النون المصري عن الصوت الحسن، فقال: مخاطبات وإشارات أو دعها أنه تعالى كلّ طيب وطيبة.

وسئل مرة أخرى عن السماع فقال: وارد حقّ يزعج القلوب إلى الحقّ؛ فمن أصغى إليه بحقّ تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزندق.

وحكى جعفر بن نصير: عن الجنيد أنه قال: تنزل الرحمة على الفقراء في ثلاثة مواطن: عند السماع؛ فإنهم لا

يسمعون إلا عن حق، ولا يقولون إلا عن وجد، وعند أكل الطعام؛ فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة، وعند مجاراة

العلم: فإنهم لا يذكرون إلا صفات الأولياء.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول سمعت أبا بكر بن ممشاد يقول: سمعت الجنيد يقول: السماع فتنة لمن طلبه. ترويح لمن صادفه.

وحكي عن الجنيد أنه قال: السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء: الزمان. والمكان؛ والإخوان.

وسئل الشبلي عن السماع فقال: ظاهره فتنة، وباطنه عبادة؛ فمن عرف الإشارة حل له استماع العبرة، وإلا فقد استدعى الفتنة، وتعرض للبلية.

وقيل: لا يصلح السماع إلا لمن كانت له نفس ميتة وقلب حي؛ فنفسه ذُبحت بسيف المجاهدة، وقلبه حي بنور الموافقة.

وسئل أبو يعقوب النهرجوري عن السماع فقال: حال يبدي الرجوع إلى الأسرار من حيث الاحتراق.

وقيل: السماع لطف غذاء الأرواح لأهل المعرفة.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: السماع طبع، إلا عن شرع. حرق، إلا عن حق، وفتنة إلا عن عبادة.

ويقال: السماع على قسمين: سماع بشرط العلم والصحو؛ فمن شرط صاحبه معرفة الأسامي والصفات، وإلا وقع في الكفر الخض. وسماع بشرط الحال؛ فمن شرط صاحبه الفناء عن أحوال البشرية، والتتقي من آثار الحظوظ بظهور أحكام الحقيقة.

وحكي عن أحمد بن أبي الحراري أنه قال: سألت أبا سليمان عن السماع، فقال: من اثنين أحب إلي من الواحد.

وسئل أبو الحسن الثوري عن الصوفي، فقال: من سمع السماع، وآثر الأسباب.

وسئل أبو علي الروذباري عن السماع يوماً فقال: ليتنا تخلصنا منه رأساً برأس.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا عثمان المغربي يقول: من أدعى السماع ولم يسمع صوت الطيور، وصرير الباب، وتصفيق الرياح، فهو فقير مدع.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج الطوسي يقول: سمعت أبا الطيب أحمد بن مقاتل العكي

يقول: قال جعفر: كان ابن زيري، من أصحاب الجنيد، شيخاً فاضلاً، وربما كان يحضر موضع سماع، فإنه استطابه

فرش إزاره وجلس وقال: الصوفي في قلبه، وإن لم يستطبه قال. السماع لأرباب القلوب، ومر، وأخذ نعله.

سمعت محمد بن الحسين، رحمه الله تعالى، يقول: سمعت عبد الواحد بن بكر يقول: سمعت عبد الله بن عبد المجيد

الصوفي يقول: سئل روم عن وجوه الصوفية عند السماع فقال:

يشهدون المعاني التي تعذب عن غيرهم فتشير إليهم: إلي.. إلي.. فيتنعمون بذلك من القرح، ثم يقطع الحجاب فيعود

ذلك القرح بكاء؛ فمنهم من يخرق ثيابه، ومنهم من يصيح، ومنهم من يكي كل إنسان على قدره.

سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميمي يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت الحصري يقول في بعض كلامه:

ما أعمل بسماع ينقطع إذا انقطع من يسمع منه؟ ينبغي أن يكون سماعك متصلاً غير منقطع.

قال: وقال الحصري: ينبغي أن يكون ظماً دائماً، فكلما ازداد شربه ازداد ظمؤه.

وجاء عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: " فهم في روضة يخبرون " : أنه السماع من الحور العين بأصوات شهية: " نحن

الخالدات، فلا نموت أبداً، نحن الناعمات، فلا نبؤس أبداً " .

وقيل: السماع نداء، والوجد قصد.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا عثمان المغربي يقول: قلوب أهل الحق قلوب حاضرة، وأسماعهم أسماع

مفتوحة.

وسمعه يقول: سمعت الأستاذ أبا سهل الصعلوكي يقول: المستمع بين استتار وتجلٍ، فلا استتار يوجب التلهيب، والتجلي يورث الترويح؛ والاستتار يولد منه حركات المريدين، وهو محل الضعف والعجز، والتجلي يولد منه سكون الواصلين، وهو محل الاستقامة والتمكين، وذلك صفة الحضرة ليس فيها إلا الذبول تحت موارد الهيبة، قال الله تعالى: " فلما حضره قالوا أنصوا " .

وقال أبو عثمان الحيري: السماع على ثلاثة أوجه: فوجه منها للمريدين والمبتدئين يستدعون بذلك الأحوال الشريفة ويخشى عليهم في ذلك الفتنة والمرأة.

والثاني: للصادقين يطلبون الزيادة في أحوالهم ويستمعون من ذلك ما يوافق أوقاتهم.

والثالث: لأهل الاستقامة من العارفين، فهؤلاء لا يختارون على الله تعالى فيما يرد على قلوبهم من الحركة والسكون. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى، رحمه الله، يقول: سمعت أبا الفرج الشيرازي يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: قال أبو سعيد الخراز: من أدعى أنه مغلوب عن الفهم يعني في السماع، وأن الحركات مالكة له، فعلامته تحسين المجلس الذي هو فيه يوجد.

قال الشيخ أبو عبد الرحمن: فذكرت هذه الحكاية لأبي عثمان المغربي فقال: هذا أدناه، وعلامته الصحيحة: أن لا يبقى في المجلس محق إلا أنس به، ولا يبقى فيه مبطل إلا استوحش منه.

وقال بندار بن الحسين: السماع على ثلاثة أوجه: منهم من يسمع بالطبع، ومنهم من يسمع بالحال، ومنهم من يسمع بالحق.

الذي يسمع بالطبع يشترك فيه الخاص والعام؛ فإن جبلة البشرية استلذاذ الصوت الطيب.

والذي يسمع بالحال فهو يتأمل ما يرد عليه من ذكر عتاب أو خطاب أو وصل أو هجر أو قرب أو بعد، أو تأسف علي فائت أو تعطش إلى أت، أو وفاء بعهد أو تصديق لوعده أو نقض لعهد، أو ذكر قلق أو اشتياق أو خوف فراق أو فرح وصال، أو حذر انفصال أو ما جرى مجراه.

وأما من يسمع بحق فيسمع بالله تعالى، والله، ولا يتصف بهذه الأحوال التي هي ممزوجة بالخطوط البشرية فإنها مبقاة مع العلل فيسمعون من حيث صفاء التوحيد يحق لا يحظ.

وقيل: أهل السماع على ثلاث طبقات: أبناء الحقائق يرجعون في سماعهم إلى مخاطبة لحن سبحانه لهم؛ وضرب

يخاطبون الله تعالى بقلوبهم بمعاني ما يسمعون، فهم مطالبون بالصدق فيما يشيرون به إلى الله: وقالت: هو فقير مجرد قطع العلاقات من الدنيا والآفات، سمعون بطيبة قلوبهم، وهؤلاء أقربهم إلى السلامة.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا علي الروذباري، وقد سئل عن السماع، فقال: مكاشفة الأسرار إلى مشاهدة الخبواب.

وقال الحواص، وقد سئل: ما بال الإنسان يتحرك عند سماع غير القرآن، ولا يجد ذلك من سماع القرآن؟ فقال: لأن سماع القرآن صدمة لا يمكن لأحد أن يتحرك فيه لشدة غلبته، وسماع القول ترويح فيتحرك فيه.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الرازي يقول: سمعت الجنيد يقول: إذا رأيت المرید يُحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة.

وسمعه يقول: سمعت أبا عبد الله البغدادي يقول: سمعت أبا سعيد الرملي يقول: قال سهل بن عبد الله السماع علم أستاذ الله تعالى به لا يعلمه إلا هو.

وحكي أحمد بن مقاتل العكي قال: لما دخل ذو النون المصري بغداد اجتمع إليه الصوفية، ومعهم قول، فاستأذنه أن يقول بين يديه شيئاً فأذن، فأبتدأ يقول:

صغيرٌ هواك عذبي ... فكيف به إذا احتنكا
وأنت جمعت من قلبي ... هوى قد كان مشتركا
أما ترثي لمكتب ... إذا ضحك الخفي بكا

قال: فقام ذو النون وسقط على وجهه والدم يقطر من جبينه ولا يسقط على الأرض، ثم قام رجل من القوم يتواحد، فقال له ذو النون: الذي يراك حين تقوم.. فجلس الرجل.
سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول في هذه الحكاية: كان ذو النون صاحب إشراف علي ذلك الرجل: حيث نبهه أن ذلك ليس مقامه، وكان ذلك الرجل صاحب إنصاف؛ حيث قبل ذلك منه، فرجع فقعد.
سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميمي يقول: سمعت عبد الله بن علي الصوفي يقول: سمعت الرقي يقول: سمعت ابن الجلاء يقول: كان بالمغرب شيخان هما أصحاب وتلامذة، يقال لأحدهما جبلة وللثاني رزيق فزار رزيق يوماً جبلة في أصحابه، فقرأ رجل من أصحاب رزيق شيئاً، فصاح واحد من أصحاب جبلة ومات. فلما أصبحوا قال جبلة لرزيق: أين الذي قرأ بالأمس؟ فليقرأ.. فقرأ آية، فصاح جبلة صيحة، فمات القارئ، فقال جبلة: واحد بواح والبادي أظلم.

وسئل إبراهيم المارستاني عن الحركة عند السماع فقال: بلغني أن موسى عليه السلام قص في بني إسرائيل، فمزق واحد منهم قميصه، فأوحى الله تعالى إليه: قل له مزق لي قلبك ولا تمزق ثيابك.
وسئل أبو علي المغازلي الشبلي فقال: ربما يطرق سمعي آية من كتاب الله عز وجل فتحذوني على ترك الأشياء والإعراض عن الدنيا، ثم أرجع إلى أحوالي وإلى الناس.
فقال الشبلي: ما أجتذبك إليه فهو عطف منه عليك، ولطف، وما رُددت إلى نفسك فهو شفقة منه عليه، لأنه لم يصح لك التبري من الحول والقوة في الوجه إليه.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت أحمد بن مقاتل العكي يقول: كنت مع الشبلي في مسجد ليلة من شهر رمضان وهو يصلي خلق إمام له وأنا بجانبه، فقرأ الإمام: " ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك " . فزعت زعقة قلت: طابت روحه وهوي رتعد ويقول: يمثل هذا يخاطب الأحباب!! ويردد ذلك كثيراً.

وحكي عن الجنيد أنه قال: دخلت على السري يوماً فرأيت عنده رجلاً مغشياً عليه، فقلت: ماله؟ فقال: سمع آية من كتاب الله تعالى. فقلت: تُقرأ عليه ثانياً، فقرأ، فأفاق، فقال لي: من أين علمت هذا؟ فقلت: إن قميص يوسف ذهب بسببه عين يعقوب عليهما السلام ثم به عاد بصره فاستحسن مني ذلك.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت عبد الواحد بن علوان يقول: كان شاب يصحب الجنيد فكان إذا سمع شيئاً من الذكر يزعم، فقال له الجنيد يوماً: إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبي!! فكان إذا سمع شيئاً يتغير ويضبط نفسه، حتى كان يقطر كل شعرة من بدنه بقطرة، فيوماً من الأيام صاح صيحة تلفت بها نفسه.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: حكى لي بعض إخواني عن أبي الحسين الدراج قال: قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد، فلما دخلت الري سألت عن منزله، فكل من أسأل عنه يقول لي: ما

تفعل بذلك الزنديق؟! فضيقوا صدري، حتى عزمت على الانصراف، فبت تلك الليلة في مسجد، ثم قلت: جئت هذه البلدة، فلا أقلّ من زيارته؛ فلم أزل أسأل عنه حتى وقت إلى مسجده وهو قاعد في الخراب، وبين يديه رحل، وعليه مصحف يقرأ فيه، وإذا هو شيخ بهي، حسن الوجه واللحية، فدنوت منه وسلمت عليه، فرد السلام وقال: من أين؟ فقلت: من بغداد، قصدت زيارة الشيخ. فقال: لو أن في بعض البلدان قال لك إنسان: أقم عندي حتى أشتري لك داراً أو جارية، أكان يمنعك عن زيارتي؟ فقلت: يا سيدي، ما أمتحنني الله تعالى بشيء من ذلك!! ولو كان لا أدري كيف كنت أكون؟ فقال: تحسن أن تقول شيئاً؟ فقلت: نعم، وقلت:

رأيتك تبني دائماً في قطيعتي ... ولو كنت ذا حزم لهلمت ما تبني

فأطبق المصحف، ولم يزل يبكي حتى ابتلت لحيته وثوبه، حتى رحمته من كثرة بكائه؛ ثم قال لي: يا بني: لا تلم أهل الري على قولهم يوسف بن الحسين زنديق ومن وقت الصلاة وذا أقرأ فلم تقطر من عيني قطرة، وقد قامت عليّ القيامة بهذا البيت.

سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول: سمعت الرقي يقول: سمعت الدراج يقول كنت أنا وابن القوطي مارين على الدجلة بين البصرة والأبلة، وإذا نحن بقصر حسن، له منظر وعليه رحل وبين يديه جارية تغني وتقول:

في سبيل الله ود ... كان مني لك يندل

كلّ يوم تنلون ... غير هذا بك أجمل

وإذا شاب تحت المنطرة بيده ركوة، وعليه مرقعة يسمع فقال: يا جارية، بحياة مولاك أعيدي: كل يوم تنلون غير هذا بك أجمل فأعادته.

فقال الشاب: قولي. فأعاد فقال الفقير: هذا والله تلوني مع الحق، وشهق شقة خرجت روحه. فقال صاحب القصر للجارية: أنت حرّضة لوجه الله تعالى، وخرج أهل البصرة، وفرغوا من دفنه والصلاة عليه، فقام صاحب القصر، وقال: أليس تعرفوني؟؟ وأرتدي برداء، وتصرق بالقصر، ومر؟ فلم يُر له بعد ذلك وجد، ولا سمع له أثر. سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول: سمعت يحيى بن الرضا العلوي قال: سمعت أبو سلمان اللمشقي طوافاً ينادي: يا سسعر بري فسقط مغشياً عليه، فلما افاق، سئل، فقال: حسبته يقول: اسمع تر برّي.

وسمع عتبة الغلام رجلاً يقول: سبحان ربّ السماء؛ إن المحب لقي عناء فقال عتبة: صدقت؛ وسمع رجل آخر ذلك القول، فقال: كذبت فكل واحد سمع من حيث هو.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمع أبا الحسن علي بن محمد الصوفي يقول: سمعت رويماً وقد سئل عن المشايخ، الذين لقيهم في السماع، فقال: كالتقطيع إذا وقع فيه الذئب.

وحكي عن أبي سعيد الخراز قال: رأيت علي بن المرفق في السماع يقول: أقيموني، فاقاموه، فقام، وتواجد، ثم قال: أنا الشيخ الزفان.

وقيل: قام الرقي ليلة إلى الصباح، يقوم. ويسقط على هذا البيت، والناس قيام يكون، والبيت:

بالله فأردد فؤاد مكنتب ... ليس له من حبيبة خلف

سمعت محمد بن أحمد التميمي يقول: سمعت عبد الله بن علي الصوفي يقول: سمعت علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بالبصرة يقول: سمعت أبي يقول: خدمت سهل بن عبد الله سنين كثيرة، فما رأيتته تغير عند سماع شيء كان يسمعه

من الذكر والقرآن وغيره، فلما كان في آخر عمره قرىء بين يديه " فالיום لا يؤخذ منكم فدية " رأيتنه تغير، وارتعد، وكاد يسقط، فلما رجع إلى حال صحوه سألته عن ذلك، فقال يا حبيبي ضعفنا. وحكى ابن سالم قال: رأيتنه مرة أخرى قرىء بين يديه الملك يومئذ الحق للرحمن فتغير وكاد يسقط، فقلت له في ذلك، فقال: ضعفتُ وهذه صفة الأكابر لا يرد عليه وارد وإن كان قوياً إلا وهو أقوى منه. سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: دخلت على أبي عثمان المغربي وواحد يستقي الماء من البئر على بكرة فقال: يا أبا عبد الرحمن، أتدري ما تقول البكرة؟ فقلت: لا، فقال: تقول الله. الله. سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت علي بن طاهر يقول: سمعت عبد الله بن سهل يقول: سمعت رويماً يقول: روي عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أنه سمع صوت ناقوس فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول هذا؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: سبحان الله، حقاً، إن المولى صمدٌ بيقى. سمعت محمد بن أحمد التميمي يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت أحمد بن علي الكرخي الوجيهي يقول: كان جماعة من الصوفية متجمعين في بيت الحسن القزاز، ومعهم قوالون يقولون ويواجدون، فأشرف عليهم ممشاد الدينوري؛ فسكنوا، فقال: أرجعوا إلى ما كنتم فيه، فلو جمع ملاهي الدنيا في أذني ما شغل همي ولا شفي بعض ما بي.

وبهذا الإسناد عن الوجيهي قال: سمعت أبا علي الروذباري يقول: بلغنا في هذا الأمر إلى مكان مثل حد السيف إن قلنا كذا ففي النار. وقال خبر النساج: قص موسى بن عمران، صلوات الله عليه، على قوم قصة، فرزق واحد منهم، فانتهره موسى، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى، بطيبي فاحوا، وبجي باحوا، وبوجودي صاحوا، فلم تكسر على عبادي؟! وقيل: سمع الشبلي قائلاً يقول: الخيارُ عشرةٌ بدتق فصاح وقال: إذا كان الخيار عشرةً بداتق فكيف الشرار؟! وقيل: إذا تغنت الحور العين في الجنة توردت الأشجار. وقيل: كان عون بن عبد الله يأمر جارية له حسنة الصوت فتغنى بصوت حزين حتى تبكي القوم.

وسئل أبو سليمان الداراني عن السماع، فقال: كل قلب يريد الصوت أحسن فهو ضعيف يداوي كما يداوي الصبي إذا أريد أن ينام، ثم قال أبو سليمان: إن الصوت الحسن لا يدخل في القلب شيئاً، وإنما يحرك من القلب ما فيه. قال ابن أبي الحواري: صدق والله أبو سليمان. وقال الجريري: كونوا ربانيين، أي سماعين من الله، قائلين بالله. وسئل بعضهم عن السماع فقال: بروق تلمع ثم تخمد، وأنوار تبلوا ثم تخفى، ما أحلاها لو بقيت مع صاحبها طرفة عين، ثم أنشأ يقول: خطرة في السر منه خطرت ... خطرة البرق ابتدي ثم اضمحل أي زور لك لو قصداً سري ... وملم بك لو حقاً فعل وقيل: السماع فيه نصيب لكل عضو؛ فما يقع إلى العين تبكي، وما يقع إلى لسان يصيح، وما يقع على اليد تمزق الثياب وتلطم، وما يقع إلى الرجل ترقص.

وقيل: مات بعض ملوك العجم، وخلف ابناً صغيراً، فأرادوا أن يبايعوه قالوا: كيف نصل إلى معرفة عقله وذكائه؟! .. ثم توافقوا على أن يأتوا بقوال، فلما قال زال شيئاً ضحك الرضيع، فقبلوا الأرض بين يديه وبايعوه. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: اجتمع أبو عمرو بن نعيد، والنصرا بادي، الطبقة في موضع؛ فقال النصرابادي:

أنا أقول إذا اجتمع القوم فواحد يقول شيئاً ويسكت الباقيون خير من أن يغتابوا أحداً.
فقال أبو عمرو: لأن تغتاب أنت ثلاثين سنة أتجى لك من أن تظهر في السماع ما لست به.
سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق: رحمه الله، يقول: الناس في السماع ثلاثة: متسمع؛ ومتسمع؛ وسامع؛ فالمتسمع
يسمع بوقت؛ والمستمع يسمع بحال: والسامع يسمع بحق.
وسألت الأستاذ أبا علي الدقاق: رحمه الله تعالى، غير مرة. شبه طلب رخصة في السماع، فكان يجلي علي ما
يوجب الإمساك عنه، ثم بعد طول المعاودة قال: إن المشايخ قالوا: ما جمع قلبك إلى الله قلبك إلى الله سبحانه وتعالى
فلا بأس به.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أبو عبد الله بن عميد البصري قال: حدثنا إسماعيل بن الفضل قال:
حدثنا يحيى بن يعلى الرازي قال: حدثنا حفص بن عمر العمري قال: حدثنا أبو عمر وعثمان بن بدر قال: حدثنا
هارون ابن حمزة عن الغدافري قال: حدثنا أبو عمر وعثمان بن بدر قال: حدثنا هارون ابن حمزة عن الغدافري، عن
سعيد بن جبير، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: أوحى الله سبحانه إلى موسى عليه السلام: إني جعلت فيك
عشرة آلاف سمع حتى سمعت كلامي، وعشرة آلاف لسان حتى أحببتني، وأحب ما تكون إلي وأقربه إذا أكثر
الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم.

وقيل: رأى بعضهم النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال: الغلط في هذا أكثر؛ يعني به: السماع.
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت أبا بكر النهاوندي
يقول: سمعت علياً السائح يقول: سمعت أبا الحارث الأولاسي يقول: رأيت أبلis، لعنه الله، في المنام علي بعض
سطوح أولاس وأنا على سطح، وعلى يمينه جمأة، وعلى يساره جماعة، وعليهم ثياب نظاف، فقال لطائفهم منهم:
قالوا.. فقالوا، وغنوا، فاسفزعني طيبه، حتى همست أن أطرح نفسي من السطح.
ثم قال: ارقصوا، فرقصوا أطيّب ما يكون..

ثم قال لي: يا أبا الحارث، ما أصبّ شيئاً أدل به عليكم إلا هذا.
سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: اجتمعت ليلة من الشبلي، رحمه الله، فقال القوال،
شيئاً، فصاح الشبلي، وتواجد قاعداً فليل له: يا أبا بكر، مالك من بين الجماعة قاعداً؟! فقام وتواجد، وقال:
لي سكرتان، وللندمان واحدة... شيء خصصت به من بينهم وحدي
وسمعت يقول: سمعت منصور بن عبد الله الأصبهاني يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: جرت بقصر، فرأيت
شاباً حسن الوجه مطروحاً، وحواله خلص، فسألت عنه، فقالوا: إنه جاز بهذا القصر وفيه جارية تغنى:
كبرت همّة عبد... طمعت في أن تراكا
أو ما حسب لعين... أن ترى من قد راكا
فشهق شهقة ومات.

باب كرامات الأولياء

قال الأستاذ أبو القاسم: ظهور الكرامات على الأولياء جائز.

والدليل على جوازه أنه أمر موهومٌ حلوته في العقل لا يؤدي حصوله إلى رفع أصل من الأصول، فواجبٌ وصفه، سبحانه، بالقدرة على إيجاده، وإذا وجب كونه مقهوراً لله، سبحانه، فلا شيء يمنع جواز حصوله. وظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت عليه في أحواله، فمن لم يكن صادقاً فظهور مثلها عليه لا يجوز. والذي يدل عليه أن تعريف القديم سبحانه إيانا، حتى نفرق بين من كان صادقاً في أحواله، وبين من هو مبطل من طريق الاستدلال أمر موهوم، ولا يكون ذلك إلا باختصاص الولي بما لا يوجد مع المفترى في دعواه، وذلك الأمر هو الكرامة التي أشرنا إليها.

ولابد أن تكون هذه الكرامة فعلاً ناقضاً للعادة في أيام التكليف، ظاهراً على موصوف بالولاية في معنى تصديقه في حاله.

وتكلم الناس في الفرق بين الكرامات وبين المعجزات من أهل الحق؛ فكان الإمام أبو إسحاق الإسفرايني، رحمه الله، يقول: المعجزات دلالات صدق الأنبياء، ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبي، كما أن العقل المحكم لما كان دليلاً لعالم في كونه عالماً لم يوجد ممن لا يكون عالماً.

وكان يقول: الأولياء لهم كرامات شبه إجابة الدعاء، فأما جنس ما هو معجزة للأنبياء فلا. وأما الإمام أبو بكر بن فورك، رحمه الله، فكان يقول: المعجزات: بدلالات الصدق، ثم إن ادعى صاحبها النبوة فالمعجزات تدل على صدقه في مقالته، وإن أشار صاحبها إلى الولاية دلت المعجزة على صدقه في حلتها، فتسمى كرامة ولا تسمى معجزة وإن كانت من جنس المعجزات للفرق.

وكان رحمه الله يقول: من الفرق بين المعجزات والكرامات: أن الأنبياء عليهم السلام مأمورون بإظهارها والولي يجب عليه سترها وإخفاؤها، والنبي صلى الله عليه وسلم يدعى ذلك ويقطع القول به، والولي لا يدعيها ولا يُقطع بكرامته، لجواز أن يكون ذلك مكرراً.

وقال أوحد فنه في وقته القاضي أبو بكر الأشعري، رضي الله عنه: إن المعجزات تخص بالأنبياء، والكرامات تكون للأولياء كما تكون للأنبياء ولا تكون للأولياء معجزة، لأن من شرط المعجزة اقتران دعوة النبوة بها، والمعجزة لم تكن معجزة لعينها، وإنما كانت معجزة لحصولها على أوصاف كثيرة، فمتى اختل شرط من تلك الشرائط، لا تكون معجزة. وأحد تلك الشرائط: دعوة النبوة، والولي لا يدعي النبوة، فالذي يظهر عليه لا يكون معجزة.. وهذا القول الذي نعتمده ونقول به، بل ندين به.

فشرائط المعجزات، كلها أو أكثرها، توجد في الكرامة إلا هذا الشرط للواحد. والكرامة فعل لا محالة محدث، لأن ما كان قديماً لم يكن له اختصاص بأحد، وهو ناقض للعادة، وتحصل في زمان التكليف وتظهر على عبد تخصيصاً له وتفضيلاً. وقد تحصل باختياره ودعائه، وقد لا تحصل له، وقد تكون بغير اختياره في بعض الأوقات، ولم يؤمر الولي بدعاء الخلق إلى نفسه ولو أظهر شيئاً من ذلك على من يكون أهلاً له لجاز.

واختلف أهل الحق في الولي: هل يجوز أي علم أنه ولي؟ أم لا؟ فكان الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله يقول: لا يجوز ذلك: لأنه بسلبه الخوف ويوجب له الأمن.

وكان الأستاذ أبو علي الدقاق رحمه الله يقول بجوازه.

وهو الذي يؤثره ونقول به.

وليس ذلك بواجب في جميع الأولياء حتى يكون كلُّ وليٍّ يعلم أنه وليٌّ واجباً، ولكن يجوز أن يعلم بعضهم كما يجوز أن لا يعلمه بعضهم. فإذا علم بعضهم أنه ولي كانت معرفته تلك كرامة له انفراداً بها.

وليس كل كرامة لوليّ يجب أن تكون تلك بعينها لجميع الأولياء. بل لو لم يكن للولي كرامة ظاهرة عليه في الدنيا لم يقدح عدمها في كونه ولياً. بخلاف الأنبياء فإنه يجب أن تكون لهم معجزات؛ لأن النبي مبعوث إلى الخلق فبالناس حاجة إلى معرفة صدقه؛ ولا يعرف إلا بالمعجزة.

ويعكس ذلك حال الولي؛ لأنه ليس بواجب على الخلق، ولا على الولي أيضاً، العلم بأنه وليّ. والعشرة من الصحابة صدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبرهم به أنهم من أهل الجنة. وقول من قال لا يجوز ذلك لأنه يخرجه من الخوف فلا بأس أن يخافوا تغيير العقابة، والذي يجدونه في قلوبهم من الهيبة والتعظيم والإجلال للحق سبحانه، يزيد ويربوعلى كثير من الخوف.

وأعلم أنه ليس للولي مساكنة إلى الكرامة التي تظهر عليه، ولا له ملاحظة. وربما يكون لهم في ظهور جنسها قوة يقين وزيادة بصيرة لتحققهم أن ذلك فعل الله، فيستدلون بها على صحة ما هم عليه من العقائد. وبالجملة، فالقول بجواز ظهورها على الأولياء واجب، وعليه جمهور أهل المعرفة، ولكثرة ما تواتر بأجناسها الأخبار والحكايات صار العلم بكونها وظهورها على الأولياء في الجملة علماً قوياً أنفى عنه الشرك. ومن توسط هذا الطائفة وتواتر عليه حكاياتهم وأخبارهم لمتيق له شبهة في ذلك على الجملة. ومن دلائل هذه الجملة: نص القرآن في قصة صاحب سليمان عليه السلام. حيث قال "أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك" ولم يكن نبياً. والأثر: عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، صحيح أنه قال: يا سارية الجبل في حال خطبته يوم الجمعة، وتبليغ صوت عمر إلى سارية في ذلك الوقت حتى تحرز من مكامن العدو من الجبل في تلك الساعة. فإن قيل: كيف يجوز إظهار هذه الكرامات الزائدة في المعاني على معجزات الرسل؟ وهل يجوز تفضيل الأولياء على الأنبياء عليهم السلام؟ قيل: هذه الكرامات لاحقة بمعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم؛ لأنكل من له بصادق في الإسلام لا تظهر عليه الكرامة. وكل نبي ظهرت كرامته على واحد من أمته فهي معدودة من جملة معجزاته؛ إذ لو لم يكن ذلك الرسول صادقاً لم تظهر على يد من تابعه الكرامة. فأما رتبة الأولياء فلا تبلغ رتبة الأنبياء عليهم السلام؛ للإجماع المنعقد على ذلك.

وهذا أبو يزيد البسطامي سئل عن هذه المسألة فقال: مثل ما حصل للأنبياء عليهم السلام كمثل زق فيه غسل ترشح منه قطرة، فمثل القطرة مثل ما لجميع الأولياء، وما في الظرف مثل لنبينا صلى الله عليه وسلم.

الكرامات

قد تكون إجابة دعوة، وقد تكون إظهار طعام في أوان فاقة من غير سبب ظهار، أو حصول ماء في زمان عطش، أو تسهيل قطع مسافة في مدة قريبة، أو تخليصاً من عدو، أو سماع خطاب من هاتف، أو غير ذلك من فنون الأفعال النافضة للعادة.

وأعلم أن كثيراً من المقننات يعلم اليوم قطعاً أنه لا يجوز أن يظهر كرامة للأولياء؛ وبضرورة أو شبه ضرورة يعلم ذلك، فمنها حصول إنسان لا من أبوين، وقلب جهاً بهيمة أو حيواناً، وأمثال هذا كثير.

فصل فإن قيل

الولي

قيل: يحتمل أمرين: أحدهما أن يكون فعياً مبالغة من الفاعل؛ كالعليم، والتقدير غيره، فيكون معناه: من توات طاعته من غير تخلل معصية.

ويجوز أن يكون فعياً بمعنى مفعول، كقتيل بمعنى مقتول، وجريح بمعنى مجروح، وهو الذي يتولى الحق، سبحانه، حفظه وحراسته على الإدامة والتوالي، فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان، وإنما يديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة، قال الله تعالى: " وهو يتولى الصالحين " .

فصل فإن قيل: هل يكون الولي معصوماً قيل: أما وجوباً، كما يقال في الأنبياء فلا. وأما أن يكون محفوظاً حتى لا يصر على الذنوب إن حصلت هنات أو آفات أو زلات، فلا يمتنع ذلك في وصفهم.

ولقد قيل للجنيد: العارف يزني يا أبا القاسم؟ فاطرق ملياً، ثم رفع رأسه وقال: " وكان أمر الله قادراً مقدرواً " .

فصل فإن قيل: هل يسقط الخوف عن الأولياء قيل: أما الغالب على الأكابر فكان الخوف، وذلك الذي قلنا فيما تقدم على جهة الندرة غير ممتنع، وهذا السري السقطي يقول: لو أن واحداً دل بستناً فيه أشجار كثيرة وعلى كل شجرة طير يقول له بلسان فصيح: السلام عليك يا ولي الله. فلو لم يخف أنه مكرٌ لكان ممكوراً وأمثال هذا من حكاياتهم كثيرة.

فصل فإن قيل: رؤية الله سبحانه هل تجوز رؤية الله سبحانه على جهة الكرامة بالأبصار اليوم في الدنيا على جهة الكرامة؟ فالجواب عنه: أن الأقوى فيه أنه لا يجوز؛ لحصول الإجماع عليه، ولقد سمعت الإمام أبا بكر بن فورك، رضي الله عنه، يحكى عن أبي الحسن الأشعري أنه قال في ذلك قولين في كتاب الرؤية الكبير.

فصل فإن قيل: تغير حال الولي هل يجوز أن يكون ولياً في الحال ثم تتغير عاقبته قيل: من جعل من شرط الولاية حُسن الموافاة لا يجوز ذلك.

ومن قال: إنه في الحال مؤمن على الحقيقة وإن جاز أن يتغير حاله بعد لا يبعد أن يكون ولياً في الحال صديقاً، ثم يتغير، وهو الذي نختاره.

ويجوز أن يكون من جملة كرامات الولي أن يعلم أنه مأمون العاقبة، وأنه لا تتغير عاقبته، فلتتحقق هذه المسألة بما ذكرنا أن الولي يجوز أن يعلم أنه ولي.

فصل فإن قيل: هل يزايل الولي خوف المكر قيل: إن كان مصطلاً عن شاهده، محتفظاً عن إحساسه بحالة فهو مستهلك عنه فيما استولى عليه، والخوف من صفات الحاضرين بهم.

فصل فإن قيل: ما الغالب على الولي في صحره قيل: صدقه في لأداء حقوقه، سبحانه، ثم رفقته على الخلق في جميع أحواله. ثم انبساط رحمته لكافة الخلق. ثم دوام تحمله عنهم بجميل الخلق. وابتدائه لطلب الإحسان من الله عزّ وجلّ إليهم من غير التماس منهم. وتعليق الهمة بنجاة الخلق، وترك الانتقام منهم، والتوقّي عن استئثار حقد عليهم مع قصر اليد عن أموالهم، وترك الطمع بكل وجه فيهم، وقبض اللسان عن بسطه بالسوء فيهم، والتصاوت عن شهود مساو بهم، ولا يكون خصماً لأحد في الدنيا ولا في الآخرة.

واعلم أنّ من أجلّ الكرامات التي تكون للأولياء: دوام التوفيق للطاعات، والعصمة عن المعاصي والمخالفات، ومما يشهد من القرآن على إظهار الكرامات على الأولياء قوله، سبحانه، في صفة مريم عليها السلام ولم تكن نبياً ولا رسولا: " كلما دخل عليها زكريا الخراب وجد عندها رزقا " . وكان يقول: " أنى لك هذا؟ " فتقول مريم: " هو من عند الله " . وقوله سبحانه: " وهزّي إليك بجدع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا " وكان في غير أوان الرطب، وكذلك قصة أصحاب الكهف والأعاجيب التي ظهرت عليهم من كلام الكلب معهم وغير ذلك، ومن قصة ذي القرنين وتمكينه سبحانه له ما لم يمكن لغيره، ومن ذلك ما أظهر على يدي الخضر عليه السلام من إقامة الجدار وغيره من الأعاجيب، ومن كان يعرفه مما خفي على موسى عليه السلام. كل ذلك أمور ناقضة للعادة اختصّ الخضر عليه السلام بها، ولم يكن نبياً، وإنما كان ولياً.

ومما روي من الأخبار في هذا الباب حديث جريج الراهب؛ أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفرايني قال: أخبرنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم بن إسحاق قال: حدثنا عمار بن رجاء قال: حدثنا وهب بن جرير قال: حدثنا أبي قال: سمعت محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال أبو عوانة: وحدثني الصنعاني، وأبو أمية قالا: حدثنا عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة: عيسى بن مريم، وصبي في زمن جريج، وصبي آخر؛ فأما عيسى فقد عرفتموه. وأما جريج فكان رجلاً عادياً في بني إسرائيل. وكانت له أمٌ. فكان يوماً يصلي إذا اشتاقت إليه أمه. فقالت: يا جريج. فقال: يا رب، الصلاة خير أم آتيها؟ ثم صلى. فدعته، فقال مثل ذلك. ثم صلى. فاشتدّ على أمه. فقالت: اللهم لا تمنه حتى تربيه وجوه المومسات. وكانت زانية في بني إسرائيل، فقالت لهم: أنا أفتن جريجاً حتى يزني؛ فأنته، فلم تقدر على شيء. وكان راع يأوي بالليل إلى أصل صومعته، فلما أعيها راودت الراعي على نفسها؛ فأتاها، فولدت، ثم قالت: ولدي هذا جريج. فأتاه بنو إسرائيل، وكسروا صومعته، وشتموه، ثم صلى ودعا، ثم نحس الغلام. قال محمد قال أبو هريرة: كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين قال بيده: يا غلام من أبوك؟ فقال: الراعي؛ فقدموا على ما كان منهم، واعتذروا إليه، وقالوا: نبي صومعتك من ذهب - أو قال: من فضة - فأبى عليهم، وبنها كما كانت..

وأما الصبي الآخر فإن امرأة كان معها صبي لها ترضعه، إذ مرَّ بها شاب جميل الوجه، ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثل هذا، فقال الصبي: اللهم لا تجعلني مثله..

قال محمد: قال أبو هريرة: كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يحكي الغلام وهو يرضع ثم مرت بها أيضاً امرأة ذكروا أنها سرقت، وزنت، وعوقبت، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذا!! فقال: اللهم اجعلني مثلها...

فقالت له أمه في ذلك، فقال: إن الشاب جبار من الجبابرة، وإن هذه المرأة قبيح: إنما زنت ولم تزني، وقيل: سرقت ولم تسرق، وهي تقول: حسبي الله " .

وهذا الخبر روي في الصحيح، ومن ذلك حديث الغار، وهو مشهور مذكور في الصحاح.

أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفرايني قال: حدثنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم بن إسحاق قال: حدثنا محمد بن عون، وزيد بن عبد الصمد الدمشقي، وعبد الكريم بن الهيثم الديرعاقولي، وأبو الخصيب بن المستنير المصيصي قالوا: حدثنا أبو اليمان قال: حدثنا شعيب عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، فأواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فأنحدرت صخرة من الجبل،

فسدّت عليهم الغار. فقالوا: إنه والله كان من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم؛ فقال رجل منهم: إنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أعقب قبلها أهلاً ولا مالاً، فعاقني طلب الشجرة يوماً، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فجننتهما به.. فوجدتهما نائمين.. فتخرجت أن أوقظهما، وكرهت أن أعقب قبلهما أهلاً ولا مالاً، فقممت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهم حتى برق الفجر، فاستيقظا، فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت انفراجاً لا يستطيعون الخروج منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وقال الآخر: اللهم إنه كان لي بنت عم، وكانت أحب الناس إليّ، فراودتها عن نفسها، فامتنعت، حتى ألت بها سنةً من السنين فجاءتني فأعطيتهما عشرين ومائة دينار على أ، تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت.. حتى إذا قدرت عليها، قالت: لا يحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه!! فتخرجت من الوقوع عليها.. فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليّ.. وتركتُ الذهب الذي أعطيتها: اللهم، إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، حين أنه لا يستطيعون الخروج منها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثم قال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراً فأعطيتهم أجورهم، غير رجل واحد منهم ترك الذي له وذهب، فنموت أجره، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله، أدّ إليّ أجرتي، فقلت له: كلش ما ترى من أجرتك من الإبل والغنم والبقر والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزيء بي!! فقتل: إني لا استهزيء بك، فأخذ ذلك كله فاستاقه، ولم يترك منه شيئاً. " اللهم فن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه.. فانفرجت الصخرة. فخرجوا من الغار يمشون " .

ومن ذلك الحديث الذي قال صلى الله عليه وسلم فيه إن البقرة كملتهم: أخبرنا أبو نعيم الإسفرايني قال: أخبرنا أبو عوانة قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال: أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب قال: حدثني سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: بينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها.. التفتت البقرة وقالت: إني لم أخلق لهذا؛ إنما خلقت للحرث! فقال الناس: سبحان الله!! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر " .

ومن ذلك حديث أويس القرني، وما شهد به عمر بن الخطاب رضي الله عنه من حاله وقصته، ثم التقاؤه مع هرم بن حيان، وتسليم أحدهما على صاحبه من غير معرفة تقدمت بينهما، وكل ذلك أحوال ناقضة للعادة. وتركنا شرح حديث أويس لشهرته.

ولقد ظهر علي السلق من الصحابة والتابعين، ثم على من بعدهم من الكرامات ما بلغ حد الاستفاضة. وقد صنف في ذلك كتب كثيرة وسنشير إلى طرف منها على وجه الإيجاز، إن شاء الله عز وجل، فمن ذلك: أن ابن عمر كان في بعض الأسفار فلقي جماعة وفقرا على الطريق من خوف السبع، فطرد السبع من طريقهم، ثم قال: إنما يسلط على ابن آدم ما يخافه، ولو أنه لم يخف غير الله لما سلط عليه شيء. وهذا خبر معروف.

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمي في غزاة، فحال بينهم وبين الموضع قطعة من البحر، فدعا الله باسمه الأعظم ومشوا على الماء.

وروي ان عتاب بن بشير، وأسيد بن خضير خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأضاء لهما رأس عصا أحد كالسراج.

وروي أنه كان بين يدي سلمان وأبي الدرداء قصعة.. فسبحت حتى سمعا التسبيح.

وروي أ، النبي صلة الله عليه وسلم قال: " كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره " .

ولم يفرق بين شيء وشيء فيما يقسم به على الله سبحانه.
وهذه الأخبار لشهرتها أضربنا عن ذكر أساتيدنا.

وحكي عن سهل بن عبد الله أنه قال: " من زهد في الدنيا أربعين يوماً صادقاً من قلبه مخلصاً في ذلك ظهرت ل الكرامات، ومن لم تظهر له، فلعدم الصدق في زهده ". فقيل لسهل: كيف تظهر له الكرامة؟ فقال: يأخذ ما يشاء كما يشاء من حيث يشاء.

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال: حدثنا أحمد بن عبيد الصفار قال: حدثنا أبو مسلم قال: حدثنا عمرو بن مرزوق قال: حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون قال: حدثنا وهب بن كيسان، عن ابن عمر، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " بينا رجل ذكر كلمة إذ سمع رعداً في السحاب. فسمع صوتاً في الحاب: أن أسق حديقة فلان، فجاء ذلك السحاب إلى سرحة فافرع ماءه فيها، فاتبع السحاب. فإذا رجل قائم يصلي في حديقة. فقال: ما اسمك؟ فقال: فلان بن فلان باسمه. قال: فما تصنع بحديقتك هذه إذ صرمتها؟ قال: ولم تسأل عن ذلك؟ قال: إني سمعت صوتاً في السحاب أن اسق حديقة فلان. قال: أما إذ قلت فيني أجعلها أثلاثاً. فأجعل لنفسي ولأهلي ثلثاً وأرد عليها ثلثاً. واجعل للمساكين وابن السبيل ثلثاً " .

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: دخلنا تستر فرأينا في قصر سهل بن عبد الله بيتاً كان الناس يسمونه بيت السباع فسألنا الناس عن ذلك. فقالوا: كان السباع تجيء إلى سهل، فكان يدخلهم هذا البيت، ويضيفهم، ويطعمهم اللحم، ثم يخليهم.

قال أبو نصر: ورأيت أهل تستر كلهم تفتقن على هذا لا ينكرونه وهم الجمع الكثير.

سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميمي يقول: سمعت عبد الله بن علي الصوفي يقول: سمعت حمزة بن عبد الل العلوي يقول: دخلت على أبي الخير التيناتي، وكنت أعتقد في نفسي أن أسلم عليه وأخرج ولا أكل عنده طعاماً، فلما خرجت من عنده ومشيت قدراً فإذا به خلفي، وقد حمل طبقاً عليه طعام، فقال: يا فتى. كل هذا؛ فقد خرجت الساعة من اعتقادك.

وأبو الخير التيناتي مشهور بالكرامات.

وحكي عن إبراهيم الرقي أنه قال: قصدته مسلماً عليه، فصلى صلاة المغرب فلم يقرأ الفاتحة مسوياً. فقلت في نفسي: ضاعت سفرتي، فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدني السبع، قعدت إليه وقلت: إن الأسد قصدني!! فخرج وصاح على الأسد وقال: ألم أقل لك لا تعرض لضيافتي؟؟ وتحنى وتطهرت. فلما رجعت قال: اشتغلتم بتقويم الطواهر فخفتم الأسد، واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الأسد.

وقيل: كان جعفر الخلدني فصفوق يوماً في دجلة وكان عنده دعاء مجرب للضالة ترد فدعا به؛ فوجد الفص في وسط أوراق كان يتفحصها.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: إن ذلك الدعاء: " يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع على ضالتي " .

قال أبو نصر السراج: أراني أبو الطيب العكي جزءاً ذكر فيه من ذكر هذا الدعاء على ضالة وجلها، وكان الجزء أوراقاً كثيرة.

سألت أحمد الطابرائي السرخسي، رحمه الله، فقلت له: هل ظهر لك شيء من الكرامات؟ فقال: في وقت إرادتي وابتداء أمري ربما كنت أطلب حجراً أستجى به فلم أجد، فتناولت شيئاً من الهواء فكان جوهرًا، فاستجيت به

وطرحته.

ثم قال: وأي خطر للكرامات؟! إنما المقصود منه: زيادة اليقين في التوحيد، فمن لا يشهد غيره موجداً في الكون فسواء أبصر نعلا معتاداً، أو ناقصاً للعادة.

سمعت محمد بن أحمد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت أبا الحسن البصري يقول: كان بعبادان رجل أسود فقير يأوي إلى الخرابات، فحملت معي شيئاً وطلبتة، فلما وقعت عينه عليّ تبسم، وأشار بيده إلى الأرض، فرأيت الأرض كلها ذهباً يلمع، ثم قال: هات ما معك، فناولته، وهالني أمره، وهربت. سمعت منصور المغربي يقول: سمعت أحمد بن عطاء الروذباري يقول: كان لي استقصاء في أمر الطهارة، فضاقت صري ليلة، لكثرة ما صبب من الماء، ولم يسكن قلبي، فقلت: يا رب عفوك، فسمعت هاتفاً يقول: العفو في العلم، فزال عني ذلك.

سمعت منصوراً المغربي يقول: فرأيته يوماً قعد على الأرض في الصحراء وكان عليها آثار الغنم بلا سجادة، فقلت: أيها الشيخ هذه آثار الغنم!! فقال: اختلف الفقهاء فيه.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت الحسين بن أحمد الرازي يقول: سمعت أبا سليمان الخواص يقول: كنت راكباً حماراً يوماً، وكان الذباب يؤذيه، فيطأطأ رأسه، فكنت أضرب رأسه بخشبية في يدي، فرفع الحمار رأسه وقال: اضرب، فإنك على رأسك هوذا تضرب.

قال الحسين: فقلت لأبي سليمان لك وقع هذا؟ فقال: نعم كما تسمعي.

وذكر عن ابن عطاء أنه قال: سمعت أبا الحسين النوري يقول: كان في نفسي شيء من هذه الكرامات، فأخذت قصبه من الصبيان وقيمت بين زورقين، ثم قلت: وعزتك إن لم تخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرتال لأغرقن نفسي. قال: فخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرتال.

فبلغ ذلك الجنيد فقال: كان حكمه أن تخرج له أفعى تلدغه.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت أبا الفتح يوسف بن عمر الزاهد القواس بعداد يقول: حدثنا محمد بن عطية قال: حدثنا عبد الكبير بن أحمد بمكة، فطال شعري ولم يكن معي قطعة من حديد آخذ بها شعري، فتقدمت إلى مزين تو سمت فيه الخير، فقلت: تأخذ شعري لله تعالى؟ فقال: نعم، وكرامة، وكان بين يديه رجل من أبناء الدنيا فصرفه وأجلسني، وحلق شعري، ثم دفع إليّ قرطاساً فيه دراهم وقال لي: استعن بها على بعض حوائجك، فأخذتها واعتقد أن أدفع إليه أول شيء يفتح عليّ به.

قال: فدخلت المسجد، فاستقبلني بعض أصحابي وقال لي: جاء بعض إخوانك بصره من البصرة من بعض إخوانك فيها ثلاثمائة دينار.

وقال: فأخذت الصرة وحملتها إلى المزين وقلت: هذه ثلاثمائة دينار تصرفها في بعض أمورك. فقال لي: ألا تستحي يا شيخ!! تقول لي احلق شعري لله، ثم آخذ عليه شيئاً.. انصرف عافاك الله.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت بن سالم يقول: لما مات إسحاق بن أحمد دخل عليه سهل بن عبد الله صومعته فوجد فيها سقفاً فيه قارورتان في واحدة منهما شيء أحمر، وفي الأخرى شيء أبيض، ووجد شوشقة ذهب، وشوشقة فضة، قال: فرمى بالشوشقتين في الدجلة؛ وخلط ما في القارورتين بالتراب، وكان على إسحاق دين قال ابن سالم: قلت لسهل: ماذا كان في القارورتين؟ قال: أحدهما لو طرح منها وزن درهم على مثاقيل من النحاس صار ذهباً، والأخرى لو طرح منها مثقال على مثاقيل من الرصاص صار فضة، فقلت:

وماذا عليه لو قضى منه دينه؟ فقال: أي دوست خاف على إيمانه.

وحكى عن النوري أنه خرج ليلة إلى شط دجلة فوجدها وقد التزق الشيطان، فانصرف وقال: وعزتك لا أجوزها إلا في زروق.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: أملي علينا الوجيهي حكاية عن محمد بن يوسف البناء قال: كان أبو تراب النخشي صاحب كرامات، فسافرت معه سنة، وكان معه أربعون نفساً: ثم أصابتنا مرة فاقفة، فعدل أبو تراب عن الطريق، وجاء بعدق موز فتناولنا، وفينا شاب لم يأكل فقال له أبو تراب: كل. فقال: الحال الذي اعتدته تركُ المعلومات، وصرت أنت معلومي، فلا أصحبك بعد هذا!! فقال له أبو تراب: كن مع ما وقع لك.

وحكى أبو نصر السراج عن أبي يزيد قال: دخل عليّ أبو علي السندي وكان أستاذ ويده جراب، فصبتها فإذا هي جواهر، فقلت: من أين لك هذا؟ فقال: وافيت وادياً ها هنا، فإذا هو يضيء كالسراج، فحملت هذا. فقلت: فكيف كان وقتلك الذي وردت فيه الوادي؟ فقال: وقت فترة عن الحال التي كنت فيها. وقيل لأبي يزيد: فلان يمشي في ليلة إلى مكة! فقال: الشيطان يمشي في ساعة من المشرق إلى المغرب في لعنة الله. وقيل له فلان يمشي على الماء، ويطير في الهواء.

فقال: الطير يطير في الهواء، والسمك يمر على وجه الماء.

وقال سهل بن عبد الله: أكبر الكرامات أن تُبدل خُلُقاً مذموماً من أخلاقك.

سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميمي يقول: سمعت عبد الله بن علي الصوفي يقول: سمعت ابن سالم يقول: سمعت أبي يقول: كان رجل يقال له عبد الرحمن بن أنس يصحب سهل بن عبد الله، فقال له يوماً: ربما أتوضأ للصلاة فيسيل الماء بين يدي قضبان ذهب وفضة.

فقال سهل: أما علمت أن الصبيان إذا بكوا يعطون خشخشة ليشتغلوا بها؟؟ سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول أخبرني جعفر بن محمد قال: حدثني الجنيد قال:

دخلت على السري يوماً فقال لي: عصفور كان يجيء في كل يوم فأقت له الخبز، فيأكل من يدي، فنزل وقتاً من الأوقات فلم يسقط علي يدي، فتذكرت في نفسي: ماذا يكون السبب؟ فذكرت أنني أكلت ملحاً بأبزار، فقلت في نفسي: لا آكل بعدها، وأنا تائب منه؛ فسقط علي يدي وأكل.

وحكى أبو عمرو الأنماطي قال: كنت مع أستاذي في البادية، فأخذنا المطر، فدخلنا مسجداً نستكن فيه، وكان السقف يفك، فصعدنا السطح، ومعنا خشبة نريد إصلاح السقف، فقصر الخشب عن الجدار، فقال لي أستاذي: مدها، فمددتها.. فركبت الحائظ من هاهنا ومن هاهنا.

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت محمد بن أحمد النجار يقول: سمعت الرقي يقول: سمعت أبا بكر الدقاق يقول: كنت ماراً في تيه بني إسرائيل فخطر ببالي أن علم الحقيقة مباين للشريعة، فهتفت بي هاتف من تحت شجرة: كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر.

وقال بعضهم: كنت عند خير النساج، فجاءه رجل وقال: أيها الشيخ رأيتك أمس وقد بعث العزل بدرهمين، فجئت خلفك، فحللتها من طرف إزارك، وقد صارت يدي منقبضة على الدرهمين في كفي، قال: فضحك خير وأوماً بيده إلى يدي ففتحها، ثم قال: امض واشتر بهما لعيالك شيئاً، ولا تعد لمثله..

وحكى عن أحمد بن محمد السلمي قال: دخلت على ذي النون المصري يوماً، فرأيت بين يديه طشتاً من ذهب،

وحوله الندد، والعنبر يسجر، فقال لي: أنت ممن يحل على الملوك في حال بسطهم؟ ثم أعطاني درهما، فانفقت منه إلى بلخ.

وحى عن أبي سعيد الخراز قال: كنت في بعض أسفاري، وكان يظهر لي كل ثلاثة أيام شيء، فكنت آكله، وأستقل به، فمضى عليّ ثلاثة أيام وقتاً من الأوقات ولم يظهر شيء فضعفت!! وجلست، فهتف بي هاتف. أينما أحب إليك: سبب، أو قوة؟ فقلت: القوة. فقامت من وقتي، ومشيت أنني عشر يوماً لم أذق فيهما شيئاً، ولم أضغف. وعن المرتعش قال: سمعت الخواص يقول: تمّت في البداية أياماً، فجاءني شخص وسلم عليّ، وقال لي: تمّت! فقلت له: نعم، فقال: ألا أدلك على الطريق؟ ومشى بين يدي خطوات، ثم غاب عن عيني، وإذا أنا على الجادة، فبعد ذلك ما تمّت ولا أصابني في سفر جوع ولا عطش.

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي، يقول: سمعت عمر بن يحيى الأردبيلي يقول: سمعت الرقي يقول: سمعت ابن الجلاء يقول لي: لما مات أبي ضحك على المغتسل؛ فلم يجسر أحد يغسله، وقالوا: إنه حي، حي جاء واحد من أقرانه وغسله.

سمعت محمد بن أحمد التميمي يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت طلحة القصاصري يقول: سمعت المنيحي صاحب سهل بن عبد الله يقول: كان سهل يصبر عن الطعام سبعين يوماً، وكان إذا أكل ضعف، وإذا جاع قوي. وكان أبو عبيد البصري إذا كان أول شهر رمضان يدخل بيتاً، ويقول لامرأته: طيني على الباب، وألقي إليّ كل ليلة من الكوة رغيفاً، فإذا كان يوم العيد فتح الباب ودخلت امرأته البيت فإذا بثلاثين رغيفاً في زاوية البيت، فلا أكل ولا شرب، ولا نام، ولا فاتته ركعة من الصلاة.

وقال أبو الحارث الأولاشي: مكثت ثلاثين سنة ما يسمع لساني إلا من بصري، ثم تغيرت الحال؛ فمكثت ثلاثين سنة لا يسمع سري إلا من ربي.

حدثنا أبو الحسين غلام شعوانة قال: سمعت علي بن سالم يقول: كان سهل بن عبد الله أصابته زمانة في آخر عمره، فكان إذا حضر وقت الصلاة انتشرت يداه ورجلاه، فإذا فرغ من الفرض عاد إلى حال الزمانة.

وحكي عن أبي عمران الواسطي قال: انكسرت السفينة وبقيت أنا وامرأتي على لوح، وقد ولدت في تلك الحالة صبية، فصاحت بي وقالت لي: يقتلني العطش!! فقلت: هو ذا يرى حالنا؛ فرفعت رأسي، فإذا رجل في الهواء وفي يده سلسلة من ذهب وفيها كوز من ياقوت أحمر، وقال: هاك اشربا. قال: فأخذت الكوز وشربنا منه فإذا هو أطيب من المسك وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل. فقلت: من أنت رحمك الله؟ فقال: عبد لمولايك، فقلت: بيم وصلت إلى هذا؟ فقال: تركت هواي لمرضاته فأجلسني في الهواء. ثم غاب عني ولم أراه.

أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفي قال: حدثنا بكران بن أحمد الجيلي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون المصري يقول: رأيت شاباً عند الكعبة يكثر الركوع والسجود فدنوت منه، وقلت: إنك تكثر الصلاة!! فقال: أنتظر الأذن من ربي في الانصراف.

قال: فرأيت رقعة سقطت عليه، مكتوب فيها: " من العزيز الغفور إلى عبدي الصادق: انصرف مغفوراً لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ".

وقال بعضهم: كنت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في مسجده مع جماعة نتجاري الآيات، ورجل ضريب بالقرب منا يسمع، فتقدم إلينا، وقال: أنست بكلامكم؛ اعلموا أنه كان لي صبية وعيال، وكنت أخرج إلى البقيع

اختطبت، فخرجت يوماً. فرأيت شاباً عليه قميص كتان ونعله في إصبعه، فتوهمت أنه تائه. فقصدته أسلب ثوبه: فقلت له: إنزع ما عليك. فقال: تسر في حفظ الله. فقلت الثانية والثالثة. فقال لا بد؟ فقلت: لا بد!! فأشار من بعيد بأصبعه إلى عيني فسقطنا. فقلت: بالله عليك. من أنت؟ فقال: إبراهيم الخواص. وقال ذو النون المصري: كنت وقتاً في السفينة فسرقت قطعة. فاتهموا بها رجلاً. فقلت: دعوه حتى أرفق به. وإذا الشاب نائم في عباءة: فأخرج رأسه من العبءة فقال له: ذو النون في ذلك المعنى. فقال: أي تقول ذلك؟! أقسمت عليك يا رب أن لا تدع واحداً من الحيتان إلا جاء بجوهرة. قال: فرأينا وجه الماء حيتاناً في أفواههم الجواهر، ثم ألقى الفتى نفسه في البحر ومر إلى الساحل.

وحي عن إبراهيم الخواص قال: دخلت البادية مرة فرأيت نصرانياً على وسطه زنار فسألني الصحبة فمشينا سبعة أيام فقال لي: يا راهب الحنيفة هات ما عندك من الانبساط فقد جمعنا إلهي لا تفضحني مع هذا الكافر. فرأيت طبقاً عليه خبز وشواء ورطب وكوز ماء. فأكلنا وشربنا ومشينا سبعة أيام ثم بادرت وقلت: يا راهب النصارى. هات مع عندك. فقد انتهت التوبة إليك. فاتكأ على عصاه. ودعا. فإذا بطبقين عليهما أضعاف ما كان على طريقي. قال: فتحيرت، وتغيرت. وأبيت أن أكل. فألح علي فلم أجبه. فقال: كل؛ فإني أبشرك ببشارتين إحداهما: أنني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. وحل الزنار. والأخرى: أني قلت: اللهم إن كان هذا العبد خطر عند فافتح علي بهذا؛ ففتح. فأكلنا ومشينا وحج. وأقمنا بمكة سنة ثم إنه مات ودفن بالبطحاء.

وقال محمد بن المبارك الصوري: كنت مع إبراهيم بن أدهم في طريق بيت المقدس فنزلنا وقت القيلولة تحت شجرة رمان، فصلينا ركعات، فسمعت صوتاً من أصل الرمان: يا أبا إسحق أكرمنا بأن نأكل منا شيئاً، فطأطأ إبراهيم رأسه، فقال ثلاث مرات. ثم قال: يا محمد كن شفيعاً إليه؛ ليتناول منا شيئاً فقلت: يا أبا إسحق، لقد سمعت. فقام وأخذ رمانتين، فأكل واحدة ونولني الأخرى فأكلتها وهي حامضة، وكانت شجرة قصيرة، فلما رجعنا مررنا بها فإذا هي شجرة عالية ورمانها حلو. وهي تثمر في كل عام مرتين. وسموها رمانة العابدين ويأوي إلى ظلها العابدون. سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت محمد بن الفرحان يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت أبا جعفر الخفاف يقول: حدثني جابر الرحبي قال: أكثر أهل الرحبة عليّ الإنكار في باب الكرامات، فركبت السبع يوماً ودخلت الرحبة، وقلت: أين الذين يكذبون أولياء الله؟ قال: فكفوا بعد ذلك عني.

سمعت منصوراً المغربي يقول: رأى بعضهم الخضر عليه السلام، فقال له: هل رأيت فوقك أحداً؟ فقال: نعم، كان عبد الرزاق بن همام يروي الأحاديث بالمدينة، والناس حوله يستمعون..

فرأيت شاباً بالعبد منهم رأسه على ركبتيه. فقلت له: يا هذا عبد الرزاق يروي أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلم لا تسمع منه؟ فقال: إنه يروي عن ميت، وأنا لست بغائب عن الله؟ فقلت: إن كنت كما تقول، فمن أنا؟! فرفع رأسه وقال: أنت أخي أبو العباس الخضر، فعلمت أن الله عبداً لم أعرفهم.

وقيل: كان لإبراهيم بن أدهم صاحب يقال له يحيى يتعبد في غرفة ليس إليها سلم ولا درج، فكان إذا أراد أن يتطهر، يحيى إلى باب الغرفة ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله. ويمر في الهواء كأنه طير، ثم يتطهر، فإذا فرغ يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله ويعود إلى غرفته.

أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفي قال: سمعت عمر بن محمد بن أحمد الشيرازي بالبصرة قال: سمعت أبا محمد جعفر الحذاء بشيراز قال: كت أتأدب بأبي عمر الاصطخري، فكان إذا خطر لي خاطر أخرجُ إلى اصطخر فرمما أجنبي

عما احتاج إليه من غير أن أسأله، وربما سألته فأجابني ثم شغلت عن الذهاب فكان إذا خطر على سرِّي مسألة أجبني من اصطخر، فيخطبني بما يردُّ عليَّ.

وحكي عن بعضهم قال: مات فقير في بيت مظلم، فلما اردنا غسله تكلفنا طلب سراج، فوقع من كوة ضوء.. فأضاء البيت، فغسلناه، فلما فرغنا ذهب الضوء كأنه لم يكن.

وعن آدم بن أبي إياس قال: كنا بعسقلان، وشاب يغشانا ويجالسنا. ويتحدث معنا؛ فإذا فرغنا قام إلى الصلاة يصلي، قال: فودعنا يوماً وقال: أريد الإسكندرية. فخرجت معه، وناولته دريهمات، فأبى أن يأخذها. فالححت عليه فألقى كفاً من الرمل في ركوته. واستقى من ماء البحر. وقال: كله!! فنظرت فإذا هو سويق بسكر كثير فقال، من كان حالمهه مثل هذا يحتاج إلى دراهمك؟! ثم أنشأ يقول:

بحق الهوى يا أهل ودي تفهموا ... لسانٌ وجوي بالوجود غريب
حرام على قلب تعرّض للهوى ... يكونُ لغير الحق فيه نصيب
ولغيره:

ليس في القلب والفؤاد جميعاً ... موضعٌ فارغ يراه الحبيب
هو سُؤلي ومُنيتي وسروري ... وبه ما حييت عيشي يطيب
وإذا ما السقام حل بقلبي ... لم أجد غيره لتسمي طيب

جاءني يهودي يتقاضى عليَّ في دين كان له عليَّ. وأنا قاعد عند الأتون أوقد تحت الاجر. فقال لي اليهودي: يا إبراهيم. أربي آية أسلم عليها..

فقلت له: تفعل؟! فقال: نعم. فقلت: إنزع ثوبك. فترع، فلففته، ولففت على ثوبه ثوبي، وطرحت في النار، ثم دخلت الأتون وأخرجت الثوب من وسط النار وخرجت من الباب الآخر، فإذا ثيابي بحالها لم يصيبها شيء، وثيابه في وسطها صارت حراقة، فأسلم اليهودي.

وقيل: كان حبيب العجمي يُرى بالبصرة يوم الترويه، ويوم عرفة بعرفات سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله الفرغاني يقول: تزوج عباس بن المهدي امرأة، فلما كانت ليلة الدخول وقع عليه ندامة، فلما أراد الدنو منها زجر عنها، فامتنع من وطئها، وخرج.. فبعد ثلاثة أيام ظهر لها زوج!! قال الأستاذ الإمام: هذا هو الكرامة على الحقيقة؛ حيث حفظ عليه العلم.

وقيل: كان القضاة بن عياض على جبل من جبل منى، فقال: لو أن ولياً من أولياء الله تعالى أمر هذا الجبل أن يميد لماد، قال: فتتحرك الجبل. فقال: أسكن، لم أردك بهذا!! فسكن الجبل.

وقال عبد الواحد بن زيد لأبي عاصم البصري: كيف صنعت حين طلبك الحجاج؟ قال: كنت في غرفتي فدقوا على الباب، فدخلوا، فدفعت بي دفعة، فإذا أنا على جبل أبي قبيس بمكة، فقال له عبد الواحد: من أين كنت تأكل؟ قال: كانت تصعد إلى عجوز كل وقت إبطاري بالرغيفين اللذين كنت آكلهما بالبصرة.

فقال عبد الواحد: تلك الدنيا أمرها الله تعالى أن تخدم أبا عاصم.

وقيل: كان عامر بن عبد قيس يأخذ عطاءه ولا يستقبله أحد إلا أعطاه شيئاً، فكان إذا أتى منزله رمى إليه بالدرهم، فتكون بمقدار ما أخذه لم ينقص شيئاً.

سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول: سمعت أبا أحمد الكبير يقول: سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول: يقول: سمعت أبا عمرو الزجاجي يقول: دخلت على الجنيد، وكنت أريد أن أخرج إلى الحج، فأعطاني درهماً صحيحاً، فشددته

على متزري، فلم أدخل منزلاً إلا وجدت فيه رفقاء، ولم أحتج إلى الدرهم؛ فلما حججت، ورجعت إلى بغداد دخلت على الجنيد. فمدّ يده وقال: هات، فناولته الدرهم، فقال: كيف كان؟ فقلت: كان الختم نافذاً. وحكي عن أبي جعفر الأعور قال: كنت عند ذي النون المصري، فتذاكرنا حديث طاعة الأشياء للأولياء، فقال ذو النون. من الطاعة أن أقول لهذا السرير يلور في أربع زوايا البيت، ثم يروح إلى مكانه فيفعل، قال فدار السرير في أربع زوايا البيت وعاد إلى مكانه. وكان هناك شاب فأخذ يكي حتى مات في الوقت. وقيل: إن واصلاً الأحذب قرأ: وفي السماء رزقكم وما توعدون. فقال: رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض؟ والله لا طلبته أبداً!! فدخل خربة ومكث يومين فلم يظهر له شيء. فاشتد عليه، فلما كان اليوم الثالث إذا بدو خلة من رطب، وكان له أخ أحسن منه نية، فصار معه، فإذا: قد صار دوختين فلم يزل ذلك حالهما حتى فرق بينهما الموت. وقال بعضهم: أشرفت على إبراهيم بن إبراهيم، وهو في بستان يحفظه، وقد أخذه النوم، وإذا حية في فيها طاقة نرجس تروّحه بما.

وقيل: كان جماعة من أيوب السجستاني في السفر فأعياهم طلب الماء، فقال أيوب: أتسترون عليّ ما عشت؟ فقالوا: نعم، فلور دائرة فبيع الماء، فشرينا فقال: فلما دخلنا البصرة أخبر به حماد بن زيد، فقال عبد الواحد بن زيد شهدت معه ذلك اليوم.

وقال بكر بن عبد الرحمن: كنا مع ذي النون المصري في البادية، فنزلنا تحت شجرت من أم غيلان فقلنا: ما أطيب هذا الموضع لو كان فيه رطب؛ فتبسم ذو النون وقال أتشتهون الرطب؟ وحرّك الشجرة وقال: أقسمت عليك بالذي ابتدأك وخلقت شجرت إلا نثرت علينا رطباً جنياً.. ثم حرّكها، فنثرت رطباً جنياً. فأكلنا وشعبنا. ثم نمنا فانتبهنا وحررنا الشجرة فنثرت علينا شوكة.

وحكي عن أبي القاسم بن مروان النهاوندي قال: كنت أنا وأبو بكر الوراق مع أبي سعيد الخراز نمشي على ساحل البحر نحو صيدا فرأى شخصاً من بعدي، فقال: اجلسوا. لا يخلوا هذا الشخص أن يكون ولياً من أولياء الله. قال: فما لبثنا أن جاء شاب حسن الوجه. وبيده ركوة ومحبرة وعلين مرقعة. فالتفت أبو سعيد إليه منكراً عليه لحملة الخبرة مع الركوة فقال له: يا فتى، كيف الطرق إلى الله تعالى؟ فقال: يا أبا سعيد، أعرف إلى الله طريقين: طريقاً خاصاً، وطريقاً عاماً، فأما الطريق العام فالذي أنت عليه. وأما الطريق الخاص: فهلم، ثم مشى على الماء حتى غاب عن أعيننا. فبقي أبو سعيد حيران مما رأى!! وقال الجنيد: جئت مسجد الشوزية فرأيت فيه جماعة من الفقهاء يتكلمون في الآيات فقال فقير منهم: أعرف رجلاً لو قال لهذه الأسطوانة كوني ذهباً نصفك، ونصفك فضةً كانت.. قال الجنيد: فنظرت. فإذا الأسطوانة نصفها ذهب ونصفها فضة.

قيا: حج سفيان الثوري مع شيبان الراعي، فعرض لهما سبع، فقال سفيان لشيبان: أما ترى هذا السبع؟ فقال: لا تخف. فأخذ شيبان أذنه فعرّكها... فبصص وحرّك ذنبه.. فقال سفيان: ما هذه الشهرة؟! فقال: لو لا مخافة الشهرة لما وضعت زادي إلا على ظهره حتى آتي مكة!! وحكي أن السري لما ترك التجارة كانت أخته تنفق عليه من ثمن غزلها. فأبطأت يوماً، فقال لها السري: لم أبطأت؟! فقالت: لأن غزلي لم يشتر، وذكروا أنه مخلط. فامتنع السري عن طعامها ثم إن أخته دخلت عليه يوماً فرأت عنده عجزاً تكس بيته، وتحمل إليه كل يوم رغيفين فحزنت أخته وشكت من أكل طعامها قيص الله لي الدنيا لتنفق علي وتخدمني.

أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفي قال: حدثنا علي بن هارون قال: حدثنا علي ابن أبي التميمي قال: حدثنا جعفر بن

القاسم الخواص قال: حدثنا أحمد بن محمد الطوسي قال: حدثنا محمد بن منصور الطوسي قال: كنت عند أبي محفوظ معروف الكرخي، فدعا لي؛ فرجعت إليه من الغد وفي وجهه أثر، فقال الله إنسان: يا أبا محفوظ، كنا عندك بالأمس ولم يكن بوجهك هذا الأثر، فما هذا؟! فقال: سل عما يعينك!! فقال الرجل: بمعبودك أن تقول، فقال: صليت البارحة هاهنا، واشتهيت أن أطوف بالبيت، فمضيت إلى مكة، وطقت، ثم ملت إلى زمزم؛ لأشرب من مائها. فزلقت على الباب، فأصاب وجهي ما تراه.

وقيل: كان عتبة الغلام يقعد فيقول: يا ورشان إن كنت أطوع لله عز وجل مني فتعال واقعد على كفي؛ فيجيء الورشان ويقعد على كفه.

وحكي عن أبي علي الرازي أنه قال: مررت يوماً على الفرات، فعرضت لنفسي شهوة السمك الطري، فإذا الماء قد كذف سمكة نحوي، وإذا رجل يعدو ويقول: أشويها لك؟ فقلت: نعم. فشواها، فقعت وأكلتها.

وقيل: كان إبراهيم بن أدهم في رفقة فعبض لهم السبع؛ فقالوا: يا أبا إسحاق قد عرض لنا السبع!! فجاء إبراهيم وقال: يا أسد، إن كنت أمرت فينا بشيء فامض، وإلا فارجع. فرجع الأسد، ومضوا.

وقال حامد الأسود: كنت مع الخواص في البرية، فبتنا عند شجرة، إذ جاء السبع، فصعدت الشجرة إلى الصباح لا يأخذني النوم، ونام إبراهيم الخواص والسبع يشم من رأسه إلى قدمه.. ثم مضى.

فلما كانت الليلة الثانية بتنا في مسجد في قرية، فوقع بقّة على وجهه فضر به، فأنّ أنه، فقلت: هذا عجيب، البارحة لم تجزع من الأسد، واللييلة تصيح من البق!!؟ فقال: أما البارحة، فنتلك حالة كنت فيها بالله عز وجل، وأما اللييلة، فهذه حالة أنا فيها بنفسي.

وحكي عن عطاء الأزرق: أنه دفعت إليه امرأته درهمن من ثمن غزلها؛ ليشتري لهم شيئاً من الدقيق، فخرج من بيته، فلقي جارية تبكي، فقال لها: ما بالك؟ فقالت: دفع إلي مولاي درهمن اشترى لهم شيئاً. فسقطا مني فأخاف أن يضربني!! فدفع عطاء الدرهمين إليها. ومرّ. وقعد على حانوت صديق له ممن يشق الصاح وذكر له الحال وما يخاف من سوء خلق امرأته. فقال له صاحبه: خذ من هذه النشارة في هذا الجراب لعلكم تنتفعون بها في سحر التنور؛ إذ ليس يساعدني الإمكان في شيء آخر.. فحمل النشارة، وفتح باب داره، ورمى بالجراب، وردّ الباب ودخل المسجد إلى ما بعد العتمة؛ ليكون النوم أحدهم ولا تستطيل عليه المرأة، فلما فتح الباب وجلهم يجذبون الخبز؛ فقال: من أين لكم هذا الخبز؟ فقالوا: من الدقيق الذي كان في الجراب. لا تشتري من غير هذا الدقيق! قال: أفعل إن شاء الله. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا جعفر بن بركات يقول: كنت أجالس الفقراء، ففتح عليّ دينار، فأردت أن أدفعه إليهم، ثم قلت في نفسي: لعلني أحتاج إليه.. فهاج بي وجع الضرس، فقلعت سنّاً، فوجعت الأخرى حتى قلعتها..

فهتف بي هاتف: إن لم تدفع إليهم الدينار، فلا يبقى في فمك سنّ واحدة!.

قال الأستاذ: وهذا في باب الكرامة أتم من أن كان يفتح عليه بدنانير كثيرة تنقض العادة.

وحكى أبو سليمان الداراني قال: خرج عامر بن قيس إلى الشام، ومعه شكوة إذا شاء صبّ منها ماء ليتوضأ للصلاة، وإذا شاء صبّ منها لبناً يشربه.

وروى عثمان بن أبي العاتكة قال: كنا في غزاة الأرض الروم، فبعث الوالي سرية إلى موضع، وجعل الميعاد في يوم كذا.

قال: فجاء الميعاد ولم تقدم السرية، فبينما أبو مسلم يصلي إلى رمحه الذي ركزه بالأرض إذ جاء طائر إلى رأس السنان

وقال: إن السرية قد سلمت وغنمت وسيردون عليكم يوم كذا في وقت كذا.
فقال أبو مسلم للطير: من أنت، رحمك الله تعالى؟ فقال: أنا مذهب الحزن عن قلوب المؤمنين.
فجاء أبو مسلم إلى الوالي وأخبره بذلك، فلما كان اليوم الذي قال أتت السرية على الوجه الذي قال.
وعن بعضهم قال: كنا في مركب فمات رجل كان معنا ليل، فأخذنا في جهازه، وأردنا أن نلقيه في البحر فصار
البحر جافاً، ونزلت السفينة، فخرجنا وحفرنا له قبراً، ودفناه، فلما فرغنا استوى الماء، وارتفع المركب، وسرنا.
وقيل: إن الناس أصابهم مجاعة بالبصرة، فاشترى حبيب العجمي طعاماً بالنسيئة، وفرقه على المساكين وأخذ كيسه
فجعلته تحت رأسه، فلما جاءوا يتقاضونه أخذه، وإذا هو مملوء دراهم، ف قضى منها ديونهم.
وقيل: أراد إبراهيم بن أدهم أن يركب السفينة فأبوا إلا أن يعطيهم ديناراً، فصلى على الشط ركعتين، وقال: اللهم
إنهم قد سألوني ما ليس عندي، فصار الرمل بين يديه دنائير.
حدثنا محمد بن عبد الله الصوفي قال: حدثنا عبد العزيز بن الفضل قال: حدثنا محمد بن أحمد المروزي قال: حدثنا
عبد الله بن سليمان قال: قال أبو حمزة نصر بن الفرج خادم أبي معاوية الأسود قال: كان أبو معاوية ذهب بصره،
فإذا أراد أن يقرأ نشر المصحف فيرد الله عليه بصره، فإذا أطبق المصحف ذهب بصره..
وقال أحمد بن الهيثم المتطيب: قال لي بشر الحافي: قل لمعروف الكرخي: إذا صليت جئتكَ؛ قال: فأديت الرسالة
وانظرتة، فصلينا الظهر ولم يجيء، ثم صلينا العصر، ثم المغرب، ثم العشاء، فقلت في نفسي: سبحان الله مثل بشر
يقول شيئاً ثم لا يفعل!! لا يجوز أن لا يفعل!!.. وانتظرتة وأنا فوق مسجد على مشرعة، فجاء بشر بعد هوى من
الليل، وعلى رأسه سجادة، فتقدم إلى دجلة ومشى على الماء، فرميت بنفسي من السطح، وقبلت يديه ورجليه،
وقلت: ادع الله لي، فدعا لي، وقال: استره علي. قال: فلم أتكلم بهذا حتى مات.
سمعت أبا عبد الله الشيرازي قال: حدثنا أبو الفرج الورثاني قال: سمعت علي بن يعقوب بلمشق قال: سمعت أبا بكر
محمد بن أحمد يقول: سمعت قاسماً الجرعي يقول: رأيت رجلاً في الطواف لا يزيد على قوله: إلهي، قضيت حوائج
الكل ولم تقض حاجتي..
فقلت: مالك لا تزيد على هذا الدعاء؟

فقال: أحدثك.. اعلم أنا كنا سبعة أنفس من بلدان شتى، فخرجنا إلى الجهاد، فأسرنا الروم، ومضوا بنا لنقتل؛
فأريت سبعة أبواب فتحت من السماء وعلى كل باب جارية حسناء من الحور العين، فقدم واحد منا فضربت عنقه،
فأريت جارية منهن هبطت إلى الأرض وبيدها منديل فقبضت روحه حتى ضربت أعناق ستة منا، فاستوهبني بعض
رجلهم، فقالت الجارية: أي شيء فاتك يا محروم!!.. وغلقت الأبواب؛ فأنا يا أخي متأسف متحسر على ما فاتني...
قال قاسم الجرعي: أراه أفضلهم، لأنه رأى ما لم يروا.. وعمل على الشرق بعدهم.
وسمعته يقول: سمعت أبا النجم أحمد بن الحسين بخورستان يقول سمعت أبا بكر الكتاني يقول: كنت في طريق مكة في
وسط السنة، فإذا أنا بهميان ملآن يلتهم دنائير، فهممت أن أحمله لأفرقه على فقراء مكة، فهتف هاتف: إن أخذته
سلبناك فقرك.

حدثنا محمد بن محمد بن عبد الله الصوفي قال: حدثنا أحمد بن يوسف الخياط قال: سمعت أبا علي الروذباري يقول:
سمعت العباس الشرقي يقول: كنا مع أبي تراب النخشي في طريق مكة، فعدل عن الطريق إلى ناحية فقال له بعض
أصحابه: أنا عطشان. فضرب برجله إلى الأرض فإذا الأرض عين من ماء زلال، فقال الفتى: أحب أن أشربه ف
قدح، فضرب يده إلى الأرض فناوله قدحاً من زجاج أبيض كأحسن ما رأيت، فشرب وسقانا، وما زال القدح معنا

إلى مكة فقال لي أبو تراب يوماً: ما يقول أصحابك في هذه الأمور التي يكرم الله بها عباده؟..
فقلت: ما رأيت أحداً إلا وهو يؤمن بها.

فقال: من لم يؤمن بها فقد كفر، إنما سألتك من طريق الأحوال.
فقلت: ما أعرف لهم قولاً فيه.

قال: بلى، قد زعم أصحابك أنها خدع من الحق، وليس الأمر كذلك، إنما الخدع في حال السكون إليها، فأما من لم
يقترح ذلك، ولم يساكنها فتلك مرتبة المرءانيين.

حدثنا محمد بن عبد الله الصوفي قال: حدثنا أبو الفجج الورثاني قال: سمعت محمد بن الحسين الخلدي بطرسوس قال:
سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول: كنا في غرفة سرى السقطي ببغداد، فلما ذهب من الليل شيء لبس قميصاً نظيفاً
وسراويل ورداء ونعلا، وقال ليخرج؛ فقلت: إلى أين في هذا الوقت؟ فقال: أعود فتحاً الموصلي.
فلما مشى في طرقات بغداد أخذ العسس وحسوه، فلما كان من الغد أمر بضربه مع المحبوسين، فلما رفع الجلاد
يده ليضربه وقفت يده فلم يقدر أن يحركها فقبل للجلاد: اضرب!! فقال: بجذائي شيخ واقف يقول لي لا تضربه،
فتقف يدي لا تتحرك.

فظفروا من الرجل، فإذا هو فتح الموصلي؛ فلم يضربوه.

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا الحارث الخطابي قال: حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا علي بن
مسلم قال: حدثنا سعيد بن يحيى البصري قال: كان أناس من قريش يجلسون إلى عبد الواحد بن زيد، فأتوه يوماً
وقالوا: إنا نخاف من الضيقة والحاجة!! فرفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إني أسألك باسمك المرتفع الذي تكرم به
من شئت من أوليائك، وتلهمه الصفي من أحبابك أن تأتينا بروق من لدنك تقطع به علائق الشيطان من قلوبنا
وقلوب أصحابنا هؤلاء فأنت الحنان المنان القديم الإحسان، اللهم الساعة، الساعة..

قال: فسمعت والله قعقة للسقف، ثم تناثرت علينا دنانير ودراهم، فقال عبد الواحد بن زيد: استغنوا بالله عز وجل
عن غيره، فأخذوا ذلك، ولم يأخذ عبد الواحد بن زيد شيئاً.

سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن علي الجوزي بجنديسابور قال: سمعت الكتاني يقول:
رأيت بعض الصوفية، وكان غريباً ما كنت أثبتته قد تقدم إلى الكعبة وقال: يا رب ما أدري ما يقول هؤلاء! - يعني
الطائفين - فقيل له: انظر ما في هذه الرقعة. قال: فطارت الرقعة في الهواء وغابت.

وسمعت يقول: سمعت عبد الواحد بن بكر الورثاني يقول: سمعت محمد بن علي ابن الحسين المقرئ بطرسوس يقول:
سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول: اشتهدت والدي علي والدي يوماً من الأيام سمكاً، فمضى والدي إلى السوق وأنا
معه، فاشترى سمكاً، ووقف ينتظر من يحمله، فرى صبياً وقف بجذائه مع صبي فقال: يا عم، تريد من يحمله؟ فقال:
نعم، فحلمه ومشى معنا، فسمعنا الأذان، فقال الصبي: أذن المؤذن، واحتج أن أتطهر وأصلي، فإن رضيت، وإلا
فأمل السمك، ووضع الصبي السمك ومرّ.

فقال أبي: فنحن ألولى أن نتوكل في السمك. فدخلنا المسجد فصلينا، وجاء الصبي وصلى، فلما خرجنا فإذا
بالسمك موضوع مكانه، فحمله الصبي ومضى معنا إلى دارنا.

فذكر والدي ذلك لوالدي، فقالت: قل له حتى يقيم عندنا ويأكل معنا، فقلنا له، فقال: إني صائم، فقلنا: فتعود إلينا
بالعشى، فقال: إذا حملت مرة في اليوم لا أحمل ثانياً، ولكني سأدخل المسجد إلى المساء، ثم أدخل عليكم، فمضى..
فلما أمسينا دخل الصبي، وأكلنا، فلما فرغنا دللناه على موضع الطهارة، ورأينا فيه أنه يؤثر الخلوة، فتركناه في

بيت، فلما كان في بعض الليل وكان لقريب لنا بنتُ زمنة، فجاءت تمشي، فسألناها عن حالها، فقالت: قلت يارب بحرمة ضيفنا أن تعافيني، فقممت. قالت: فمضينا لنطلب الصبي، فإذا الأبواب مغلقة كما كانت، ولم نجد الصبي، فقال أبي: فمتهم صغير، ومتهم كبير.

سمعت محمد بن الحسين يقول: حدثنا أبو الحارث الخطابي قال: حدثنا محمد ابن الفضل قال: حدثنا علي بن مسلم قال: حدثنا سعيد بن يحيى البصري قال: أتيت عبد الواحد بن زيد وهو جالس في ظل، فقلت له: لو سألت الله أن يوسع عليك الرزق لرجوت أن يفعل: فقال: ربي أعلم بمصالح عباده، ثم أخذ حصتي من الأرض، ثم قال: اللهم إن شئت أن تجعلها ذهباً فعلت، فإذا هي والله في يده ذهب، فألقاها إليّ وقال: أنفقها أنت فلا خير في الدنيا إلا للأخرة. سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت الحسين بن أحمد الفارسي يقول: سمعت الرقي يقول: سمعت أحمد بن منصور يقول: قال لي أستاذي أبو يعقوب السوسي: غسلتُ فريداً فأمسك إجمامي وهو على المغتسل. فقلت: يا بني خلّ يدي؛ أنا أدري أنك لست بميت، وإنما هي نقلة من دار إلى دار.. فخللي يدي..

وسمعتة يقول: سمعت أبا بكر أحمد بن محمد الطرسوسي يقول: سمعت إبراهيم ابن شيبان يقول: صحبني شاب حسن الإرادة، فمات، فاشتغل قلبي به جداً، وتوليت غسله، فلما أردت غسل يديه بدأت بشماله من الدهشة، فأخذها مني وناولني يمينه فقلت: صدقت يا بني، أنا غلطت.

وسمعتة يقول: سمعت أبا النجم المقرئ البرذعي بشيراز يقول: سمعت الراقي يقول: سمعت أحمد بن منصور يقول: سمعت أبا يعقوب السوسي يقول: جاءني مرید بمكة فقال: يا أستاذ، أنا غداً أموت وقت الظهر؛ فخذ هذا الدينار فاحفر لي بنصفه، وكفني بنصفه الآخر، ثم لما كان الغد جاء وطاف بالبيت، ثم تباعد ومات، فغسلته، وكفنته ووضعته في اللحد، ففتحت عينيه، فقلت: أحياء بعد موت؟! فقال: أن حي، وكل محب لله حي.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت محمد بن الحسين البغدادي يقول: سمعت أبا علي بن وصيف المؤدب يقول: تكلم سهل بن عبد الله يوماً في الذكر فقال: أن الذكر لله على الحقيقة لو هم أن يحيى الموتى لفعل، ومسح يده على عليل بين يديه، فبرىء، وقام.

سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول: أخبرني علي بن إبراهيم بن أحمد قال: حدثنا عثمان بن أحمد قال: حدثنا الحسين بن عمر قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: كان عمرو بن عتبة يصلي والغمام فوق رأسه، والسباع حوله تحرك أذناهما.

وسمعتة يقول: سمعت أبا عبد الله بن مفلح يقول: سمعت المغازلي يقول: سمعت الجعيد يقول: كانت معي أربعة دراهم فدخلت على السري وقلت: هذه أربعة دراهم حملتها إليك، فقال: أبشر يا غلام بأنك تُفلح؛ كنت أحتاج إلى أربعة دراهم؛ فقلت: " اللهم ابعثها على يد من يفلح عندك " .

وسمعتة يقول: حدثني إبراهيم بن أحمد الطبري قال: حدثنا أحمد بن يوسف قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن يحيى قال: حدثني أبي قال: حدثني أبو إبراهيم اليماني قال: خرجنا نسير على ساحل البحر مع إبراهيم بن أدهم فانتهينا إلى غيضة فيها حطب يابس كثير، وبالقرب منه حصن، فقلنا لإبراهيم بن أدهم: لو أقمنا الليلة هاهنا وأوقدنا من هذا الحطب؟ فقال: افعلوا فطلبنا النار من الحصن. فأوقدنا، وكان معنا الخبز فأخرجنا ناكل، فقال واحد منا: ما أحسن هذا الجمر، لو كان لنا لحم نشويه عليه؟! فقال إبراهيم بن أدهم: إن الله تعالى لقادر على أن يطعمكموه. فقال: فبيننا نحن كذلك إذا بأسد يدر إيلاً فلما قرب منا وقع، فاندقت عنق، فقام إبراهيم بن أدهم وقال: أدبحوه، فقد أطعمكم الله. فليحناه.. وشوينا من لحمه والأسد واقف ينظر إلينا.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا القاسم عبد الله بن علي الشجري يقول: سمعت حامداً الأسود يقول: كنت مع إبراهيم الخواص في البادية سبعة أيام على حالة واحدة، فلما كان السابع ضعفت، فجلست، فالتفت إلي وقال مالك؟ فقلت: ضعفت!! فقال: أيما أغلب عليك: الماء أو الطعام؟ فقلت: الماء، فقال: الماء وراءك.

فالتفت فإذا عين ماء كاللبن الحليب، فشربت وتطهرت، وإبراهيم ينظر ولم يقربه.

فلما أردت القيام هممت أن أحمل منه، فقال: أمسك؛ فإنه ليس مما يتزود منه.

سمعت أبا عبد الله بن عبد الله يقول: سمع أبا عبد الله الدباس البغدادي يقول: سمعت فاطمة أخت أبي علي

الروذباري تقول: سمعت زينونة خادمة أبي الحسين النوري - وكانت تخدمه، وخدمت أبا حمزة، والجنيب - قالت:

كان يوم بارد، فقلت للنوري: أحمل إليك شيئاً؟ فقال: نعم، فقلت: ماذا تريد؟ قال: خبز ولبن، فحملت، وكان بين يديه فحم، وكان يقلبها بيده وقد اشتعلت يده، فأخذ يأكل الخبز واللبن يسيل على يده وعليها سواد الفحم، فقلت

في نفسي: ما أقدر أولياءك يا رب!! ما فيهم أحد نظيف!! قالت: فخرجت من عنده، فتعلقت بي امرأة وقالت:

سرقت لي رزمة ثياب وجروني إلى الشرطي، فأخبر النوري بذلك، فخرج وقال للشرطي: لا تتعرضوا لها؛ فإنها وليه

من أولياء الله تعالى، فقال الشرطي: كيف أصنع والمرأة تدعى؟! قال: فجاءت جارية ومعها الرزمة المطلوبة، فاسترد

النوري المرأة، وقال لها: تقولين بعد هذا ما أقدر أولياءك، قالت: فقلت قد تبت إلى الله تعالى.

سمعت محمد بن عبد الله الشيرازي يقول: سمعت محمد بن فارس الفارسي يقول: سمعت أبا الحسن خيراً النساج

يقول: سمعت الخواص يقول: عطشت في بعض أسفاري، وسقطت من العطش فإذا أنا بماء ربي علي وجهي ففتحت

عيني فإذا برجل حسن الوجه راكب دابة شهباء، فسقاني الماء، وقال: كن رديفي، وكنت بالحجاز فما لبثت إلا

يسيراً، فقال لي: ما ترى؟ فقلت: أرى المدينة، فقال: أنزل وأقرىء رسول الله صلى الله عليه وسلم من السلام،

وقل: أخوك الخضر يقرئك السلام.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت محمد بن الحسن البغدادي يقول: قال أبو الحديد: سمعت المظفر

الخصاص يقول: كنت أنا ونصر الخراط ليلة في موضع فتذاكرنا شيئاً من العلم، فقال الخراط: إن الذكر لله تعالى

فأنته في أول ذكره أن يعلم أن الله تعالى ذكره فيذكر الله تعالى ذكره. قال فخالفته، فقال: لو كان الخضر عليه

السلام هاهنا لشهد بصحته. قال: فإذا نحن بشيخ يجيء بين السماء والأرض حتى بلغ إلينا وسلم وقال: صدق:

الذاكر لله تعالى بفضل ذكر الله تعالى له ذكره، فعلمنا أنه الخضر، عليه السلام.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: جاء رجل إلى سهل بن عبد الله وقال: إن الناس يقولون إنك تمشي على الماء.

فقال: سل مؤذن الخلة، فإنه رجل صالح لا يكذب. قال: فسألته، فقال المؤذن: لا أدري هذا!! ولكنه كان في بعض

هذا الأيام نزل الحوض ليتطهر فوقع في الماء فلو لم أكن أنا لبقني فيه.

قال الأستاذ أبو علي الدقاق: إن سهلاً كان بتلك الحالة التي وصف بها، ولكن الله سبحانه يريد أن يستر أوليائه

فأجرى ما وقع من حديث المؤذن والحوض ستراً لحال سهل، وسهل كان صاحب الكرامات.

وفي قريب من هذا المعنى ما حكى عن أبي عثمان المغربي قال: رأيته بخط أبي الحسين الجرجاني قال: أردت مرة أن

أمضي إلى مصر، فخطر لي أن أركب السفينة، ثم خطر بيالي أنني أعرف هناك، فنخفت الشهرة، فمررت بالمركب فبدا لي،

فمشيت على الماء ولحقت بالمركب ودخلت السفينة والناس ينظرون، ولم يقل أحد إن هذا ناقص للعادة أو غير

ناقص، فعرفت أن الولي مسرور وإن كان مشهوراً.

ومما شاهدنا من أحوال الأستاذ؟ أبي علي الدقاق، رضي الله عنه؛ معاينة أنه كان به علة حرقاة البول، وكان يقوم في

ساعة غير مرة، حتى كان يجدد الوضوء غير مرة لركعتي فرض، وكان يحمل معه قارورة في طريق المجلس، وربما كان يحتاج إليها والطريق مرات ذاهباً وجائياً، وكان إذا قعد على رأس الكرسي يتكلم لا يحتاج إلى الطهارة ولو أتمد به المجلس زماناً طويلاً، وكنا نعاين ذلك منه سنين، ولم يقع لنا في حياته أن هذا شيء ناقض للعادة، وإنما وقع لي هذا وفتح عليّ علمه بعد وفاته.

وفي قريب من هذا ما يحكى عن سهل بن عبد الله أن كان قد أصابته زمانه في آخر عمره، فكان ترد عليه القوة في أوقات الفرض فيصلّي قائماً.

ومن المشهور أن عبد الله الوزان كان مقعداً، وكان في السماع إذا ظهر به وجد يقوم ويستمع.

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول: حدثنا إبراهيم بن محمد المالكي قال: حدثنا يوسف بن أحمد البغدادي قال: حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال: حججت أنا وأبو سليمان الداراني، فبينما نحن نسير إذ سقطت السطيحة مني، فقلت لأبي سليمان فقدت السطيحة. وبقينا بلا ماء، وكان برد شديد، فقال أبو سليمان: يا راد الضلّة.. يا هادياً من الضلالة اردد علينا الضلالة، فإذا واحد ينادي: من ذهب له سطيحة؟ قال: فقلت: أنا.. فأخذنا، فبينما نحن نسير وقد تدرّعنا بالفراء من شدة البرد فإذا نحن بإنسان عليه طمران وهو يترشح عرقاً، فقال أبو سليمان: تعالي ندفع إليك شيئاً مما علينا من الثياب، فقال: يا أبا سليمان أتشير إلي بالزهد وأنت تجد البرد؟ أنا أسيح في هذه البرية منذ ثلاثين سنة ما انفضت، ولا ارتعدت، يلبسني الله في البرد فيحاً من محبته، ويلبسني في الصيف مذاق برد محبته.. ومر.

وسمعت يقول: سمعت أبا بكر محمد بن علي التكريتي يقول: سمعت محمد بن علي الكتاني بمكة يقول: سمعت الخواص يقول: كنت في البادية مرة، فسرت في سوط النهار، فوصلت إلى شجرة، وبالقرب منها ماء، فنزلت، فإذا بسبع عظيم أقبل، فاستسلمت، فلما قرب مني إذا هو يعرج، فحمحم وبرك بين يدي، ووضع يده في حجري، فنظرت فإذا يده منفضة فيها قيح ودم، فأخذت خشبة وشققت الموضع الذي فيه القيح، وشدت علي يده خرقة، ومضى، فإذا أنا به بعد ساعة ومعه شبلان يصبصان لي، وحملني إلى رغيماً.

وسمعت يقول: حدثنا أحمد بن علي السائح قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن مطرف قال: حدثنا محمد بن الحسين العسقلاني قال: حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال: اشتكى محمد بن السماك، فأخذنا ماءه وانطلقنا به إلى الطبيب، وكان نصرانياً.

قال: فبينما نحن نسير بين الحيرة والكوفة استقبلنا رجل حسن الوجه، طيب الرائحة، نقي الثوب، فقال لنا: إلى أين تريدان؟ فقلنا: نريد فلاناً الطبيب نريه ماء ابن السماك.

فقال: سبحان الله!! تستعينون على ولي الله بعدو الله!!.. اضربوا به الأرض، وارجعوا إلى ابن السماك وقولوا له: ضع يدك على موضع الوجع وقل: " وبالخلق انزلنا وبالخلق نزل " ثم غاب عنا فلم نره.

فرجنا إلى ابن السماك فأخبرناه بذلك، فوضع يده على موضع الوجع وقال ما قال الرجل، فعوفي في الوقت، فقال: كان ذلك الخضر عليه السلام.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الرحمن بن محمد الصوفي يقول: سمعت عمي البسطامي يقول: كنا قعوداً في مجلس أبي يزيد البسطامي، فقال: قوموا بنا نستقبل ولياً من أولياء الله تعالى. فقمنا معه، فلما بلغنا الدرب فإذا إبراهيم بن شيبه الهروي، فقال له أبو يزيد: وقع في خاطري أن أستقبلك، وأشفع لك إلى ربي. فقال إبراهيم بن شيبه: ولو شفعت في جميع الخلق لم يكن بكثير، إنما هم قطعة طين! فتحير أبو يزيد من جوابه.

قال الأستاذ: وكرامة إبراهيم في استصغار ذلك أتم من كرامة أبي يزيد فيما حصل له في من الفراسة، وصدق له من الحالة في باب الشفاعة.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون المصري يقول وقد سأله سالم المغربي عن أصل توبته، فقال: خرجت من مصر إلى بعض القرى، فتمت في الطريق، ثم اتبعت، وفتحت عيني، فإذا أنا بقبرة عمياء سقطت من شجرة على الأرض، فانشقت الأرض، فخر منها سكرجتان إحداهما من ذهب، والأخرى من فضة، وفي إحداهما سمسم، وفي الأخرى ماء ورد فأكلت من هذه، وشربت من هذه فقلت: حسبي.. تبت، ولزمت الباب إلى أن قبلي..

وقيل: أصاب عبد الواحد بن زيد فالج فدخل وقت الصلاة واحتاج إلى الوضوء، فقال: من هاهنا، فلم يجبه أحد فخلف فوت الوقت، فقال: يا رب أحللي من وثاقي؛ حتى أقضي طهاري، ثم شأنك وأمرك. قال: فصحح، حتى أكمل طهارته، ثم عاد إلى فراشه، وصال كما كان.

وقال أبو أيوب الحمالي: كان أبو عبد الله الديلمي إذا نزل منزلاً في سفر عمد إلى حماره وقال في أذنه: كنت أريد أن أشدك، فالآن لا أشدك، وأرسلك في هذه الصحراء؛ لتأكل الكلال، فإذا أردنا الرحيل فتعال.. فإذا كان وقت الرحيل يأتيه الحمار.

وقيل: زوج أبو عبد الله الديلمي ابنته، واحتاج إلى ما يجهزها به، وكان له ثوب يخربه كل وقت فيشتري بدينار، فخرج له ثوب، فقال له البياع: إنه يساوي أكثر من دينار، فلم يزالوا يزيدون في ثمنه حتى بلغ مائة دينار، فجهزها..

وقال النضر بن شميل: ابتعت إزاراً فوجدته قصيراً فسألت ربي تعالى أن يغط لي ذراعاً، ففعل، يغط: أي يمد: من مغط القوس، وهو مده قال النضر بن شميل: ولو استزدته لزدني.

وقيل: كان أمر بن عبد قيس سأل أن يهون عليه طهوره في الشتاء؛ فكان يؤتى به وله بخار، وسأل ربه أن ينزع شهوة النساء من قلبه فكان لا يبلي بهن، وسأله أن يمنع الشيطان من قلبه وهو في صلاته فلم يجبه إليه. وقال بشر بن الحارث: دخلت الدار فإذا أنا برجل، فقلت: من أنت؟ دخلت داري بغير إذني، فقال: أخوك الخضر. فقلت: ادع الله لي. فقال: هون الله عليك طاعته؛ فقلت: زدني، فقال: وسترها عليك.

وقال إبراهيم الخواص: دخلت خربة في بعض الأسفار في طريق مكة فقيل: فإذا فيها سبع عظيم، فخفت، فهتف بي هاتف: اثبت؛ فإن حولك سبعين ألف ملك يحفظونك.

أخبرنا محمد بن الحسين قال: أخبرنا أبو الفرج الورثاني قال: سمعت أبا الحسن علي بن محمد الصيرفي يقول: سمعت جعفرًا الديلمي يقول: دخل النوري الماء فجاء لص فأخذ ثيابه، ثم إنه جاء ومعه الثياب وقد جفت يده؛ فقال النوري: قدر رد علينا الثياب فردَّ عليه يده. فعوفي.

وقال الشبلي: اعتقدت وقتاً أن لا أكل إلا من الحلال، فكنت أدور في البراري، فرأيت شجرة تين، فمددت يدي إليها لأكل، فنادتني الشجرة: إحفظ عليك عقدك، لا تأكل مني فأني ليهودي.

وقال أبو عبد الله بن خفيف: دخلت بغداد قاصداً إلى الحج وفي رأسي نحوه الصوفية، ولم أكل الخبز أربعين يوماً، ولم أدخل على الجنيد، وخرجت ولم أشرب الماء إلى زُبالة، وكنت على طهاري، فرأيت طيباً على رأس البئر وهو يشرب، وكنت عطشان، فلما دنوت من البئر ولى الطيب، وإذا الماء في أسفله.. فمشيت وقلت: يا سيدي، مالي محل هذا الطيب؟! فسمعت من خلفي: جربناك فما صبرت!! ارجع وخذ الماء.

فرجعت، فإذا البئر ملأى ماء، فملأت ركوتي و كنت أشرب منه وأتطهر إلى المدينة، ولم بنفسى.
ولما استقيت سمعت هاتفاً يقول: إن الظبي جاء بلا ركوة، ولا حبل، وأنت جئت مع الركوة والحبل!! فلما رجعت
من الحج دخلت الجامع، فلما وقع بصر الجنيد عليّ قال: لو صبرت لنبع الماء من تحت رجلك، لو صبرت وصبر
ساعة! سمعت حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني يقول: سمعت أبا أحمد بن علي الحافظ يقول: سمعت أحمد بن حمزة
بمصر يقول: حدثني عبد الوهاب - وكان من الصالحين - قال: قال محمد بن سعيد البصري: بينما أنا أمشي في
بعض طرق البصرة إذ رأيت أعرايا يسوق جملاً، فالتفت فإذا الجممل وقع ميتاً، ووقع الرجل والقنب، فمشيت ثم
التفت فإذا الأعرابي يقول: يا مسيب كلّ سيب، ويا مولي من طلب، وردّ عليّ ما ذهب من جمل يحمل الرجل
والقنب، فإذا الجممل قائم والرجل والقنب فوقه.

وقيل: إن شبلاً مروذي اشتهى لحمًا فأخذ بنصف درهم، فاستلبته منه حدأة في الطريق، فدخل شبلاً مسجداً
ليصلي، فلما رجع إلى منزله قدمت امرأته إليه لحمًا، فقال: من أيت هذا؟ فقالت: تنازعت حدأتان، فسقط هذا
منهما، فقال شبلاً: الحمد لله الذي لم ينس شبلاً، وإن كان شبلاً كثيراً ينساه.
أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفي قال: حدثنا عبد الواحد بن بكر الورتاني قال: سمعت محمد بن داود يقول: سمعت
أبا بكر بن معمر يقول: سمعت ابن أبي عبيد اليسري يحدث عن أبيه أنه غزا سنة من السنين، فخرج في السرية،
فمات المهر الذي كان تحته وهو في السرية، فقال: يا رب، أعرناه حتى نرجع إلى بسرى يعني: قريته، فإذا المهر قائم،
فلما غزا ورجع إلى بسرى قال: يا بني، خذ السرج عن المهر، فقالت: إنه عرق فإن أخذت السرج عنه داخله
الريح، فقال: يا بني، إنه عارية، قال: فلما أخذت السرج عنه وقع المهر ميتاً.

وقيل: كان بعضهم نباشاً، فتوفيت امرأة، فصلى الناس عليها وصلى هذا النباش؛ ليعرف القبر، فلما جنّ عليه الليل
نبش قبرها، فقالت: سبحان الله، رجل مغفور له يأخذ كفن امرأة مغفور لها؟! قال: هي أنك مغفور لك، فأنا من
أنا؟! فقالت: إن الله تعالى غفر لي وجميع من صلى علي، وأنت قد صليت عليّ. فتركتها ورددت التراب عليها، ثم
تاب أرجل وحسنت توبته.

سمعت حمزة بن يوسف يقول: سمعت أبا الحسن إسماعيل بن عمرو بن كامل بمصر يقول: سمعت أبا محمد نعمان بن
موسى الحيري بالحيرة يقول: رأيت ذا النون المصري وقد تقاتل اثنان: أحدهما من أولياء السلطان، والآخر من
الرعية، فعدا الذي من الرعية عليه، فكسر ثنيتيه، فتعلق الجندي بالرجل وقال: بيني وبينك الأمير، فجازوا بذئ
النون، فقال الناس: اصعدوا إلى الشيخ؛ فصعدوا إليه، فعرّفوه ما جرى، فأخذ السن، ثم بلها بريقه، وردّها إلى فم
الرجل في الموضع الذي كانت فيه، وحرك شفثيه، فتعلقت بإذن الله تعالى، فبقي الرجل يفتش فاه، فلم يجد الأسنان
إلا سواء.

حدثنا أبو الحسين محمد بن الحسين القطان ببغداد قال: حدثنا أبو علي إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفار قال:
حدثنا الحسين بن عرفة بن يزيد قال: حدثنا عبد الله بن إدريس الأودي، عن إسماعيل بن أبي خلد، عن أبي سيرة
النخعي قال: أقبل رجل من اليمن.. فلما كان في بعض الطريق نفق حماره، فقام وتوضأ، ثم صلى ركعتين، ثم قال:
اللهم إني جئت مجاهداً في سبيل ابتغاء مرضاتك، وأنا أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور، لا تجعل لأحد
عليّ منة، اليوم أطلب منك أن تبعث حماري. فقام الحمار يفيض أذنيه.

سمعت حمزة بن يوسف يقول: سمعت أبا بكر النابلسي يقول: سمعت أبا بكر الهمداني يقول: بقيت في بوية الحجاز
أياماً لم أكل شيئاً، فاشتبهت باقلا حاراً وخبزاً من باب الطاق؛ فقلت: أنا في ابرية وبيني وبين العراق مسافة بعيدة،

فلم أتمَّ خاطري إلا وأعراي من بعيد ينادي: باقلا حارٌّ وخبزٌ. فتقدمت إليه فقلت عندك باقلا حار وخبز؟ فقال: نعم. وبسط مترراً كان عليه، وأخرج خبزاً وبقلا، وقال لي: كل. فأكلت، ثم قال لي: كل. فأكلت، ثم قال لي: كل. فأكلت. فلما قال لي الرابعة، قلت: بحق الذي بعثك إليّ إلا ما قلت لي من أنت؟ فقال: أنا الحضرم. وغاب عني فلم أراه.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت أبا العباس بن الخشاب البغدادي يقول: سمعت محمد بن عبد الله الفرغاني يقول: سمعت أبا جعفر الحداد يقول: جئت الثعلبية وهي خراب، ولي سبعة أيام لم أكل شيئاً، فدخلت القبة، وجاء قوم خراسانيون أصابهم جهد فطرحوا أنفسهم على باب القبة، فجاء أعراي على راحلة وصبّ تمرّاً بين أيديهم فاشتغلوا بالأكل ولم يقولوا لي شيئاً، ولم يري الأعرابي، فلما كان بعد ساعة. فإذا بالأعرابي، جاء وقال لهم: معكم غيركم؟ فقالوا: نعم، هذا الرجل داخل القبة. قال: فدخل الأعرابي، وقال لي: من أنت؟ لم لم تتكلم؟! مضيت، فعارضني إنسان فقال لي: قد خلقت إنساناً لم تطعمه. ولم يمكني أن أمضي، فتطوّلت على الطريق، لأني رجعت عن أميال!! وصبّ بين يدي التمر الكثير، ومضى، فدعوتهم، فأكلوا وأكلت.

سمعت حمزة بن يوسف يقول: سمعت أبا طاهر الرقي يقول: سمعت أحمد ابن عطاء يقول: كلمني جهل؛ في طريق مكة رأيت جمالا واحامل عليها، وقد مدّت أعناقها في الليل، فقلت: سبحان من يحمل عنها ما هي فيه، فالتفت إليّ جهل وقال لي: قل جلّ الله. فقلت جلّ الله.

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت الحسن بن أحمد الفارسي يقول: سمعت الرقي يقول: سمعت أبا بكر بن معمر يقول: سمعت أبا ذرعة الجنبي يقول: مكرت بي امرأة فقالت: ألا تدخل الدار فتعود مريضاً؛ فدخلت فأغلقت الباب.. ولم أر أحداً؛ فعلمت ما فعلت، فقلت: اللهم سوّدها. فاسودت؛ فتحيرت. وفتحت الباب؛ فخرجت، فقلت: اللهم ردها إلى حائها فردّها إلى ما كانت عليه.

سمعت حمزة بن يوسف يقول: سمعت أبا محمد الغطريفي يقول: سمعت السراج يقول: سمعت أبا سليمان الرومي يقول: سمعت: خليل الصياد يقول: غاب ابني محمد فوجدنا عليه وجداً شديداً؛ فأتيت معروفاً الكرخي فقلت: يا أبا محفوظ، غاب ابني وأمه واجدة عليه!! فقال: ما تشاء؟ فقلت: ادع الله أن يرده فقال: اللهم إن السماء سماؤك، والأرض أرضك.. وما بينهما لك.. ائت بمحمد..

قال خليل: فأتيت باب الشام فإذا هو واقف، فقلت: أين كنت يا محمد؟ فقال: يا أبت كنت الساعة بالأنبار. قال الأستاذ أبو القاسم: واعلم أن الحكايات في هذا الباب تربو على الحصر. والزيادة على ما ذكرناه تخرجنا عن المقصود من الإيجاز؛ وفيما ذكرناه مقنع في هذا الباب. باب رؤيا القوم قال الله تعالى: " لهم البشرى في الحياة الدنيا، وفي الآخرة ". قيل: هي الرؤيا الحسنة يراها المرء، أو ترى له.

أخبرنا أبو الحسن الإهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عبيد البصري، قال: حدثنا إسحق بن إبراهيم المنقري قال: حدثنا منصور بن أبي مزاحم قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي الدرداء قال: " سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: " لهم البشرى في الدنيا وفي الآخرة " قال صلى الله عليه وسلم: " ما سألتني عنها أحد قبلك. هي الرؤيا الحسنة يراها المرء، أو ترى له ".

أخبرنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي قال: أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد زيد قال: حدثنا علي بن الحسين قال: حدثنا عبد الله بن الوليد، عن سفیان، عن يحيى بن سعيد، عن أبي سلمة، عن أبي قتادة قال: قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم: " الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان؛ فإذا رأى أحدكم رؤيا يكرهها فليبتل عن يساره، وليتعوذ؛ فإنها لن تضره ".

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد عبلوس المزكي قال: حدثنا أبو أحمد حمزة ابن العباس البزار قال: حدثنا عياش بن محمد بن حاتم قال: حدثنا عبد الله ابن موسى، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من رآني في المنام فقد رآني؛ فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي ".

ومعنى الخبر: أن تلك الرؤيا رؤيا صدق، وتأويلها احق، وأن الرؤيا نوع من أنواع الكرامات، وتحقيق الرؤيا خواطرُ ترد على القلب، وأحوال تتصور في الوهم إذا لم يستغرق النوم جميع الاستشعار، فيتوهم الإنسان عند اليقظة أنه كان رؤية في الحقيقة، وإنما كان ذلك تصوراً وأوهاماً للخلق تفررت في قلوبهم، وحين زال عنهم الإحساس، الظاهر تجردت تلك الأوهام عن المعلومات بالحس والضرورة فقويت تلك الحالة عند صاحبها، فإذا استيقظ ضعفت تلك الأحوال التي تصورها بالإضافة إلى حال إحساس بالمشاهات وحصول العولم الضرورية، ومثله: كالذي يكون في ضوء السراج عند اشتداد الظلمة، فإذا طلعت الشمس عليه غلبت ضوء السراج. فيتقاصر نور السراج بالإضافة إلى ضياء الشمس، فمثال حال النوم كمن هو في ضوء السراج، ومثال المستيقظ كمن تعالَى عليه النهار؛ فإن المستيقظ يتذكر ما كان متصوراً له في حال نومه.

ثم ن تلك الأحاديث والخواطر التي كانت ترد على قلبه في حال نومه مرة تكون من قبل الشيطان، ومرة من هو اجس النفس، ومرة بخواطر الملك، ومرة تكون تعريفاً من الله عز وجل بخلق تلك الأحوال في قلبه ابتداءً، وفي الخبر: " أصلقكم رؤيا أصلقكم حديثاً ".

وأعلم أن النوم على أقسام: نوم غفلة، ونوم عادة، وذلك غير محمود، بل هو معلوم؛ لأنه أخو الموت، وفي بعض الأخبار المروية: " النور أخو الموت ".

وقال الله عز وجل: " وهو الذي يتوفاكم بالليل، ويعلم ما جرحتم بالنهار ". وقال تعالى: " الله يتوفى الأنفس حين موتها، والتي لم تمت في المناميا ".

وقيل: لو كان في النوم خير لكان في الجنة نوم.

وقيل: لما ألقى الله على آدم في الجنة أخرج منه حواء. وكلُّ بلاء به إنما حصل حين حصلت حواء.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: لما قال إبراهيم لإسماعيل، عليهما السلام: يا بني إني أرى في المنام أني أذحك قال إسماعيل: يا أبت، هذا جزاء من نام عن حبيبه، لو لم تنم لما أمرت بذبح الولد.

وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: كذب من أدعى حبي، فإذا جنته الليل نام عني!! والنوم ضد العلم؛ ولهذا قال الشبلي: نعسة في ألف سنة فضيحة.

وقال الشبلي: اطلع الحق على الخلق فقال: من نام غفلاً، ومن غفَلَ حُجب، فكان الشبلي يكتحل بالملح به حتى كان لا يأخذه النوم، وفي معناه أنشدوا:

عجباً للمحب كيف ينام... كل نوم على المحب حرام

وقيل: المرید: أكله فاقه، ونومه غلبة، وكلامه ضرورة.

وقيل: لما نام آدم عليه السلام بالحضرة قيل له: هذه حواء لتسكن إليها، هذا جزاء من نام بالحضرة.

وقيل: إن كنت حاضراً فلا تنم؛ فإن النوم في الحضرة سوء أدب، وإن كنت غائباً فأنت من أهل الحسرة ولصيبة، والمصاب لا يأخذه نوم. وأمّا أهل المجاهدات فنومهم صدقة من الله عليهم، وأن الله عز وجل يباهي بالبعد إذا نام في

سجوده، يقول: انظروا إلى عبدي نام وروحه عندي، وجدته بين يدي.
وقال الأستاذ: أي روحه في محل النجوى، وبدنه على بساط العبادة.
وقيل: كل من نام على الطهارة يؤذن لروحه أن تطوف بالعرش وتسجد لله عز وجل قال تعالى: " وجعلنا نومكم سباتاً "

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: شكوا رجل إلى بعض المشايخ من كثرة النوم، فقال: اذهب فاشكر الله تعالى على العافية، فكم من مريض في شهوة غمضة من النوم الذي تشكو منه.
وقيل: لا شيء أشد على إبليس من نوم العاصي؛ يقول: متى ينتبه ويقوم حتى يعصى الله!! وقيل: أحسن أحوال العاصي أن ينام: إن لم يكن الوقت له لم يكن عليه.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: تواعد شاه الكرمانى السهر، فغلبه النوم مرة، فرأى الحق، سبحانه، في النوم، فكان يتكلف النوم بعد ذلك، فقيل له في ذلك؛ فقال:
رأيت سرور قلبي في منامي ... فأحببت التنعس والمناما

وقيل: كان رجل له تلميذان، فأختلفا فيما بينهما، فقال أحدهما: النوم خير، لأن الإنسان لا يعصى الله في تلك الحالة. وقال الآخر: اليقظة خير، لأنه يعرف الله تعالى في تلك الحالة.
فتحاكما إلى ذلك الشيخ فقال: أما أنت الذي قلت بتفضيل النوم فالموت خير لك من الحياة، وأما أنت الذي قلت بتفضيل اليقظة، فالحياة خير لك من الموت.

وقيل: اشترى رجل مملوكة، فلما دخل الليل قال: افرشي الفراش. فقالت المملوكة: يا مولاي، ألك مولى؟ قال:
نعم، فقالت: ينام مولاك؟ فقال: لا. قالت: ألا تستحي أن تنام ومولاك لا ينام!! وقيل: قالت بنية لسعيد بن جبير:
لم لا تنام؟ فقال: إن جهنم لا تدعني أن أنام.

وقيل: قالت بنت لملك بن دينار: لم لا تنام؟ فقال: إن أباك يخاف البيات.
وقيل: لما مات الربيع بن خيثم قالت بنية لأبيه: الأسطوانة التي كانت في دار جارنا أين ذهبت؟ فقال: إنه كان جارنا الصالح يقوم من أول الليل إلى آخره؛ فوهمت البنية أنه كان سارية؛ لأنها كانت لا تصعد السطح إلا بالليل فنجده قائماً.

وقال بعضهم: في النوم معان ليست في اليقظة؛ منها أنه يرى المصطفى، صلى الله عليه وسلم، والصحابة، والسلف الماضيين في النوم، ولا يراهم في اليقظة وكذلك يرى الحق في النوم، وهذه مزية عظيمة.
وقيل: رأى أبو بكر الآجري الحق، سبحانه. في النوم، فقال له: سل حاجتك. فقال اللهم اغفر لجميع عصاة أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: أنا أولى بهذا منك، سل حاجتك.
وقال الكتاني: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال لي: من ترين للناس بشيء يعلم الله منه خلافه شأنه الله.

وقال الكتاني أيضاً: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقلت: ادع الله أن لا يميت قلبي، فقال: قل كل يوم أربعين مرة " يا حي، يا قيوم، لا إله إلا أنت " فإن الله يحيي قلبك.

ورأى الحسن بن علي، رضي الله عنهما، عيسى بن مريم، في المنام، فقال: إني أريد أن اتخذ خاتماً، فما الذي أكتب عليه؟ فقال: اكتب عليه: " لا إله إلا الله، الملك الحق المبين " فإنه في آخر الأنجيل.

وروي عن أبي يزيد أنه قال: رأيت ربي عز وجل في المنام، فقلت: كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك وتعال.

وقيل: رأى أحمد بن خضرويه ربه في المنام، فقال: يا أحمد، كل الناس يطلبون مني إلا أبا يزيد فإنه يطلبني.
وقال يحيى بن سعيد القطان: رأيت ربي في المنام فقلت: يا رب، كم أَدعوك فلا تستجيب لي!! فقال تعالى: يا يحيى بن
أحب أن أسمع صوتك.

وقال بشر بن الحارث: رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه في المنام، فقلت: يا أمير المؤمنين عظمي،
فقال: ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء طلباً لثواب الله تعالى، وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة
بالله تعالى، فقلت له: يا أمير المؤمنين: زدني، فقال:
قد كنت ميتاً فصرت حياً... وعن قريب تصير ميتاً
عزّ بدار القناء بيت... فابن بدار البقاء بيتاً

وقيل: رؤى سفيان الثوري في المنام؛ ف قيل له: ما فعل الله تعالى بك؟ فقال: رحمني، فقيل له: ما حال عبد الله بن
المبارك؟ فقال: هو ممن يلج على ربه كل يوم مرتين.
سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: رأى الأستاذ أبو سهل الصعلوكي أبا سهل الزجاجي في المنام، وكان الزجاجي
يقول بوعيد الأبد، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال الزجاجي: الأمر هاهنا أسهل مما كنا نظنه!! ورؤي الحسن بن
عاصم الشيباني في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: ما يكون من الكريم إلا الكرم.
ورؤي بعضهم في المنام فسئل عن حاله، فقال:

حاسونا فصدقوا... ثم منوا فأعتقوا

ورؤي حبيب العجمي في المنام، فقيل له: مت يا حبيبي العجمي؟! فقال هيهات.. ذهبت العجمة وبقيت في النعمة.
وقيل: دخل الحسن البصري مسجداً ليصلي فيه المقرب، فوجد إمامهم حبيباً العجمي، فلم يصل خلفه. لأنه خاف
أن يلحن العجمة في لسانه، فرأى في المنام تلك الليلة قائلاً يقول له: لم لم تصل خلفه؟ لو صليت خلفه لغفر لك ما
تقدم من ذنبك.

ورؤي مالك بن أنس في المنام. فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضي الله
عنه عند رؤية الجنابة: " سبحان الحي الذي لا يموت " .

ورؤي في الليلة التي مات فيها الحسن البصري كأن أبواب السماء مفتحة.. وكان منادياً ينادي: ألا إن الحسن
البصري قدم على الله تعالى وهو عنه راض.

سمعت أبا بكر بن أشكيب يقول: رأيت الأستاذ أبا سهل الصعلوكي في المنام على حالة حسنة فقلت: يا أستاذ، بم
وجدت هذا؟ فقال: يحسن ظني بربي: وقيل: رؤي الجاحظ في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال:
فلا تكتب بخطك غير شيء... بسرّك في القيامة أن تراه

وقيل: رأيت الجنيد إيليس في منامه عرياناً، فقال له: ألا تستحي من الناس؟ فقال: هؤلاء لا ناس، إنما الناس أقوام في
مسجد الشونزية أضوا جسدي وأحرقوا كبدي، قال الجنيد: فلما انتهت غلوت إلى المسجد فرأيت جماعة وضعوا
رؤوسهم على ركبهم متفكرين، فلما رأوني قالوا: لا يغرنك حديث الخبيث.

ورؤي النصرابادي بمكة بعد وفاته في النوم، فقيل له: ما فعل الله تعالى بك؟ فقال: عوتبت عتاب الأشراف، ثم
نوديت: يا أبا القاسم، أبعث الاتصال انفصال؟ فقلت: لا إذا الجلال، فما وضعت في اللحد حتى لحقت بالأحد.
ورؤى ذو النون المصري في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: كنت أسأله ثلاث حوائج في الدنيا، فاعطاني
البعض، وأرجو أن يعطيني الباقي؛ كنت أسأله أن يعطيني من العشرة التي على يد رضوان واحدة، ويعطيني بنفسه،

وأن يعذبني عن الواحدة التي بيد مالك بعشرة ويتولى هو، وأن يرزقني أن أذكره بلسان الأبدية.
وقيل: رأى الشبلي في المنام بعد موته، فقيل له: ما فعل الله تعالى بك؟ فقال: لم يطالبني بالبراهين على الدعاوي إلا على شيء واحد، قلت يوماً: لا خسارة أعظم من خسران الجنة، ودخول النار، فقال لي: وأي خسارة أعظم من خسران لقائي!! سمعت الأستاذ أبا علي يقول: رأى الجريدي الجنيد في المنام. فقال: كيف حالك يا أبا القاسم؟ فقال: طاحت تلك الإشارات، وبادت تلك العبارات، ومانفعا إلا تسيبحات كنا نقولها بالعداوات. وقال التاجي: تشبهت يوماً شيئاً، فرأيت في المنام كأن قاتلاً يقول: أيجمل بالحرّ المرید أن يتدلل للعبيد، وهو يجد من مولاة ما يريد؟! وقال ابن الجلاء: دخلت المدينة وبي فاقة، فتقدمت إلى القبر، وقلت أنا ضيفك يا نبي الله.. فغفوت غفوة، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في نومي وقد أعطاني رغيفاً فأكلت نصفه وانتهت ويدي النصف الآخر.
وقال بعضهم: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام يقول: زوروا ابن عون؛ فإنه يحب الله ورسوله.
وقيل: رأى عتبة الغلام حوراء في المنام علي صورة حسنة، فقالت له: يا عتبة، أنا لك عاشقة، فانظر أن لا تعمل من الأعمال شيئاً يحال بيني وبينك، فقال لها عتبة: طلقت الدنيا ثلاثاً لا رجعة لي عليها. حتى ألقاك.

سمعت منصوراً المغربي يقول: رأيت شيخاً في بلاد الشام كبير الشأن، وكان الغالب عليه الانقباض، فقيل لي: رأيت شيخاً في بلاد الشام كبير الشأن وكان الغالب عليه الانقباض، فقيل لي: إن أردت أن يبسط هذا الشيخ معك فسلم عليه وقل له: رزقك الله الحور العين؛ فإنه يرضى منك بهذا الدعاء. فسألت عن سببه، فقيل: إنه رأى شيئاً من الحور في منامه. فبقي في قلبه شيء من ذلك، فمضيب وسلمت عليه، وقلت: رزقك الله الحور العين، فانبسط الشيخ معي.

وقيل: رأى أيوب السخيتاني جنازة عاص، فدخل دهليزاً؛ لئلا يحتاج إلى الصلاة عليها فرأى بعضهم الميت في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي. وقال لي قل لأيوب السخيتاني " قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكنكم خشية الإنفاق " .

وقيل: رؤي الليلة التي مات فيها مالك بن دينار كأن أبواب السماء قد فتحت، وقائلاً يقول: ألا إن مالك بن دينار أصبح من سكان الجنة.

وقال بعضهم: رأيت الليلة التي مات فيها داود الطائي نوراً، وملائكة صعوداً وملائكة نزولاً، فقلت: أي ليلة هذه؟ فقالوا: ليلة مات فيها داود الطائي وقد زخرفت الجنة لقدم روحه على أهلها.

قال الأستاذ الإمام أبو القاسم القشيري: رأيت الأستاذ أبا عليّ الدقاق في المنام، فقلت له: ما فعل بك؟ فقال: ليس للمغفرة هاهنا كبير خطر، أقل من حضر هاهنا خطراً " فلان " أعى كذا كذا. ووقع لي في المنام أن ذلك الإنسان الذي ناه قتل نفساً بغير حق.

وقيل: لما مات كرز بن وبرة رؤي في المنام كأن أهل القبور خرجوا من قبورهم وعليهم ثياب جدد بيض قيل: ما هذا؟ قيل: إن أهل القبور كسوا ثياباً جدداً لقدم كرز بن وبرة عليهم.

ورؤي يوسف بن الحسين في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، فقيل له: بماذا؟ فقال: لأني ما خلطت جداً بمنزل قط.

ورؤي أبو عبد الله الزرّاد في المنام، فقيل له: ما فعل الله تعالى بك؟ فقال: أوقفني، وغفر لي كلّ ذنب أقررت به في الدنيا، إلا واحداً استحيت أن أقر به، فوقفني في العرق، حتى سقط لحم وجهي!! فقيل له: وما ذاك؟ فقال: نظرت يوماً إلى شخص جميل؛ فاستحيت أن أذكره.

سمعت أبا سعيد الشحام يقول: رأيت الشيخ الإمام أبا الطيب سهلاً الصعلوكي في المنام، فقلت له: أيها الشيخ، فقال: دع الشيخ!! فقلت: وتلك الأحوال التي شاهدتها؟! فقال: لم تغن عنا شيئاً، فقلت: ما فعل الله تعالى بك؟ فقال غفر لي مسائل كانت تسأل عنها العُجُز فأجبتهم عنها.

سمعت أبا بكر الرشيدي الفقيه يقول: رأيت محمداً الطوسي المعلم في المنام، فقال لي: قل لأبي سعيد الصفار المؤدب: وكنا على أن لا نخول عن الهوى ... فقد، وحياة الحب حلتهم، وما حلنا تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا ... وأظهرتم الهجران، ما هكذا كنا!!
لعل الذي يقضي الأمور بعلمه ... سيجمعنا بعد الممات كما كنا

قال: فانتبهت. وقلت ذلك لأبي سعيد الصفار، فقال: كنت أزرو قبره كل يوم جمعة، فلم أزره هذه الجمعة. وحكي عن بعضهم أنه قال: رأيت في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله جماعة من الفقراء، فبينما هو كذلك إذ نزل من السماء ملكان، ويدهما أحدهما وطنت، ويده الآخر إبريق؛ فوضع الطست بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسل يده، ثم أمر الملكين حتى غسلوا أيديهم، ثم وضع الطست بين يدي فقال أحدهما للآخر: لا تصب على يده؛ فإنه ليس منهم، فقلت يا رسول الله، اليس قد روى عنك أنك قلت " المصع من أحب " ؟ فقال: بلى، فقلت وأنا أحبك، وأحب هؤلاء الفقراء، فقال صلى الله عليه وسلم: " صب على يده، فإنهم منهم "

وحكي عن بعضهم أنه كان يقول: أبدأ: العافية.. العافية، ف قيل له: ما معنى هذا الدعاء؟ فقال: كنت حمالاً في ابتداء أمري، وكنت حملت يوماً صدرأ من الدقيق، فوضعتة لاستريح، فكنت أقول: يارب، ولو أعطيتني كل يوم رغيفين من غير تعب لكنت أكفي بما، فإذا رجلا ن يجتصمان. فتقدمت أصلح بينهما: فضرب أحدهما رأسي بشيء أراد أن يضرب به خصمه، فدمي وحيي.. فجاء صاحب " الربع " فأخذهما، فلما رأني ملوثاً بالدم أخذني وظني أنني ممن تشاجر. فأدخلني السجن، وبقيت في السجن مدة أوتي كل يوم برغيفين، فرأيت ليلة في المنام قاتلاً يقول لي: إنك سألت الرغيفين كل يوم من غير نصب، ولم تسأل العافية!! فأعطك ما سألت. فانتبهت، وقلت العافية. العافية، فرأيت باب السجن يُقرع، وقيل: أين عمر الحمال؟ فأطلقوني وخلوا سبيلي.

وحكي عن الكتاني أنه قال: كان عندنا رجل من أصحابنا هاجت عينه، ف قيل له: ألا تعالجها؟ فقال: عزمت على أن لا أعالجها حتى تبرا، قال: فرأيت في المنام كأن قاتلاً يقول: لو كان هذا العزم على أهل النار كلهم، لأخرجنهم من النار.

وحكي عن الجنيد أنه قال: رأيت في المنام كأي أتكلم على الناس.. فوقف عليّ ملكٌ. فقال: أقرب ما تقرب به المتقربون إلى الله ماذا؟ فقلت: عملٌ خفيٌ بميزانٍ وفي. قال: فولى الملك عني، وهو يقول: كلام موفق والله. وقال رجل للعلاء بن زياد: رأيت في المنام كأنك من أهل الجنة. فقال: لهل الشيطان أراد أمراً فعصمت منه، فأشخص إليّ رجلا يعينه على مقصوده من إصلاي.

وقيل رؤي عطاء السلمي في النوم، ف قيل له: لقد كنت طويل الحزن، فما فعل الله تعالى بك؟ فقال: أما والله لقد أعقبت ذلك راحة طويلة وفرحاً دائماً، ف قيل له: ففي أي الدرجات أنت؟ فقال: " مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين.. " الآية.

وقيل: رؤيا الأوزاعي في المنام، فقال: ما رأيت ها هنا درجة أرفع من درجة العلماء، ثم الحزوين. وقال النباحي: قيل لي في المنام: من وثق بالله في رزقه زيد في حسن خلقه، وسمحت نفسه في نفقته، وقلت وسلاسه في صلاته.

وقيل: رؤيت زبيدة في المنام، فقيل لها: ما فعل الله تعالى بك؟ فقالت غفر لي، فقيل: بكثرة نفقتك في طريق مكة؟ فقالت: لا، أما إن أجرتها عاد إلى أربابها، ولكن غفر لي بنيتي.

ورؤي سفيان الثوري في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: وضعت أول قلبي على الصراط، والثاني في الجنة. وقال أحمد بن أبي الخواريزي: رأيت في النوم جارية ما رأيت أحسن منها، يتلألاً وجهها نوراً، فقالت: ما أنور وجهك، فقالت: تذكر الليلة التي بكيت فيها؟ فقالت: نعم، فقالت: حملت إليّ دمعتك فمسحت بها وجهي، فصار وجهي هكذا.

وقيل: رأى يزيد القرشي النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقرأ عليه، فقال له: هذه القراءة فأين البكاء؟! وقال الجنيد: رأيت في المنام كأن ملكين نزلا من السماء، فقال أحدهما لي: ما الصدق؟ فقالت: الوفاء بالعهد، فقال الآخر: صدق، ثم صدعا.

ورؤي بشر الحافي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، وقال: أما استحييت يا بشر مني، كنت تخافني كل ذلك الخوف!! وقيل: رؤي أبو سليمان الداراني في المنام، فقيل له ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، وما كان شيء أضرّ عليّ من إشارات القوم!! وقال علي بن الموفق: كنت أفكر يوماً في سب عيالي من الفقر الذي بهم، فرأيت في المنام رقعة فيها مكتوب "بسم الله الرحمن الرحيم: يا ابن الموفق، أتخشى الفقر وأنا ربك!!" فلما كان وقت الغسل أتاني رجل بكيس فيه خمسة آلاف دينار، وقال: خذها إليك يا ضعيف اليقين.

وقال الجنيد: رأيت في المنام كأني واقف بين يدي الله تعالى فقال لي: يا أبا القاسم: من أين لك هذا الكلام الذي تقول؟ فقالت: لا أقول إلا حقاً، فقال: صدقت.

وقال أبو بكر الكتاني: رأيت في المنام شاباً لم أر أحسن منه، فقالت: من أنت؟ فقال: التقوى، قلت: فأين تسكن؟ قال: في قلب كل حزين، ثم التفت فإذا امرأة سوداء كأوحش ما يكون، فقالت: من أنت؟ فقالت: الضحك، فقالت: وأين تسكنين؟ فقالت في كل قلب فرح. مرح. قال: فانتبهت، واعتقدت أن لا أضحك إلا غلبة.

وحكي عن أبي عبد الله بن خفيف أنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام كأنه قال لي: من عرف طريقاً إلى الله تعالى سلكه، ثم رجع عنه عذبه الله عذاباً لم يعذبه أحداً من العالمين.

ورؤي الشبلي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: نقشني حتى أيست، فلما رأى يأسي تغمدني برحمته. وقال أبو عثمان المغربي: رأيت في النوم كأن قاتلاً يقول لي: يا أبا عثمان، اتق الله في الفقر، ولو بقدر سمسة.

وقيل: كان لأبي سعيد الخراز ابن مات قبله، فرآه في المنام، فقال له: يا بني، أوصني.

فقال: يا أبت، لا تعامل الله على الجبن، فقال: يا بني، زدني.

فقال: لا تخالف الله تعالى فيما يطالبك به، فقال: زدني.

فقال: لا تجعل بينك وبين الله قميصاً قال؛ فما لبس القميص ثلاثين سنة.

وقيل: كان بعضهم يقول في دعائه: اللهم الذي لا يضرك وينفعنا لا تمنعه عنا، فرأى في المنام كأنه قيل له: وأنت. فالشيء الذي يضرك ولا ينفكك فدعه.

وحكي عن أبي الفضل الأصهباني أنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، فقالت: يا رسول الله سل الله أن لا يسلبني الإيمان، فقال صلى الله عليه وسلم: ذاك شيء قد فرغ الله تعالى منه. وحكي عن أبي سعيد الخراز قال: رأيت إبليس في المنام، فأخذت عصاي لأضربه، فقيل لي: إنه لا يفزع من هذا، إنما يفزع من يكون في القلب. وقال بعضهم: كنت أدعو لرابعة العلوية، فرأيتها في النوم تقول: هداياك تأتينا على أطباق من نور، محمّرة بمناديل

من نور.

ويروى عن سماك بن حرب أنه قال: كف بصري، فرأيت في المنام كأن قاتلاً يقول لي: إئت القرت، فانغمس فيه، وافتح عينيك، قال: ففعلت، فأبصرت.
وقيل: رؤي بشر الحافي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: لما رأيت ربي عزوجل قال لي: مرحباً يا بشر، لقد توفيتك يوم توفيتك، وما على الأرض أحب إليّ منك.

باب الوصية للمريدين

قال الأستاذ الإمام: لما اثبتنا طرفاً من سير القوم، وضممنا إلى ذلك أبواباً من المقامات، أردنا أن نختتم هذا الرسالة بوصية للمريدين، نرجو من الله تعالى حسن توفيقهم لاستعمالها، وأن لا يجرمنا القيام بها، وأن لا يجعلها - سبحانه - حجة علينا.

فول قدم للمريد في هذه الطريقة ينبغي أن يكون على الصدق، ليصح له البناء على أصل صحيح؛ فإن الشيوخ قالوا: إنما حُرِّموا الوصول لتضييعهم الأصول..
كذلك سمعت الأستاذ أبا علي يقول؛ فتجب البداية بتصحيح اعتقاد بينه وبين الله تعالى، صاف عن الظنون والشبه، خال من الضلالة والبدع، صادر عن البراهين والحجج.

ويقبح بالمريد أن ينتسب إلى مذهب من مذاهب من ليس من هذه الطريقة.
وليس انتساب الصوفي إلى مذهب من مذاهب المختلفين، سوى طريقة الصوفية، إلا نتيجة جهلهم بمذاهب أهل هذه الطريقة؛ فإن هؤلاء حججهم في مسائلهم أظهر من حجج كل أحد، وقواعد منزههم أقوى من قواعد كل مذهب. والناس: إمّا أصحاب النقل والأثر، وما أرباب العقل والفكر.
وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة؛ فالذي للناس غيب، فهو لهم ظهور، والذي للخلق من المعارف مقصود فلهم من الحق سبحانه، موجج، فهم أهل الوصال، والناس أهل الاستدلال.
وهم كما قال القائل:

ليلي بوجهك مشرق ... وظلامه في الناس ساري
فالناس في سلف الظلام ... ونحن في ضوء النهار

ولم يكن عصر ن الأعصار في مدة الإسلام إلا وفيه شيخ من شيوخ هذه الطائفة، ممن له علوم التوحيد، وإمامة القوم إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء استسلموا لذلك الشيخ، وتواضعوا وتبركوا به..
ولولا مزية، وخصوصية لهم، وإلا كان الأمر بالعكس..

هذا أحمد بن حنبل كان عند الشافعي، رضي الله عنهما، فجاء شيبان الراعي فقال أحمد: أريد يا ابا عبد الله أن أنبئه هذا على نقصان علمه، ليشغل بتحصيل بعض العلوم.

فقال الشافعي: لا تفعل!! فلم يقنع؛ فقال لشيبان: ما تقول فيمن نسي صلاة من خمس صلوات في اليوم والليل، ولا يدري أي صلاة نسيها، ما الواجب عليه: يا شيبان؟! فقال شيبان: يا أحمد، هذا قلب غفل عن الله تعالى، فالواجب أن يؤدب حتى لا يغفل عن مولاه بعد!! فغشي على أحمد.. فلما أفاق، قال له الإمام الشافعي، رحمه الله: ألم أقل لك لا تحرك هذا!!

وشيبان الراعي كان أمياً منهم، فإذا كان حالُ الأمي منهم هكذا، فما الظنُّ بأنمتهم؟؟ وقد حكى أن فقيهاً من أكابر الفقهاء كانت حلقتة بجنب حلقة الشبلي في جامع المنصور، وكان يقال لذلك الفقيه أبو مران وكان تتعطل عليهم حلقتهم لكلام الشبلي.

فسأل اصحابُ أبي عمران يوماً الشبلي عن مسألة في الحيض، وقصلوا إجمالاً!! فذكر مقالات الناس في تلك المسألة، والخلاف فيها..

فقام أبو عمران وقبل رأس الشبلي، وقال: يا أبا بكر، استفتت في هذه المسألة عشر مقالات لم أسمعها، وكان عندي من جملة ما قلت ثلاثة أقويل.

وقيل: اجتاز أبو العباس بن سريج الفقيه بمجلس الجنيد، رحمهما الله، فسمع كلامه، فقيل له: ما تقول في هذا الكلام؟ فقال: لا أدري ما يقول.. ولكني أرى هذا الكلام صولة ليست بصولة مبطل. وقيل لعبد الله بن سعيد بن كلاب: أنت تتكلم على كلام كل أحد، وهاهنا رجل يقال له الجني، فانظر هل تعترض عليه أم لا؟ فحضر حلقتة..

فسأل الجنيد عن الوحيد فأجابه، فتحير عبد الله وقال: أعد علي ما قلت؟. فأعاده ولكن لا بتلك العبارة.

فقال له عبد الله: هذا شيء آخر لم أحفظ، تعيده علي مرة أخرى..

فأعاد بعبارة أخرى، فقال عبد الله: ليس يمكنني حفظ ما تقول!! أمليه علينا، فقال: إن كنت أجزته فأنا أمليه، فقام عبد الله، وقال بفضلته، واعترف بعلو شأنه.

فإذا كان أصول هذه الطائفة أصحَّ الأصول، ومشائخهم أكبر الناس، وعلماءهم أعلم الناس، فالمريد الذي له إيمان بهم: إن كان من أهل السلوك والتدرج إلى مقاصدهم فهو يساهمهم فيما خُصوا به من مكاشفات الغيب، فلا يحتاج إلى التطفل على من هو خارج عن هذه الطائفة، وإن كان مريداً طريقة الاتباع وليس بمستقبل بحاله، يريد أن يعرج في أوطان التقليد إلى أن يصل إلى التحقيق فليقلد سلفه، وليجر على طريقة هذه الطبقة؛ فإنهم أولى به من غيرهم.

ولقد سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الشبلي يقول: ما ظنك بعلم علم العلماء فيه قهمة!! وسمعت يقول: سمعت محمد بن علي بن محمد المخرمي يقول: سمعت محمد ابن عبد الله الفرغاني يقول: سمعت الجنيد يقول: لو علمت أن الله علماً تحت أديم السماء اشرف من هذا العلم الذي تتكلم فيه ما أصحابنا وإخواننا لسعيت إليه، ولقصده.

وإذا أحكم المرید بينه وبين الله عقده، فيجب أن يحصل من علم الشريعة، إما بالتحقيق، وإما بالسؤال عن الأئمة ما يؤدي به فُرْضه، وإن اختلف عليه فتاوى الفقهاء يأخذ بالأحوط، ويقصد الخروج من الخلاف، فإن الرخص في الشريعة للمستضعفين وأصحاب الحوائج والأشغال.

وهؤلاء الطائفة ليس لهم شغل سوى القيام بحقه سبحانه، ولهذا قيل: إذا انحط الفقير عن درجة الحقيقة إلى رخصة الشريعة فقد فسح عقده مع الله، ونقض عهده فيما بينه وبين الله تعالى. ثم يجب على المرید أن يتأدب بشيخ؛ فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبداً.

هذا أبو يزيد يقول: من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان.

وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غراس فإنها تورق، ولكن لا تثمر؛ كذلك المرید إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نفساً نفساً فهو عابد هواه، لا يجد نفاذاً.

ثم إذا أراد السلوك فبعد هذه الجملة يجب أن يتوب إلى الله سبحانه من كل زلة؛ فيدع جميع الزلات: سرها وجهرها، صغيرها وكبيرها، ويجتهد في إرضاء الخصوم أولاً، ولم يُرض خصومه، لا يفتح له من هذه الطريقة بشيء. وعلى هذا النحو جروا، ثم بعد هذا يعمل في حذف العلائق والشواغل؛ فإن بناء هذا الطريق على فارغ القلب. وكان الشبلي يقول للحصري في ابتداء أمره: إن خطر ببالك من الجمعة إلى الجمعة الثانية التي تأتي في فيها غير الله تعالى فحرام عليك أن تحضرنى. وإذا أراد الخروج عن العلائق فأولها: الخروج عن المال؛ فإن ذلك الذي يميل به عن الحق، ولم يوجد مريدٌ دخل في هذا الأمر ومعه علاقة من الدنيا إلا جرت تلك العلاقة عن قريب إلى ما منه خرج، فإذا خرج عن المال، فالواجب عليه الخروجُ عن الجاه، فإن ملاحظة حب الجاه مقطعة عظيمة.

وما لم يستو عند المريد قبول الخلق وردهم لا يجيء منه شيء، بل اضرب الأشياء له ملاحظة الناس إياه بعين الإثبات والتبرُّك به لإفلاس الناس عن هذا الحديث، وهو بعد لم يصحح الإرادة، فكيف يصح أن يتبرك به؟! فخروجهم من الجاه واجب عليهم؛ لأن ذلك سم قاتل لهم، فإذا خرج عن ماله وجاهه فيجب أن يصح عقده بينه وبين الله تعالى، وأن لا يخالف شيخه في كل ما يشير عليه: لأن الخلاف للمريد في ابتداء أمره عظيم الضرر؛ لأن ابتداء حاله دليل على جميع عمره.

ومن شرطه: أن لا يكون له بقلبه اعتراض على شيخه، فإذا خطر ببال المريد أن له في الدنيا والآخرة قدراً أو قيمة، أو على بسيط الأرض أحد دونه لم يصح له في الإرادة قدم، لأنه يجب أن يجتهد، ليعرف ربه، لا ليحصل لنفسه قدراً.

وفرق بين من يريد الله تعالى وبين من يريد جاه نفسه، إما عاجله وإما آجله، ثم يجب عليه حفظ سره حتى عن زره إلا عن شيخه، ولو كتتم نفساً من أنفاسه عن شيخه فقد خانته في حق صحبته، ولو وقعت له مخالفة فيما شار على شيخه، فيجب أن يقر بذلك بين يديه في الوقت، ثم يستسلم لما يحكم به عليه شيخه عقوبة له على جنائته ومخالفته، إما بسفر يُكلفه، أو أمر ما يراه.

ولا يصح للشيوخ التجاوز عن زلات المريدين، لأن ذلك تضييع لحقوق الله تعالى، وما لم يتجرد المريد عن كل علاقة لا يجوز لشيخ أن يلقيه شيئاً من الأذكار، بل يجب أن يقدم التجربة له، فإذا شهد قلبه للمريد بصحة العزم فحينئذ يشترط عليه أن يرضى بما يستقبله في هذه الطريقة من فنون تصاريف القضاء، فيأخذ عليه العهد بأن لا ينصرف عن هذه الطريقة بما يستقبله من الضرر والذل، والفقر والأسقام والآلام، وأن لا ينجح بقلبه إلى السهولة، ولا يترخص عند هجوم الفاقات وحصول الضرورات، ولا يؤثر الدعة، ولا يستشعر الكسل فإن وقفة المريد شر من فترته.

والفرق بين الفترة والوقفة أن الفترة رجوع عن الإرادة وخروج منها، والوقفة سكون عن السير باستحلاء حالات الكسل.

وكان مريد وقف في ابتداء إرادته لا يجيء منه شيء.

فإذا جر به شيخه، فيجب عليه أن يلقيه ذكراً من الأذكار على ما يراه شيخه فيأمره أن يذكر ذلك الاسم بلسانه، ثم يأمره أن يستوي قلبه مع لسانه، فيقول له: اثبت على استدامة هذا الذكر كأنك مع ربك أبداً بقلبك، ولا يجري على لسانك غير هذا الاسم ما أمكنك ثم يأمره أن يكون أبداً في الظاهر على الطهارة، وأن لا يكون نومه إلا غلبة، وأن يقلل من غذائه بالتدرج شيئاً بعد شيء حتى يقوى على ذلك، ولا يأمره أن يترك عادته بكرة، فإن في الخبر: "

إنَّ المنبَتَّ لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى " .

ثم يأمره بإيثار الحلوة والعزلة، ويجعل اجتهاده في هذه الحالة لا محالة في نفي الخواطر الدنية والهواجس الشاغلة للقلب .

واعلم، أن في هذه الحالة قلما يخلوا المريد في أوان خلوته في ابتداء إرادته من الوسوس في الاعتقاد، لا سيما إذا كان في المري كياسة قلب، وقلَّ مريدٌ لا تستقبله هذه الحالة في ابتداء إرادته .
وهذه من الامتحانات التي تستقبل المريدين، فالواجب على شيخه إن رأى فيه كياسة، أن يحيله على الحجج العقلية، فإن بالعلم يتخلص لا محالة المتعرف مما يعتريه من الوسوس .

وإن تفرس شيخه فيه القوة والثبات في الطريقة أمره بالصبر واستدامة الذكر حتى تسطع في قلبه أنوار القبول، وتطلع في سره شمس الوصول، وعن قريب يكون ذلك .

ولكن لا يكون هذا إلا لأفراد المريدين، فأما الغالب فإن تكون معالجتهم بالرد إلى النظر، وتأمل الآيات بشرط تحصيل علم الأصول على قدر الحاجة الداعية للمريد .

واعلم أنه يكون للمريدين على الخصوص بلايا من هذا الباب، وذلك أنهم إذا خلوا في مواضع ذكرهم، أن يكونوا في مجالس سماع، أو غير ذلك فيهجس في نفسه ويخطر، ببالهم أشياء منكرة، يتحققون أن الله، سبحانه، منزه عن ذلك، وليس تعتريهم شبهة في أن ذلك باطل، ولكن يدوم ذلك، فيشتد تأذيتهم به، حتى يبلغ ذلك حداً يكون أصعب شتم وأقبح قول وأشنع خاطر، بحيث لا يمكن للمريد إجراء ذلك على اللسان، وإبداؤ لأحد، وهذا أشد شيء يقع لهم .

فالواجب عند هذا ترك مبالغتهم بتك الخواطر، واستدامة الذكر، والابتغال إلى الله باستدفاع ذلك .

وتلك الخواطر ليست من وسوس الشيطان، وإنما هي من هواجس النفس، فإذا قابلها للعبد بترك المبالاة بما ينقطع ذلك عنه .

ومن آداب المريد، بل من فرائض حاله، أن يلازم موضع إرادته، وأن لا يسافر قبل أن تقبله الطريق، وقبل الوصول بالقلب إلى الرب، فإن السفر للمريد في غير وقته سم قاتل، ولا يصل أحد منهم إلى ما كان يرجى له إذا سافر في غير وقته .

وإذا أراد الله بمريد خيراً أثبتته في أول رادته، وإذا أراد الله بمريد شراً رده إلى ما خرج عنه من حرفته أو حالته، وإذا أراد الله بمريد محنة شرده في مطارح غربته .

هذا إذا كان المريد يصلح للوصول: فأما إذا كان شاباً طريقته الخدمة في الظاهر بالنفس للفقراء، وهو دونهم في هذه الطريقة رتبة، فهو وأمثاله يكتبون بالترسم في الظاهر، فينقطعون في الأسفار . وغية نصيبهم من هذه الطريقة حججاً يحصلونها، وزيارات لموضع يُرتحل إليه، ولقاء شيوخ بظاهر سلام، فيشاهدون الظواهر، ويكتفون بما في هذا الباب من السير، فهؤلاء الواجب لهم دوام السفر، حتى لا تؤديهم الدعة إلى ارتكاب محذور فإن الشاب إذا وجد الراحة والدعة كان في معرض الفتنة .

وإذا توسط المريد جمع الفقراء والأصحاب في بدايته فهو مضر له جداً، فإن امتحن واحد بذلك فليكن سبيله احترام الشيوخ، والخدمة للأصحاب، وترك الخلاف عليهم، والقيام بما فيه راحة الفقير، والجهد في أن لا يستوحش منه قلب شيخ .

ويجب أن يكون في صحبته مع الفقراء أبداً خصمهم على نفسه، ولا يكون خصم نفسه عليهم، ويرى لكل واحد

منهم عليه حقاً واجباً، ولا يرى لنفسه واجباً على أحد.

ويجب أن لا يخالف المريد أحداً، وإن علم أن الحق معه يسكت، ويُظهر الوفاق لكل أحد.

وكل مريد يكون فيه ضحك ولجاج وممارسة فإنه لا يجي منه شيء!! وإذا كان المريد في جمع من الفقراء، إما في سفر أو حضر، فينبغي أن لا يخالفهم في الظاهر، لا في أكل ولا صوم ولا سكون ولا حركة، بل يخالفهم بسرهم وقلبه، فيحفظ قلبه مع الله عزَّ وجلَّ، وإذا أشاروا عليه بالأكل، مثلاً، يأكل لقمة أو لقمتين، ولا يعطى نفس شهوتهما.

وليس من آداب المريدين كثرة الأوراد في الظاهر، فإن القوم في مكابدة إخلاء خواطرهم، ومعالجة أخلاقهم، ونفى الغفلة عن قلوبهم، لا في تكثير أعمال البر. والذي لا بد لهم منه إقامة الفرائض والسنن الراتبة.

فأما الزيادة من الصلوات النافلة فاستدامة الذكر بالقلب أتم لهم.

ورأس مال المريد: الاحتمال عن كل أحد، بطيبة النفس، وتلقي ما يستقبله بالرضا، والصبر على الضر والفقر، وترك السؤال والعارضة في القليل وكثير فيما هو حظ له.

ومن لم يصبر على ذلك فليدخل السوق، فإن من انتهى من يشتهي الناس، فالواجب أن يحصل شهوته من حيث يحصلها الناس: من كد اليمين، وعرق الجبين...

وإذا التزم المريد استدامة الذكر وآثر الخلوة فإن وجد في خلوته ما لم يجده قبله إما في النوم وإما في اليقظة، أو بين اليقظة والنوم من خطاب يسمع، أو معنى يُشاهد مما يكون تقصاً للعادة، فينبغي أن لا يشتغل بذلك البيت، ولا يسكن إليه، ولا ينبغي له أن ينتظر حصول أمثال ذلك، فإن ذلك كله شواغل عن الحق سبحانه.

ولا بد له في هذه الأحوال من وصف ذلك لشيخه حتى يصير قلبه فارغاً عن ذلك.

ويجب على شيخه أن يحفظ عليه سره، فيكتم عن غيره أمره، ويصغر ذلك في عينه، فإن ذلك كله اختبارات والمساكنة إليها مكر، فليحظر المريد عن ذلك، وعن ملاحظتها، وليجعل همته فوق ذلك.

واعلم أن أضر الأشياء بالمريد: استتاسه بما يلقي إليه في سره من تقريرات الحق سبحانه له، ومنتته عليه بأني خصصتك بهذا وأفردتك عن أشكالك، فإنه لو قال بترك هذا فعن قريب سيختطف عن ذلك مما يبدو له من مكاشفات الحقيقة.

وشرح هذه الجملة بإثباته في الكتب معذر.

ومن أكام المريد إذا لم يجد من يتأدب به في موضعه أن يهاجر إلى من هو منصوب في وقته لإرشاد المريدين، ثم يقيم عليه، ولا يبرح عن سدته إلى وقت الإذن.

واعلم أن تقديم معرفة رب البيت - سبحانه - على زيارة البيت واجب، فلولاً معرفة رب البيت ما وجبت زيارة البيت، والشبان الذين يخرجون إلى الحج ثم زيارة البيت من هؤلاء القوم من غير إشارة إلى الشيوخ فهي بدالات نشاط النفوس، فهم متوسمون بهذه الطريقة، وليس سفرهم على أصل.

والذي يدل على ذلك: أنه لا يزداد سفرهم إلا وتزداد تفرقة قلوبهم، فلو أنهم ارتحلوا من عند أنفسهم بخطوة لكان أحظة لهم من ألف سفرة.

ومن شرط المريد إذا زار شخصاً أن يدخل عليه بالحرمة، وينظر إليه بالحشمة، فإن أهله الشيخ لشيء من الخدمة عدّ ذلك من جريل النعمة.

عصمة المشايخ

ولا ينبغي للمريد أن يعتقد في المشايخ العصمة بل الواجب أن يذوهم وأحوالهم؛ فيحسن بهم الظن ويراعى مع الله تعالى حده فيما يتوجه عليه من الأمر. والعلم كافية في التفرقة بين ما هو محمود وما هو معلول.

فصل

ما بقي في قلب المرید من الدنيا

وكلُّ مرید بقي في قلبه لشيء من عروض الدنيا مقدار وخطر قاسم الإرادة له مجاز. وإذا بقي في قلبه اختيار فيما يخرج عنه من معلومه فيريد أن يخص به نوعاً من أنواع البرّ، أو شخصاً دون شخص، فهو متكلف في حاله، وبالخطر أن يعود سريعاً إلى الدنيا، لأن قصد المرید في حذف العلائق الخروج منها، لا السعي في أعلى البر. وقبيح بالمرید أن يخرج من معلومه من رأس ماله، وقينته، ثم يكون أسير حرفة. وينبغي أني ستوي عنده وجود ذلك وعدمه، حتى لا ينافر لأجله فقيراً، ولا يضايق به أحداً، ولو مجوسياً.

فصل

قبول قلوب المشايخ للمريد..

أصدق شاهد لسعادته

ومن رده قلب شيخ من الشيوخ فلا محالة يرى غب ذلك، ولو بعد حين. ومن خذل بترك حرمة الشيوخ فقد أظهر رقم شقاوته، وذلك لا يخطيء.

فصل

صحبة الأحداث

من أصعب الآفات في هذه الطريقة صحبة الأحداث ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فيجتمع الشيوخ: ذلك عبداً أهانه الله عزّ وجلّ وخذل، بل عن نفسه شغله، ولو بألف ألف كرامة أهله.

وهب أنه بلغ رتبة الشهداء لما في الخير تلويح بذلك، أليس قد شغل ذلك القلب بمخلوق!! وأصعب من ذلك: تموين ذلك على القلوب، حتى يعد ذلك يسيراً، وقد قال الله تعالى: " وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم " .

وهذا الواسطي رحمه الله، يقول: إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأتنان والجيف.

سمعت أبا عبد الله الصوفي يقول: سمعت محمد بن أحمد النجار يقول: سمعت أبا عبد الله الحصري يقول: سمعت فتحاً الموصلي يقول: صحبت ثلاثين شيخاً كانوا يعدون من الأبدال، كلهم أوصوني عند فراقهم، وقالوا لي: اتق معاشر الأحداث ومخالطتهم.

ومن ارتقى في هذا الباب عن حالة الفسق، وأشار إلى أن ذلك من بلاء الأرواح وأنه لا يضرّ، وما قالوه من وساوس القائلين بالشاهد، وإيراد حكايات عن بعض الشيوخ، لما كان الأولى بهم إسبال الستر عن هنائهم وآفاتهم، الصادرة منهم فذلك نظير الشرك وقرين الكفر.

فليحذر المريد من مجالسة الأحداث، ومخالطتهم؛ فإنه اليسير منه فتح باب الخذلان، وبدء حال الهجران. ونعوذ بالله من قضاء السوء.

فصل ومن آفات المريد

الحسد للإخوان

ما يتداخل النفس من خفيّ الحسد للإخوان والتأثر بما يفرد الله عز وجل به أشكاله من هذه الطريقة، وحرمانه إياه ذلك.

وليعلم أن الأمور قسّم، وإنما يتخلص العبد عن هذا باكتائه بوجود الحق، وقدمه عن مقتضى جوده ونعمه.

فكل من رأيت أيها المريد قدّم الحق، سبحانه، رتبته فأحمل أنت غاشيته؛ فإن الظفراء من القاصدين على ذلك استمرت سنتهم.

فصل

إيثارُ الكل بالكل

من حق المريد إذا اتفق وقوعه في جمع إيثارُ الكل بالكل فيقدم الجائع والشبعان على نفسه، ويتلمذ لكل من أظهر عليه التشيخ، وإن كان هو أعلم منه، ولا يصل إلى ذلك إلا بتبريه عن حوله وقوته، وتوصله إلى ذلك بطول الحق ومنته.

فصل

آداب المريد في السماع

فالمرید لا يسلم له الحركة في السماع بالاختيار ألبتة؛ فإن ورد عليه وارد حركة لم يكن فيه فضل قوة فبمقدار الغلبة يعذر فإذا زالت الغلبة يجب عليه القعود والسكون، فإن استدام الحركة مستحلياً للوجد من غير غلبة وضرورة لم يصح، فإن تعود ذلك يبقى متخلفاً لا يكشف بشيء من الحقائق، فغاية أحواله حينئذ أن يطيب قلبه. وفي الجملة إن الحركة تأخذ من كل متحرك وتقص من حاله، مريداً كان أو شيخاً، إلا أن تكون بإشارة من الوقت، أو غلبة تأخذه عن التمييز.

فإن كان مريداً أشار عليه الشيخ بالحركة فحرك على إشارته فلا بأس إذا كان الشيخ ممن له حكم على أمثاله. وأما إذا أشار عليه الفقراء بالمساعدة في الحركة فيساعدهم في القيام، وفي أداء ما لا يجد منه بدأً مما يراعى عن الاستيحاش لقلوبهم.

ثم إن صدقه في حاله يمنع قلوب الفقراء من سؤالهم عند المساعدة معهم.

وأما طرح الخرقه فحق المريد أن لا يرجع في شيء منه ألبتة، اللهم إلا أن يشير عليه شيخ بالرجوع فيه، فيأخذه على نية العارية بقلبه، ثم يخرج عنه بعده من غير أن يستوحش قلب ذلك الشيخ. وإذا وقع بين قوم عادتهم طرح الخرقه، وعلم أنهم يرجعون فيها، فإن لم يكن فيهم شيخ تجب حشمته وحرمته، وكان طريق هذا المريد أن لا يعود في الخرقه فالأحسن له أن يساعدهم في الطرح، ثم يؤثر به القوال إذا رجعواهم فيها، ولو لم يطرح؛ فإنه يجوز إذا علم من عادة القوم أنهم يعودون فيما طرحوا فإن القبيح إنما هو سنتهم في العود إلى الخرق، لا في مخالفتهم لهم. على أن الأولى الطرح على الموقفة، ثم ترك الرجوع فيه.

ولا يسلم للمريد ألبتة النقاضي على القوال؛ لأن صدق حاله يحمل القوال على التكرار، ويحمل غيره على الاقتضاء.

ومن تبرك بمريد فقد جار عليه، لأنه يضره لقله قوته، فالواجب على المريد ترك تربية الجاه عند من قال بتركه وإثباته.

فصل

إن ابتلي مرید بجاه

أو معلوم، أو صحبة حدث، أو ميل إلى امرأة، أو استنامة إلى معلوم، وليس هناك شيخ يدلّه على حيلة يتخلص بها من ذلك، فعند ذلك حل له السفر والتحول عن ذلك الموضع، ليشوش على نفسه تلك الحالة. ولا شيء أضر بقلوب المریدین من حصول الجاه لهم قبل خمود بشریتهم. ومن آداب المرید: أن لا يسبق علمه في هذه الطريقة منازلته. فإنه إذا تعلم سير هذه الطائفة، وتكلف الوقوف على معرفة مسائلهم وأحوالهم قبل تحقّقه بما بالمنزلة والمعاملة بعد وصوله إلى هذه المعاني ولهذا قال المشايخ: إذا حدث العارف عن المعارف، فجهّله، فإن الاخبار عن منازل دون المعارف. ومن غلب علمه منازلته فهو صاحب علم، لا صاحب سلوك.

فصل

آداب المریدین

أن لا يعرضوا للتصدر، وأن يكون لهم تلميذاً ومریداً فإن المرید إذا صار مراداً، قبل خمود بشريته وسقوط آفته، فهو محبوب عن الحقيقة، لا تنفع أحداً إشارته وتعليمه. فصل إذا خدم المرید الفقراء فحواطر الفقراء أرسلهم إليه. فلا ينبغي أن يخالف المرید ما حكم به باطنه عليه من الخلوص في الخدمة، وبذل الوسع والطاقة. فصل شأن المرید إذا كان طريقته خدمة الفقراء الصبر على جفاء القوم معه. وأن يعتقد أنه يبذل روحه في خدمتهم. ثم لا يحمدون له أثراً. فيعذر إليهم من تقصيره. ويقر بالجنابة على نفسه؛ تطبيقاً لقلوبهم. وإن علم أنه بريء الساحة، وإذا زادوه في الجفاء، فيجب أن يزيدهم في الخدمة والبر. سمع الإمام أبا بكر بن فورك يقول: إن في المثل: "إذا لم تصبر على المطرقة فلماذا كنت سنداناً". وفي معناه أنشلوا:

ربما جتته لأسلفه العذر... لبعض الذنوب قبل التجني

فصل حفظ آداب الشريعة بناء على هذا الأمر وملاكة على حفظ آداب الشريعة وصون اليد عن المدّ إلى الحرام والشبهة، وحفظ الحواس عن الخطورات، وعدّ الأنفاس مع الله تعالى عن الغفلات، وأن لا يستحل مثلاً سمسمة فيها شبهة في أوان الضرورات فكيف عند الاختيار، ووقت الراحة؟! ومن شأن المرید دوام المجاهدة في ترك الشهوات، فإن من وافق شهوته عدّم صفوته. وأقبح الخصال بالمرید رجوعه إلى شهوة تركها لله تعالى.

فصل حفظ العهود مع الله تعالى من شأن المريـد حفظ عهوده مع الله تعالى فإن نقض العهد في طريق الإرادة كالردة عن الدين لأهل الظاهر.

ولا ينبغي للمريـد أن يعاهد الله تعالى على شيء باختياره ما أمكنه، فإن في لوازم الشرع ما يسوفي منه كل وسع: قال الله تعالى في صفة قوم: " ورهبانية ابتدعوها، ما كتبنا عليها إلا ابتغاء رضوان الله، فما رعوها حق رعايتها "

فصل من شأن قصر الأمل فإن الفقير ابن وقته.

فإذا كان له تدبير في المستقبل، وتطلع لغير ما هو فيه من الوقت، وأمل فيما يستأنفه لا يجيء منه شيء.

فصل

أن لا يكون له معلوم وإن قلّ من شأن المريـد أن لا يكون له معلوم وإن قلّ ولا سيما إذا كان بين الفقراء؛ فإن ظلمة المعلوم تطفئ نور الوقت.

فصل ترك قبول رفق النسوان من شأن المريـد، بل من طريقة سالكي هذا المذهب: ترك قبول رفق النسوان، فكيف التعرض لاستجلاب ذلك؟! وعلى هذا درج شيوخهم، وبذلك نفذت وصاياهم. ومن استصغر هذا، فعن قريب يلقي ما يفتضح فيه.

فصل التباعد عن أبناء الدنيا من شأن المريـد: التباعد عن أبناء الدنيا.

فإن صحبتهم سمّ مجرب!! لأنهم ينتفعون به وهو ينتقض بهم، قال الله تعالى: " ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا " . وأن الزهاد يخرجون المال عن الكيس تقريباً إلى الله تعالى، وأهل الصفاء يخرجون الخلق والمعارف تحقّقاً بالله تعالى. قال الأستاذ الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، رضي الله تعالى عنه: فهذه وصيتنا إلى المريـدين، نسأل الله الكريم لهم التوفيق، وأن لا يجعلها وبالاً علينا.

وقد نجز لنا إملاء هذه الرسالة في أوائل سنة: ثمان وثلاثين وأربعمائة، نسأل الله الكريم أن لا يجعلها حجة علينا ووبالاً، بل تكون لنا وسيلة ونوالاً، إن القفضل منه مألوف، وهو بالعفو موصوف.

والحمد لله حقّ حمده، وصلواته، وبركاته، ورحمته على رسوله سيدنا النبيّ الأمي وآله الطاهرين، صحبة الكرام المنتخبين، وسلم تسليمًا كثيرًا.